

نهاية الأرب

في

فتو الأرب

تأليف

شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري

٦٧٧ - ٧٣٣ هـ

الجزء الحادي والعشرون

تحقيق

على محمد الجاوي



الهيئة الوطنية للمخطوطات والكتب النادرة

١٩٧٦

نهاية الأرب

في

فتوح الأرب

جمهورية مصر العربية

وزارة الثقافة

المكتبة العربية

يصدرها

المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية

بالاشتراك مع

الهيئة المصرية العامة للكتاب

القاهرة

١٣٩٦ هـ - ١٩٧٦ م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

وكلت إلى الإدارة العامة للثقافة تحقيق الجزء التاسع عشر من كتاب نهاية الأرب للنويرى (وهو الجزء الحادى والعشرون من تقسيم المؤلف) ، فرجعت إلى نسخته المصورتين بدار الكتب ، وهما برقم ٥٤٩ ، ورقم ٥٥٤ معارف عامة ، ورمزت إلى الأولى بالحرف ك وإلى الثانية بالحرف د ، وقد اعتمدت على النسخة الثانية لأنها أكثر تحقيقا ، وجعلت الثانية مساعدة فى التحقيق .

وكان لا بد فى تحقيق نصوص هذا الكتاب مما يأتى :

- ١ - الإشارة فى الهوامش إلى العبارات التى اختلفت فيها النسختان مما يجعل المتن فى صورة كاملة واضحة للقارئ .
- ٢ - الرجوع إلى المصدر الأول للكتاب ، وهو الكامل لابن الأثير .
- ٣ - الرجوع إلى المصادر الأولى للتاريخ الإسلامى ، ومن أهمها تاريخ الطبرى ، وفتوح البلدان للبلاذرى .
- ٤ - الرجوع إلى المعجمات اللغوية ، وكتب البلدان ؛ ومن أهم ما رجعنا إليه فيها : معجم ما استعجم للبكرى ، مراصد الاطلاع فى أسماء الأمكنة والبقاع لابن عبد الحق البغدادى ، معجم البلدان لياقوت .

٥ - الرجوع - فى تحقيق الأعلام - إلى كتب الأعلام الموثوق بها ، وقد رجعت فى ذلك إلى : المشتبه للذهبى . وتبصير المنتبه بتحرير المشتبه ، وتهذيب التهذيب لابن حجر ، وتاج العروس ، والإكمال لابن ماكولا ، وغيرها .

وأرجو أن يكون الكتاب بذلك قد نال حظه من العناية ، فصار أقرب ما يكون إلى أصل المؤلف .

على محمد البجاوى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[يُوبه توفيقى] (١)

ذكر أخبار المختار

ابن أبي عبيد بن مسعود الثقفي

كان المختارُ بنُ أبي عبيدٍ من بايع مُسلم بنِ عَقِيل لما بعثه الحُسين بن عليّ رضى الله عنهما إلى الكوفة وأنزله في داره ، ودعا إليه . فلما ظهر ابنُ عَقِيل كان المختارُ في قريةٍ تدعى لُقفا (٢) ، فأتاه الخَبْرُ بظُهُوره ، فأقبل في مَوالِيه إلى باب الفيل بعد المغرب ، وقد أجلس عبيدُ الله بن زياد عَمْرُو بن حُرَيْث بالمسجد ومعه رايَةٌ ، فبعث إلى المُختار وأمنه ، فجاء إليه .

فلما كان من الغد ذكر عمارة بن عُقبة (٣) أمره لعبيد الله ، فأحضره ، وقال له : أنت المُقبِلُ في الجموع لِتَنصُرَ ابنَ عَقِيل ! قال : لم أفعل ، ولكني أقبلتُ ونزلتُ تحت رايةِ عَمْرُو ، فشهد له عَمْرُو بذلك ، فضرب ابنُ زياد وجهَ المختار بقَضيبٍ فَشَتَرَ (٤) عَيْنَه وقال : لولا شهادته (٥) قتلتك . وحَبَسَه إلى أن قُتِلَ الحُسين .

(١) في د وحدها .

(٢) في ك : لغفا . والمثبت في د ، والطبرى ، وفي معجم البلدان لياقوت : لقف - ضبطه الحازمي بفتح أوله وسكون ثانيه . وقال عرام : لقف ماء آبار كثيرة عذبة ، ليس عليها مزارع ولا نخل بأعلى قوران : واد من السوارقية على فرسخ . وعبارة الطبرى : في قرية له بخط نية . وخطر نية : ناحية من نواحي بابل العراق .

(٣) في د : عمارة بن الوليد بن عقبة ، والمثبت في ك ، والطبرى ، والاستيعاب : صفحة ١١٤٤

(٤) شتره : غته وجرحه (القاموس) . (٥) في ك : لولا شهادة عمرو .

فبعث المختاراً إلى عبد الله بن عمر بن الخطاب يسأله أن يشفع [له] (١) فيه، وكان زوج أخته صفية بنت أبي عبيد، فكتب ابن عمر إلى يزيد بن معاوية يشفع فيه، فأمر يزيد ابن زياد بإطلاقه، فأطلقه وأمره ألا يُقيم غير ثلاث.

فخرج المختار إلى الحجاز، واجتمع بعبد الله بن الزبير وأخبره خبر العراق، وقال له: ابسط يدك أباي معك، وأعطنا ما يُرضينا، وثب على الحجاز، فإن أهلكه معك؛ وكان ابن الزبير يدعو لنفسه سرّاً، فكم أمره عن المختار ففارقه إلى الطائف، وغاب عنه سنة ثم سأل عنه ابن الزبير، فقيل له: إنه بالطائف، وإنه يزعم أنه صاحب الغضب ومبيد (٢) الجبارين، فقال ابن الزبير: قاتله الله، لقد اتبعت (٣) كذاباً متكهنّاً، إن يهلك الله الجبارين يكن المختار أولهم.

فبينما هو في حديثه إذ دخل المختار، فطاف وصلى ركعتين، وجلس وأتاه معارفه يحدّثونه، ولم يأت ابن الزبير، فوضع ابن الزبير عليه عباس بن سهل بن سعد (٤) فأتاه، وسأله عن حاله، ثم قال له: مثلك يغيب عن الذى قد اجتمع عليه الأشراف من قريش والأنصار وثقيف؟ ولم (٥) تبق قبيلة إلا وقد أتاه زعيمها، فبايع هذا الرجل.

(١) من د، والطبرى.

(٢) فى الطبرى : ومبير . وفى ك : ومبير .

(٣) فى د ، والطبرى : انبعث .

(٤) فى ك : عباس بن سهل بن مسعر . والمثبت فى الطبرى أيضا .

(٥) فى الطبرى : لم يبق .

فقال : إني أتيتُهُ في العام الماضي فكم عنى خبيره ، فلما استغنى عنى أحببتُ أن أريه أُنِي مستغْنٍ عنه ، فقال له العباس : ألقه [الليلة] (١) وأنا معك ، فأجابه إلى ذلك ، وحضر عند ابن الزبير بعد العتمة ، فقال له المختار : أبايعك على ألا تُقضى الأمورُ دُونِي ، وعلى أن أكونَ أولَ داخلٍ عليك ، وإذا ظهرت استعنت بي على أفضل عمَلِك .

فقال ابنُ الزبير : أبايعك على كتابِ الله وسنةِ رسوله . فقال : وشرٌّ (٢) غلماي تبايعه على ذلك ، والله لا أبايعك أبداً إلا على ذلك ، فبايعه وأقام عنده ، وشهد معه قتالَ الحصين (٣) ، وكان أشدَّ الناسِ على أهل الشام ، فلما مات يزيد وأطاع (٤) أهلُ العراق عبدَ الله ابن الزبير ، أقام المختار عنده خمسةَ أشهر ، فلما رآه لا يستعمله جعل يسألُ مَنْ يقدم من الكوفة عن حال الناس ، فأخبره هانيء بن أبي حية الوداعي (٥) باتفاق (٦) أهل الكوفة على طاعة ابن الزبير لإطائفة من الناس ، لو كان لهم من يجمعهم على رأيهم أكل بهم الأرض إلى يوم ما .

فقال المختار ، أنا أبو إسحاق [أنا والله لهم] (٧) ، أنا أجمعهم على

(١) من د ، والطبرى .

(٢) في الطبرى : وشر غلماي أنت مبايعه على كتاب الله وسنة رسوله .

(٣) هو الحصين بن نمير السكوني .

(٤) في ك : واطلع . والمثبت في د .

(٥) في اللباب : الوداعي — بفتح الواو والذال ، وفي آخره العين المهملة .

(٦) في د : باتساق .

(٧) من د ، والطبرى .

الحق ، وأتقى (١) بهم ركبان الباطل ، وأقتل بهم كل جبار عنيد .
ثم ركب دابته (٢) وسار نحو الكوفة فوصل إليها .

واختلفت الشيعة إليه ، وبلغه خبر سليمان بن صرد وأنه على
عزم المسير ، فقام فى الشيعة فحمد الله ، ثم قال : إن المهدي
وابن الرضا ، يعنى محمد ابن الحنفية ، يعنى إليكم أميناً ووزيراً (٣)
ومنتخباً وأميراً ، وأمرنى بقتال الملحدين ، والطلب بدم أهل بيته .

فبايعه إسماعيل بن كثير وأخوه ، وعبيدة بن عمرو ، وكانوا أول
من أجابه ، وبعث إلى الشيعة وقد اجتمعوا عند ابن صرد ، وقال لهم
نحو ذلك ، وقال : إن سليمان ليس له تجربة بالحرب ولا بالأمر ،
إنما يريد أن يخرجكم فيقتلكم ويقتل نفسه ، وأنا أعمل على مثال
مثل لى ، وأمر بين لى ، فيه عز وليكم ، وقتل عدوكم ، وشفاء
صدوركم ، فاسمعوا قولى ، وأطيعوا أمرى ، ثم أبشروا .

فما زال بهذا ونحوه حتى استمال طائفة من الشيعة ، فكانوا
يختلفون إليه ويعظمونه ، وأكثر الشيعة مع ابن صرد ، وهو أنقل
خلق الله على المختار .

فلما خرج سليمان بن صرد على ما قدمناه قال عمر بن (٤) سعد ،
وشبث (٥) بن ربيعى ، ويزيد بن الحارث بن رويم لعبد الله بن يزيد
وإبراهيم بن محمد بن طلحة : إن المختار أشد عليكم من سليمان ،

(١) فى د : وأتقى . (٢) فى د : راحلته .

(٣) فى ك : أميناً ووزيراً .

(٤) فى ك : عمرو بن سعيد .

(٥) بالتحريك (المشبه ، والقاموس) .

إن سليمان إنمأخرج يريدُ قتالَ عدوكم ، والمختارُ يريدُ أن يثيب عليكم في مضركم ، فأتوه ، وأخذوه بغتة ، وحملوه إلى السجن ، فكان يقول في السجن : أماورب البحار ، والنخيل والأشجار ، والمهامه ، والقرفار ، والملائكة الأبرار ، والمصطفين الأخيار ، لأقتلن كل جبار ، بكل لذنٍ خطار ، ومُهَنَدٍ بتار ، وجموع^(١) الأنصار ، وليسوا بميل أغمار ، ولا يغزل^(٢) أشرار ، حتى إذا أقمتُ عمود الدين ، ورأيتُ شغب صدع المسلمين ، وشفيتُ غليل صدور المؤمنين ، وأدركتُ بشر النبيين ، لم يكبر على زوال الدنيا ، ولم أخفل بالموت إذا أتى .

وقيل في خروج المختار إلى الكوفة غير ماتقدم ، وهو أنه قال لعبد الله بن الزبير وهو عنده : إني لأعلم قوما لو أن لهم رجلا له علم بما يأتي ويذر لاستخرج لك منهم جندا يُقاتل بهم أهل الشام . قال : من هؤلاء ؟ قال : شيعة علي [رضى الله عنه] ^(٢) بالكوفة ، قال : فكن أنت ذلك الرجل ، فبعثه إلى الكوفة ، فنزل ناحية منها يبكي على الحسين ويذكر مصابه حتى ألفه الناس وأحبوه ، فنقلوه إلى وسط الكوفة ، وأتاه منهم بشر كثير . [والله أعلم^(٣)]

(١) في ك : بجموع ، وفي الطبرى : في جموع .

(٢) في ك : بغزل . والأغرل : الرجل المسترخى الخلق (القاموس) . والمثب

في د ، والطبرى . والميل : جمع أميل : الكسل الذى لا يحسن الفروسية والركوب

(اللسان) .

(٣) ساقط في د .

ذكر وثوب المختار بالكوفة

كان وثوب المختار بالكوفة فى رابع عشر شهر ربيع الأول سنة [٥٦٦] ست وستين ، وكان سبب ذلك أنه لما قتل سليمان بن صرد قديم من بقى من أصحابه إلى الكوفة ، وكان المختار محبوسا كما ذكرنا ، فكتب إليهم من السجن يُثنى عليهم ، ويُمَنِّيهم الظفر ، ويعرفهم أن محمد بن على بن أبى طالب المعروف بابن الحنفية أمره بطلب الثار ، فقرأ كتابه رفاعه بن شداد والمثنى بن مخزبة العبدى ، وسعد بن حذيفة بن اليمان ، ويزيد بن أنس ، وأحمر بن شميظ (١) ، وعبد الله بن شداد البجلي ، وعبد الله بن كامل .

فلما قرءوا كتابه بعثوا إليه ابن كامل يقولون : إننا بحيث يسرك ، فإن شئت أن نأتيك ونخرجك (٢) من الحبس فعلننا ، فقال : إنى أخرج فى أيامى هذه . وكان المختار قد أرسل إلى عبد الله ابن عمر يقول : إنى حُبِسْتُ مظلوما ، وطلب [منه] (٣) أن يشفع فيه إلى عبد الله بن يزيد وإبراهيم بن محمد بن طلحة .

فكتب ابن عمر إليهما فى أمره ، فشفعا فيه ، وأخرجاه من السجن ، وحلفاه أنه لا يبغيهما غائلة ، ولا يخرج عليهما مادام لهما سلطان ، فإن فعل فعليه ألف بدنة ينحرها عند الكعبة ، وماليكه أحرار .

(١) فى د : سميظ . والمثبت فى ك ، والطبرى .

(٢) فى الطبرى : حتى نخرجك .

(٣) ساقط فى ك .

فلما خرج نزل بداره ، وقال لمن يثق به : قاتلهم الله ، ما أحقهم حين يرون أنى أنى لهم ، أما حلفى بالله فإننى إذا حلفت على يمين فرأيت خيراً منها أكفر عن يمينى ، وخروجى عليهم خير من كفى عنهم ، وأما هذى البدن ، وعنت الممالك ، فهو أهون على من بضقة ، وددت أنى تم لى أمرى ولا أملك بعده مملوكا أبدا .

ثم اختلفت إليه الشيعة ، واتفقوا على الرضا به ، ولم يزل أصحابه يكثرون وأمره يقوى ، حتى عزل عبد الله بن الزبير عبد الله ابن يزيد وإبراهيم بن محمد ، واستعمل عبد الله بن مطيع على عملهما بالكوفة .

وقدم ابن مطيع الكوفة لخمس بقين من شهر رمضان سنة [٦٥ هـ] خمس وستين . ولما قدم صعد المنبر ، فخطب الناس وقال : أما بعد ، فإن أمير المؤمنين بعثنى على مضركم وثغوركم ، وأمرنى بجباية فينكم وألاً أحمل فضلة عنكم ^(١) إلا برضا منكم ، وأن أتبع فيكم وصية عمر بن الخطاب التى أوصى بها عند وفاته ، وسيرة عثمان بن عفان رضى الله عنهما ، فاتقوا الله وأستقيموا ، ولا تختلفوا على ، وخذوا على أيدي سفهائكم ، فإن لم تفعلوا فلوموا أنفسكم . فقام إليه السائب بن مالك الأشعرى ^(٢) ، فقال : أما حمل فيننا برضانا فإننا نشهد ألاً ^(٣) نرضى أن تحمل عنا فضلة وألاً تقسم إلا فينا ، وألاً يسار فينا إلا بسيرة على بن أبى طالب التى سار بها فى بلادنا

(١) فى ك ، والطبرى : فضل فينكم عنكم .

(٢) فى د : الأشعر . والمثبت فى ك ، والطبرى .

(٣) فى الكامل : أنا لا نرضى .

حتى هلك ، ولا حاجة لنا فى سيرة عثمان بن عفان فى فيثنا ولا فى أنفسنا ، ولا فى سيرة عمر فى فيثنا ، وإن كانت أهون السيرتين علينا ، وقد كان يفعل بالناس خيراً .

فقال يزيد بن أنس : صدق السائب وبرّ ، فقال ابن مطيع : نسير فيكم بكلّ سيرة أحببتم ، ثم نزل .

وجاء إياس بن مضارب إلى ابن مطيع فقال له : إن السائب ابن مالك من رؤوس أصحاب المختار ، فابعث إلى المختار ، فإذا جاءك فأحبسه حتى يستقيم أمر الناس ، فإن أمره قد أستجمع له ، وكأنه قد وثب بالمصر .

فبعث ابن مطيع إلى المختار زائدة بن قدامة وحسين بن على البرسمى (١) ، فقالا له : أجب الأمير ، فعزم على الذهاب ، فقرأ زائدة (٢) : ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ... ﴾ الآية . فألقى المختار ثيابه وقال : ألقوا على قطيفة فإني (٣) وعكّت ، إنى لأجد برّداً شديداً ، ارجعا إلى الأمير فأعلماه حالى ، فعادا إليه فأعلماه فتركه .

ووجه المختار إلى أصحابه ، فجمعهم حوله فى الدور ، وأراد أن يشب فى المحرم ؛ فجاء رجل من أصحابه من شبام (٤) ، وشبام : حى

(١) البرسمى : بضم الباء وسكون الراء ، وضم السين المهملة (الباب) .

(٢) سورة الأنفال ، آية ٣٠

(٣) فى ك : فقد .

(٤) شبام - ككتاب ، وفى الكامل (٣-٣٧٢) : بكسر الشين المعجمة والباء

من همدان ، وكان شريفا ، وأسمه عبد الرحمن بن شريح ، فلقبى
سعيد بن مُنقذ الثوري ، وسعر^(١) بن أبي سِعر الحنفي ، والأسود
ابن جرّاد الكِندي ، وقُدامة بن مالك الجُشمي^(٢) ، فقال لهم :
إنّ المختار يريد أن يخرج بنا ، ولا نَدري أرسله^(٣) ابنُ الحنفيّة
أم لا ؟ فانهضوا بنا إلى محمد ابن الحنفيّة نُخبره بما قدم به علينا
المختار ، فإن رخص لنا في اتّباعه اتّبعناه ، وإن نهانا عنه اجتنبناه ،
فوالله ما ينبغي أن يكونَ شيء من الدنيا آثَرَ^(٤) عندنا من سلامة ديننا ،
فاستصوبوا رأيّه ، وخرجوا إلى ابن الحنفيّة ، فلما قدموا عليه سألهم
عن حال الناس ، فأخبروه وأعلموه^(٥) حال المختار ، فقال :
والله لو دِدتُ أن الله انتصر لنا من عدونا بمن شاء من خلقه ، فعادوا .
وكان مسيرهم قد شقَّ على المختار ، وخاف أن يعودوا ، ياخذل الشيعة
عنه ، فلما قدموا الكوفة دخلوا عليه ، فقال : ما وراءكم ؟ فقد فتنتم
وأرتبتم ، فقالوا : قد أمرنا بنصرك ، فقال : الله أكبر ،
الله أكبر ، اجتمعوا الشيعة ، فجمع من كان قريبا منه ، فقال لهم :
إن نَفراً أحبوا أن يعلموا مضدائق ما جئتُ به ، فرحلوا إلى إمام الهدى^(٦) ،
فسألوه عما قدمتُ به عليكم ، فنبأهم أنّي وزيره وظهيره ورسوله ،

(١) سعر — بكسر السين المهملة (الكامل : ٣ — ٣٧٢) .

(٢) في ك : الخشمي . والمثبت في د ، والكامل ، والطبري .

(٣) في الطبري : أرسله إلينا ...

(٤) في ك : أسر . والمثبت في د .

(٥) في ك : فاعلموه .

(٦) في الكامل : إلى الإمام الهدى . والمثبت في ك ، د ، والطبري .

وأمركم بطاعتي وأتباعى فيما دعوتكم إليه من قتال المجلىين (١) ، والطلب
بدماء أهل بيت نبيكم .

فقام عبد الرحمن بن شريح وأخبرهم بحالهم ومسيرهم ، وأن
ابن الحنفية أمرهم بمظاهرتة (٢) وموازرتة ، وقال لهم : لبيلىع الشاهد
منكم الغائب ، وأستعدوا وتأهبوا ، وقام جماعة من أصحابه فقالوا
نحواً من كلامه .

فأجتمعت له الشيعة ، وكان من جملتهم [الشعى] (٣)
وأبوه شراحيل ، فلماً تهباً أبوه (٤) للخروج قال له بعض أصحابه :
إن أشراف الكوفة مجمعون على قتالك مع ابن مطيع ، فإن أجابنا
إبراهيم بن الأشر رجونا القوة على عدونا ، فإنه فتى رئيس (٥)
وابن رجل شريف ، وله عشيرة ذات عز وعدد . فقال المختار :
فألقوه وادعوه ، فخرجوا إليه ومعهم الشعى ، فأعلموه حالهم ،
وسألوه مساعدتهم ، فقال : على أن تولونى الأمر ، فقالوا : أنت
لذلك (٦) أهل ، ولكن ليس إلى ذلك سبيل ، هذا المختار قد جاءنا
من قبل المهدي ، وهو المأمور بالقتال ، وقد أمرنا بطاعته ، فلم يجيبهم
إبراهيم ، فأنصرفوا عنه .

وأتوا المختار ، فسكت ثلاثاً ، ثم سار إلى إبراهيم فى بضعة

(١) فى د : الخلىن . والمثبت فى ك ، والطبرى .

(٢) فى ك : بمصاهرتة - تحريف .

(٣) ساقط فى ك .

(٤) فى د : أمره .

(٥) فى الطبرى : بئس .

(٦) فى ك : أنت لذلك .

عشر من أصحابه ، والشعبي وأبوه فيهم ، فدخلوا عليه ، فألقى إليهم
 الوسائد ، فجلسوا عليها ، وجلس المختارُ معه على فراشه ، فقال
 المختار له : هذا كتابُ المهديِّ إليك ، يسألك أن تنصرتنا وتوازرنا ،
 فقرأه ، فإذا هو : « من محمد المهديِّ إلى إبراهيم بن مالك الأشتر ،
 سلامٌ عليك ، فإني أحمد الله إليك الذي لا إله إلا هو ، أما بعد ،
 فإني [قد] ^(١) بعثتُ إليكم وزيري وأميني الذي ارتضيتُهُ لنفسِي ،
 وأمرته بقتالِ عدوِّي ، والطلبِ بدماء أهلِ بيتي ، فأهض بنفسك
 وعشيرتك ومن أطاك ، فإنك إن نصرتني وأجبتَ دعوتي كانت
 لك بذلك عندي فضيلة ، ولك أعتة الخيل ، وكلُّ جيش غازٍ ،
 وكلُّ مضرٍ ومينبرٍ وثغرٍ ظهرت عليه فيما بين الكوفة وأقصى بلادِ
 الشام » .

فلما فرغ من قراءته تأخر عن صدرِ الفراش ، وأجلس المختار
 عليه ، وبأبعه . وصار يختليفُ إلى المختار كلَّ عشية يدبرون أمورهم
 واجتمع رأيهم على الخروج ليلة الخميس لأربع عشرة ليلة من
 شهر ربيع الأول ، فلما كان تلك الليلة ، صلى إبراهيم بن الأشتر
 بأصحابه المغرب ، ثم خرج يُريدُ المختارَ ، وعليه وعلى أصحابه
 السلاح ، وكان إياس بن مضراب قد جاء إلى عبد الله بن مطيع وهو
 على شرطته ، فقال : إن المختار خارجٌ عليك إحدَى هاتين اللَّيلتين ،
 وقد بعثتُ بأبيني إلى الكُنَاسَةِ ^(٢) ، فلو بعثت في كلِّ جبانة ^(٣) عظيمة

(١) في د .

(٢) الكناسة : محلة بالكوفة عندها أوقع يوسف بن عمر الثقفي يزيد بن علي

ابن الحسين بن علي بن أبي طالب (ياقوت) .

(٣) الجبانة : المقبرة والصحراء ، وجمعه الجبايين . (القاموس) .

بالكوفة رجلا من أصحابك في جماعة من أهل الطاعة لَهَابِ الْمُخْتَارِ وَأَصْحَابِهِ الْخُرُوجِ عَلَيْكَ ، فَبَعَثَ ابْنُ مُطِيعٍ إِلَى كُلِّ جَبَانَةٍ مَن يَحْفَظُهَا مِنْ أَهْلِ الطَّاعَةِ ، وَأَمَرَ عَلَى كُلِّ طَائِفَةٍ أَمِيرًا ، وَأَوْصَى كَلًّا مِنْهُمْ أَلَّا يُؤْتَى مِنْ قَبْلِهِ ، وَقَالَ : إِذَا سَمِعْتَ صَوْتَ الْقَوْمِ فَوَجِّهْ نَحْوَهُمْ ، وَكَانَ خُرُوجُهُمْ إِلَى الْجَبَابِينِ يَوْمَ الْاِثْنَيْنِ .

وخرج إبراهيم بن الأشتر ليلة الثلاثاء يريد المختار ، وقد بلغه أَنَّ الْجَبَابِينِ قَدْ مُلِئَتْ رَجَالًا ، وَأَنَّ إِيَّاسَ بْنَ مُضَارِبِ فِي الشَّرْطَةِ قَدْ أَحَاطَ بِالسُّوقِ وَالْقَضْرِ ، فَأَخَذَ مَعَهُ مِنْ أَصْحَابِهِ نَحْوَ مِائَةِ دَارِعٍ ، وَقَدْ لَبِسُوا عَلَيْهِمُ الْأَقْبِيَّةَ ، فَقَالَ لَهُ [أَصْحَابُهُ] (١) : تَجَنَّبِ الطَّرِيقَ ، فَقَالَ : وَاللَّهِ لَأَمُرُّنَّ وَسَطَ السُّوقِ بِجَنَبِ الْقَضْرِ ، وَلَأُرْعِبَنَّ عِدُونَنا ، وَلَأُرِيَنَّهُمْ هَوَانَهُمْ عَلَيْنَا ، فَسَارَ عَلَى بَابِ الْفَيْلِ ، فَلَقِيَهُمْ إِيَّاسُ فِي الشَّرْطِ مُظْهِرِينَ السَّلَاحَ ، فَقَالَ : مَنْ أَنْتُمْ ؟ فَقَالَ (٢) : أَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْأَشْتَرِ . فَقَالَ إِيَّاسُ : مَا هَذَا الْجَمْعُ الَّذِي مَعَكَ ؟ وَإِلَى أَيِّنِ تُرِيدُ ؟ وَلَسْتُ بِتَارِكِكَ حَتَّى آتَى بِكَ الْأَمِيرَ ، فَقَالَ إِبْرَاهِيمُ : خَلِّ سَبِيلَنَا ، قَالَ : لَا أَفْعَلُ ؛ وَكَانَ مَعَ إِيَّاسِ رَجُلٌ مِنْ هَمْدَانَ يُقَالُ لَهُ أَبُو قَطْنٍ ، وَكَانَ يُكْرِمُهُ ، وَكَانَ صَدِيقًا لِابْنِ الْأَشْتَرِ ، فَقَالَ لَهُ ابْنُ الْأَشْتَرِ : اذْنُ مَنْى يَا أَبَا قَطْنُ ، فَدَنَا مِنْهُ وَهُوَ يَظُنُّ أَنَّ إِبْرَاهِيمَ يَسْتَشْفِعُ بِهِ عِنْدَ إِيَّاسٍ ، فَلَمَّا دَنَا مِنْهُ أَخَذَهُ مَحَاً كَانَ مَعَهُ فَطَعَنَ بِهِ إِيَّاسًا فِي ثَغْرِهِ (٣) ، فَصَرَعه ، وَأَمَرَ رَجُلًا مِنْ أَصْحَابِهِ فَقَطَعَ رَأْسَهُ .

(١) من د .

(٢) في د : قال .

(٣) في الكامل : في ثغرة نحره .

وتفرق أصحابُ إياس ، ورجعوا إلى ابنِ مطيع ، فبعث مكانه ابنه راشد بن إياس على الشرط ، وأقبل إبراهيم إلى المختار وقال له : **إننا أتعدنا للخروج القابلة ، وقد وقع أمرٌ ، لا بد من الخروج الليلة ، وأخبره الخبر ، ففرح المختار بقتل إياس وقال : هذا أول الفتح إن شاء الله .**

ثم قال لسعيد بن مُنقذ : **قم فاشعل النيران وأرفعها ، وسر أنت يا عبد الله بن شداد فناد : يا منصور ، أمت ، وأنت يا سفيان بن ليلى ، وأنت يا قدامة بن مالك : ناد يا الثارات الحسين ، ثم لبس سلاحه .** وكانت الحرب بين أصحابه وبين الذين ندبهم ابنُ مطيع لحفظ الجبابين في تلك الليلة ، فكان الظفر لأصحاب المختار ، وخرج المختار في جماعة من أصحابه حتى نزل في ظهر دبر هند في السبخة (١) ، وأنضم إليه ممن تابعه ثلاثة آلاف وثمانمائة من اثني عشر ألفا ، واجتمعوا له قبل الفجر ، فأصبح وقد فرغ من تعبته ، وصلى بأصحابه بغلس .

وقد جمع ابنُ مطيع أهلَ الطاعة إليه ، فبعث شيبث بن ربیع في ثلاثة آلاف ، وراشد بن إياس في أربعة آلاف من الشرط ، لقتال المختار ومن معه ، وأردفهم بالعساكر ، واقتتلوا ، فكان الظفر لأصحاب المختار ، وكان الذي صلى الحرب ودبر الأمر إبراهيم بن الأشتر . فلما رأى ابن مطيع أمر المختار وأصحابه قد قوى خرج بنفسه إليهم ، فوقف بالكناسة وأستخلف شيبث بن ربیع على القصر ، فبرز إبراهيم ابن الأشتر إلى ابن مطيع في أصحابه وحمل عليه ، فلم يلبث ابن مطيع

(١) دبر هند : بالحيرة . والسبخة : أرض ذات نر وملح (البكري) .

أن انهزم أصحابه ، يَرَكِبُ بعضهم بعضاً على أفواه السُّكَّكِ ، وأبْنُ الأَشْثَرِ فى آثارهم ، حتى بلغ المسجدَ ، وحَصَرَ أبْنُ مُطِيعٍ ومَنْ معه من أشرف الكوفة فى القصر ثلاثاً ، فقال شَبَيْثُ لَأَبْنِ مُطِيعٍ : انظُرْ لنفسك ولِمَنْ معك ؛ فقال : أَشْيِرُوا عَلَيَّ ؛ فقال شَبَيْثُ : الرَّأْيُ أَنْ تَأْخُذَ لنفسك ولنا أماناً ، وتخرج ولا تهلك نَفْسَكَ ومَنْ معك ؛ فقال أبْنُ مُطِيعٍ : إني لأكرهُ أَنْ أَخْذَ منه أماناً ، والأَمُورُ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مستقيمةٌ بالحجاز والبصرة ؛ قال : فتخرج ولا تُشْعِرْ بك أحداً ، فتنزول بالكوفةِ عند مَنْ تَثِقُ إليه حتى تلحق بصاحبك. فأقام حتى أمسى ، وخرج وأتى دَارَ أَبِي مُوسَى ، وترك (١) القَصْرَ ، ففتح أصحابه الباب ، وقالوا : يا أبْنُ الأَشْثَرِ ، آمِنون نحن ؟ فقال : أنتم آمِنون ؛ فخرجوا ، فبايعوا المختار. ودخل [المختار] (٢) القصر فبات به ، وأصبح أشرفُ الناسِ فى المسجد وعلى باب القصر ، وخرج المختارُ فصعد المنبرَ وخطب الناسَ ، ثم نزل .

ودخل أشرفُ الكوفةِ فبايعوه على كتابِ الله وسنةِ رسوله صلى الله عليه وسلم ، والطلبِ بدماء (٣) أهلِ البيتِ وجهادِ المُحَلِّين (٤) والدَّفْعِ عن الضُّعفاء ، وقتالِ مَنْ قاتَلَنَا ، وسلمِ مَنْ سألَنَا .

وكان من بايعه المنذرُ بن حسانِ الضُّبى وأبْنه حسان ، فلما خرجا من عنده أستقبلهما سعيده بن مُنْقذِ الثورى فى جماعة .

(١) فى د : ونزل .

(٢) من الكامل .

(٣) فى ا : بدم .

(٤) فى د : المحلّين - بالخاء المعجمة .

من الشيعة ، فقالوا : هذان وألله رعوس الجبارين ، فقتلوهما ،
ونهاهم سعيد عن قتلتهما إلا بأمر المختار ، فلم ينتهوا .

فلما سمع المختار ذلك كرهه ، وأقبل يُمنى الناس ويود (١)
الأشراف ، ويُحسن السيرة ، فبلغه أن ابن مُطيع في دار أبي موسى ،
فسكت ، فلما أمسى بعث إليه بمائة ألف درهم ، وقال : تجهز بهذه ،
فقد علمت مكانك ، وأنت لم يمنعك من الخروج إلا عدم النفقة .



ووجد المختار في بيت المال [بالكوفة] (٢) تسعة آلاف ألف وخمسمائة
ألف ، فأعطى لكل رجل خمسمائة درهم ، وأعطى لستة آلاف من
أصحابه أتوه بعد ما أحاط بالقصر (٣) ، لكل منهم مائتي درهم ،
وأستقبل الناس بخير . وأستعمل على شرطته عبد الله بن كامل
الشاكري ، وعلى حرسه كيسان .
[والله أعلم بالصواب] (٤) .

(١) في ك: ويرد . وفي الطبري (٧ - ٢٩٠) : ويستجر مودتهم ومودة
الأشراف ، وفي الكامل (٣-٣٦٣) : ويستجر مودة الأشراف .

(٢) من الطبري .

(٣) في أ : أتوه بعد إحاطة . والمثبت في د .

(٤) من ك .

ذكر عمال المختار بن أبى عبيد

كانت أول راية عقدها المختار لعبد الله بن الحارث أخى الأشر على إزمينية ، وبعث محمد بن عمير بن عطارد على أذربيجان ، وبعث عبد الرحمن بن سعيد بن قيس على الموصل ، وبعث إسحاق ابن مسعود على المدائن ، وأرض جُوخَى (١) ، وبعث قدامة بن أبى عيسى ابن ربيعة الدَّصْرَى حليف ثقيف على بهقُباذ (٢) الأعلى ، وبعث محمد بن كعب بن قرظَة على بهقُباذ (٢) الأوسط ، وبعث سعد ابن حذيفة بن اليمان على حلوان ، وأمره بقتال الأكراد ، وإقامة الطُّرُق . وكان ابن الزبير قد استعمل على الموصل محمد بن الأشعث بن قيس ، فلما بعث المختار عبد الرحمن إليها ، سار محمد عنها إلى تكريت (٣) ، ينتظر ما يكون من الناس ، ثم سار إلى المختار فبايعه ، فلما فرغ من ذلك أقبل يجلس للناس ويقضى بينهم ، ثم قال : إن لى فيما أحاول شغلا عن القضاء ، ثم أقام شريحا يقضى بين الناس ، فمارض ، فجعل المختار مكانه عبد الله بن عتبة بن مسعود ، ثم مرض ، فجعل مكانه عبد الله بن مالك الطائى .

(١) جوخى : نهر عليه كورة واسعة فى سواد بغداد (ياقوت) .

(٢) بالكسر ثم السكون وضم القاف وباء موحدة وألف . وذال معجمة : اسم لثلاث كور من أعمال سقى الفرات (المراصد) .

(٣) تكريب - بفتح التاء ، وللإمامة تكسرهما : بلد مشهور بين بغداد والموصل ، وهى إلى بغداد أقرب . (المراصد ، وياقوت) .

ذكر قتل المختار قتلة الحسين

وخروج أهل الكوفة على المختار وقتالهم إياه ووقعة السبيع (١)

كان سبب ذلك أن مروان بن الحكم لما أستتب له الأمر بعث عبيد الله بن زياد إلى العراق ، وقد ذكرنا ما كان من أمره مع التوابين (٢) . ثم توفي مروان بن الحكم وولى ابنه عبد الملك ، فأقر ابن زياد على ولايته ، وأمره بالجد ، فأقبل إلى الموصل ، فكتب عبد الرحمن بن سعيد عامل المختار إليه يخبره بدخول ابن زياد أرض الموصل ، وأنه قد تنحى له عنها إلى تكريت ، فندب المختار يزيد بن أنس الأسدي ، فانتخب ثلاثة آلاف ، وسار بهم نحو الموصل ، وكتب المختار إلى عبد الرحمن : أن خل بين يزيد وبين البلاد ، فسار يزيد حتى بلغ أرض الموصل ، فنزل بنات تلى (٣) ، وبلغ خبره ابن زياد ، فقال : لأبعثن إلى كل ألف ألفين ، فأرسل ربيعة بن المخارق الغنوي في ثلاثة آلاف ، وعبد الله بن جملته (٤) الخشمي في ثلاثة آلاف ، فسار ربيعة قبل عبد الله بيوم ، فنزل بيزيد بن أنس بنات تلى (٣) فخرج ، وقد اشتد به المرض ، وعبأ أصحابه ،

(١) السبيع : بفتح أوله وكسر ثانية ثم ياء وعين مهملة : بالكوفة (المراد) :

(٢) في الطبري (٦-٣٨) : ما كان من أمره وأمر التوابين من الشيعة بعين

الوردة .

(٣) في ك : فنزل بيايل . وفي د : بيايل . وفي الكامل : بياقلى، والمثبت

في الطبري ، ومعجم ما استعجم .

(٤) هذا في ذ ، والكامل ، وفي الطبري بالحاء المهملة .

وقال : إن هلكت فأميركم ورقاء بن عازب الأسدى ، فإن هلك فأميركم عبدُ الله بن ضَمْرَةَ العُبرى ، فإن هلك فأميركم سِعرُ الحَنَفى . ثم نزل فوُضِع على سرير ، وقال : قاتِلوا عن أميركم إن شئتم أو فِرُوا عنه .

وأقتتل القوم ، فانهزم أصحابُ ابن زياد ، وقتل ربيعة بن المخارق ، قتله عبدُ الله بن ورقاء ، فسار المنهزمون ساعةً ، ولقيهم عبدُ الله ابن جُملة فردهم معه ، فباتوا ليلتهم ببسات تلى يتحارسون ، فلما أصبحوا خرجوا إلى القتال فأقتتلوا قتالاً شديداً ، وذلك فى يوم الأضحى سنة ست وستين ، فانهزم أهلُ الشام ، ونزل ابن جُملة فى جماعة ، فقاتل حتى قتل ، وحوى أهلُ الكوفة عسكرهم ، وقتلوا فيهم قتلاً ذريعاً ، وأسرُوا ثلاثمائة ، فأمر يزيدُ بقتلهم ، وهو باخر رمق ، فقتلوا ، ثم مات آخرُ النهار ، فقال ورقاء بن عازب لأصحابه : إنه بلغنى أن عبید الله بن زياد قد أقبل إليكم فى ثمانين ألفاً ، وأشار عليهم بالرجوع إلى المختار ، فصوبوا رأيه ، ورجعوا ، فبلغ ذلك أهل الكوفة ، فأرجفوا بالمختار ، وقالوا : إن يزيد قتل ولم يمُتْ ، فندب إبراهيم بن الأشتر فى سبعة آلاف ، وقال له : سرّ فإذا لقيت جيشَ يزيد فأنّت الأميرُ عليهم ، فأرددهم معك حتى تلقى ابن زياد فناجزه .

فسار إبراهيم لذلك ، فأجتمع أشرافُ الكوفة على شَبِث بن رُبِعى وقالوا : والله ، إن المختار تأسر بغير رضا منا ، وقد أذنى موالينا (١) ، فحملهم على الدواب ، وأعطاهم قِيثنا .

(١) فى الكامل : وقد أزرى بمواليه ، والمليت فى ك ، د ، والطبرى .

فقال : دَعُونِي حَتَّى أَلْقَاهُ ، فَذَهَبَ إِلَيْهِ فَكَلِمَهُ ، فَلَمْ يَدِغْ شَيْئًا أَنْكَرَهُ إِلَّا ذَكَرَهُ لَهُ ، وَالْمَخْتَارُ يَقُولُ فِي كُلِّ خَصْلَةٍ : أَنَا أَرْضِيهِمْ فِي هَذِهِ وَآتَى كُلَّ مَا أَحْبَبَهُ ، فَلَمَّا ذَكَرَ لَهُ (١) الْمَوَالِي وَمَشَارِكَتِهِمْ فِي الْفِيءِ قَالَ : إِنَّ أَنَا تَرَكْتُ لَكُمْ مَوَالِيَكُمْ وَجَعَلْتُ فِيهِمْ لَكُمْ ، أَتَقَاتِلُونَ مَعِيَ بَنِي أُمَيَّةَ وَابْنَ الزَّبِيرِ وَتَعْطُونِي عَلَى الْوَفَاءِ عَهْدَ اللَّهِ وَمِيثَاقَهُ وَمَا أَطْمَئِنُّ إِلَيْهِ مِنَ الْإِيمَانِ . فَقَالَ سَبَيْتُ : حَتَّى أَخْرَجَ إِلَى أَصْحَابِي فَأَذَكَرَ ذَلِكَ لَهُمْ .

فخرج إليهم ولم يعد إلى المختار ، وأجتمع رأيهم على قتاله ، فأجتمع سبب ، ومحمد بن الأشعث ، وعبد الرحمن بن سعيد (٢) بن قيس ، وشمر بن ذى الجوشن ، ودخلوا على كعب بن أبي (٣) كعب التخعمي ، فكلموه في ذلك ، فأجابهم إليه ، فخرجوا مِنْ عِنْدِهِ ، ودخلوا على علي عبد الرحمن بن مخنف الأزدي ، فدعوه إلى ذلك ، فقال : إن أطمئنتوني لم تخرجوا ، فقالوا : لم ؟ قال : إني أخاف (٤) أن تتفرقوا وتختلفوا ومع الرجل شجعانكم وفُرسانكم مثل فلان وفلان ، ثم معه عبيدكم ومواليكم ، وكلمة هؤلاء واحدة ، ومواليكم أشد حنقا عليكم من عدوكم ، فهم يقاتلونكم بشجاعة العرب وعداوة العجم ، وإن أنتظرتموه قليلا كفيتموه بغيركم ، ولا تجعلوا بأسكم بينكم ،

(١) في ك : لهم .

(٢) في ك : سعد . والمثبت في الطبري ، والكامل .

(٣) في ك : كعب بن أبي بن كعب . والمثبت في د ، والكامل ، والطبري .

(٤) في د : لأخاف .

فقالوا : فنشذك الله ألا تخالفنا وتفسد علينا رأينا ، وما أجمعنا عليه . فقال : إنما أنا رجلٌ منكم ، فإذا شئتم فأخرجوا ؛ فوثبوا بالمختار بعد مسير ابن الأشر ، وخرج كلٌ رئيس بجبانة ، فأرسل المختارُ إلى ابنِ الأشر بأمره بسُرعةِ العودِ إليه ، وبعث إليهم وهو يلاطفهم ويقول : إني صانعٌ ما أحببتم ، وهو يريد بذلك مدهانتهم حتى يقدم إبراهيم ابن الأشر ، فوصل الرسولُ إليه وهو بساباط (١) ، فرجع لوقته ، وسار حتى أتى الكوفةَ ومعه أهل القوّة من أصحابه ، واجتمع أهل اليمن بجبانة السبيح ، فلما حضرت الصلاةُ كره كلُّ رأسٍ من أهل اليمن أن يتقدمه صاحبه ، فقال ابنٌ مخنف : هذا أوّل الاختلاف ، قدموا الرضى منكم سيّد القراء رفاعَةَ بن شداد البجلي ، فلم يزل يصلّى بهم حتى كانت الواقعة .

ثم نزل المختارُ فعبأ أصحابه وأمر ابنَ الأشر فسار إلى مُصرٍ وعليهم شَبِثُ بن ربيعٍ ، ومحمد بن عمير ، وهُم بالكناسة ، وسار المختار نحو أهل اليمن بجبانة السبيح ، فأقتلوا أشدَّ قتال ، ثم كانت الغلبة للمختار وأصحابه ، وانهزم أهلُ اليمن وأخذ من دُور الوادعيين (٢) خمسمائة أسير ، فأتى بهم إلى المختار ، فعرضهم ، فقتل منهم من شهد مقتل الحسين ، فكانوا مائتين وثمانية وأربعين . ونادى منادى المختار : مَنْ أغلق بابَه فهو آمنٌ إلا مَنْ شَرِك في دِمَاء آل محمد صلّى الله عليه وسلّم ، وكان عمر (٣) بن الحجاج الزبيدى

(١) ساباط : بليدة بما وراء النهر (المراصد) .

(٢) وادعة : بطن من همدان .

(٣) في الطبرى : عمرو ، والمثبت في ك ، د .

ممن شهد قَتْلَ الحسين ، فركب راحلته وأخذ طريقَ
الْوَأْقِصَةِ (١) ، فعدم (٢) فقيلاً : أدركه أصحابُ المختار ، وقد
سقط من شدة العطش ، فذبحوه .

وبعثَ المختار غلاماً له يُدعى زربياً (٣) في طلب شَمِيرِ
أبن ذى الجوشن ، فأدركه فقتله شَمِيرُ ، وسار حتى نزل قريةً
يقال لها الْكَلْتَانِيَّةُ (٤) ، فأخذ منها عِلْجاً ، فضربه ، وقال : امض
بكتابي هذا إلى مُصعب بن الزبير ؛ فمضى العِلْجُ حتى دخل قريةً
فيها أبو عمرة صاحبُ المختار ، فلقي ذلك العِلْجُ عِلْجاً آخر من تلك
القرية ، فشكا إليه مالقى من شمر ، فبينما هو يكلمه إذمر رجلٌ من
من أصحاب أبي عمرة اسمه عبد الرحمن بن أبي الكنود (٥) ، فرأى
الكتاب ، وعُنوانه لمصعب من شمر ، فسألوا العِلْجَ عنه ، فأخبرهم
بمكانه ، فإذا هو منهم على مسيرة ثلاثة فراسخ ، فساروا إليه
وأدركوه ، فهرب أصحابه ، وأعجله القوم عن لُبْسِ سِلَاحه ، فقام
وقد أتزر ببرد ، وكان أبرص ، فظهر بياض برصه ، فطاعنهم بالرُمح
ثم ألقاه ، وأخذ السيف فقاتل به حتى قُتل ، والَّذِي قتلَه عبدُ الرحمن (٥)
ابنُ أبي الكنود ، وألقى جيفته للكلاب .

(١) في الطبرى : فأخذ من طريق شراف وواقصة ، وشراف وواقصة : من أعمال
المدينة (البكرى) .

(٢) في الطبرى : فلم ير حتى الساعة ، وفي الكامل : فلم ير له خبر حتى الساعة .

(٣) في الكامل : زربى . والمثبت في الطبرى أيضا .

(٤) الكلثانية - بالفتح ثم السكون ، والتاء مثناة من فوقها وبعد الألف نون

مكسورة وياء مشددة : قرية بين السوس والصيمرة ، وبها قتل شمر بن ذى الجوشن

(ياقوت) . وفي ك ، د : الكلثانية - بالباء - تصحيف .

(٥) في الطبرى : عبد الرحمن بن عبيد أبي الكنود .

قال : وأقبل المختار إلى القصر من جبانة السبييع ومعه سُراقة
ابنُ مرداس البارقي أسيراً ، فناداه سُراقة (١) :

امنن على اليوم ياخير معداً وخير من حل (٢) بِشُخْرِ والجند
وخير من لبيّ وحيي وسجد

فأمر به إلى السجن ، ثم أحضره من الغد ، فأقبل وهو يقول (١) :

ألا أبلغ أبا إسحاق أنما نَزَوْنَا نَزْوَةً كَانَتْ عَلَيْنَا
خَرَجْنَا نَرَى الضُّعْفَاءُ شَيْثَا وَكَانَ خَرُوجُنَا بِطَرًّا وَحِينَا (٣)
لَقِينَا مِنْهُمْ ضَرْبًا طَلْحَفًا (٤) وَطَعْنَا صَائِبًا حَتَّى أَنْشَيْنَا
نُصِرْتُ عَلَى عَدُوِّكَ كُلِّ يَوْمٍ بِكُلِّ كَتِيبَةٍ تَنْعَى (٥) حُسَيْنَا
كَتَضَّرَ مُحَمَّدٍ فِي يَوْمِ بَسَدِرٍ وَيَوْمِ الشُّعْبِ إِذْ وَافَى (٦) حِينَا
فَأَسْجِحْ إِذْ مَلَكْتُ فَلَوْ مَلَكْنَا لَجُرْنَا فِي الْحُكُومَةِ وَأَعْتَدِينَا
تَقَبَّلْ (٧) تَوْبَةَ مَنْى فِإِنى سَأَشْكُرُ إِذْ جَعَلْتَ النِّقْدَ دِينَنَا

فلما أنتهى إلى المختار قال : أصلح الله الأمير ، أخلفُ بالله الذى
لا إله إلا هو لقد رأيتُ الملائكةَ تقاتلُ معك على الخيولِ البلقِ بين
السماءِ والأرضِ ؛ فقال له المختار : اصعد على المنبر فأعْلِمِ الناسَ ،
فصعد ، فأخبرهم بذلك ، ثم نزل فخلا به فقال له : إني قد علمتُ

(١) والطبرى : ٥٤-٦ .

(٢) فى الكامل : بتجر - تحريف .

(٣) الحين : الهلاك .

(٤) طلحفا : شد يدا وجيعا .

(٥) فى ك : تبغى .

(٦) فى الطبرى ، والكامل : لاقى .

(٧) فى د : فأقبل .

أنك لم تر شيئا ، وإنما أردت ما قد عرفت^(١) ، فأذهب [عنى]^(٢) حيث شئت ، لا تفسد على أصحابي .

فخرج إلى البصرة ، فنزل عند مُصعب وقال^(٣) :

ألا أبلغ أبا إسحاق أني رأيت الخيل^(٤) بِلِقَامِ مُصْمِتَاتِ

كفرت بوخيكم وجعلت نذرا على قتالكم حتى المات

أرى عيني ما لم تُبصره كاللنا عالم بالترهات^(٥)

وقتل يومئذ عبد الرحمن بن سعيد بن قيس الهمداني ، وأدعى قتله سقر بن أبي سقر ، وأبو الزبير الشبامي ، وشبام من همدان ، وأنجلت الواقعة عن سبعمائة وثمانين قتيلا من قومه ، وكانت الواقعة لست ليال بقبين من ذى الحجة سنة ست وستين .

وخرج أشرف الناس فلحقوا بالبصرة ، وتجرد المختار لقتل قتلة الحسين ، وقال : ما من ديننا أن نترك قتلة الحسين أحياء ، بشس ناصر آل محمد أنا إذا [في الدنيا ، أنا إذا]^(٦) الكذاب كما سموني ، وإني أستعين بالله تعالى عليهم ، فسموهم لي ثم تتبعوهم حتى تقتلوهم ، فإني لا يسوغ لي الطعام والشراب حتى أظهر الأرض منهم ، فدل على عبد الله بن أسيد الجهني ، ومالك بن النسيير^(٧)

(١) في الطبري ، والكامل : ما قد عرفت ألا أقتلك .

(٢) من الطبري : والكامل .

(٣) الطبري : ٥٤-٦ .

(٤) في الطبري ، والكامل : رأيت البلق دهما .

(٥) الترهات : الأباطيل .

(٦) ساقط في ك .

(٧) في الكامل : بشير :

البدى ، وحمل بن مالك المحاربى ، فبعث المختار إليهم ، فأحضرهم من القادسيّة ، فلما رآهم قال : يا أعداء الله ورسوله ، أين الحسين ابن عليّ ؟ أدوا إلى الحسين . قتلتم ابن من أمرتم بالصلاة عليهم . فقالوا : رحمك الله ، بُعثنا كارهين ، فأمنن علينا وأستبقنا ، فقال : هلاً منتم على ابن بنت نبيكم وأستبقيتموه وسقيتموه ؟ فأمر بمالك ابن النسيير البدى فقطع يديه ورجليه وتركه يضطرب حتى مات ، وقتل الآخرين ، وأحضر زياد بن مالك الضبعى ، وعمران بن خالد العنزى^(١) ، وعبد الرحمن بن أبي خشكارة البجليّ ، وعبد الله بن قيس الخولانى ، فلما رآهم قال : يا قتلة الصالحين ، وقتلة سيد شباب أهل الجنة ، قد أقاد الله منكم اليوم ، لقد جاءكم الورد ، بيوم نَحَس ، وكانوا نهبوا من الورد الذى كان مع الحسين رضى الله عنه ، ثم أمر بهم فقتلوا .

وقتل عبد الله وعبد الرحمن ابنى صلخت^(٢) ، وعبد الله بن وهيب^(٣) الهمداني ، وأحضر عثمان بن خالد بن أسيد^(٤) الدهماني الجهمي ، وأبا أسماء بشر بن سوط^(٥) القابضى ، وكانا قد أشتركا فى قتل عبد الرحمن بن عقيل وفى سلبه ، فضرب أعناقهما وأحرقا بالنار . وأرسل إلى خولى بن يزيد الأصبهى وهو صاحب رأس الحسين

(١) فى الكامل : القشيري ، وفى ك : العنبرى . والمثبت فى د .

(٢) فى الطبرى : صلخب ، والمثبت فى ك ، د ، وفى الكامل : صلحب .

(٣) فى الطبرى : وهب . والمثبت فى ك ، د .

(٤) فى الطبرى : أسير ، والمثبت فى ك ، د ، والكامل .

(٥) فى د : سميظ - بالسين ، وفى الكامل : بشر بن شميظ - بالشين -

القابضى . والمثبت فى الطبرى أيضا (٦-٢٩) .

فأختبأ في مخرجه ، فدخل أصحاب المختار يطلبونه ، فخرجت
 أمراًته ، وهى العيوف بنت مالك ، وكانت تُعاديهِ منذ جاءها (١)
 برأس الحسين ، فقالت : ماتريدون ؟ فقالوا لها : أين زوجك ؟
 قالت : لا أدري ، وأشارت بيدها إلى المخرج ، فدخلوا ، فوجدوه
 وعلى رأسه قوصرة (٢) ، فأخرجوه وقتلوه إلى جانب أهله ، وحرقوه
 بالنار .

وقُتل عمر (٣) بن سعد بن أبي وقاص ، وكان الذى تولى قتله
 أبو عمرة ، وأحضر رأسه عند المختار ، وعنده ابنه حفص
 ابن عمر ، فقال له المختار : أتعرف هذا ؟ قال : نعم ، ولا خير
 فى العيش بعده ، فأمر به فقتل ، وقال : هذا بحسين ، وهذا بعلى
 ابن حسين ، ولا سواء (٤) ، والله لو قتلتُ به ثلاثة أرباع قريش
 ما وفوا أنملة من أنامله .

وأرسل المختار إلى حكيم بن طفيل الطائى - وكان أصاب سلب
 العباس بن على ، ورعى الحسين بسهم ، وكان يقول : تعلق سهمى
 بسيرباله وماضره ، فأتاه أصحاب المختار فأخذوه ، وذهب أهله
 فتشفعوا بعلوى بن حاتم ، فكلّمهم عدى فيه ، فقالوا : ذلك إلى المختار ،
 فمضى عدى إلى المختار يشفع فيه ، وكان قد شفّعه فى نفر من قومه
 أصابهم يوم جبانة السبيع ، فقالت الشيعة : إنا نخاف أن يشفّعه
 فيه ، فقتلوه رمياً بالسهم كما رمى الحسين حتى صار كالقنفذ ،

(١) فى ك : جاء .

(٢) القوصرة : وعاء للتمر (القاموس) .

(٣) والعقد : ٤-٤٠٥ .

(٤) يريد : لا يستويان .

ودخل عدى بن حاتم على المختار ، فأجلسه معه ، فشفع فيه ، وقال :
إنه مكذوب عليه ، قال : إذا ندعته لك ، فدخل أبْنُ كامل فأخبر
المختار بقتله .

وبعث المختارُ إلى مرّة بن مُنقِد ، وهو قاتِلُ على بن الحسين ،
وكان شجاعاً ، فأحاطوا بداره ، فخرج إليهم على فرسه وبيده رمحه ،
فطاعنهم ، فضرب على يده ، فهرب فنجا ، ولحق بمُضعب بن الزبير ،
وشلت يده بعد ذلك .

وبعث المختار إلى زيد بن رُقَاد الجَنْبِي (١) ، وهو قاتِلُ عبد الله
ابن مُسلم بن عقيل ، فخرج إليهم بالسيف ، فقال أبْنُ كامل :
لا تطعنوه [برمح] (٢) ، ولا تضربوه بسيف ، ولكن أرموه بالنبل
والحجارة ، ففعلوا ذلك به ، فسقط ، فأحرقوه حيا .

وطلب المختارُ مِينَانَ بنَ أَنَسِ الَّذِي كان يدعى قَتْلَ الحُسَيْنِ ،
فهرب إلى البصرة ، فهدم داره .

وطلب عبد الله بن عُقْبَةَ الغَنَوِيّ فوجده قد هرب إلى الجزيرة ،
فهدم داره .

وطلب رجلاً من خَتَمِ عبد الله بن عُرْوَةَ (٣) فهرب ولحق
بمصعب ، فهدم داره .

وطلب عمرو بن صُبَيْحِ الصَّدائِي ، وكان يقول : لقد طعنت

(١) في ك : الحسين ، والمثبت في د ، والطبرى ، والكامل .

(٢) من الطبرى .

(٣) في ك : عزرة ، والمثبت في د ، والكامل ، والطبرى .

فيهم وجرحت وما قتلتُ ، فأحضر إلى المختار ، فأمر به فُطعن بالرماح حتى مات .

وأرسل إلى محمد بن الأشعث وهو في قرية له إلى جنب القادسية ، فهرب إلى مُضعب فهدم المختار داره ، وبني بلبينها وطينها دار حُجر ابن عدى الكندي ، وكان زياد قد هدمها .

وكان الذي هبج المختار على قتل قتلة الحسين أن يزيد بن شراحيل الأنصارى أتى محمد ابن الحنفية فسلم عليه ، وجرى الحديث إلى أن تذكروا أمر المختار ، فقال ابن الحنفية : إنه يزعم أنه لنا شيعة ، وقتلة الحسين عنده على الكراسى يخذلونه (!) ، فلما عاد يزيد أخبر المختار بذلك ، فقتل عمر بن سعد ، وبعث برأسه ورأس ابنه إلى ابن الحنفية ، وكتب إليه يُعلمه أنه قتل من قتل عليه ، وأنه في طلب الباقيين ممن حضر قتل الحسين ، [رضى الله عنه] (٢) .

(١) في ك : يخدمونه .

(٢) ساقط في د .

ذكر بيعة المثني العبدى للمختار بالبصرة

وإخراجه منها ولحاقه بالمختار بالكوفة

وفي سنة ست وستين دعا المثني بن مُخْرَبَةَ (١) العبدى بالبصرة إلى بيعة المختار ، وكان قد بايع المختار بعد مقتل سليمان بن صُرَد ، فسيره المختار إلى البصرة يدعُوها إليه ، ففعل ، فأجابه رجالٌ من قومه وغيرهم .

ثم أتى مدينة الرُّزْق (٢) فعسكر عندها ، فوجه إليهم (٣) الحارثُ ابن أبي ربيعة المعروف بالقُبَاع (٤) ، وهو أميرُ البصرة ، عبَّاد بن حُصَيْن ، وهو على شرطته ، وقيس بن الهيثم في الشرط والمقاتلة ، فخرجوا إلى السَّبْحَةِ ، ولزم الناس بيوتهم ، فلم يخرج أحد ، وأقبل عبَّاد فيمن معه فتواقف هو والمثني وأنشبوا (٥) القتال ، فانهزم المثني ، وأتى قومه عبد القيس ، وكف عنه عبَّاد ، فأرسل القُبَاع عسكرياً إلى عبد القيس ليأتوه بالمثني ومن معه ، فلما رأى زياد بن عمرو العتكي ذلك أقبل إلى القُبَاع فقال : لتردَّن خيلك عن إخواننا أو لنقاتلنهم ، فأرسل القُبَاع الأحنف بن قيس ، وعمر بن عبد الرحمن المخزومي ليصلحابين الناس ، فأصلح الأحنف الأمر على أن يخرج المثني وأصحابه عنهم ، فأجابوه إلى ذلك وأخرجوهم عنهم ، فسار المثني إلى الكوفة في نفرٍ يسيرٍ من أصحابه .

(١) بضم الميم وفتح الحاء وتشديد الراء وكسرها ، ثم باء مفتوحة (الكامل :

٣-٣٧٢) .

(٢) الرزق - بكسر الزاء وسكون الزاى . كانت إحدى مسالحي العجم بالبصرة

قبل أن يمتطها المسلمون (المرصد) .

(٣) في ك : إليه .

(٤) في القاموس : كغراب : لقب الحارث بن عبداقه والى البصرة .

(٥) في ك : ونشب .

ذكر مخادعة المختار ومكره بعبد الله بن الزبير

وظهور ذلك له

قال : لما أخرج المختارُ ابنَ مطيع عامل ابن الزبير من الكوفة سار إلى البصرة وكره أن يأتي ابن الزبير مهزوما ، فلما استجمع للمختار أمر الكوفة ، أخذ يخادعُ ابنَ الزبير ، فكتب إليه : « قد عرفت مناصحتي إياك ، وجهدي على أهلِ عداوتك ، وما كنتَ أعطيني إن أنا فعلتُ ذلك ، فلما وفيتُ لك [وقضيتُ الذي كان لك عليَّ خيستَ بي و]^(١) لم تَفِ بما عاهدتني عليه ، فإن تردُّ مراجعتي ومناصحتي ، فعلتُ ، والسلام . »

وإنما قصد المختار بذلك أن يكفُّ ابنَ الزبير عنه ليم أمره ، ولم تعلم الشيعة بذلك ، فأراد ابن الزبير أن يعلم حقيقة ذلك ، فدعا عمر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام المخزومي فولاه الكوفة ، وقال : إن المختارَ سامعٌ مطيع ، فتجهز عمرٌ وسار نحو الكوفة ، وأتى الخبر المختار ، فدعا زائدة بن قدامة وأعطاه سبعين ألف درهم وقال له : هذه ضِعْفُ ما أنفقُ عمرٌ في طريقه إلينا ، وأمره أن يأخذَ معه خمسمائة فارس ، ويسير حتى يلقاه بالطريق فيعطيه النفقة ويأمره بالعود ، فإن فعل وإلا فيريه الخيل ، فأخذ زائدة المال والخيل وسار حتى لقي عمر ، فأعطاه المال ، وأمره بالانصراف ، فقال : إن أمير المؤمنين قد ولا في الكوفة ، ولا بد من إتيانها ، فدعا

(١) زيادة من الطبري (٦-٧١) .

زائدة الخيل ، وكان قد أكمّنها (١) ؛ فلما رآها عمر قد أقبلت أخذ المال وسار نحو البصرة .

ثم إن عبد الملك بن مروان بعث عبد الملك بن الحارث بن الحكم ابن أبي العاص إلى وادى القرى ، وكان المختار قد وادع ابن الزبير ليكف عنه ويتفرغ لأهل الشام ، فكتب المختار لابن الزبير : بلغنى أن ابن مروان قد بعث إليك جيشا ، فإن أحببت أمددتك بمدد . فكتب إليه ابن الزبير : « إن كنت على طاعنى فبايع لى الناس قبلك ، وعجل بإنفاذ الجيش ومُرهم فليسيروا إلى من بوادى القرى من جند ابن مروان فليقاتلوهم ، والسلام » .

فدعا المختار شرحبيل بن ورس الهمداني . فسيره فى ثلاثة آلاف أكرمهم من الموالى ، وليس فيهم إلا سبعمائة من العرب ، وقال له : سر حتى تدخل المدينة ، فإذا دخلتها فاكتب إلى بذلك حتى يأتىك أمرى ، وهو يريد إذا دخل الجيش المدينة أن يبعث عليهم أميرا لمحاصرة ابن الزبير بمكة ، وخشى ابن الزبير أن المختار إنما يكيد . فبعث من مكة [إلى المدينة] (٢) عباس بن سهل بن سعد فى ألفين ، وأمره أن يستنفر العرب ، وقال له : إن رأيت القوم فى طاعنى وإلا فكايدهم حتى تهلكهم . فأقبل عباس حتى لقى ابن ورس بالرقم (٣) وقد عبأ أصحابه ، وأتى عباس وقد تقطع أصحابه ، فرأى ابن ورس على الماء فى تعبته فدنا وسلم عليهم ، ثم قال لابن ورس سرا : أستم فى طاعة ابن الزبير؟ قال : بلى . قال : فسر بنا إلى عدوه

(١) فى ك : كمنها .

(٢) زيادة من الطبرى .

(٣) فى ك : بالرضم ، والمثبت فى د ، والطبرى ، والكامل .

الذى بوادى (١) القرى ، فقال : إنما أمرتُ أن آتى المدينة وأكسب إلى صاحبي ، فيأمرني بأمره ، فقال عباس : رأيك أفضل ، وفطن لما يريد ، وقال : أما أنا فسائر إلى وادى القرى ، ونزل عباس أيضا ، وبعث إلى ابن ورس بجزائر (٢) وغنم ، وكانوا قدماتوا جوعا ، فذبحوا وأشتغلوا بها ، واختلطوا على الماء ، وجمع عباس من شجعان أصحابه نحو ألف رجل ، وأقبل إلى فسقاط ابن ورس ، فلما رآهم نادى فى أصحابه ، فلم يجتمع إليه مائة رجل ، حتى انتهى إليهم عباس ، فأقتلوا يسيرا ، فقتل ابن ورس فى سبعين من أهل الحفاظ ، ورفع عباس راية أمان ، فأتوها إلا نحو ثلاثمائة مع سليمان بن حنير الهمداني ، وعباس (٣) بن جعدة الجدلى ، فظفر عباس بن سهل منهم بنحو من مائتين فقتلهم ، وأفلت الباقون فرجعوا ومات أكثرهم فى الطريق . وكتب المختار إلى ابن الحنفية : « إني أرسلتُ إليك جيشا ليذلولوا لك الأعداء ، ويحرزوا لك البلاد ، فلما قاربوا طيبة (٤) فعل بهم كذا وكذا ، فإن رأيت أن أبعث إلى المدينة جيشا كثيفا وتبعث إليهم من قبلك رجلا (٥) فافعل » .

فكتب إليه ابن الحنفية : « أما بعد ، فقد قرأت كتابك ، وعرفت تعظيمك لحقى ، وما تؤثره من سرورى ، وإن أحب الأمور كلها إلى ما أطيع الله فيه ، فأطع الله ما استطعت ، وإني لو أردت القتال لوجدتُ الناس إلى سراعا ، والأعوان لى كثيرة ، ولكننى أعتز لهم وأصبر حتى يحكم الله [لى] (٦) وهو خير الحاكمين » .

(١) وادى القرى : واد من أعمال المدينة كثير القرى (المراصد) .

(٢) جمع جزور . (٣) فى الطبرى : عياش . والمنبت فى الكامل أيضا .

(٤) مدينة الرسول . يقال لها طيبة وطابة .

(٥) فى الطبرى : رسلا ، (٦) من الطبرى .

ذكر امتناع محمد ابن الحنفية

من مبايعة عبد الله بن الزبير وما كان من أمره
وإرسال المختار الجيش إلى مكة وخبر ابن الحنفية

قال : ثم إن عبد الله بن الزبير دعا محمد ابن الحنفية ومن معه
من أهل بيته ، وسبعة عشر رجلا من وجوه أهل الكوفة منهم
أبو الطفيل عامر^(١) بن وائلة له صُحبة ، ليبايعوه فأمتنعوا وقالوا :
لا نبايع حتى تجتمع الأمة ، فأكثر الوقعة في ابن الحنفية وذمه ،
فأغلظ له عبد الله بن هانيء الكِنْدِي ، وقال^(٢) : لئن لم يضرك
إلا تركنا يبعثك لا يضرك شيء ، فلم يراجعه ابن الزبير ، فلما استولى^(٣) المختار
على الكوفة وصارت الشيعة تدعو لابن الحنفية ، ألح ابن الزبير عليه
وعلى أصحابه في البيعة حتى حبسهم بزمام ، وتوعدهم ، بالقتل
والإحراق إن لم يُبايعوا ، وضرب لهم في ذلك أجلا .

فكتب ابن الحنفية إلى المختار يعرفه الحال ، ويطلب منه النجدة .

فقرأ المختار كتابه على أهل الكوفة ، وقال : هذا مهديكم وصريح أهل
بيت نبيكم قد تركوا^(٤) محظورا عليهم كما يُحظر على الغنم
ينتظرون القتل والتحريق في الليل والنهار ، لست أبا إسحاق إن لم

(١) في د : عمرو - تحريف .

(٢) في ك : قال .

(٣) في ك : استوى .

(٤) في ك : تولوا محصورا . وفي الكامل : قد تركوه ومن معه محصورا .

أَنْصُرْهُمْ نَصْرًا مُؤَزَّرًا ، وَإِنْ لَمْ أُسْرَبِ الْخَيْلَ فِي إِثْرِ الْخَيْلِ ، كَالسَّيْلِ ، يَتَلَوُّهُ السَّيْلُ ، حَتَّى يَحُلَّ بِأَبْنِ الْكَاهِلِيَّةِ الْوَيْلَ ، يَرِيدُ عَبْدُ اللَّهِ بَنَ الزُّبَيْرِ .
فَبَكَى النَّاسُ وَقَالُوا : سَرَّخْنَا إِلَيْهِ وَعَجَّلَ ، فَوَجَّهَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْجَدَلِيَّ
فِي سَبْعِينَ مِنْ أَهْلِ الْقُوَّةِ ، وَوَجَّهَ ظَبْيَانَ بَنَ عُمَارَةَ أَخَا بَنِي تَمِيمٍ فِي
أَرْبَعِمِائَةٍ ، وَبِعَثَ مَعَهُ أَرْبَعِمِائَةَ أَلْفِ دَرَاهِمٍ لِأَبْنِ الْحَنْفِيَّةِ ، وَوَجَّهَ
أَبَا الْمُعْتَمِرِ فِي مِائَةٍ ، وَهَانِيَّ بَنَ قَيْسٍ فِي مِائَةٍ ، وَعُمَيْرَ بْنَ طَارِقٍ فِي أَرْبَعِينَ ،
وَيُونُسَ بْنَ عِمْرَانَ فِي أَرْبَعِينَ ، فَوَصَلَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْجَدَلِيَّ إِلَى ذَاتِ (١)
عِرْقٍ ، فَأَقَامَ بِهَا حَتَّى أَتَاهُ عُمَيْرُ وَيُونُسُ فِي ثَمَانِينَ ، فَبَلَغُوا مِائَةً وَخَمْسِينَ
رَاكِبًا ، فَسَارُوا حَتَّى دَخَلُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ وَهُمْ يَنَادُونَ : يَا ثَارَاتِ
الْحُسَيْنِ ، حَتَّى أَنْتَهَوْا إِلَى زَمْرَمَ ، وَقَدْ أَعَدَّ ابْنُ الزُّبَيْرِ الْحَطَبَ لِيَحْرِقَهُمْ ،
وَكَانَ قَدْ بَقِيَ مِنَ الْأَجَلِ يَوْمَانِ ، فَكَسَرُوا الْبَابَ وَدَخَلُوا عَلَى ابْنِ الْحَنْفِيَّةِ ،
فَقَالُوا : خَلِّ بَيْنَنَا وَبَيْنَ عَدُوِّ اللَّهِ ابْنِ الزُّبَيْرِ ، فَقَالَ : إِنْ لَمْ أُسْتَحَلَّ
الْقِتَالُ فِي الْحَرَمِ . فَقَالَ ابْنُ الزُّبَيْرِ : وَاعَجَبًا لِهَذِهِ الْخَشَبِيَّةِ يَنْعُونَ
حُسَيْنًا كَأَنِّي أَنَا قَتَلْتُهُ ، وَاللَّهِ لَوْ قَدَرْتُ عَلَى قَتْلِهِ لَقَتَلْتُهُمْ ، وَإِنَّمَا
سَمَّاهُمْ ابْنَ الزُّبَيْرِ الْخَشَبِيَّةَ لِأَنَّهُمْ دَخَلُوا مَكَّةَ وَبِأَيْدِيهِمُ الْخَشَبَ كِرَاهَةً
لِإِشْهَارِ (٢) السُّيُوفِ فِي الْحَرَمِ ، وَقَالَ : أَنْحَسِبُونَ أَنِّي أَخَلِّي سَبِيلَهُمْ (٣) ،
دُونَ أَنْ نَبَايَعَ وَيَبَايَعُوا (٤) .

فَقَالَ الْجَدَلِيُّ : وَرَبُّ الرُّكْنِ وَالْمَقَامِ لِنَخْلِيَنَّ سَبِيلَنَا أَوْ لِنَجَالِدَنَّكَ
بِأَسْيَافِنَا جِلَادًا يَرْتَابُ مِنْهُ الْمُبْطَلُونَ ، فَكَفَّهُمْ ابْنُ الْحَنْفِيَّةِ وَحَدَّرَهُمْ
الْفِتْنَةَ .

(١) ذات عرق : مهل أهل العراق ، وهو الحد بين تهامة ونجد (المراصد) .

(٢) في ك : إشهار .

(٣) في الطبري : سيبله .

(٤) في ك : وبقبايعون .

ثم قَدِمَ باقى الجُنْدِ ومعهم المال ، فدخلوا المسجدَ الحرامَ فكَبَرُوا ، وقالوا ، بالثاراتِ الحسين ، فخافهم ابن الزبير ، وخرج ابن الحنفيةَ ومعه أربعة آلاف رجل إلى شِعْبِ عَلِي ، فعزُّوا وأمتنعوا ، فقسم فيهم المال ، فلما قَتِلَ المختار ضَعُفُوا واحتاجوا ، ثم استوسقت^(١) البلادُ لابن الزبير بعد قَتْلِ المختار ، فبعث إلى ابن الحنفيةَ أن أدخل في بيعتي ، وإلَّا نابذتك . وبلغ الخَيْرُ عبدَ الملكِ بنِ مروان ، فكتب إلى ابن الحنفيةَ : إنه إن قَدِمَ عليه أحسنَ إليه ، وإنه ينزل أَىَّ الشام أحبَّ حتى يستقيمَ أمرُ الناسِ .

فخرج ابن الحنفيةَ ومن معه إلى الشام ، فلما وصل إلى مَدِينِ بَلْعَةَ غَدْرُ عبدِ الملكِ بعَمْرُو بنِ سعيد ، فندم على إتيانه إلى الشام ونزل أَيْلَةَ^(٢) ، وتحدث الناسُ بفضلِ ابنِ الحنفيةَ ، وكثرةَ عبادتهِ وزهده ، فندم عبد الملك على إِذْنِهِ له في القدوم إلى بلده ، فكتب إليه : « إنه لا يكون في سلطاني مَنْ لا يبايعني » .

فارتَحَلَ إلى مَكَّةَ ، ونزل شِعْبَ أَبِي طَالِبٍ ، فأرسل إليه ابن الزبير يأمره بالرحيل عنه ، فسار إلى الطائف وألتحق به عَبْدُ اللَّهِ بنِ عباس ، ومات ابن عباس بالطائف ، فصلى عليه ابن الحنفية ، وكَبَّرَ عليه أربعاً ، وأقام بالطائف حتى قدم الحَجَّاجُ لِجِصَارِ ابنِ الزبير ، فعاد إلى الشَّعْبِ ، فطلبه الحجاج ليبايعَ عبدَ الملك ، فأمتنع حتى يجتمع الناس ، ثم بايع بعد قَتْلِ ابنِ الزبير . هذا ما كان من أمره ، فلنعد إلى أخبار المختار ، [والله أعلم] ^(٣) .

(١) استوسقت : اجتمعت (اللسان) .

(٢) أيلة : مدينة على ساحل البحر مما يلي الشام . قيل : هي آخر الحجاز وأول الشام (المراصد) . وفي البكري : مدينة على شاطئ البحر في منتصف ما بين مصر ومكة .

(٣) ساقط من د .

ذكر مسير إبراهيم بن الأشر

لحرب عبید الله بن زياد وقتل ابن زياد

وفي سنة [٥٦٦هـ] ست وستين لثمان بقين من ذى الحجة ،
 سار إبراهيم بن الأشر لقتال عبید الله بن زياد ، وذلك بعد فراغه
 من وقعة السبيح بيومين ، وأخرج المختارُ معه فرسان أصحابه ووجوههم
 وأهل البصائر منهم ، وشيعة ووصاه ، وخرج معه لتشييعه أصحاب
 الكرسي بكرسيهم ، وهم يدعون الله له بالنصر ، وسنذكر خبر الكرسي
 إن شاء الله تعالى .

قال : ولما انتهى إبراهيم إلى أصحاب الكرسي وهم عكوف عليه ،
 [وقد] (١) رفعوا أيديهم إلى السماء يدعون الله ، فقال إبراهيم :
 اللهم لا تواخذنا بما فعل السفهاء منا ، هذه سنة بنى إسرائيل ،
 وسار إبراهيم مُجدداً ليلقى ابن زياد قبل أن يدخل أرض العراق ،
 وكان ابن زياد قد سار في عسكر عظيم وملك الموصل كما ذكرنا ،
 فلما انتهى إبراهيم إلى نهر الخازر (٢) من أرض الموصل نزل بقرية
 باربيثا (٣) ، وأقبل عبید الله بن زياد حتى نزل قريبا منهم على شاطئ
 خازر (٢) ، وأرسل عمير بن الحباب (٤) السلمي إلى ابن الأشر أن القني ؛

(١) ليس في د .

(٢) الخازر - بعد الألف زاي مكسورة ثم راء . وقيل : بفتح الزاي :

نهر بين إربل والموصل (المراصد) .

(٣) في الكامل : بارشيا .

(٤) في ك : حباب .

وكانت قَيْسٌ كُلُّهَا مضطغنة على بنى مروان بسبب وقعة مَرْج (١) راهط ، وجند عبد الملك يومئذ كَلْب ، واجتمع عُمَيْرُ وَأَبْنُ الْأَشْتَرِ فَأَخْبِرَهُ عُمَيْرٌ أَنَّهُ عَلَى مَيْسِرَةِ ابْنِ زِيَادٍ ، وواعده أَنَّهُ يَنْهَزِمُ بِالنَّاسِ ، وَأَشَارَ عَلَيْهِ بِمَنْجَزَةِ الْقَوْمِ ، وعاد عُمَيْرٌ إِلَى أَصْحَابِهِ ، وَعَبَّأَ ابْنَ الْأَشْتَرِ أَصْحَابَهُ ، وَصَلَّى بِهِمْ صَلَاةَ الْفَجْرِ بِغَلَسٍ ، ثُمَّ صَفَّهِمْ وَسَارَ بِهِمْ رُؤَيْدًا حَتَّى أَشْرَفَ عَلَى تَلٍّ عَظِيمٍ مُشْرِفٍ عَلَى الْقَوْمِ ، فَإِذَا هُمْ لَمْ يَتَحَرَّكَ مِنْهُمْ أَحَدٌ ، فَتَقَدَّمَ ابْنُ الْأَشْتَرِ وَهُوَ يَحْرُضُ أَصْحَابَهُ عَلَى الْقِتَالِ ، وَيَذَكِّرُهُمْ بِمَقْتَلِ (٢) الْحُسَيْنِ وَسَبِيِّ أَهْلِ بَيْتِهِ ، فَلَمَّا تَدَانَى الصَّفَّانِ حَمَلَ الْحُصَيْنِ بْنِ نَعِيمٍ بِمَيْمَنَةِ أَهْلِ الشَّامِ عَلَى مَيْسِرَةِ ابْنِ الْأَشْتَرِ ، وَعَلَيْهَا عَلَى بْنُ مَالِكِ الْجُشَمِيِّ ، فَقَتَلَ ابْنَ مَالِكِ ، فَأَخَذَ الرَّايَةَ ابْنَهُ قَرَةَ بْنَ عَلِيٍّ وَقَاتَلَ بِهَا فَقَتَلَ فِي رِجَالٍ مِنْ أَهْلِ الْبَأْسِ ، وَانْهَزَمَتْ مَيْسِرَةُ إِبْرَاهِيمَ ، فَأَخَذَ الرَّايَةَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ وَرْقَاءَ بْنِ جُنَادَةَ السَّلَوِيُّ ، وَوَرَدَ الْمَنْهَزِمِينَ ، وَقَاتَلُوا ، وَحَمَلَتْ مَيْمَنَةُ إِبْرَاهِيمَ وَعَلَيْهَا سَفِيَّانُ بْنُ يَزِيدَ الْأَزْدِيُّ عَلَى مَيْسِرَةِ ابْنِ زِيَادٍ ، وَهُمْ يَظُنُّونَ أَنَّ عُمَيْرَ بْنَ الْحُبَّابِ يَنْهَزِمُ لَهُمْ كَمَا زَعَمَ ، فَقَاتَلَهُمْ أَشَدَّ قِتَالٍ ، وَأَنْفَيْتْ نَفْسَهُ الْهَزِيمَةَ ، فَلَمَّا رَأَى إِبْرَاهِيمَ ذَلِكَ قَالَ لِأَصْحَابِهِ : اقْصِدُوا أَهْلَ (٣) السَّوَادِ الْأَعْظَمِ ، فَوَاللَّهِ لَئِنْ هَزَمْنَا لَنَجْعَلَنَّ مِنْ تَرَوْنَ يَمَنَةً وَيَسْرَةَ ، فَتَقَدَّمَ أَصْحَابُهُ وَقَاتَلُوا أَشَدَّ قِتَالٍ ، وَصَدَقَهُمْ إِبْرَاهِيمُ الْقِتَالَ ، فَانْهَزَمَ أَصْحَابُ ابْنِ زِيَادٍ ، وَبَعْدَ أَنْ قُتِلَ مِنَ الْفَرِيقَيْنِ قَتْلَى كَثِيرَةً .

(١) مرج راهط : بنواحي دمشق ، قد أوقع فيه مروان بن الحكم بالضحك ابن قيس الفهري (البكرى) .

(٢) في ك : بقتل .

(٣) في الكامل : هذا .

وقيل : إن عُمير بن الحُبَاب أول من أنهزم ، وإنما كان قتاله
أولا تعديرا .

فلما أنهزموا قال إبراهيم بن الأَشتر^(١) : إني قتلتُ رجُلًا تحت رايةٍ
منفردةٍ على شط نهر خَازِرٍ ، فَالْتَمِسُوهُ فَإِنِّي سَمِيتُ مِنْهُ رَائِحَةَ الْمَسْكِ ،
شَرِقَتْ يَدَاهُ وَغَرِبَتْ رِجْلَاهُ ، فَالْتَمِسُوهُ ، فإذا هو عُبيدُ اللهِ بن زياد ،
فَأَخَذَ رَأْسَهُ وَحَرَّقَ جِثَّتَهُ .

وأقام إبراهيم بالموصل ، وأنفذ رأس عُبيد الله إلى المختار ، ورءوس
القواد ، وكانت هذه الواقعة في سنة [٥٦٧هـ] سبع وستين .

وروى الترمذى رحمه الله^(٢) قال : لما جاءت الرؤس إلى المختار
أُلْقِيَتْ فِي الْقَصْرِ فَجَاءَتْ حَيَّةٌ دَقِيقَةٌ فَتَخَلَّلَتْ الرُّؤْسَ حَتَّى دَخَلَتْ
فم عبید الله وخرجت من مَنْخَرِهِ ودخلت في مَنْخَرِهِ وخرجت من فمه ،
فعلت ذلك مرارا^(٣) .

(١) العقد : ٤-٤٠٤ .

(٢) في ك : رضى الله عنه .

(٣) في ك : مرات .

ذكر ولاية مصعب بن الزبير البصرة

ومسيره إلى الكوفة وقتاله المختار وقتل المختار بن أبى عبيد

كانت ولايته البصرة وعزل الحارث بن أبى ربيعة الملقب بالقباع عنها فى أول سنة (٥٦٧هـ) سبع وستين ، قال : فقدِمها مُصعب ، وصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال (١) : بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿ طَسَمَ . تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ . نَتْلُو عَلَيْكَ مِنْ نَبَأِ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ . إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضِعُّ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُدَّبِحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴾ ، وأشار بيده نحو الشام ، ﴿ وَنَرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ . وَتُكِنُّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ ﴾ ، وأشار نحو الحجاز ، ﴿ وَنُرِي فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ ﴾ ، وأشار نحو الشام ، وقال : يا أهل البصرة ، بلغنى أنكم تلقبون أميركم ، وقد لقبت (٢) نفسى الجزار .

قال : ولما هرب أشراف الكوفة من المختار يوم وقعة السبيح ، أتى جماعة منهم إلى مصعب ، فكان منهم شبت بن ربعمى ، أتاه على بغلة قد قطع ذنبها وطرف أذنها ، وشتق قباءه وهو ينادى :

(١) سورة القصص ، الآيات من ١-٤ .

(٢) فى الطبرى : وقد سميت نفس الجزار .

واغوثاه ! وأتاه أشراف الكوفة فدخلوا عليه وسألوه المسير إلى المختار
 ونصرتهم ، وقدم محمد بن الأشعث ، وأستحثه على المسير فأدناه
 وأكرمه ، وكتب إلى المهلب بن أبي صفرة ، وهو عامله على فارس
 يستدعيه ليشهد معهم قتال المختار ، فقدم في جموع كثيرة وأموال
 عظيمة ، فبرز مُصعبُ بالجيوش ، وأرسل عبد الرحمن بن مخنف
 إلى الكوفة ، وأمره أن يخرج إليه مَنْ قَدَر عليه ، ويثبِّط الناس عن
 المختار ، ويدعوهم إلى بيعة ابن الزبير سرًّا ، فسار ودخل الكوفة
 مُستتراً ، وفعل ما أمره ، وسار مصعب وقدم أمامه عباد بن الحصين
 الحِطِّي^(١) التميمي ، وجعل عمر بن عبيد الله بن معمر على يمينته ،
 والمهلب على يسارته ، ومالك بن مسمع على بكر ، ومالك بن المنذر
 على عبد القيس ، والأحنف بن قيس على تميم ، وزياد بن عمرو العتكي
 على الأزدي ، وقيس بن الهيثم على أهل العالية ، وبلغ الخبر المختار فقام
 في أصحابه فندبهم إلى الخروج مع أحمر بن شميطة ، ودعا رعووس
 الأرباع الذين كانوا مع ابن الأشتر فبعثهم مع ابن شميطة ، فسار
 وعلى مقدمته ابن كامل الشاكري ، فوصلوا إلى المذار^(٢) ، وأقبل
 مصعبُ فعسكرَ بالقربِ منه ، وعبأ كلُّ واحد منهما جنده ، فتقدم
 عباد بن الحصين إلى أحمر وأصحابه ، وقال : إننا ندعوكم إلى كتاب
 الله وسنة رسوله ، وإلى بيعة أمير المؤمنين عبد الله بن الزبير ، فقال
 الآخرون : إننا ندعوكم إلى كتاب الله وسنة رسوله وإلى بيعة المختار ،
 وأن نجعل هذا الأمر شورى في آل رسول الله صلى الله عليه وسلم ،

(١) في الكامل : الحطمي . والثبت في الطبري ، واللباب .

(٢) المذار - بالفتح وآخره راء : بلدة بين واسط والبصرة (المراصد .

فرجع عبّاد وأخبر مصعبا ، فقال : ارجع فأحمل عليهم ، فرجع وحمل على ابن شميّط وأصحابه ، وحمل المهلب على ابن كامل حملةً بعد أخرى ، فهزمهم ، وثبت ابن كامل ساعةً في رجالٍ من همدان ، ثم انصرف ، وحمل الناس جميعا على ابن شميّط ، فقاتل حتى قتل ، وانهزم أصحابه ، وبعث مصعبُ عبّادا على الخيل ، وقال له : أبما أسير أخذته فأضرب عنقه ، وسرح محمد بن الأشعث في خيل عظيمة من أهل الكوفة ، وقال : دونكم ثأركم فكانوا [حيث انهزموا] (١) أشدّ على المنهزمين من أهل البصرة ، فلم يدركوا منهزما إلّا قتلوه ، فلم ينجُ من ذلك الجيش إلا طائفة من أصحاب الخيل .

ثم أقبل مصعب حتى قطع من تلقاء واسط ، [القصب] (١) ، ولم تكن [واسط] (١) بُنيّت بعدُ ، فأخذ في كسكركم ، ثم حمل الرجال أثقالهم والضعفاء في السفن ، فأخذوا في نهر خرّشاذ (٢) ، ثم خرجوا إلى نهر قوسان ، ثم خرجوا إلى نهر الفرات ، وأتى المختار خبرُ الهزيمة والقتل (٣) ، فقال : ما من الموت بدّ ، وما من ميّنة أموتها أحبّ إلى من أن أموت مثل موتة ابن شميّط .

ولما بلغه أنّ مُصعبا قد أقبل إليه في البرّ والبحر سار حتى نزل السيلحين (٤) ، ونظر إلى مُجتمَع الأنهار ، نهر الخريرة (٥) ، ونهر

(١) من الطبرى .

(٢) في الكامل : جر شاد . والمثبت في الطبرى أيضا .

(٣) في ك : والقتل .

(٤) بفتح أوله وإسكان ثانيه وفتح اللام ، وكسر الحاء المهملة : موضع

بالخيرة .

(٥) في الطبرى : نهر الخيرة .

السَّيْلِحِينَ ، ونهر القَادِسيَّة ، ونهر يُوسف ، فسَكَّر الفرات (١) ،
 فذهب ماؤها في هذه الأنهار ، وبقيت سُفن أهل البصرة في الطين ،
 فخرجوا من السفن إلى ذلك السُّكَّر (٢) فأصلحوه ، وقصدوا
 الكوفة ، وسار المختارُ فنزل حَرَّوَاء (٣) ، وحال بينهم وبين الكوفة
 بعد أن حصَّن القَصْرَ والمسجد ، وأقبل مصعبٌ وجعل على يمينته
 المهلب ، وعلى يسرته عمر بن عبيد الله ، وعلى الخيل عباد بن الحصين ،
 وجعل المختار على يمينته سليم بن يزيد الكندي ، وعلى يسرته
 سعيد بن مُنقذ الهمداني ، وعلى الخيل عمر (٤) بن عبد الله النهدي ،
 وعلى الرجال مالك بن عبد الله (٥) النهدي ، وأقبل محمد بن الأشعث
 فيمن كان قد هرب من أهل الكوفة ، فنزل بين مصعب والمختار ،
 فلما رأى المختار ذلك بعث إلى كلِّ خَنَسٍ من أهل البصرة رجلاً
 من أصحابه ، وتدأى الناس ، فحمل سعيد بن منقذ على بكر وعبد
 القيس وهم في مَيْمَنَةِ مصعب ، فأقتلوا قتالا شديداً ، وبعث المختار
 إلى عبد الله بن جَعْدَةَ بن هُبيرة المخزومي : فحمل على من بيازائه وهم
 أهلُ العالية ، فكشَفَهُم [فانتهوا إلى مصعب فجثا مصعب على ركبتيه
 ونزل الناس عنده فقاتلوا ساعة وتحاجزوا ثم حمل المهلب على من
 بيازائه فكشَفَهُم] (٦) واشتدَّ القتال ، فقتل ابن الأشعث وذلك عند

(١) سكر الفرات : سده .

(٢) السكر - بالفتح : سد النهر . وبالكسر : اسم منه ، وما سد به النهر

(القاموس) .

(٣) حروراء - بفتحين وسكون الواو ، وراء أخرى ، وألف ممدودة : قرية
 بظاهر الكوفة . وقيل : موضع على ميلين منها (ياقوت ، والمراصد) .

(٤) في الكامل : عمرو . والمثبت في الطبري أيضا .

(٥) في الطبري : مالك بن عمرو النهدي . والمثبت في الكامل أيضا .

(٦) ساقط في ك .

المساء ، وقاتل المختارُ على فم سكةٍ شبيثٍ عامَّةٍ ليلته ، وقاتل معه رجالٌ من أهل البأس ، وقاتلت معه همدانٌ أشدَّ قتالاً ، ثم تفرق الناس عن المختار ، فقال له من معه : أيها الأمير ، اذهب إلى القصر ، فجاء حتى دخله ، فقال له بعض أصحابه : ألم تكن وعدتنا الظفر ، وأنا سنهزمهم ؛ فقال : أما قرأتَ في كتاب الله (١) : ﴿ يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ ﴾ .

قال : فلما أصبح مصعب أقبل يسير فيمن معه نحو السَّبِيخة ، فمرَّ بالمهلب ، فقال المهلب ، ياله فتحاً ما أهناه لولم يُقتل محمدُ بن الأشعث ، فقال : صدقتَ ؛ ثم قال [مصعب] (٢) للمهلب : إن عُبيد الله بن علي بن أبي طالب قد قتل ، فأسترجع المهلب ، فقال مُصعب : إنما قتله من يزعم أنه شيعةٌ لأبيه ، ثم نزل مُصعب السَّبِيخة فقطع عن المختار ومن معه الماء والميرة ، وقاتل المختار ومن معه قتالاً ضعيفاً ، واجترأ الناس عليهم ، فكانوا إذا خرجوا رماهم الناس من فوق البيوت ، وصَبُّوا عليهم الماء القَدِير ، وكان أكثر معاشهم من النساء تأتي المرأة متخفية ومعها القليل من الطعام والشراب ، ففطن مصعب لذلك ، فمَنع النساء ، فاشتد على المختار وأصحابه العطش ، فكانوا يشربون ماء البثر بالعسل ، ثم أمر مصعب أصحابه فاقربوا من القصر ، وأشدتَّ الحصار ، فقال المختار لأصحابه : ويلكم ، إنَّ الحصار لا يزيدكم إلاَّ ضِعفاً ، فانزلوا بنا نقاتل حتى نقتل كراماً إن نحن قتلنا ، والله ما أنا يائس إن صدقتموهم أن ينصركم الله ، فضعفوا ولم يفعلوا ، فقال لهم :

(١) سورة الرعد ، آية ٣٩ .

(٢) زيادة من الطبرى .

أما أنا فوالله لا أُعطي بيدي ولا أحكمهم في نفسي ، ثم تطيب وتحنط
 وخرج من القصر في تسعة عشر رجلاً منهم السائب بن مالك الأشعري ،
 فتقدم المختار فقاتل حتى قُتل ، قتلَهُ رجلان أخوان من بني حنيفة ،
 وهما طرفة وطرف ابن عبد الله بن دجاجة ، فلما كان الغد من مقتله ،
 دعا بجير بن عبد الله المُسلي^(١) من مَعَهُ بالقصر إلى مادعاهم المختار ،
 فأبوا عليه ، وأمکنوا أصحاب مصعب من أنفسهم ، ونزلوا على حُكمه ،
 فأخرجوا مكتفين ، فاستعطفوه ، فأراد أن يُطلقهم ، فقام عبدُ الرحمن
 ابن محمد بن الأشعث فقال : أتخلي سبيلهم ؟ اخترنا أو اخترهم .
 وقال محمد بن عبد الرحمن بن سعيد الهمداني مثله ، وقال أشرفُ
 الكوفة ومثلها ، فأمر بقتلهم ، فقالوا : يا ابنَ الزبير ، لا تقتلنا
 وأجعلنا على مقدمتك إلى أهل الشام غداً ، فما بكم عَنَّا غداً غني^(٢) ،
 فإن قُتلنا لم نقتل حتى نضعفهم لكم ، وإن ظفرنا بهم كان ذلك لكم ،
 فأبى عليهم وقتلهم برأى أهل الكوفة ، وأمر مصعب بكف المختار
 فقطعتُ وسُمرت إلى جانب المسجد فبقيت حتى قدم الحجاج فأمر
 بنزعها .

وكتب مصعب إلى إبراهيم بن الأشتر يدعوه إلى طاعته ، ويقول :
 إن أظعتني فلك الشام وأعنة الخيل وما غلبت عليه من أرض المغرب^(٣)
 ما دام لآل الزبير سلطان .

وكتب عبدُ الملك بن مروان إلى ابن الأشتر أيضاً يدعوه إلى طاعته
 ويقول : إن أنتَ أجبتني فلك العراق .

(١) في الكامل : المسكى . والثبت في الطبرى أيضاً .

(٢) والطبرى : ٦-١١١ .

(٣) في د : غناه .

فأستشار إبراهيم أصحابه في ذلك ، فأختلفوا ، فقال : لو لم أكن
أصبت ابن زياد وغيره من أشرف الشام لأجبت عبد الملك ، مع
أنى لا أختار على [أهل] ^(١) مضرى وعشيرتى غيرهم ، فدخل فى
طاعة مُضعب ، وبلغ مصعبا إقباله [إليه] ^(١) ، فبعث المهلب
على عمله بالموصل والجزيرة وإرمينية وأذربيجان .

قال : ثم دعا مُضعب بن الزبير أمَّ ثابت بنت سمرّة بن جندب
أمرأة المختار ، وعنزة بنت النعمان بن بشير الأنصارى امرأته الأخرى ،
وسألهما عنه ، فقالت أم ثابت : أقول فيه بقولك أنت فيه ، فأطلقها ،
وقالت عمرة : رحمة الله عليه ، كان عبداً صالحاً .

فكتب إلى أخيه عبد الله : إنها تزعم أنه نبي ، فأمره بقتلها ، فقتلت
ليلا بين الحيرة والكوفة ، فقال عمر بن أبى ربيعة المخزومى ^(٢) :
إن من أعجب العجائب ^(٣) عندى قتل بيضاء حرّة عَطْبُول ^(٤)
قتلت هكذا على غير جرم ^(٥) إن لله درها من قبيلى
كُتِبَ القتلُ والقِتالُ علينا وعلى المحصنات ^(٦) جرُّ الذبول

وقيل : إن المختار إنما أظهر الخلاف على ابن الزبير عند قدوم
مصعب البصرة ، وإن مُضعباً لما سار إليه قبله مسيره أرسل إليه

(١) ساقط في ك .

(٢) الطبرى : ٦-١١٢ ، والكامل : ٣-٣٨٦ ، والعقد الفريد : ٤-٤٠٧ .

(٣) فى العقد : من أعظم المصائب .

(٤) فى العقد : عطبول . والبيت فى اللسان أيضا .

(٥) فى العقد : قتلت هكذا على غير ذنب .

(٦) فى العقد : وعلى الغائيات ...

أحمر بن شميظ ، وأمره أن يُواقِعَه بالمَدَار ، وقال : إن الفتح بالمَدَار^(١) ، لأنه بلغه أن رجلاً من ثقيف يُفْتَحُ عليه بالمَدَار فتحٌ عظيم ، فظن أن هـ ، وإنما كان الحجاج^(٢) في قتال عبد الرحمن ابن الأشعث ، وأمر مصعبُ عبادا الحَبِطِيَّ بالمسير إلى جَمْعِ المختار ، فتقدّم وتقدّم معه عبيد الله بن عليّ بن أبي طالب ، وبقي مصعبُ على نهر البصريّين ، [على شط الفرات]^(٣) ، وخرج المختار في عشرين ألفاً ، وزحف مصعب ومنّ معه فوافوه مع الليل ، فقال المختار لأصحابه : لا يبرحن أحدٌ منكم حتى يسمع منادياً ينادى : يا محمد ، فإذا سمعتموه فأحملوا ، فلما طلع القمر أمر منادياً فنادى : يا محمد ؛ فحملوا على أصحابِ مُصعبٍ فهزموهم وأدخلوهم عسكرهم ، فلم يزلوا يقاتلونهم حتى أصبحوا ، وأصبح المختارُ وليس عنده أحد ، وقد أوغل أصحابُه في أصحابِ مُصعبٍ ، فأنصرف المختارُ منهزماً حتى دخل قصر الكوفة ، وجاء أصحابُه حين أصبحوا ، فوقفوا ملياً ، فلم يروا المختارَ ، فقالوا : قد قتل ، فهرب منهم من أطاق الهربَ ، فأختفوا بدور الكوفة ، وتوجه منهم نحو القصرِ ثمانية آلاف ، فوجدوا المختار في القصر ، فدخلوا معه وكانوا قد قتلوا تلك الليلة من أصحابِ مصعب خلقاً كثيراً ، منهم محمد بن الأشعث .

وأقبل مصعب فأحاط بالقصر ، وحاصرهم أربعة أشهر يخرج المختار كلَّ يوم فيقاتلهم في سوق الكوفة ، فلما قتل المختار بعث

(١) المذار : أرض بقرب الكوفة (البكري) .

(٢) في الطبري : إنما كان ذلك للحجاج بن يوسف .

(٣) زيادة من الطبري .

من في القصر يطلبون الأمان ، فأبى مصعب ، فنزلوا على حكمه ، فقتل من العرب سبعمائة أو نحو ذلك ، وسائرهم من العجم ، فكان عدة القتلى سبعة آلاف رجل ، وقيل : سبعة آلاف ، وذلك في سنة [٥٦٧] سبع وستين ، وكان عمر المختار يوم قتل سبعا وستين سنة ، وكان تارة يدعو لمحمد ابن الحنفية ، وتارة لعبد الله بن الزبير . وحكى عبد الملك بن عبدون في كتابه المترجم (كمامة الزهر وصدفة الدرر) ، أن المختار ادعى النبوة وقال : إنه يأتيه الوحي من السماء ، وأظهر ذلك في آخر أمره ، وكان له كرسى يستنصر به .

ذكر خبر كرسى المختار الذى كان يستنصر به

ويزعم أنه في كتاب بنى إسرائيل

قال الطفيل بن جعدة بن هبيرة : أضقت^(١) إضاقة شديدة ، فخرجت يوماً فإذا جار لى زيات وعنده كرسى قد ركبهُ الوسخ ، فقلتُ فى نفسى : لو قلتُ للمختار فى هذا شيئاً ، فأخذته من الزيات وغسلته ، فخرج عود نضار قد شرب الدهن وهو أبيض^(٢) ، فقلتُ للمختار : إننى كنتُ أكنمك شيئاً ، وقد بدا لى أن أذكره لك ، إن أبى جعدة^(٣) كان يجلس عندنا على كرسى ، ويرى أن فيه أثراً من^(٤) علم . قال : سبحان الله ، أخرته لى هذا الوقت ابعث به لى ، فأحضرتهُ وقد غشيتهُ ، فأمر لى بأثنى عشر ألفاً ، ثم أمر فنودى : الصلاة جامعة ، فأجتمع الناس ، فقال : إنه لم يكن فى الأمم الخالية أمرٌ إلا وهو

(١) فى الطبرى (٧-٨٢) : أعدمت مرة من الورق .

(٢) فى الطبرى : بيض ، وفى الكامل : بيض .

(٣) فى الطبرى : كان جعدة بن هبيرة . (٤) فى الكامل : أثراً من على .

كائن في هذه الأمة مثله ، وإنه كان لبني إسرائيل التابوت ، وإن هذا
 فينا مثله ، فكشفوا عنه وقامت السَّبَائِيَّةُ (١) فكبروا ، ثم لم
 يلبث أن أرسل المختارُ الجيشَ لقتالِ أبْنِ زياد ، وخرج بالكرسى
 على بغلٍ وقد عُشِّيَ ، فكان من هزيمة أهل الشام وقتلِ أشرافهم ما ذكرناه ،
 فزادهم ذلك فتنةً حتى تعاطوا الكفر .

قال الطفيل : فندمتُ على ما صنعتُ ، فتكلم الناس في ذلك ،
 فغيبه المختار .

وقيل : إن المختار قال لآل جعدَةَ بن هُبيرة - وكانت أمَّ جعدة هي
 أم هانئ بنت أبي طالب أخت عليّ رضي الله عنه لأبويه - اتنوني
 بكرسى عليّ ، فقالوا : والله ما هو عندنا ، فقال : لا تكونوا حَمَقِي ،
 اذهبوا فأتوني به ، فظنُّوا أَنَّهُم لا يأتونه بكرسى إلا قال : هذا هو ،
 فأتوه بكرسى ، فأخذَه وخرجتْ شِبام وشاكر وفودا ، يعنى أصحاب
 المختار ، وقد جعلوا عليه الحرير (٢) ، وكان أول من سدنه موسى
 ابن أبي موسى الأشعريّ ، فغتب الناس عليه ، فتركه فسدنه حَوْشَب
 البرُّسَمِيُّ حتى هلك المختار .

وقال أعشى همدان فيه (٣) :

شهدت عليكم أنكم سبئيةُ وإني بكم ياشرطةُ الشُّركِ عارفُ
 فأقيم ما كُرسِيكم بسكينةِ وإن كان قد لفت عليه ألفائفُ
 وأن ليس كالتابوت فينا وإن سعتُ شِبامُ حوالبه ونهد وخارفُ

(١) السبائية : ينسبون إلى عبد الله بن سبأ ، وهم من غلاة الشيعة .
 (٢) في الطبري : وقد عصبوه بالحرير . وفي الكامل : وقد جعلوا عليه الحرس .
 (٣) والطبري : ٦-٨٣ ، والكامل : ٣ - ٣٧٨ .

وإِنِّى أَمْرُو أَحَبِّتُ آلَ مُحَمَّدٍ وَتَابَعْتُ وَخِيَا ضَمَّنْتَهُ الْمَصَاحِفُ
 وَبَايَعْتُ^(١) عَبْدَ اللَّهِ لَمَّا تَتَابَعْتُ عَلَيْهِ قَرِيْشٌ شَمَطَهَا وَالنَّطَارِفُ
 وَقَالَ الْمُتَوَكِّلُ اللَّيْثِيُّ^(٢) :

أَبْلَغُ أَبَا إِسْحَاقَ إِنْ جِئْتَهُ أَنِّى بِكَرْسِيِّكُمْ كَافِرٌ
 تَنْزُو شِبَامٌ حَوْلَ أَعْوَادِهِ وَيَخِيلُ^(٣) الْوَحَى لَهُ شَاكِرٌ
 مَحْمَرَةٌ أَعْيَنُهُمْ حَوْلَهُ كَأَنَّهُنَّ الْحَامِضُ^(٤) الْحَازِرُ
 انْتَهت أَخْبَارُ الْمُخْتَارِ بْنِ أَبِي عُيَيْدَةَ ، فَلَنَذَكُرُ أَخْبَارَ نَجْدَةَ الْحَنْفَى ،
 [وَاللَّهُ وَلِىُّ التَّوْفِيقِ]^(٥) .

ذِكْرُ أَخْبَارِ نَجْدَةَ بْنِ عَامِرِ الْحَنْفَى

حِينَ وَثَبَ بِالْيَمَامَةِ وَمَا كَانَ مِنْ أَمْرِهِ

كَانَ نَجْدَةَ بْنُ عَامِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سِيَّارِ بْنِ مَفْرَجِ الْحَنْفَى
 مَعَ نَافِعِ بْنِ الْأَزْرَقِ ، فَفَارَقَهُ وَسَارَ إِلَى الْيَمَامَةِ ، وَكَانَ أَبُو طَالُوتَ^(٦)
 وَهُوَ مِنْ بَنِي بَكْرِ بْنِ وَاثِلٍ ، وَأَبُو فُدَيْكٍ عَبْدُ اللَّهِ بْنِ ثَوْرِ بْنِ قَيْسِ
 ابْنِ ثَعْلَبَةَ ، وَعَطِيَّةُ بْنُ الْأَسْوَدِ الْيَشْكُرِيُّ قَدِ وُثِبُوا بِهَا مَعَ أَبِي طَالُوتَ ،
 فَلَمَّا قَدِمَا نَجْدَةَ دَعَا أَبَا طَالُوتَ إِلَى نَفْسِهِ ، فَأَجَابَهُ بَعْدَ امْتِنَاعٍ ،
 وَمَضَى أَبُو طَالُوتَ إِلَى الْخَضَارِمِ^(٧) ، فَهَبَّهَا ، وَكَانَتْ لِبْنَى حَنِيفَةَ ،

(١) فى الطبرى : وتابعت عبد الله .

(٢) والطبرى : ٦-٨٤ .

(٣) فى الطبرى ، و الكامل : وتحمل .

(٤) فى الطبرى : الحمض الحاضر .

(٥) ليس فى د .

(٦) فى الكامل : ودعا أبو طالوت إلى نفسه . وفى د : أبو طالب - محريف .

(٧) فى ياقوت : والخضارم : واد باليمامة .

فأخذها منهم معاوية بن أبي سفيان ، فجعل فيها من الرقيق ما عدتْهم
وعدة أبنائهم ونساءهم أربعة آلاف ، فغنم ذلك وقسمه بين أصحابه ،
وذلك في سنة (٥٦٥هـ) خمس وستين ، ثم إن غيراً خرجت من البحرين -
وقيل من البصرة - تحمل مالا وغيره يُراد بها عبدُ الله بن الزبير ،
فاعترضها نجدة ، فأخذها وساقها حتى أتى بها أبا طلوت بالخضارم ،
فقسمها بين أصحابه ، وقال : اقتسموا هذا المال - وردوا هذه العبيد ،
واجعلوهم يعملون بالأرض^(١) لكم ، فإن ذلك أنفع ، فأقتسموا
المال ، وقالوا : نجدة خيرٌ لنا من أبي طلوت ، فخلعوا أبا طلوت ،
وباعوا نجدة ، ثم بايعه أبو طلوت ، وذلك في سنة [٥٦٦هـ] ست وستين .
ولما تمت بيعته بينهم سار في جمع إلى بني كعب بن ربيعة
ابن عامر بن صعصعة ، فلقبهم بذي المجاز^(٢) فهزمهم وقتل فيهم
قتلاً ذريعاً ، ثم كثرت جموعه حتى بلغت ثلاثة آلاف ، فسار إلى
البحرين في سنة [٥٦٧ هـ] سبع وستين ، فقالت الأزد : نجدة
أحبُّ إلينا من ولاتنا لأنه ينكر الجور ، وولاتنا تجور ، فعزموا
على مسالته ، واجتمعت عبد القيس ومن بالبحرين^(٣) غير الأزد
على محاربتة ، فالتقوا بالقطييف^(٤) ، فانزمت عبد القيس ، وقتل
منهم جمعٌ كثير ، وسبى نجدة من قدر عليه من أهل القطييف ،
وأقام بالبحرين^(٥) .

(١) في ك : الأرض .

(٢) ذوالمجاز : موضع سوق عرقة ، كانت به تقوم في الجاهلية ثمانية أيام .

(٣) في ك : ومن البحرين .

(٤) القطييف - بالفتح ثم الكسر : مدينة بالبحرين ، وهي لعبد القيس (المراصد) .

(٥) في الكامل (٣-٣٥٢) : وأقام نجدة بالقطييف ووجه ابنه في جمع إلى

المنهزمين من عبد القيس فقاتلوه ، وأرسل نجدة سرية إلى الحط ، وأقام نجدة بالبحرين .

فلَمَّا قدم مصعب إلى البصرة في سنة [٥٦٩ هـ] تسع وستين
بعث إليه عبد الله بن عمير الليثي الأعور في أربعة عشر ألفاً ، وقيل :
في عشرين ألفاً ، فجعل يقول : اثبت نَجْدَةَ فَإِنَّا لَا نَفِرُّ ، فقدم
ونجدة بالقَطِيف ، فأتى نجدة إلى ابن عمير وهو غافل فقاتل طويلاً ،
ثم أفرقوا ، وأصبح ابن عمير فهاله ما رأى في عسكره من القتل
والجرحى ، فحمل عليهم نجدة ، فلم يثبتوا ، وأنهزمو ، وغنم نجدة
ما في عسكرهم .

وبعث نجدة بعد هزيمة ابن عمير جيشاً إلى عُمان ، واستعمل عليهم
عطية بن الأسود الحنفي ، وقد غلب عليها عبادة بن عبد الله وابناه
سعيد وسليمان ، فقاتلوه ، فقتل عبادة وأستولى عطية عليها ، فأقام
بها أشهراً ، ثم خرج عنها ، وأستخلف رجلاً يُكنى أبا القاسم ، فقتله
سعيد وسليمان ابنا عبادة ، فعاد إلى عُمان فلم يقدر عليها ، فركب
في البحر وأتى كِرْمَانَ (١) ، وضرب بها دراهم سماها العَطَوِيَّة ،
فأرسل إليه المهلب جيشاً ، فهرب إلى سِجِسْتَانَ ، ثم أتى السند ،
فقتلته خيلُ المهلب بَقْنَدَابِيل (٢) .

وبعث نجدة إلى البوادى من يأخذ صدقة أهلها ، ثم سار نجدة
إلى صنعاء في خوف (٣) من الجيش ، فبايعه (٤) أهلها ، وبعث أبا فديك
إلى حَضْرَمَوْتِ فجبى صدقات أهلها ، وحج نجدة سنة (٥٦٨ هـ)

(١) بفتح الكاف وكسرها كما في ياقوت .

(٢) قنْدَابِيل - بالفتح ثم السكون والبدال المهملة وبعد الألف باء موحدة

مكسورة ثم ياء بنقلتين من تحت ولام : مدينة بالسند قصبية لولاية (المرصد) .

(٣) الخف - بالكسرة : الجماعة القليلة (القاموس) .

(٤) في ك : فصالحه .

ثمان وستين ، وقيل في سنة تسع ، وهو في ثمانمائة وستين رجلا ،
وقيل في ألفين وستمائة رجل ، فصالح ابن الزبير على أن يُصَلَّى كلُّ واحد
بأصحابه ، ويقف بهم ، ويكف بعضهم عن بعض ، فلما صَدَرَ
نَجْدَة عن الحج سار إلى المدينة ، فتأهب أهلها لقتاله ، وتقلد عبد الله
ابن عمر سيفًا ، فلما أخبر نجدة أن ابن عمر لبس السلاح رجع
إلى الطائف ، فلما قُرب منها أتاه عاصم بن عُرْوَة بن مسعود الثَّقَفِي ،
فبايعه على قومه ، فرجع نجدة إلى البَحْرَيْن ، فقطع الميرة عن أهل
الْحَرَمَيْن ، فكتب إليه ابن عباس : إِنَّ ثَمَامَةَ بن أُنْثَال لَمَّا أسلم قَطَعَ
الميرة عن أهل مكة وهم كفَّار ، فكتب إليه رسولُ الله صَلَّى اللهُ عليه
وسَلَّمَ : إِنَّ أَهْلَ مَكَّةَ أَهْلُ اللهِ ، فلا تمنعهم الميرة ، فخلاها^(١) لهم ،
وإِنَّكَ قَطَعْتَ الميرةَ عَنَّا ونحن مسلمون ، فخلاها^(١) لهم نَجْدَة ،
لم تنزل عمال نجدة على النواحي حتى اختلف عليه أصحابه ، على
ما نذكره . [والله أعلم]^(٢) .

(١) في الكامل : فجعلها لهم .

(٢) ساقط من د .

ذكر الخلاف على نجدة وقتله وتولية أبى فديك

قال : ثم إن أصحابَ نَجْدَةَ اختلفوا عليه لأسبابٍ نَعَمُوها منه ، فخالف عليه عطيةُ بن الأَسود ، وسببُ ذلك أن نَجْدَةَ بعث سريةً برًا وبحرا ، فأعطى سرية البر أكثر من سرية البحر ، فتنازعه عطية حتى أغضبه ، فشتمه نَجْدَةَ ، فغضب عطية وفارقه ، وألب الناس عليه ، فخالفوه وأنحازوا عنه ، وولَّوا أمرهم أبى فديك عبد الله بن ثور ، من بنى قيس بن ثعلبة ، فاستخفى نَجْدَةَ ، وقيل لأبى فديك : إن لم تقتله تفرقَ الناسُ عنك ، فألح في طلبه حتى ظفِر به أصحابُه ، فقتلوه ، فلما قتل نَجْدَةَ سَخِطَ قَتْلُهُ جماعةً من أصحابِ أبى فديك ، ففارقوه وثار به مسلم بن جبير فضربه اثنتى (١) عشرة ضربةً بسكين ، فقتل مُسلم ، وحُوِّل أبو فديك إلى منزله .

هذا ما كان من أمرِ الخوارج الذين خرجوا على عبد الله بن الزبير في أيام خلافته ، فلنذكر خلاف ذلك ممَّا وقع في أيامه بالأعمال الداخلة في ولايته .

(١) في الأصول : اثنى عشر .

ذكر الحوادث التي وقعت في أيام عبد الله بن الزبير

خلاف ما ذكرناه في الأعمال الداخلة في ولايته على حكم السنين

سنة اربع وستين

قد ذكرنا بعض حوادث هذه السنة في أخبار يزيد ، فلنذكر من حوادثها خلاف ذلك :

فيها حج عبدُ الله بن الزبير بالناس ، وكان عامله على المدينة أخوه عبدة بن الزبير ، وعلى الكوفة عبدُ الله بن يزيد الخطمي^(١) ، وعلى قضاها سعيد بن نمران ، وأبى شريح أن يقضى في الفتنة وعلى البصرة عمر بن عبدة بن معمر التيمي ، وعلى قضائها هشام بن هبيرة ، وعلى خراسان عبد الله بن خازم .

سنة خمس وستين

في هذه السنة عزل عبدُ الله بن الزبير أخاه عبدة عن المدينة ، وأستعمل أخاه مصعباً ؛ وسببُ ذلك أن عبدة خطب الناس فقال : قد ترون ما صنع الله بقوم في ناقة قيمتها خمسمائة^(٢) درهم ، فسمى : مقوم الناقة ، فبلغ ذلك أخاه ، فعزله ، وأستعمل مصعباً ،

(١) الخطمي : بفتح الخاء وسكون الطاء المهملة ، وفي آخره ميم (الباب) .

(٢) في الكامل : قيمتها خمسة دراهم .

ذكر بناء ابن الزبير الكعبة

كان عَبْدُ اللَّهِ بن الزبير لما أحتترقت الكعبة - حين غَزَاهُ أَهْلُ الشَّامِ في أيام يزيد بن معاوية ، قد تركها ليشنع بذلك على أهل الشام . وقد اختلفَ في سبب حَرْقِ الكعبة ، فقيل : إن ابن الزبير لما حاصره أهلُ الشامِ سمع أصواتًا في الليل فوق الجبل (١) ، فخاف أن يكون أهلُ الشامِ قد وصلوا إليه ، وكانت الليلة ظلماء ذات ريح صعبة ورعد وبرق ، فرفع نارًا على رأس رُمحٍ لينظرَ إلى الناس ، فأطارتها الرِّيحُ ، فوقعت على أستار الكعبة فأحرقتها ، وجهد الناس في إطفائها فلم يَقْدِرُوا ، فأصبحت الكعبة تنهافت (٢) ، وماتت امرأة من قريش ، فخرج الناس كلهم مع جنازتها خوفًا من أن ينزل عليهم العذاب ، وأصبح ابن الزبير ساجدا يدعو ويقول : اللهم إنى لم أعتد ما جرى ، فلا تهلك عبادك بذنبي ، وهذه ناصيتي بين يديك . فلما تعالى النهارُ أَمِنَ وتراجعَ الناس . حكاها أبو الفرج الأصفهاني بسند (٣) رفعه إلى أبي بكر الهذلي ، وقيل في حرقها غير ذلك .

فلما مات يزيد وأستقرَّ الأمرُ لابن الزبير ، شرع في بنائها ، فأمر بهدمها حتى ألحقت بالأرض ، وكانت حيطانها قد مالت من حجارة المنجنيق ، وجعل الحجرَ الأسودَ عنده ، وكان الناس يطوفون من وراء

(١) في ك : الخيل .

(٢) تنساقط .

(٣) الأغاني : ٣-٢٧٧ .

الأساس ، وضرب عليها السُّتور^(١) ، وأدخل فيها الحجر ، واحتج بأن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال لعائشة رضى الله عنها : لولا حدّثان^(٢) [عهد]^(٣) قومك بالكفر لرددتُ الكعبة على أساس إبراهيم عليه [الصلاة والسلام]^(٤) ، وأزيد فيها من الحجر ، فحضرَ ابن الزبير [رضى الله عنهما]^(٥) ، فوجد أساسا أمثال الجِمال^(٥) فحرّكوا منها صخرةً فبرقتْ بارقةً ، فقال : أقرُّوها على أساسها ، وبناها ، وجعل لها بابين يُدخَل من أحدهما ويُخْرَج من الآخر . وقيل : كانت عمارتها في سنة [٦٤ هـ] أربع وستين . [والله أعلم بالصواب ، وإليه المرجع والمآب]^(٦) .

ذكر الحرب بين عبد الله بن خازم

وبين بنى تميم بخراسان

في هذه السنة كانت الحربُ والفتنة بين عبد الله بن خازم السلمي وبين بنى تميم بخراسان ؛ وسببُ ذلك أن من كان من بنى تميم بخراسان أعانوا ابنَ خازم على من بها من ربيعة كما تقدّم ، فلما صفت له خراسان جفّا بنى تميم ، وكان قد جعل ابنه محمداً على هراة ، وجعل على شرطته بُكبير بن وسّاج^(٧) ، وضمّ إليه شماس بن دثار المطاردى

(١) في الكامل : السور .

(٢) حدّثان الشيء - بالكسر : أوله .

(٣) من د .

(٤) من ك : الجبال . والمثبت في الكامل أيضا ، وفي الطبرى : فوجدوا قلاعا

مثال الإبل .

(٥) ساقط من د .

(٦) الضبط في د : والقاموس . وفي الطبرى ، والكامل : وشاح .

وكانت أم محمد تميمية ، فلما جفاهم ابن خازم (١) أتوا أبته محمدا بهرة ، فكتب إلى أبيه وإلى بكير وشماس ، يأمرهم بمنعهم عن هرة ، فأما شماس فصار مع بنى تميم ، وأما بكير فإنه منعهم ، فأقاموا ببلاد هرة ، فأرسل بكير إلى شماس : إني أعطيك ثلاثين ألفا ، وأعطى كل رجل من تميم ألفا ، على أن ينصرفوا ، فأبوا وأقاموا يترصدون محمد بن عبد الله حتى خرج إلى الصيد ، فأخذوه وشدوه وثاقا ، ثم قتلوه ، وولّوا عليهم الحريش (٢) بن هلال ، فكانت الحرب بينه وبين ابن خازم ، وطالت بينهما ، فخرج الحريش : فنادى ابن خازم ، وقال : لقد طالت الحرب بيننا ، فعلام يقتل قومي وقومك ، ابرز إلى فإيننا قتل صاحبه صارت الأرض له ، فقال ابن خازم : لقد أنصفت ، فبرز إليه ، فالتقيا وتساولا طويلا ، فغفل ابن خازم ، فضربه الحريش على رأسه فألقى فروة رأسه على وجهه ، وأنقطع ركابا الحريش ، ولزم ابن خازم عنق فرسه ، ورجع إلى أصحابه ، ثم غاداهم القتال ، فمكثوا أياما بعد الضربة ، ثم ملّ الفريقان ، فتنفروا ، فافترقت تميم ثلاث فرق : فرقة إلى نيسابور مع بحير (٣) ابن ورقاء ، وفرقة إلى ناحية أخرى ، وفرقة فيها الحريش (٤) إلى مرو الرود ، فاتبعه ابن خازم إلى قرية تسمى الملحمة (٥) ، والحريش

(١) فى الكامل : فلما جفا ابن خازم بنى تميم .

(٢) الحريش - بالحاء والراء المهملتين والشين المعجمة (الكامل ٣-٣٥٦) .

(٣) فى الكامل (٣-٣٦٥) : بحير - بفتح الباء الموحدة والحاء المهملة المكسورة .

وفى ك : بحير .

(٤) فى ك : الجريش - بالجيم - تحريف .

(٥) فى ك : الملحمة . والمثبت فى د .

في اثني عشر رجلاً ، وقد تفرَّق عنه أصحابه وهم في خربة ، فلما انتهى إليه قال له الحَرِيث : ما تريدُ مني وقد خَلَيْتَكَ والبلاد ، قال : إنَّكَ تعودُ إليها ، قال : لا أعود ؛ فصالحه على أن يخرج عن خُرَاسان ولا يعود إلى قِتَالِه ، فأعطاه ابن خازم أربعين ألفاً ، وفتح له الحَرِيثُ بابَ القصر ، فدخله ابن خازم وضمن له وفاة دينه .

وفي هذه السنة [سنة ٦٥] وقع طاعون الجارف^(١) بالبصرة ، وعليها عبيد الله بن عبد الله بن معمر ، فهلك خلقٌ كثير ، وماتت أمُّ عبيد الله فلم يجدوا لها من يَحْمِلُهَا ، حتَّى استأجروا من تولَّى حَمْلَهَا .

وحج بالناس عبْدُ اللهِ بن الزبير ، وكان على المدينة مُضْعَب ابن الزبير ، وعلى الكوفة عبد الله بن مطيع ، وعلى البصرة الحارث ابن أبي ربيعة المخزومي ، وعلى خراسانَ عبد الله بن خازم .

وفيهما توفى عبد الله بن عَمْرُو بن العاص بمصر ، وكان قد عمِيَ . وقيل : كانت وفاته في سنة [٥٦٨ هـ] ثمان وستين ، وقيل سنة تسع ، [والله أعلم] (٢) .

(١) في ك : الجازف .

(٢) مزد .

سنة ست وستين

ذكر الفتنة بخراسان

في هذه السنة حاصر عبد الله بن خازم من كان بخراسان من بني تميم بسبب قتلهم
أبنة محمدا ، وذلك أنه لما تفرقت بنو تميم بخراسان على ما تقدم ،
أتى قصر قرنبا^(١) عدة منهم ما بين السبعين إلى الثمانين ، فولوا أمرهم
عثمان بن بشر [بن] ^(٢) المحدث المازنى ^(٣) ، ومعه شعبة بن ظهير
النهشلى ، ووزد بن الفلق العنبرى ، وزهير بن ذؤيب العدوى ،
وجيهان بن مشجعة الضبى ، والحجاج بن ناشب العدوى ، وربة
ابن الحر فى فرسان بنى تميم وشجعانهم ، فحاصروهم ابن خازم ، فكانوا
يخرجون إليه فيقاتلونه ، ثم يرجعون إلى القصر ، فخرج ابن خازم
يوما فى ستة آلاف ، وخرج أهل القصر إليه ، فقال لهم بشر :
ارجعوا فلن تطيقوه ، فحلف زهير بن ذؤيب بالطلاق إنه لا يرجع
حتى ينقض^(٤) صفوفهم ، فاستبطن نهرًا قد يبس ، فلم يشعر به
أصحاب ابن خازم حتى حمل عليهم ، فحطم^(٥) أولهم على آخرهم ،
وأستدار وكرّ راجعا ، وأتبعوه يصيحون به ، ولم يجسر أحد ينزل
إليه حتى رجع إلى موضعه ، فحمل عليهم ، فأفرجوا له حتى رجع ،

(١) قصر قرنبا - بفتح القاف والراء وسكون النون وباء موحدة : موضع
بخراسان . وقيل : بمر ، وفى الطبرى (٦-٧٧) : فرتنا . وفى المرصد : فرتنا - بفتح
أوله وسكون ثانيه ، وتاء مثناة من فوق ونون مفتوحة - مقصور : قصر بمر والروذ .

(٢) من الطبرى .

(٣) فى الطبرى : المزنى .

(٤) فى الكامل : يتعرض .

(٥) فى الكامل : فحط .

فقال ابنُ خازم لأصحابه : إذا طاعنتم زهيراً فأجعلوا في رماحكم كلاليب ، ثم علقوها في سلاحه ، فخرج إليهم يوماً فطاعنهم ، فأعلقوا فيه أربعة رماح بالكلاليب ، فالتفت إليهم ليحمل عليهم ، فاضطربت أيديهم ، وخلّوا رماحهم ، فعاد يجرّ أربعة أرماع حتى دخل القصر ، فأرسل ابن خازم إلى زهير ، فضمن^(١) له مائة ألف وميسان^(٢) طعمةً ليناصحه ، فلم يُجبه ، فلما طال الحصار عليهم أرسلوا إلى ابنِ خازم أن يمتكنهم من الخروج ليتفرّقوا ، فأبى إلا على حكمه ، فأجابوه إلى ذلك ، فقال زهير : ثكلتكم أمهاتكم ، والله ليقتلنكم عن آخركم ، فإن طبتّم بالموت نفّسّا فموتوا كراماً ، اخرجوا بنا جميعاً ، فيما أن تموتوا كراماً ، وإما أن ينجو بعضكم ويهلك بعضكم ، وأيم الله لئن شدّدتم عليهم شدّة صادقةً ليفرجن لكم ، فإن شتمت كنتُ أمامكم ، وإن شتمت كنتُ خلفكم ، فأبوا عليه ، فقال سأريكم ؛ ثم خرج هو وورقة بن الحُرّ و غلام تركيّ وابن ظهير ، فحملوا على القوم حملةً منكراً فأفرجوا لهم ، فمضوا . فأما زهير فرجع إلى مَنْ بالقصر ونجا أصحابه ، فقال زهير لمنّ بالقصر : قد رأيتم ، أطيعوني ، فقالوا : إننا نضعف عن هذا ونطمع في الحياة ، فقال : والله لا أكون أعجزكم عند الموت ، فنزلوا على حكم ابن خازم ، فأرسل إليهم فقيدهم ، وحملوا إليه رجلاً رجلاً ، فأراد أن يمنّ عليهم ، فأبى عليه ابنه موسى ، وقال له : إن عفوت عنهم قتلتُ نفسي ، فقتلهم إلا ثلاثة ، أحدهم الحجاج

(١) في الكامل : يضمن .

(٢) ميسان - بالفتح ثم السكون وسين مهملة ، وبعد الألف نون : كورة

واسعة كثيرة القرى والنخل بين البصرة وواسط قصبها ميسان (المراصد) .

ابن ناشب ، شفع فيه بعض مَنْ معه فأطلقه ، والآخر جيهان ابن مشجعة الضبّي ، وكان قد منع القوم من قتل محمد عبد الله ، ورمى نفسه عليه ، فأبوا ، فتركه لذلك ، والآخر رجل من بني سعد من نعيم ، وهو الذي ردّ الناس عن ابن خازم يوم لحقوه ، وقال : انصرفوا عن فارس مضر .

قال : ولما أرادوا حمل زهير بن ذؤيب وهو مقيّد أبي ، واعتمد على رُمحِه ، فوثب الخندق ، ثم أقبل إلى ابن خازم يحجّل في قيوده ؛ فقال له ابنُ خازم : كيف شكرُك إن أطلقتك وأطعمتك ميسان ؟ قال : لو لم تصنع بي إلاّ حقن دمي لشكرتك ، فلم يمكنه أبنه موسى من إطلاقه ، فقال له أبوه : ويحك ، تقتل مثل زهير ، من لقتال عدو المسلمين ، من (١) لنساء العرب ؟ فقال : والله لو شركت في دم أخى لقتلتك ، فأمر بقتله ، فقال زهير : [إن] (٢) لي حاجة ، لا تقتلني وتخلط دمي بدماء هؤلاء اللثام ، فقد نبيتهم عما صنعوا ، وأمرتهم أن يموتوا كراماً ويخرجوا عليكم مُضْلِتِينَ ، وأيم الله لو فعلوا لذعروا (٣) بنيك هذا . وشغلوه بنفسه عن طلب ثأر أخيه ، فأمر به ابن خازم فقتل ناحية .

وحجّ بالناس في هذه السنة عبدُ الله بن الزبير .

(١) في الكامل : من لحمي نساء العرب .

(٢) ساقطة في ك .

(٣) في الكامل : لأذعروا بنيك .

سنة سبع وستين

في هذه السنة استعمل عبد الله بن الزبير أخاه مصعباً على البصرة ،
 [فقتل المختار كما تقدّم ، ثم عزّله عن العراق ، وأستعمل ابنه
 حمزة بن عبد الله . وكان حمزة جواداً مخلّطاً ، يوجد أحياناً حتى لا يدع
 شيئاً يملكه ، ويمنح أحياناً ما لا يمنع مثله ، وظهر منه بالبصرة خفة
 وضعف ، فكتب الأحنف إلى أبيه ، وسأله أن يعزّله عنهم ، ويعيد
 مصعباً ، فعزّله ، فاحتمل مالاً كثيراً من مال البصرة ، فعرض له مالك
 ابن مسمع ، فقال : لاندعك تخرج بأعطياتنا ؛ فضمن له عبيد الله
 ابن عبد الله العطاء ، فكف عنه ، وشخص حمزة بالمال إلى المدينة ،
 فأودعه رجلاً ، فجحدوه ، إلا رجلاً واحداً ، فوفى له ، فبلغ ذلك أباه ،
 فقال : أبعدهُ الله ، أردتُ أن أباهي به بنى مروان فنكص .

وقيل : إن مصعباً أقام بالكوفة سنةً بعد قتل المختار معزولاً
 عن البصرة ، ثم وفد إلى أخيه فردّه إلى البصرة ، وقيل : بل أنصرف
 مصعبٌ إلى البصرة بعد قتل المختار ، وأستعمل على الكوفة الحارث بن أبي
 ربيعة ، وكانتا في عمليهِ ، فعزله أخوه ، وأستعمل ابنه حمزة ، ثم عزل حمزة
 بكتاب الأحنف وأهل البصرة ، وردّ مصعباً ، وذلك في سنة [٦٨هـ]
 ثمان وستين .

وحجج بالناس في هذه السنة عبدُ الله بنُ الزبير ، وكان العمّال
 من تقدم ذكرهم ، وكان على قضاء الكوفة عبدُ الله بنُ عتبة بن مسعود ،
 وعلى قضاء البصرة هشامُ بن هُبيرة .

سنة (٦٨ هـ) ثمان وستين

ذكر حصار الرى وفتحها

وفى هذه السنة أمر مُضْعَب بنُ الزبير عتَّاب بنُ وَرْقَاءَ الرِّياحَى عامله على أَصْفَهَانَ بالمسير إلى الرى وقتالِ أهلها ، لمساعدتهم الخوارج على يزيد بن الحارث ، كما تقدم ، وأمتناعهم فى مدينتهم ، فسار إليهم عتَّاب ، وقتلهم ، وعليهم الفرخان ففتحها عنوة ، وغنم مافيها وافتتح سائر قلاعها ونواحيها . [والله أعلم] (١)

ذكر أخبار عبید الله بن الحر ومقتله

وفى هذه السنة قتل عبیدُ الله بنُ الحر الجعفى ، وكان من خيار قومه صلاحاً وفضلاً وأجتهاداً ، ولما قتل عثمان حضر إلى معاوية وشهد معه صفيين وأقام عند معاوية ، وكانت زوجته بالكوفة ، فلما طالت غيبته عنها زوجها أخوها رجلاً ، يقال له عكرمة بن الخنْبَص (٢) ، فبلغ ذلك عبید الله ، فأقبلَ مِنَ الشام فخاصمه عكرمة إلى على رضى الله عنه . فقال له على رضى الله عنه : ظاهرتَ علينا عدونا وفعلتَ وفعلتَ . فقال له : أيمنى ذلك من عدلك ؟ قال : لا . فقصَّ عليه قصته فردَّ عليه امرأته وكانت حبلى ، فوضعها عند من يثق إليه حتى وضعت فألحق الولد بعكرمة ، ودفع المرأة إلى عبید الله ، وعاد إلى الشام فأقام به حتى قتل على رضى الله عنه ، فرجع إلى الكوفة ، فلما كان

(١) ساقط فى د .

(٢) هذا فى ك ، د . وفى الكامل : الخبيص . والضبط فى ك .

في وقت قتل الحسين تغيب عبيد الله عمداً ، فجعل ابن زياد يتفقد أشراف أهل الكوفة ، فلم ير ابن الحرّ ثم جاء بعد (١) ذلك فقال : أين كنت يا ابن الحرّ ؟ قال : كنتُ مريضاً . قال : كذبت ، ولكنك كنت مع عدونا . قال : لو كنتُ معه لرُمي مكاني . وغفل عنه ابن زياد ، فخرج وركب فرسه ، ثم طلبه فقبيل له : ركب الساعة ، فبعث الشرط خلفه فأدركوه فقالوا : أجب الأمير ، فقال : بلغوه عني أني لا آتيه طائعا أبداً ، وركض فرسه ، وأتى منزل أحمد بن زياد الطائي ، فاجتمع إليه أصحابه ، ثم خرج حتى أتى كربلاء ، فنظر إلى مصارع الحسين رضي الله عنه ، ومن قتل معه ، فاستغفر لهم ثم مضى إلى المدائن . وقال في ذلك (٢) :

يقول أمير غادر حق^(٣) غادر
ونفسي على خذلانه واعتزاليه
فياندمي ألا أكون نصرته
وإنني لأني لم أكن من حماه
مقى الله أرواح الذين تآزروا
وقفتم على أجدانهم ومجالهم
ألا كنت قاتلت الشهيد^(٤) ابن فاطمة
وبيعة هذا الناكث العهد لائمه
ألا كل نفس لا تسدد ناديه
لذو حسرة ما إن تفارق^(٥) لازمه
على نصره سقيا^(٦) من الغيث دائمه
فكاد الحشى ينقض والعين ساجمه

(١) في الكامل : ثم جاء بعد أيام .

(٢) الأبيات في الكامل : ٣-٣٩٣ .

(٣) في الكامل : وابن غادر .

(٤) في الكامل : الحسين .

(٥) في الكامل : ألا تفارق .

(٦) في الكامل : تبادروا ... إلى نصره سحا ...

لَعُمْرِي لَقَدْ كَانُوا مَصَالِيَتَ فِي الرَّغْيِ سِرَاعًا إِلَى الْهَيْجَا حُمَاةَ خَضَارِمَةَ
تَأَسَّوْا عَلَى نَضْرِ ابْنِ بِنْتِ نَبِيهِمْ بِأَسْيَافِهِمْ آسَادُ غَيْلِ ضَرَاغِمَةَ
فَان يُقْتَلُوا فَكُلُّ^(١) نَفْسٍ تَقِيَةٌ عَلَى الْأَرْضِ قَدْ أَضْحَتْ لَذَلِكَ وَاجِمَةَ
وَمَا إِنْ رَأَى الرَّاعُونَ أَفْضَلَ مِنْهُمُ لَدَى الْمَوْتِ سَادَاتٍ وَزَهْرًا^(٢) قَمَاقِمَةَ
أَتَقْتَلُهُمْ ظَلْمًا وَتَرْجُو وَدَادَنَا قَدَغَ خَطَّةً لَيْسَتْ لَنَا بِمَلَانِمَةَ
لَعُمْرِي لَقَدْ رَاغَمْتُمُونَا بِقَتْلِهِمْ فَكَمْ نَاقِمٍ مَنَا عَلَيْكُمْ وَنَاقِمَةَ
أَهْمُ مِرَارًا أَنْ أَسِيرَ بِجَحْضِلِ إِلَى فِئَةِ زَاغَتْ عَنِ الْحَقِّ ظَالِمَةَ
فَكَفُّوا وَإِلَّا زَرْتَكُمْ فِي^(٣) كِتَابِ أَشَدَّ عَلَيْكُمْ مِنْ زُخُوفِ الدِّيَالِمَةَ

قال : وأقام ابن الحرِّ بمنزله على شاطئ الفرات إلى أن مات يزيد ، ووقعت الفتنة ، فقال : ما أرى قرشياً يُنصف ، أين أبناء الحرائر ؟ فاتاه كلُّ خليع ، ثم خرج إلى المدائن فلم يدع مالا قدم به للسلطان^(٤) إلا أخذ منه عطاءه وعطاء أصحابه ، ويكتب لصاحب المال بما أخذ منه ، ثم جعل يتقصى الكور على مثل ذلك ، إلا أنه لم يعترض مال أحد ولا دمه ، فلم يزل كذلك حتى ظهر المختارُ وسمع ما يعمله ابن الحرِّ في السواد ، فأخذ امرأته^(٥) فحبسها ، فأقبل عبيد الله في أصحابه إلى الكوفة ، فكسر باب السجن ، وأخرجها ، وأخرج كلَّ امرأةٍ كانت فيه ، ومضى ، وجعل يعيث بعمال المختار وأصحابه ، فأحرقت داره في همدان ، ونهبت ضيعته ، فسار إلى ضيباع همدان

(١) في الكامل : في كل .

(٢) د : وزهر - بكسر الراء . وفي الكامل : وزهر .

(٣) في الكامل : زدتكم بكتائب .

(٤) في ك : السلطان .

(٥) امرأته أم سلمة الجعفية كما في الطبري .

فنهبا (١) جميعا ، وكان يأتي المدائن فيسمرُ بعمالِ جُوخَى (٢) فيأخذ ما معهم من المال ، ثم يميل على الجبل ، فلم يزل على ذلك حتى قتل المختار .

وقيل : إنه بايع المختار بعد امتناع ، وسار مع إبراهيم بن الأشتر إلى الموصل ، ولم يشهدْ معه قتال ابن زياد ، وتمارض ، ثم فارق ابن الأشتر ، وأقبل إلى الأنبار في ثلاثمائة ، فأغار عليها ، وأخذ ما في بيت مالها ، فلما فعل ذلك أمر المختارُ بهدم داره وأخذ امرأته ، ففعل ما تقدم ذكره ، وحضر مع مُصعب قتال المختار ، فلما قتل المختارُ قال الناس لمصعب : إننا لا نأمن أن يثب عبيد الله بن الحرّ بالسواد كما فعل بابن زياد والمختار ، فحبسه ، فكلّم قوما من وجوه مذحج ليشفعوا له إلى مصعب ، وأرسل إلى فتيان مذحج ، فقال : البسوا السلاح واستروه ، فإن شفّعهم مصعب وإلا فاقصدوا السجن فإنني سأعينكم من داخل .

فلما شفّع أولئك التفرّ شفّعهم مُصعب فيه ، وأطلقه ، فأتى منزله ، وأتاه الناس يهنئونه ، فكلّمهم في الخروج على مصعب ، وقال لهم : قاتلوا عن حريمكم ، فإنني قد قلبتُ ظهر المجن (٣) وظهرتُ العداوة ولا قوة إلا بالله .

وخرج عن الكوفة ، وحاربَ وأغار ، فأرسل إليه مُصعب سيفَ بن هاني

(١) في الطبري : إلى ضياع عبد الرحمن بن سعيد بن قيس فأنهبا .

(٢) في ياقوت بضم الجيم ، وفي البكري بفتحها . وهي بلد بالعراق .

(٣) في ك : السجن - تحريف .

المرادى ، فعرض عليه خراج بادرويا^(١) وغيرها ، ويدخل فى الطاعة ، فلم يُجب إلى ذلك ، فندب لقتاله الأبرد بن قرّة الرياحى ، فقاتله فهزّمه عبّيد الله وضربه على وجهه ، فبعث إليه حرّيث بن زيد فقتله ، فبعث إليه الحجاج ابن حارثة^(٢) الخثعمى ، ومسلم بن عمرو ، فلقياه بنهر صرصر^(٣) ، فقاتلها وهزمها ، فأرسل إليه يدعوه إلى الأمان والصلّة ، وأن يولّيه أى بلد شاء ؛ فلم يقبل ذلك وأتى نرسا^(٤) ، ففر دهقانها بمال إلى عين التمر^(٥) وعليها بسطام بن مصقلة بن هبيرة الشيبانى ، فالتجأ الدهقان إليه ، فتبعه عبّيد الله فقاتله بسطام ، ووافاه الحجاج ابن حارثة^(٢) ، فأسرهما عبّيد الله ، وأسر جماعة كثيرة ممّن معهما ، وأخذ المال الذى مع الدهقان ، وأطلق الأسارى وأتى تكريت ، فأقام بها يجبى الخراج ، فبعث إليه مضعب الأبرد بن قرّة الرياحى ، والجون ابن كعب الهمداني فى ألف ، وأمدهم المهلب بيزيد بن المغفل فى خمسمائة ، فقاتلهم يومين وهو فى ثلاثمائة . فلما كان عند المساء من اليوم الثانى تحاجزوا ، وخرج عبّيد الله من تكريت ، وسار نحو كسكر ، فأخذ بيت مالها ، ثم أتى الكوفة فنزل إلى دير الأعور^(٦) ، فبعث إليه

(١) بادورا : بالواو والراء وياء وألف : بالجانب الغربى من بغداد . وفى د : بادوريا .

(٢) فى الكامل ، والطبرى (٦-١٣٢) : جارية .

(٣) صرصر : بالفتح والسكون وتكرير الصاد والراء : موضعان من نواحي بغداد (المراصد) .

(٤) نرس : بالفتح ثم السكون ، وآخره سين مهملة : نهر حفرة نرس ابن بهرام بنواحي الكوفة ، وأخذه من الفرات .
وفى الطبرى : نرسى .

(٥) عين التمر : بلدة فى طرف البادية على غربى الفرات (المراصد) .

(٦) دير الأعور : بظاهر الكوفة ، بناه رجل من لباد .

مصعب حَجَّار بن أبجر فانهزم حَجَّار ، فشتمه مُصْعَب ،
 وضم إليه الجَوْن بن كَعْب الهمداني وعُمر بن عُبيد الله بن مَعمر ، فقاتلوه
 بأجمعهم ، وكثرت الجراحات في أصحاب ابن الحُر ، وعُقرت
 خيولهم ، فانهزم حَجَّار ، ثم رجع فاقتتلوا قتالاً شديداً ، حتى
 أمسوا^(١) ، وخرج ابن الحُر من الكوفة ، فكتب مُصْعَب إلى يزيد
 ابن الحارث بن رُويم الشيباني وهو بالمدائن [يأمره]^(٢) بقتاله ،
 فقدم ابنه حَوْشِبًا ، فقاتله فهزَمه عُبيد الله ، وأقبل إلى المدائن فتحصَّنوا
 منه ، فنذب إليه الجَوْن بن كَعْب الهمداني وبِشْر بن عبد الله الأسدي ،
 فنزل الجَوْن بحَوْلَايَا^(٣) ، فخرج إليه عبد الرحمن بن عبد الله
 فقتله ابنُ الحُرّ وهزم أصحابه ، وخرج إليه بشير بن عبد الرحمن
 ابن بشير العجلي ، فقاتله بسُورًا^(٤) قتالاً شديداً ، فرجع عنه بشير ،
 وأقام ابن الحُرّ بالسواد يُغير ويُجبي الخراج .

ثم لحق بعَبْد الملك بن مروان ، فلما صار إليه أكرمه وأجلسه
 معه على السرير ، وأعطاه مائة ألف درهم ، وأعطى لَمَن معه مالاً ،
 فقال له ابن الحُرّ : وجهنني بجُنْد أقاتل بهم مصعبا ، فقال له :
 سِرْ بأصحابك ، واذعُ مَنْ قدرت عليه ، وأنا ممدُّك بالرجال ، فسار
 في أصحابه نحو الكوفة إلى أن انتهى إلى الأنبار ، فنزل بقَرْيَةٍ
 بجوارها ، واستأذنه أصحابه في إتيان الكوفة ، فأذن لهم ، وأمرهم
 أن يُعلموا أصحابه بمقدمه ليُخرجوا إليه ، فبلغ ذلك القيسية

(١) في ك : أيسوا .

(٢) من الطبري ، والكامل .

(٣) حولايا - بفتح أوله وسكون ثانيه : قرية كانت بالنهروان .

(٤) موضع بالعراق من أرض بابل (ياقوت) .

فأتوا الحارث بن [عبد الله بن] (١) أبى ربيعة عامل ابن الزبير بالكوفة ، فسألوهُ أن يُرْسِلَ معهم جَيْشًا يقاتلون به عُبيد الله ويعتصمون الفرصة فيه بتفريق أصحابه ، فبعث معهم جيشا كثيفا ، فساروا إليه ، فقال له مَنْ بَقِيَ معه من أصحابه : نحن فى نَفَرٍ يَسِيرٍ ، ولا طاقةَ لنا بهذا الجيش ، فقال : ما كنتُ لأدعهم ، وحمل عليهم وهو يقول :

يا لك يوما فات فيه نَهْيى وغاب عني ثِقَتِي وصَحْبى

فمظفوا عليه فكشفوا أصحابه ، وحاولوا أن يَأْسِرُوهُ ، فلم يقدرُوا على ذلك ، وأذِنَ لأصحابه فى الذَّهاب ، فذهبوا فلم يَعْرِضْ لهم أحد ، وجعل يقاتِلُ وَخَدَهُ وهم يَرْمُونَهُ ولا يَدْنون منه ، وهو يقول : أهذه نبل أم مغازل ! فلما أَثخنتهُ الجِراحُ خاض (٢) إلى مَعْبَرٍ فدخله ولم يدخل فَرَسُهُ ، فركب السفينة ، ومضى به الملاح حتى توسط الفرات ، فأشرفت الخيلُ عليهم ، وكان فى السفينة نَبِطٌ ، فقالوا لهم : إن فى السفينة طَلِبةَ أمير المؤمنين ، فإن فاتكم قَتَلْنَاكم ، فوثب ابن الحُرِّ ليرمى نفسه فى الماء ، فوثب إليه رجلٌ عظيم الخلق ، فقبض على يَدَيْهِ ، وجراحاته تَجْرِى دَمًا ، وضربه الباقون بالمجاديف ، فقبض على الذى أمسكه ، وألقى نَفْسَهُ فى الماء ، فغرقا معا .

وقيل فى قتله : إنه كان يَغْتَبِى مُصعب بن الزبير بالكوفة فرآه يُقَدِّمُ عليه غَيْرَهُ ، فكتب إلى عَبْدِ الله بن الزبير قصيدةً يعاتب فيها مُصعبا ويخوفه مسيره إلى عبدالملك بن مروان يقول فيها (٣) :

(١) من الطبرى . (٢) فى الكامل : حاص .

(٣) والكامل ، والطبرى : ٦-١٣٦ .

أبلغ أمير المؤمنين رسالة
فلست على رأي قبيح أوارية
أى الحق أن أجفى (١) ويجعل مُضْعَبُ
وزيريه (٢) من قد كنت فيه أحاربه
فكيف ، وقد أبلتكم (٣) حق بيغتي
وحتى يُلَوَّى عندكم وأطالبه
وأبلتكم مالا يُضَيِّع مثله
وآسيتكم والأمرُ صعبٌ مراتبه
فلما استنار الملك وانقادت العدا
وأدرِك من مال (٤) العراق رَغَائِبُه
جفا مُضْعَبُ عني ولو كان غيره
لأصبح فيما بيننا لا أعائِبُه
لقد رابني من مُضْعَب أن مُضْعَبَا
أرى كل ذي غِش (٥) لنا هو صاحِبُه
إذا قمتُ عند الباب أدخل مُسْلِم (٦)
ويعنني أن أدخل الباب حاجِبُه

(١) في ك : أخنى .

(٢) في الكامل : وزيراه ...

(٣) في الكامل : آتيتكم ...

(٤) في الكامل : ملك العراق .

(٥) في الكامل : ذى عيش . وفى د : عش .

(٦) في الكامل : أدخل مسلما .

أشار بقوله: وزيريه ؛ إلى مُسلم بن عمرو والد قتيبة ، والمهلب
ابن أبي صُفرة ، ويدلُّ على ذلك قوله أيضا في غيرها (١) :

بأىِّ بلاءٍ أم بآيةِ نعمةٍ تقدَّم قبلى مسلمٌ والمهلبُ

قال : فحبسه مصعب ، وله معه معاتباتٌ من الحبس ، وقال
في قصيدة يهجو فيها قيس عيلان منها (٢) :

ألم ترَ قيسًا قيسَ عيلانٍ برقعَتِ

ليحاهَا وباعت نبلها بالمغازل

فأرسل زفر بن الحارث الكلابى إلى مُصعب يقول: قد كفيتك قتال
أبن الزرقاء - يعنى عبد الملك . وابن الحرِّ يهجو قيسا ؛ ثم إن
نفرًا من بنى سليم أسروا عبيد الله بن الحرِّ ، فقال : إنما قلت (٣) :

ألم ترَ قيسًا قيسَ عيلانٍ أقبلت إيلنا وسارت فى القنا (٣) والقنابل

فقتله رجل منهم يقال له عيَّاش ، والله أعلم .

وفى هذه السنة [سنة ٥٦٨ هـ] وافى عرفات أربعة ألوية :

لواء ابن الزبير وأصحابه ، ولواء ابن الحنفية وأصحابه ، ولواء لبنى
أمية ، ولواء لنجدة الحرورى ، ولم يجر بينهم حرب ولا فتنة .

وكان العاملُ على المدينة جابر بن الأسود بن عوف الزهرى ،

(١) والطبرى : ٦-١٣٦ .

(٢) والطبرى : ٦-١٣٧ .

(٣) فى الطبرى : بالقنا .

وعلى البصرة والكوفة مُصعب بن الزبير ، وعلى قضاها من ذكرنا
 قَبْلُ ، وعلى خراسان عبد الله بن خازم .
 وفيها توفى عَبْدُ اللَّهِ بن عَبَّاس بن عبد المطلب ، وعدي بن حاتم الطائي .
 وقيل في سنة [٥٦٦هـ] ست وستين ، وله مائة وعشرون سنة .

سنة (٦٩ هـ) تسع وستين

في هذه السنة شَخَّصَ مُصْعَبُ بن الزبير إلى مكة ومعه أموالٌ عظيمة
 ودوابٌ كثيرة ، فقسم في قومه وغيرهم ، ونحر بُدْناً كثيرة . وقيل :
 كان ذلك في سنة [٥٧٠هـ] سبعين .

وحجَّ بالناس عَبْدُ اللَّهِ بن الزبير ؛ وفيها حَكَّم رجلٌ من الخوارج
 بمنى ، وسلَّ سيفه ، وكانوا جماعة ، فأمسك الله أيديهم ، فقتل ذلك
 الرجل عند الجَمْرَةِ^(١) . وكان عُمَالُ الأَمْصار من ذَكَرْنَا .

سنة (٧٠ هـ) سبعين

ذِكْرُ يَوْمِ الجِفْرَةِ (٢)

في هذه السنة سارَ عَبْدُ الْمَلِكِ بن مَرْوان يُريدُ مُصْعَبَ بنَ الزبير ،
 فقال له خالد بن عبد الله بن أسيد : إن وجهتني إلى البصرة وأتبعني
 خَيْلاً رجوت أن أغلبك عليها ، فوجهه عَبْدُ الْمَلِكِ ، فقدمها مستخفياً
 في خاصيته حتى نزل على عمرو بن أضمع . وقيل : على علي بن أضمع
 الباهلي ، فأرسل عمرو^(٣) إلى عبيد بن الحصين وهو على شرطة

(١) الجمره : بمكة ، وهي موضع رمى الجمار (البكرى) .

(٢) بالضم وآخره هاء : موضع بالبصرة .

(٣) في ك : عمرا - تحريف .

ابن معمر، وابن معمر خليفة مصعب على البصرة، ورجا ابن أضمع أن عباد بن الحصين يتابعه، وقال له: إني قد أجزتُ خالدًا وأحببتُ أن تعلم ذلك لتكونَ ظهيراً لى؛ فوافاهُ الرسولُ حين نزل عن فرسه؛ فقال عباد: قلْ له: والله لا أضعُ لبدِ قرَيبى حتى آتيتك فى الخيل، فقال ابن أضمع لخالد: إنَّ عباداً يأتينا الساعة، ولا أقدرُ أمنعك منه؛ فعليك بمالك بن مسمع، فخرج خالد يركض فرسه حتى أتى مالكا فقال: أجزنى فأجاره، وأرسل إلى بكر بن وائل والأزد، فأقبلت إليه، وأقبل عباد فى الخيل، فتوافقوا ولم يكن بينهم قتال، فلما كان الغد غدوا إلى جفرة^(١) نافع بن الحارث، ومع خالد رجالٌ من تميم، منهم صفصعة بن معاوية وعبد الله بن بشر ومرة بن مَحْكَان وغيرهم، وكان من أصحاب خالد، عبيد الله بن أبى بكر، وحُمران بن أبان، والمغيرة بن المهلب. ومن أصحاب ابن معمر؛ قيس بن الهيثم السلمى، وأمدّه مُصعب بزخر بن قيس الجعفى فى ألف، وأمدّه عبدُ الملك خالدًا^(٢) بعبيد الله بن زياد بن ظبيان، فبلغه تفرق الناس، فرجع إلى عبد الملك. والتقى القوم، واقتتلوا أربعة وعشرين يوما، ومشت بينهم السفراء، فاصلطحوا على أن يُخرج خالدًا من البصرة، فأخرجه مالك، ولحق مالك بشأج^(٣)، وجاء مُصعب إلى البصرة، وطمع أن يُدرك خالدًا فوجده قد خرج، فسخط على ابنِ معمر، وقال لُبيد الله بن أبى بكر: يا ابنَ مسروح، إنما أنت ابن كلبية تعاورها

(١) فى الطبرى (٦-١٥٢): حفرة.

(٢) ك: خالد. وفى الطبرى، والكامل: ووجه إليه عبد الملك عبيد الله

ابن زياد بن ظبيان مددا لخالد.

(٣) فى ك: بالتباج. والمثبت فى الطبرى، وياقوت (الجفرة).

الكلاب ، فجاءت بأحمر وأصفر وأسود من كلِّ كَلْبٍ بما يُشبهه ،
 وإنما كان أبوك عبداً نزل إلى رسولِ الله صلى الله عليه وسلم من حِضْنِ (١)
 الطائف ، ثم ادعيتُم أنَّ أبا سفيانَ زَنَى بِأُمِّكُمْ ، ووالله لئن بَقِيْتُ
 لألحقنكم بنسبكم .

ثم دعا حُمران فقال له : إنما أنتَ ابنُ يهوديةٍ عِلجٍ نبطي سُبِيَتْ
 من عينِ التَّمْرِ . وقال للحكم بن المنذر بن الجارود ، ولعبدِ الله
 ابن فضالة الزهراني ، ولعلي بن أضمع ، ولعبد العزيز بن بشر
 وغيرهم نحو هذا من التوبيخ والتفريع ، وضربهم مائة مائة ، وحلق
 رعوسهم ولحاهم وهدم دُورهم ، وصَهَرَهُمْ في الشمس ثلاثاً ، وحملهم
 على طلاقِ نساءهم ، وجَهَزَ (٢) أولادهم في البعوث ، وطاف بهم في
 في أقطار البصرة ، وأحلفهم ألا ينكحوا الحرائر ، وهدم دَارَ مالك
 ابن مسمع ، وأخذ ما فيها ؛ فكان فيما أخذ منها جارية ولدت له
 عمرو (٣) بن مصعب .

وأقام مصعب بالبصرة ، ثم شخص إلى الكوفة فلم يزل بها حتى
 خرج لِحَرْبِ عَبْدِ الْمَلِكِ .

وحجَّ بالناس في هذه السنة عبدُ الله بن الزبير .

(١) في ك : حضر .

(٢) في الطبري : وجسر .

(٣) في الطبري : عمر .

سنة (٧١ هـ) احدى وسبعين

في هذه السنة كان مقتل مُضْعَب بن الزُبَيْر واستيلاء عبد الملك ابن مروان على العراقِ على ما نذكر ذلك إن شاء الله مبينًا في أخبار عبد الملك .

وفيهما عَزَلَ عَبْدُ اللَّهِ بن الزبير جابرَ بن الأسود عن المدينة ، واستعمل عليها طَلْحَةَ بن عَبْدِ اللَّهِ بن عوف ، وهو آخر والٍ كان له على المدينة حتى أتاه طارق بن عمرو ولى عثمان فهرب .

سنة (٧٢ هـ) اثنتين وسبعين

في هذه السنة قتل عَبْدُ اللَّهِ بن خازم أمير خراسان ، واستولى عبد الملك على خراسان على ما نذكر ذلك إن شاء الله في أخباره . وفيها انتزع عَبْدُ الملك المدينةَ من عَبْدِ اللَّهِ بن الزبير ، واستعمل عليها طارق بن عمرو ؛ فلم يبق مع ابنِ الزبير إلا مَكَّةُ .

سنة (٧٣ هـ) ثلاث وسبعين

في هذه السنة كان مَقْتَلُ عَبْدِ اللَّهِ بن الزبير واستقلالُ عبد الملك ابن مروان بالأمر ، جريًا على القاعدة التي قدمناها أن نذكر الواقعة بجملتها ونُحِيلُ عليها في أخبار المغلوب ، وعند ذكرنا لمَقْتَلِ عَبْدِ اللَّهِ ابن الزبير نذكر نبذةً من سيرته وأولاده ، فلنرجع إلى أخبار الدولة الأموية .

ذكر بيعة مروان بن الحكم

هو أبو الحكم ، وقيل أبو عبد الملك ، مروان بن الحكم بن أبي العاص
ابن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي ، يجتمع نسبه
ونسب معاوية في أمية ، وهو الرابع من ملوك بني أمية ، وكان النبي
صلى الله عليه وسلم طرد أباه إلى بطن وج^(١) ، فنزل الطائف ،
وخرج معه ابنه مروان . وقيل : إن مروان ولد بالطف .

واختلف في السبب الموجب لنفي رسول الله صلى الله عليه وسلم
الحكم ، فقيل : كان يتحيل ويستخفي ويسمع ما يسره رسول الله
عليه الصلاة والسلام إلى كبار أصحابه في مشركي قريش وسائر
الكفار والمنافقين ، وكان يُفشي ذلك عنه ، حتى ظهر ذلك عليه ؛
وكان يحكي رسول الله صلى الله عليه وسلم في مشيته وبعض حرركاته ،
وكان النبي عليه^(٢) الصلاة والسلام إذا مشى تكفأ ، فكان الحكم
يحكيه ، فالتفت النبي صلى الله عليه وسلم يوماً فرأه يفعل كذلك ،
فقال : فكذلك فلتكن . فكان الحكم مُخلجاً يرتعش من يومئذ ، فغيره
عبد الرحمن بن حسان ، فقال في عبد الرحمن بن الحكم يهجوه :

إنَّ اللّعينَ أبوكِ فارمِ عِظامِهِ إن ترمِ ترمِ مِخلجاً مجنوناً
بمِشى خَميصِ البطنِ من عَمَلِ التَّقَى ويظلُّ من عملِ الخبيثِ بَطِيناً

وروى عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت لمروان بن الحكم حين قال

(١) وج - بالفتح ، ثم التشديد : واد بالطائف (المراصد) .

(٢) د : صلى الله عليه وسلم

فى أخيها عبد الرحمن ما قال : أما أنت يا مروان فأشهد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لعن أباك وأنت فى صُلبه .

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يدخلُ عليكم رجُلٌ لعين . قال عبد الله : وكنت قد تركتُ عمراً يلبسُ ليُقبِلَ إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فلم أزلُ مُشْفِقاً أن يكونَ أوَّلَ مَنْ يدخلُ ، فدخلَ الحَكَم بن أبي العاص ، فلهدا قال عبد الرحمن بن حسان فى شعره : إنَّ اللعينَ أبوك . ولم يزلَ الحَكَم طريداً إلى خلافة عثمان بن عفان فرده إلى المدينة : وقال : إن النبي عليه الصلاة والسلام كان أذن فى رده .

وكان إسلام الحکم يوم فتح مكة ، ومات فى خلافة عثمان قبل القيام عليه بأشهر .

وولِدَ مروان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل سنة [٥٢] اثنتين من الهجرة ، وقيل عام الخندق ، وقيل يوم أحد ، وقيل وليد بمكة ، وقيل بالطائف ، ولم يرَ مروان رسول الله عليه (١) الصلاة والسلام ، لأنه خرج إلى الطائف طفلاً لا يعقل ، وقدم المدينة مع أبيه فى خلافة عثمان ، ثم توفى أبوه فاستكتبه عثمان ابن عفان ، وضمه إليه ، فاستولى مروان عليه ، وغلب على رأيه حتى كان سبب قيام الناس على عثمان وقتله .

حكى أبو عمر بن عبد البر فى كتابه المترجم بالاستيعاب (٢) أن علي بن أبي طالب رضى الله عنه أتى مروان يوماً ، فقال : وئلك

(٢) د : صلى الله عليه وسلم .

(٢) صفحة ١٣٨٨ .

وويل أمّة محمد منك ومن بنيك إذا شابت ذرّاعاك^(١) . وكان مروان يقال له خيط باطل ، وضرب يوم الدار على قفاه فخرّ لفيه . وفيه يقول أخوه عبد الرحمن بن الحكم وكان ماجناً شاعراً ، وكان لا يرى رأى مروان :

فوالله ما أدرى وإنى لسائل
حليلة مضروب القفا كيف يصنع
لحا الله قومًا أمروا خيطَ باطل
على الناس يُعطى من يشاء ويمنع

وقيل : إنه قال ذلك حين ولّاه معاوية المدينة ، وكان كثيرًا ما هجوه^(٢) . وأم مروان أمّنة بنت علقمة بن صفوان ، وكان مروان قصيرًا رقيقًا أو قص^(٣) ، بُويع له بالجابية^(٤) يوم الخميس لسبع بقين من شهر رجب سنة [٥٦٤] أربع وستين ، وقيل في ذى القعدة منها .

ذكر السبب في بيعة مروان

كان سبب بيعته أن عبد الله بن الزبير لما بُويع له بالحجاز والعراق استعمل أخاه عبّيدة بن الزبير على المدينة ، فأخرج مروان بن الحكم وابنه منها إلى الشام ، فلما قدم الحُصَيْن بن نُمَيْر ومن معه إلى الشام أخبر مروان بما كان بينه وبين ابن الزبير ، وقال له وليتني أمية :

(١) في الاستيعاب : إذا ساءت درعك .

(٢) ساقط في ك .

(٣) أو قص : قصير العنق .

(٤) الجابية : قرية من أعمال دمشق .

أَقِيمُوا أَمْرَكُمْ قَبْلَ أَنْ يَدْخُلَ عَلَيْكُمْ شَامِكُمْ^(١) ، فتكون فتنة عنيباء صماء. وكان مِنْ رَأَى مَرْوَانَ أَنْ يَسِيرَ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ فَيُبَايِعَهُ ، فَلَمَّا قَدِمَ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنِ زِيَادٍ مِنَ الْعِرَاقِ قَالَ لِمَرْوَانَ : لَقَدْ اسْتَحْيَيْتَ لَكَ مِنْ ذَلِكَ ، وَأَنْتَ كَبِيرٌ قَرِيشٌ وَسَيِّدُهَا ؛ وَقَبِّحَ ذَلِكَ عَلَيْهِ ، فَقَالَ : مَا فَاتَ شَيْءٌ بَعْدُ ، وَقَامَ إِلَيْهِ بَنُو أُمَيَّةَ وَمَوَالِيهِمْ فَتَجَمَّعَ^(٢) إِلَيْهِ أَهْلُ الْيَمَنِ ، فَسَارَ إِلَى دِمَشْقَ فَقَدِمَهَا وَالضَّحَّاكُ بْنُ قَيْسٍ الْفِهْرِيُّ يَصَلِّيُ بِالنَّاسِ قَدْ بَايَعُوهُ عَلَى ذَلِكَ إِلَى أَنْ يَتَفَقَّحَ رَأَى النَّاسَ عَلَى إِمَامٍ ، وَهُوَ يَدْعُو إِلَى ابْنِ الزُّبَيْرِ سِرًّا ، وَالنَّعْمَانُ بْنُ بَشِيرٍ الْأَنْصَارِيُّ بِحِمْنِصٍ يُبَايِعُ لَهُ أَيْضًا . وَكَانَ حَسَانُ بْنُ مَالِكِ بْنِ بَخْدَلِ الْكَلْبِيِّ غَلَامًا لِمَعَاوِيَةَ^(٣) وَابْنَهُ يَزِيدَ بِفِلَسْطِينَ وَهُوَ يَرِيدُ^(٤) بَنِي أُمَيَّةَ .

فَكَتَبَ حَسَانٌ إِلَى الضَّحَّاكِ كِتَابًا يَعْظُمُ فِيهِ حَقَّ بَنِي أُمَيَّةَ وَحُسْنَ بِلَاغِهِمْ ، وَيَذَمُّ ابْنَ الزُّبَيْرِ ، وَأَنَّهُ خَلَعَ خَلِيفَتَيْنِ ، وَأَمْرَهُ أَنْ يَقْرَأَ كِتَابَهُ عَلَى النَّاسِ . وَكَتَبَ كِتَابًا آخَرَ ، وَسَلَّمَهُ إِلَى رَسُولِهِ وَأَسَمَهُ نَاعِضَةَ ، وَقَالَ لَهُ : إِنْ قَرَأَ [الضَّحَّاكُ]^(٥) كِتَابِي عَلَى النَّاسِ وَإِلَّا فَاقْرَأْ هَذَا الْكِتَابَ عَلَيْهِمْ .

وَكَتَبَ [حَسَانُ]^(٥) إِلَى بَنِي أُمَيَّةَ أَنْ يَحْضُرُوا ذَلِكَ ، فَقَدِمَ نَاعِضَةَ ، فَدَفَعَ كِتَابَ الضَّحَّاكِ إِلَيْهِ وَكِتَابَ بَنِي أُمَيَّةَ إِلَيْهِمْ .

فَلَمَّا كَانَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ صَعَدَ الضَّحَّاكُ الْمَنْبَرِ ، فَقَالَ لَهُ نَاعِضَةُ :

(١) فِي الْكَامِلِ : شَأْنِكُمْ .

(٢) فِي الطَّبْرِيِّ : وَتَجَمَّعَ .

(٣) فِي الْكَامِلِ : بِفِلَسْطِينَ عَامِلًا لِمَعَاوِيَةَ .

(٤) فِي الطَّبْرِيِّ : يَهْوَى .

(٥) مِنَ الطَّبْرِيِّ .

أقرأ كتابَ حَسَّانَ على الناس. فقال له : اجلس ، فجلس ، ثم قام الثانية والثالثة وهو يأمره بالجلوس ، فأخرج ناغِضَةَ الكتاب الذي معه ، وقراه على الناس ، فقام يزيد بن أبي النمِس (١) الغَسَّانِي ، وسُفْيَانُ ابن الأبرد الكَلْبِي ، فصدَّقا حسانا ، وشتما ابنَ الزُّبَيْرِ ، وقام عمرو ابن يزيد الحكمي فشمَّ حسانا ، وأثنى على ابن الزُّبَيْرِ ، واضطرب الناس ، فامر الضحَّاك (٢) بيزيد وسفِيان فحَبِيسا ، ووَثِبَت كَلْبُ على عمرو بن يزيد فضربوه وخرَّقوا ثيابه ، وقام خالد بن يزيد (٣) ، فسكنَ الناس ، ونزل الضحَّاك فصلَّى الجمعة بالناس ، ودخل القَصْرَ فجاءت كَلْبُ فأخرجوا سفِيان ، وجاءت غَسَّانُ فأخرجوا يزيد ، وكان أهلُ الشام يُسمون ذلك اليوم يوم جَيْرُون (٤) الأول . ثم خرج الضحَّاك بن قَيْسٍ إلى المسجد ، وذكر يزيد بن معاوية فسبه ، فقام إليه شابٌّ من كَلْبٍ فضربه بعضا ، فقام الناس بعضهم إلى بعض فاقتتلوا ؛ فقَيْسٌ تدعو إلى ابن الزُّبَيْرِ ونُصْرَةَ الضحَّاك ، وكَلْبُ تدعو إلى بني أمية .

ودخل الضحَّاك دار الإمارة ، ولم يخرج من الغَدِّ لصلاة الفَجْرِ ، وبعث إلى بني أمية فاعتذر إليهم ، وأنه لا يريد ما يكرهون ، وأمرهم أن يكتبوا إلى حسان ، ويكتب معهم ليسيير من الأُرْدُنِّ إلى الجابية ، ويسيروا (٥) هم من دمشق إليها فيجتمعون بها ويبايعون لرجلٍ من

(١) في الكامل : الغمس . والثبت في الطبري أيضا .

(٢) في الطبري : فامر الضحَّاك بالوليد بن عتية ويزيد بن أبي النمِس .

(٣) في ك : سويد .

(٤) جيرون - بالفتح : عند باب دمشق ، وقال قوم : جيرون هي دمشق

فيها (ياقوت) .

(٥) في الكامل : ويسيروا .. فيجتمعوا ... ويبايعوا .

بنى أمية ، فرضوا ، وكتبوا إلى حسان ، وسار الضحّاك وبنو أمية نحو الجابية ، فأناه ثور بن معن السلمى ، فقال : دعوتنا إلى ابن الزبير فبايعنا (١) على ذلك ، وأنت تسير إلى هذا الأعرابي من كلب يستخلف ابن أخته (٢) خالد بن يزيد .

قال الضحّاك : فما الرأى ؟ قال : الرأى أن نُظهِر ما كنّا نكتم ونَدعو إلى ابن الزبير ، فرجع الضحّاك بمنّ معه من الناس ، فنزل مرّج راطط ودمشق بيده ، واجتمع بنو أمية وحسان وغيرهم بالجابية ، فكان حسان يُصلّى بهم أربعين يوماً والناس يتشاورون ، وكان مالك بن هُبيرة السكونى يهوى خالد بن يزيد والحُصَيْن بن نمير يميل إلى مروان ، فقال مالك للحُصَيْن : هلمّ نبايع هذا الغلام الذى نحن ولدنا أباه [وهو ابنُ أختنا] (٣) ، وقد عرفت منزلتنا من أبيه ، فإنه يحملنا على رِقَاب العرب . يعنى خالد بن يزيد . فقال الحُصَيْن : لا والله لا تأتينا العربُ بشيخٍ ونأتيتها بصبيّ . فقال مالك : والله لئن استخلفت مروان ليحسدنك على سوطك وشراكِ نعلِك وظلّ شجرة تستظلُّ بها ، إن مروان أبو عشرة (٤) وأخو عشرة (٤) وعمّ عشرة (٤) ، فإن بايعتموه كنتم عبيداً لهم ، ولكن عليكم بائِنِ أختكم [خالد] ، فقال الحُصَيْن : إني رأيت في المنام قنديلا معلقا من السماء وأن من يلى الخلافة يتناوله ، فلم ينله إلا مروان ، والله لنستخلفنه .

(١) فى الطبرى : فبايعناك .

(٢) فى الطبرى : ابن أخيه . والمثبت فى ك ، د ، والكامل .

(٣) زيادة من الطبرى .

(٤) فى الطبرى ، والكامل : أبو عشرة .

وقام رُوح بن زنباع الجُدَامِي فقال : أبها الناس ، إنكم تذكرون
عبدَ الله بنِ عُمَرُ وصُحْبَتَهُ وَقَدَمَهُ فِي الإِسْلَامِ ، وَهُوَ كَمَا تَذَكُرُونَ ،
ولكنه ضعيف ، وليس بصاحبِ أُمَّةٍ مُحَمَّدُ الضَّعِيفُ ، وتذكرون
ابنَ الزبير وهو كما تذكرون ، إنه ابنُ حوَارِي رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وسلم ، وأُمَّهُ ذَاتُ النُّطَاقَيْنِ ، ولكنهُ مَنَافِقٌ قَدْ خَلَعَ خَلِيفَتَيْنِ :
يزيد ، وابنه معاوية ، وسفَكَ الدَّمَاءَ ، وَشَقَّ عَصَا المُسْلِمِينَ ، وليس
المنافق بصاحبِ أُمَّةٍ بِمُحَمَّدٍ

وأما مروان بن الحكم فوالله ما كان في الإسلام صدعٌ إلا كان
من يشعبه ، وهو الذي قاتل [عن أمير المؤمنين عثمان بن عفان يوم الدار ،
والذي قاتل] (١) علي بن أبي طالب يوم الجمل ، وإنا نرى للناس
أن يُبايعوا الكبير ، ويستشيبوا (٢) الصغير - يعني بالكبير مروان ، وبالصغير
خالد بن يزيد . فأجمع رأيهم على البيعة لمروان ، ثم لخالد
ابن يزيد ، ثم لعمر بن سعيد بن العاص من بعد خالد ، على أن إمرة
دمشق لعمر ، وإمرة حِمص لخالد .

فدعا حسان خالداً ، فقال : يا بنَ أُخْتِي ؛ إِنَّ النَّاسَ قَدْ أَبَوْكَ لِحِدَاثَةِ
سَنِّكَ ، وَإِنِّي وَاللَّهِ مَا أُرِيدُ الأَمْرَ إِلاَّ لَكَ وَلِأَهْلِ بَيْتِكَ ، وَمَا أَبَايَعُ
مَرْوَانَ إِلاَّ نَظْرًا لَكُمْ . فقال خالد : بل عجزت عنا . فقال : والله ما أنا
عجزت (٣) ، ولكن الرأي لك ما رأيت .

(١) من الطبرى .

(٢) فى الكامل : ويستشبروا .

(٣) فى الطبرى : لا ، والله ما عجزت عنك .

ثم بايعوا مروان لثلاثِ خَلَوْنٍ من ذى القعدة سنة [٥٦٤هـ] أربع وستين ،
وقال مروان حين بويع له (١) :

لما رأيتُ الأمرَ أمراً نَهَبَنا
والسُّكسُكِيِّينَ رجَلاً غلبَنا
والقَيْنَ تمشى فى الحديدِ نُكِبَنا
ولا يأخذونَ المُلْكَ إلا غضبَنا
يسرتُ (٢) غَسَّانَ لَهُمُ وكَلبَنا
وطيئنا تَأبَاهُ إلا ضربَنا
ومن تَنَوَّخَ مُشْمِخِرا صغِبَنا
فإن دنتَ قَيْسُ قَقلَ لاقرِبَنا

ذكر موقعة مرج (٣) راهط

وقتل الضحاك بن قيس بن خالد الفهري والنعمان

ابن بشير بن سعيد بن تغلب الأنصارى الخزرجى

قال : ولما بُويع مروان بن الحكم سار من الجابية إلى مرج راهط ،
وبه الضحاك بن قيس ومن معه ؛ وكان الضحاك قد استمدَّ النعمان
ابن بشير وهو على حِمص ؛ فأمدّه بشرحبيل بن ذى الكلاع ، واستمدَّ
أيضاً زُفر بن الحارث فأمدّه بأهل قنسرين ، وأمدّه نائيل بأهل فلسطين ،
وكان نائيل بن قيس قد وثب بفلسطين لَمَّا خرج منها حسان بن مالك
إلى الأردن ، وأخرج خليفته رُوح بن زنباع ، وباع نائيل لابن الزبير ،
فاجتمعت هذه الأمدادُ مع الضحاك .

واجتمع إلى مروان كلب ، وغسان ، والسكائبك ، والسككون ؛

(١) والطبرى : ٥٣٨-٥ .

(٢) فى ك : بشرت .

(٣) مرج راهط : بنواحي دمشق .

وجعل على ميمنته عمرو بن سعيد ، وعلى ميسرته عبيد الله بن زياد ، وكان يزيد بن أبي النمس (١) الغساني مُخْتَفِيًا بدمشق لم يحضر الجابية ، فغلب على دمشق ، وأخرج عنها عامل الضحاك بن قيس ، واستولى على الخزائن وبيت المال ، وباع لمروان ، وأمدّه بالأموال والرجال والسلاح ، فكان ذلك أول فتح على بني أمية .

وتحارب مروان والضحاك بمرج رَاهِطَ عشرين ليلة ؛ واقتلوا قتالا شديداً ؛ فقتل الضحاك ، قتله زُحْنَةُ (٢) بن عبد الله الكلبي ، وقتل معه ثمانون رجلا من أشرف الشام ، وقتلت قيس مقتلة عظيمة لم تقتل مثلها في موطن قط ، وكان ممن قتل هانيء بن قبيصة النميري سيّد قومه ، قتله وازع بن ذوالآلة الكلبي ، فلما سقط جريحاً قال (٣) :

تعست ابن ذات النوفِ أجهزُ على فتى (٤)

يرى الموتَ خيراً من فرارٍ وأكْرَمًا (٥)

ولا تترُكُنِّي بالعشاشة إنني

صبورٌ إذا ما التُّكُّسُ مثلكَ أحجما

فعاد إليه وازع فقتله ، وكانت هذه الواقعة في المحرم سنة [٦٥هـ]

خمس وستين .

وقيل : كانت في آخر سنة أربع وستين .

(١) في الكامل : يزيد بن أبي الغنم ، وقال بالسبب المهملة . وقيل بالشين

المعجمة . والمثبت في الطبري أيضا .

(٢) في الكامل : دحية . والمثبت في د ، والطبري .

(٣) والكامل : ٣ - ٣٢٨ .

(٤) في الكامل : على امرئ . (٥) في الكامل : وألزم .

ولما أتى (١) مروان برأيس الضحاك ساءه ذلك ، وقال : الآن حين
كبرت سننى ودق عظمى أقبلت بالكتائب أضربُ بعضها ببعض .

وقيل : إن الضحاك كان فى ستين ألف فارس ومروان فى ثلاثة
عشر ألفا .

حكى المدائنى فى كتاب المكايدله ، قال : لما التقى مروان والضحاك
بمرج راهط قال عبید الله بن زياد لمروان : إن فرسان قيس مع
الضحاك فلا ننال منه ما نريد إلا بكيد ، فأرسل إليه فاسأله الموادعة
حتى ننظر فى أمرك ، على أنك إن رأيت البيعة لابن الزبير بايغت ،
ففعل فأجابته الضحاك إلى الموادعة ، وأصبح أصحابه قد وضعوا سلاحهم ،
وكفوا عن القتال ، فقال ابن زياد لمروان : دونك . فشد مروان ومن معه
على عسكر الضحاك على غفلة منهم وانتشار ، فقتلوا من قيس مقتلة
عظيمة ، وقتل الضحاك يومئذ فلم يضحك رجال من قيس بعد يوم
المرج حتى ماتوا .

وقيل المكيدة كانت من عبید الله بن زياد ، كاد بها الضحاك .
وقال له : مالك والدعاء إلى ابن الزبير وأنت رجل قرشى ومعك الخيل ،
وأكثر قيس ؟ فاذع لنفسك ، فأنت أسن منه وأولى .

ف فعل الضحاك ذلك ، فاختلف عليه الجند ، فقاتله مروان عند ذلك
فقتل . والله أعلم .

قال : ولما انهزم الناس من المرج لحقوا بأجنادهم ، فانتهى أهل

(١) فى الكامل : ولما رأى . وفى الطبرى : وجاء برأس الضحاك رجل
من كلب .

حِمص إليها وعليها النعمانُ بن بشير ، فلما بلغه الخبرُ خرج هاربا معه امرأته نائلة بنت عُمارة الكلبيّة وثقله وأولاده ، فتحير ليلته كلها ، فأصبح أهل حِمص فطلبوه ، وكان الذى طلبه عمرو بن الحَلِي (١) الكَلَاعِي فقتله .

وقيل : اتبعه خالد بن عدى الكَلَاعِي فيمن خفّ معه من أهل حِمص فلحقه فقتله وبعث برأسه إلى مروان .

وقال علي بن المديني : قُتِل النعمان بن بشير بحمص غيلةً قتله أهلها .

وقيل : قُتِل بقرية من قرى حمص يقال لها تيزين (٢) . والنعمان من الصحابة ، وُلِد قبل وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم بثماني سنين .

قال : ولما بلغت الهزيمة زُفِرَ بن الحارث الكلابي بِقِنَسْرِين (٣) هرب منها ، فلحق بقرقيسيا (٤) وعليها عياض الجرشي (٥) ، وكان يزيد [بن معاوية] (٦) ولأه إياها ، فطلب منه أن يدخل الحمام ويحليف له بالطلاق والعِتاق أنه إذا خرج من الحمام لا يُقسم بها ، فأذن له ، فدخلها ، فغلب عليها وتحصن بها ، ولم يدخل حمامها ، واجتمعت إليه قيس . وهرب نائل بن قيس الجندامي من فلسطين ، فلحق بابن الزبير بمكة ؛ واستعمل مروان بعده على فلسطين روح بن زنباع ، واستوثق الشام لمروان .

(١) في الكامل : ابن الجلي - بالجيم . والمثبت في الطبرى أيضا .

(٢) في : ك تيرين - بالراء . وفي ياقوت : بعد الزاى ياء ساكنة ونون : قرية

كبيرة من نواحي حلب .

(٣) بتشديد النون بفتحها أو كسرهما .

(٤) قرقيسيا : بلد على نهر الخابور (المراصد) .

(٥) في الكامل : الحرسي . والمثبت في الطبرى أيضا .

(٦) من الطبرى .

وقيل : إن عبيد الله بن زياد إنما جاء إلى بنى أمية وهم بتدمر ،
ومروان يريد أن يسير إلى ابن الزبير فيبايعه (١) ويأخذ منه الأمان
ابنى أمية ، فردّه عن ذلك ، وأمره أن يسير بأهل تدمر إلى الضحاك
فيقاتله ، وواقفه (٢) عمرو بن سعيد ، وأشار على مروان أن يتزوج أم خالد
ابن يزيد ليسقط من أعين الناس ، فتزوجها ، وهى فاختة ابنة أبى هاشم
ابن عتبة ، ثم جمع بنى أمية فيبايعوه ، وبايعه أهل تدمر .

وسار إلى الضحاك فى جمع عظيم ، وخرج الضحاك إليه ، فاقتلا ،
فقتل الضحاك ، وسار زفر بن الحارث إلى قرقيسياء ، وصحبته
فى هزيمته شابان من بنى سليم ؛ فجاءت خيال مروان فى طلبه ، فقال
الشابان له : انج بنفسك ، فإننا نحن نقتل . فمضى زفر وتركهما
فقتلا ، وقال زفر فى ذلك (٣) :

أرينى سلاحى لا أبالك إننى أرى الحرب لاتزداد إلا تماديسا
أناينى عن مروان بالغيب أنه مقيد دمي أو قاطع من لسانيا
ففى العيش (٤) منجاة فى الأرض مهرب إذا نحن رفغناهن المانيا
فلا تحسبونى إن تغيبت غافلا ولا تفرحوإن جئتكم بليقائيسا
فقد ينبت المرعى على دمن الثرى وتبقى حزارات الذيس كماهيا (٥)

(١) فى الكامل : لبايعه .

(٢) فى ك : وواقفه . والمثبت فى الكامل أيضا .

(٣) الشعر فى الكامل : ٣ - ٣٢٩ ، والطبرى : ٥ - ٥٤١ ، والأغانى :

١٧ - ١١٢ ، وشرح ديوان الحماسة للبربرى : ١ - ١٥٣ .

(٤) فى الطبرى : فى العيس .

(٥) فى الكامل : له ورق من نمته الشر باديا .

لَعْمَرِي لَقَدْ أَبَقْتُ وَقِيعةُ رَاهِطٍ لِحَسَّانٍ صَدْعًا بَيْنَنَا مُتَنَائِبَا
 فَلَمْ تُرْمِنِي نَبْوَةً قَبْلَ هَـذِهِ فِرَارِي وَتَرَكَى صَاحِبِيَّ وَرَائِبَا (١)
 عَشِيَّةَ أَدْعُو (٢) بِالْقِرَانِ فَلَا أَرَى مِنَ النَّاسِ إِلَّا مَنْ عَلِيٌّ وَوَالِيَا
 أَيَذْهَبُ يَوْمٌ وَاحِدٌ إِنْ أَسَأْتَهُ بِصَالِحِ أَيَامِي وَحُسْنِ بَلَائِبَا
 فَلَا ضَلْحَ حَتَّى تَنْحِطَ (٣) الْخَيْلُ بِالْقَنَا وَيَثَارُ مِنْ نِسْوَانٍ كَلْبٍ نِسَائِبَا
 فَأَجَابَهُ جَوَّاسُ بِنِ الْقَعَطَلِ (٤) :

لَعْمَرِي لَقَدْ أَبَقْتُ وَقِيعةُ رَاهِطٍ عَلَى زُفْرَدَاءِ (٥) مِنَ الدَّاءِ بَاقِيَا
 مُقِيمَا ثَوَى بَيْنِ الضُّلُوعِ مَحَلُّهُ وَبَيْنِ الْحَشَا أَعْيَا الطَّبِيبِ الْمُدَاوِيَا
 تُبَكِّي عَلَى قَتْلِي سُلَيْمٍ وَعَامِرِ وَذُبْيَانٍ مَعْدُورًا وَتُبَكِّي الْبُؤَاكِيَا
 دَعَا بِسِلَاحِ (٦) ثُمَّ أَحْجَمَ إِذْ رَأَى سَيْوْفَ جَنَابِ وَالطَّوَالَ الْمَدَايَا
 عَلَيْهَا كَأَسَدِ الْغَابِ فَتَيَّانُ نَجْدَةٌ إِذَا أَشْرَعُوا نَحْوَ الطَّعَانِ الْعَوَالِيَا

(١) صاحبيه : ابنه كعب ؛ ومولاه مسكان (شرح الحماسة) .

(٢) في الكامل : عشية أدعو في القران

(٣) في الكامل : تشحط . والنحط : صوت الخيل من النقل والإعياء (اللسان) .

(٤) الشعر في الطبري : ٥ - ٥٤٢ ، والكامل : ٣ - ٣٢٩ .

(٥) في الكامل : مرا من الداء .

(٦) في الكامل : دعا بالسلاح .

ذكر مسير مروان الى مصر

واستيلائه عليها

قال : ولما قُتل الضحاك واستقرَّ الشامُ لمروان سار إلى مِصر فقدمها ،
وعليها عبد الرحمن بن حجدر ^(١) الفهري يدْعُو لابن الزبير ، فخرج إلى مروان
فيمن معه ، وبعث مروان عمرو بن سعيد من ورائه ، حتى دخل مصر ،
فقبل ذلك لابن حجدر ، فرجع فبايع الناس مروان ، وجاء مروان إلى مصر ،
ودخل الدار البيضاء ، ثم سارعنها واستعمل عليها ابنه عبد العزيز
ابن مروان ، واستقرَّ مروان بدمشق .

ذكر البيعة لعبد الملك وعبد العزيز ابني مروان

ابن الحكم بولاية العهد

وفي سنة [٥٦٥هـ] خمس وستين أمر مروان بالبيعة لابنيه : عبد الملك ،
وعبد العزيز ، وكان سبب ذلك أن عمرو بن سعيد كان قد توجه
إلى فلسطين ، وقاتل مُضْعَب بن الزبير حين وجهه أخوه عبد الله إليها ^(٢)
فهزم مُضْعَباً ، ورجع إلى مروان وهو بدمشق ، وقد غلب على الشام
ومِصر ، فبلغ مروان أن عمرو بن سعيد يقول : إن الأمر لي من بعد
مروان ، فدعا حسان بن مالك بن بَحْدَل ، فأخبره بما بلغه عن عمرو ،
فقال : أنا أكفيك عمراً . فلما اجتمع الناس عند مروان قام حسان
فقال : إنه بلغني أن رجالاً يتمنون أمانى ، قوموا فبايعوا لعبد الملك

(١) في الكامل : حجدم القرشي .

(٢) في الطبرى : إلى فلسطين .

وعبد العزيز من بَعْدِهِ ، فبايعوا من عند آخرهم .

وفي هذه السنة بعث مروان بن الحكم بعثين : أحدهما مع حُبَيْدِ اللَّهِ بن زياد إلى الجزيرة ومحاربة زُفَرِ بن الحارث بقرقيسياً ، واستعمله على كل ما يفتتحه ، فإذا فرغ من الجزيرة توجه لقصْدِ العراق . فلما كان بالجزيرة بلغه موتُ مروان ، وأتاه عهد عبد الملك بن مروان [يستعمله] (١) على ما استعمله عليه أبوه ويحثه على المسير إلى العراق .

والبعث الثاني (٢) مع حُبَيْشِ بن دَلْجَةَ (٢) القَيْنِي ، فسار حتى انتهى إلى المدينة وعليها جابر بن الأسود بن عَوْفِ ابن أخي عبد الرحمن بن عَوْفِ من قِبَلِ ابنِ الزبير ، فهرب منه جابر .

ثم إن الحارث بن أبي ربيعة وجه جيشاً من البصرة وجعل عليهم الحننفة (٤) بن السجف التميمي لحرب حُبَيْشِ . فلما سمع بهم حُبَيْشِ سار إليهم من المدينة ، وأرسل عبدُ اللَّهِ بن الزبير عَبَّاسَ (٥) ابن سهل الساعدي إلى المدينة أميراً ، وأمره أن يسير في طلب حُبَيْشِ حتى يوافي جيشَ البصرة ، فأقبل عَبَّاسُ (٥) في آثارهم حتى لحقهم بالرَبِذَةِ فقاتلهم حُبَيْشِ ، فرماه يزيد بن سِيَاهِ (٦) بسهم فقتله .

(١) من الكامل . (٢) في الكامل : الآخر .

(٣) ضبطه ابن الأثير بفتح الدال واللام . وضبطه الطبري بضم الدال وسكون اللام . وفي تاج العروس : هو مسكن ومحرك . والضبط في الإكمال (٢ - ٧١) أيضاً .

(٤) الضبط في الإكمال ، والمشتبه : ٢٥٧ . وفي الكامل : الحنيف .

(٥) في الطبري : عياش : (٦) في الكامل : بن سنان .

وكان معه يومئذ يوسف بن الحَكَم ، وابنه الحجَّاج بن يوسف ، وهما على جَمَلٍ واحدٍ ، وانهم أصحابُه فتحرَّز منهم خمسمائة بالمدينة ، فقال لهم عباس : انزلوا على حُكْمِي ، فنزلوا فقتلهم ، ورجع قَلَّ حُبَيْش إلى الشام .

ذكر وفاة مروان بن الحكم

كانت وفاته في شهر رَمَضان سنة [٥٦٥هـ] خمس وستين . قيل : مات بالطاعون . وقيل : بل كان سببُ موته أنه لما بُويِع بالخلافة أراد حَسَّان بن بَحْدَل أن يجعلَ الأمر من بعده لخالد بن يزيد بن معاوية ، فبايعه على ذلك ، فقيل لمروان : الرأى أن تتزوج أمَّ خالد تكفل ابنها حتى يصغر شأنه فلا يطلب الخلافة . فتزوجها .

وقد ذكرنا ذلك ، فدخل خالدٌ يوماً على مَرَّوان ، وعنده جماعةٌ نظر إليه وهو يمشى بين الصَّفِين فقال : إنه (١) والله لأحرق . تعال : يا بَن الرطبةِ الاستِ ، يريد بذلك إسقاطَه مِنْ أعينِ أهل الشام ، فقال له خالد : مؤتمن خائن . فندم مَرَّوان ، ثم دخل خالد على أمه ، فقال : هكذا أردت ، يقول لى مَرَّوان على رءوس الناس كذا وكذا . فقالت له : لا يُعلمَنَّ ذلك منك ، فأنا أكفيك ، فوالله لا ترى بعدُ منه شيئاً تكرهه ، وسأقرب عليك ما بعدُ .

ثم دخل مَرَّوان عليها ، فقال لها : قال لك خالد في شيئاً ؟ قالت : إنه أشدُّ تعظيماً لك مِنْ أن يقولَ فيك شيئاً . فصدَّقها .

(١) الكامل : إنك .

ومكثت أياما بعد ذلك ، فنام مروان عندها في بعض الأيام ، فوضعت على وجهه وسادة ، وجلست عليها حتى مات . وهو معدود ممن قتلته النساء .

ومولده سنة [٥٢هـ] اثنتين من الهجرة ، وكان عمره ثلاثا وستين سنة . واختلف فيه إلى نيّف (١) وثمانين سنة . وصلى عليه ابنه عبد الملك ، وكانت ولايته منذ جددت له البيعة عشرة أشهر تقريبا ، وكان سلطانه بالشام ومصر .

أولاده : عبد الملك ، ومعاوية ، وعمرو ، وعبيد الله ، وعبد الله ، وأبان ، وداود ، وعبد العزيز ، وعبد الرحمن ، وبشر ، ومحمد ، وأم عمار .

كاتبه : سفيان الأحول . وقيل : عبيد الله بن أوس .

قاضيّه : أبو إدريس الخولاني .

حاجبه : أبو سهل مولاه .

نقش خاتمه : الله ثقّتي ورجائي .

ومروان أول من قدّم الخطبة قبل صلاة العيد ، وكان يقال له ولولده بنو الزرقاء ، يقول ذلك من يريد ذمهم وعيبهم ، وهي الزرقاء بنت موهب جدّة مروان لأبيه ، كانت من ذوات الرايات التي يستدل بها على بيوت البغايا ؛ فلهذا كانوا يذمون بها ، ولعل هذا منها كان قبل أن يتزوجها أبو العاص بن أمية (٢) والذ الحكيم ، فإنه كان من أشرف قريش ، ولا يكون هذا من امرأة وهي عنده . والله أعلم .

(١) ما زاد على العقد فهو نيّف إلى أن يبلغ العقد الثاني (القاموس - نوف).

(٢) في الكامل : ابن أبيه .

ذكر بيعة عبد الملك بن مروان

هو أبو الوليد عبد الملك بن مروان بن الحكم ، وهو الخامس من ملوك بني أمية .

وأمه عائشة بنتُ المغيرة بن أبي العاص ، وهو أول مَنْ سُمِّي عبد الملك في الإسلام ، ولُقِّبَ رشح الحجر^(١) لبُخله ، ولُقِّبَ أيضًا بابي الذَّبَّان^(٢) لبخره . وقيل : إن السبب في بخره أنه كان يتلُو القرآن في المصحف ، فأفضت الخلافةُ إليه وهو يتلُو ، فردَّ المصحفَ بَعْضَهُ على بَعْضٍ ، وقال : هذا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنَكَ ، يُشير بهذا الكلام إلى المصحف فبَخِرَ لوقته ، وعجزت الأطباء عن مداواته ، فكان لا يحرُّ ذُبَابٌ على فيه إلا مات لوقته^(٣) ، وكان أفوه مفتوح الفم مُسْبِكُ الأسنان بالذهب .

بويغ له في شهر رمضان سنة [٦٥هـ] خمس وستين بعد وفاة أبيه ، وكان وليَّ عَهْدِهِ كما تقدَّم ، وأراد عبدُ الملك أن يقتلَ أمَّ خالد ، فقيل له : يظهر عند الناس أنَّ امرأةً قَتَلتَ أباك ، فتركها ، وكان عبدُ الملك وُلِدَ لسبعة أشهر ، فكان الناس يذمُّونه بذلك .

قيل : إنه اجتمع عنده قومٌ من الأشراف ، فقال لعبيد الله ابن زياد بن ظبيان البكرى : بلغنى أنك لا تُشبهه أباك ! فقال : والله إنى لأشبهه به من الماء بالماء والغراب بالغراب ، ولكن إن شئت !

(١) رشح - كمنع : عرق . ولم يرشح له بشيء : لم يعطه (القاموس - رشح).

(٢) الذبان : جمع ذباب . وفى ك : الذبجان - تحريف . وفى العقد الفريد

(٣) (٤-٣٩٩) : وكانت تدمى لثته فيقع عليها الذباب ، فكان يلقب أبا الذباب .

أَخْبَرْتُكَ بِمَنْ لَمْ تُنْضِجْهُ الْأَرْحَامَ ، وَلَمْ يُولَدْ لَتَمَامَ ، وَلَمْ يُشْبِهْ
الْأَخْوَالَ وَلَا الْأَعْمَامَ . قَالَ : مَنْ ذَاكَ ؟ قَالَ : سُؤَيْدُ بْنُ مَنجُوفٍ .

فلما خرج عُبيد الله وسُؤيد قال له سُؤيد : والله ما يسرُّني بمقاتلتك
له حُمْرُ النعم . فقال عُبيد الله : وما يسرُّني والله باحتمالك إياي وسكوتك
عني سوِّدُها .

قال : وكان أول ما بدأ به عَبْدُ الْمَلِكِ أَنْ كَتَبَ إِلَى عُبيد الله بن زياد
واستعمله على ما كان مَرْوَانَ قد استعمله عليه ، فكان من أخبار
ابن زياد في مسيره وحروبه ومقتله ما قدَّمناه في أخبار عبد الله
ابن الزبير ، فلا حاجة لنا إلى إعادته ههنا ، فلنذكر من أخبار عَبْدِ الْمَلِكِ
غير ما قدَّمنا ذكره :

في سنة ست وستين أرسل عَبْدُ اللَّهِ بن عباس ابْنَهُ (١) عَلِيَّ
ابن عَبْدِ اللَّهِ إلى عَبْدِ الْمَلِكِ ، وقال : لَأَنْ يَرُبِّيَ بَنُو عَمِّي أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ
يَرُبِّيَ (٢) رَجُلٌ مِنْ بَنِي أَسَدٍ - يَعْنِي بَنِي عَمِّ بَنِي أُمَيَّةَ ، لِأَنَّكُمْ كَلِمَةُ
أَوْلَادِ عَبْدِ مَنْفٍ ، وَيَعْنِي بِالرَّجُلِ مِنْ بَنِي أَسَدِ عَبْدِ اللَّهِ بن الزُّبَيْرِ .
فلما وصل إلى عبد الملك سأله عن اسمه وكنيته ، فقال : الاسم عليّ ،
والكنية أبو الحسن . فقال عبد الملك : لا يجتمع هذا الاسم وهذه
الكنية في عَسْكَرِي أَنْتَ أَبُو مُحَمَّدٍ .

(١) في الكامل : ابن .

(٢) ربه يربه ، أي كان له ربا (النهاية) .

ذكر مقتل عمرو بن سعيد الأشدق

وشىء من أخباره [ونسبه] (١)

هو عمرو بن سعيد بن العاص بن أمية (٢) بن عبد شمس ابن عبد مناف، ويسمى عمرو اللطيم ليل كان في فيه (٣)، فمن أجل ذلك قيل له لطيم الشيطان، ويسمى الأشدق لتشادقه في الكلام، وكان من فصحاء قريش وأهل الخطابة منهم. وقيل في تسميته الأشدق: إنه لما مات سعيد والده دخل عمرو على معاوية فاستنطقه، فقال: إن أول مركب صعب. فقال له معاوية: إلى من أوصى بك أبوك؟ فقال: إن أبى أوصانى ولم يوص بى. قال: فبأى شىء أوصاك؟ قال: ألا يفقد منه أصحابه غير شخصه. فقال معاوية: إن عمراً هذا لأشدق.

ولنذكر سبب مقتله ثم نذكر نبذة من أخبار آبائه:

كان سبب مقتله أن عبد الملك بن مروان سار في سنة تسع وستين من دمشق يريد قرقيسياء، يريد زفر بن الحارث الكلابى، وصحبه عمرو بن سعيد في سيره، فلما بلغ بطنان (٤) حبيب رجع عمرو ليلاً ومعه حميد بن حريث وزهير بن الأبرد الكلبىان، فأتى دمشق وعليها عبد الرحمن ابن أم الحكم الثقفى خليفة عبد الملك بها، فهرب

(١) من ك وحدها. وانظر العقد (٤-٤٠٧).

(٢) فى الكامل: أبوه. (٣) فى الكامل: ليل كان فى وجهه.

(٤) بطنان - بالضم، ثم السكون، ونونان بينهما ألف: اسم واد بين منبج

وحلب (المراصد).

عنها ودخلها عمرو ، فغلب عليها وعلى خزائنها ، وهدم دار ابن أم الحكم ، واجتمع الناس إليه ، فخطبهم ومناهم ووعدهم ، وأصبح عَبْدُ الْمَلِكِ وقد فقد عَمْرًا ، فسأل عنه فأخبر برجوعه ، فرجع إلى دمشق ، فقاتله أيامًا ، ثم اصطلحا ، وكتب بينهما كتابا ، وأمنه عَبْدُ الْمَلِكِ ، فجاءه عَمْرُو واجتمعا ، ودخل عَبْدُ الْمَلِكِ دِمَشْقَ .

فلما كان بعد دخوله بأربعة أيام أرسل إلى عَمْرُو يَسْتَنْدِئِهِ ، فأتاه الرسولُ وعنده عبيد الله بن يزيد بن معاوية ، فنهاه أَنْ يَأْتِيَهُ ، فقال عمرو : ولم ؟ قال : لِأَنَّ تَبِيْعَ (١) ابن امرأة كَعْبِ الْأَحْبَارِ قال : إن عظيمًا من ولد إسماعيل يرجع فيُعْلِقُ أبوابَ دمشق ، ثم يخرج منها ، فلا يلبث أن يُسَقْتَلُ . فقال عمرو : والله لو كنتُ نائمًا ما أنبئتهنَّي ابنُ الزرقاء ولا اجترأ عليّ ، مع أني رأيت البارحة عُثْمَانَ في المنام ، فألبسني قميصه .

ثم قام فلبس درعًا وغطاها بالقباء (٢) ، وتقلد سيفًا ، وذلك بعد أن صرف رسولَ عبد الملك ، فلما نهض عشر باليساط ، فقال له حميد ابن حُرَيْث : والله لو أظعننني لم تأتبه ، وقالت له امرأته الكلبيّة كذلك ، فلم يلتفت ، ومضى في مائة من مواليه .

فلما بلغ بابَ عبد الملك أذن له فدخل فلم يزل أصحابه يُحْبَسُونَ عند كل بابٍ حتى بلغ قاعةَ الدارِ ، وليس معه إلا وصيف واحد ، فنظر عَمْرُو إلى عبد الملك وإذا حوله بنو مروان ، وحسان بن بخدل الكلبي ، وقبيصة بن ذؤيب الخزاعي ، ، فلما رأى جماعتهم أحسن

(١) الضبط من الطبري ، والقاموس .

(٢) القباء : من الثياب .

بالشر ، فالتفت إلى وصيفه ، وقال له : انطلق إلى أخى يحيى ، وقل له
يأتينى ، فلم يفهم الوصيف عنه ، فقال : ليبيك ! فقال عمرو :
اغرب في حرق الله وناره (١) ، وأذن عبدُ الملك لحسان وقبيصة فقلما ،
فلقيا عمرًا ، فقال عمرو لقبيصة : انطلق إلى يحيى فمُرّه أن يأتينى ،
فقال : ليبيك ! فقال : اغرب [عنى] (٢) .

فلما خرج حسان وقبيصة أغلقت الأبواب ، ودخل عمرو فرحب
به عبدُ الملك ، وقال : ههنا يا أبا أمية ! فأجلسه معه على السرير ،
وحدثه طويلا ، ثم قال : يا غلام ، خذ السيفَ عنه . فقال عمرو :
إنّا لله يا أميرَ المؤمنين ! فقال عبدُ الملك : أتطمع أن تجلسَ معى
متقلدا سيفك ؟ فأخذَ السيفُ عنه ، ثم تحدثا ، ثم قال له
عبد الملك : يا أبا أمية ، إنك حيثُ خلعتنى آليتُ بيمين إن أنا ملأتُ
عينى منك وأنا مالكُ لك أن أجعلك فى جامعة (٣) ، فقال له
بنو مروان : ثم تطلقه يا أميرَ المؤمنين ؟ قال : نعم ، وما عسيت
أن أصنع بأبى أمية ! فقال بنو مروان : أبرّ قسمَ أمير المؤمنين .
فقال [عمرو] (٤) : قد أبرّ الله قسمك يا أمير المؤمنين . فأخرج
من تحت فراشه جامعةً ، ثم قال : يا غلام ، قم فاجمهه فيها .
فجمعه الغلام فيها ، فقال عمرو : أذكرك الله يا أمير المؤمنين أن
تُخرجنى فيها على رعوس الناس ، فقال عبد الملك : أمكراً
وأنت فى الحديد إلا ، والله ما كنّا لنُخرجك فى جامعة على رعوس الناس ،

(١) فى الكامل : اغرب عنى فى حرق الله وناره .

(٢) ساقط فى الكامل .

(٣) فى الطبرى : أجمعك . والجامعة : الغل يوضع فى العنق أو اليد .

(٤) من الكامل .

ثم جذبته جذبَةً أصاب فمه السريرُ فكسر ثنيتيه ، فقال : أذكرك الله يا أمير المؤمنين ، كَسِرَ عَظْمَ سِنِي (١) ، فلا تركب ما هو أعظم من ذلك . فقال : والله لو أعلم أنك تُبقِي [على] (٢) ، إن أبقيتُ عليك لأَطلَقْتُكَ ، ولكن ما اجتمع رجلان قطّ في بلدة على ما نَحْنُ عليه إلا أخرج أحدهما صاحبه ، وأذن المؤذّن ، وأقيمت صلاةُ العصر ، فخرج عَبْدُ الْمَلِكِ يُصَلِّي بالناس ، وأمر أخاه عَبْدَ الْعَزِيزِ أَنْ يَقْتُلَهُ ، فقام إليه بالسيف ، فقال له عمرو : أذكرك الله والرَّحِمَ أَنْ تَلِي قَتْلِي ، لِيَقْتُلَنِي مَنْ هُوَ أَبَعَدَ رَحِمًا مِنْكَ ؛ فَألقى عبد العزيز السيفَ ، وجلس . وصَلَّى عَبْدُ الْمَلِكِ صلاةً خفيفةً ، ودخل وغلقت الأبواب ، ورأى الناسُ عَبْدَ الْمَلِكِ خَرَجَ وَتَأَخَّرَ عَمْرُو ، فذكروا ذلك لأخيه يحيى بن سعيد ، فأقبل في الناس ومعه ألف عبدٍ لعمرو ، وخلق كثير ، فجعلوا يصيحون بباب عبد الملك : أَسْمِعْنَا صَوْتَكَ يَا أَبَا أُمَيَّةَ ! وأقبل مع يحيى حميد بن حُرَيْثٍ وزهير بن الأبرد ، فكسروا باب المقصورة ، وضربوا الناس بالسيف وضرب الوليد بن عبد الملك على رأسه ، واحتمله إبراهيم بن عربي صاحب الديوان ، فأدخله بيت القراطيس ، ودخل عبد الملك حين صَلَّى فرأى عمرًا بالحياة (٣) ، فسب أخاه عبد العزيز ، ثم أخذ عَبْدُ الْمَلِكِ الحربة فطعن بها عمرًا ، فلم تُغزِ شيئًا ، ثم ثنى فلم تجز ، فضرب بيده إلى عَضُدِهِ فرأى الدَّرْعَ ، قال : ودارعٌ أيضًا ! إن كنت لمُعِدًّا ، وأخذ الصمصامة (٤)

(١) في الكامل ، والطبرى ، د : منى : وفي العقد (٤-٤٨٠) : لا عليك يا أمير المؤمنين عظم انكسر .

(٢) من الطبرى ، والكامل .

(٣) في الطبرى : حيا .

(٤) الصمصامة : السيف .

وأمر بعمرو فُصِرِع ، وجلس على صدره فذبَّحه ، وهو يقول (١) :
يا عمرو إلا تدعُ شَتْمِي ومنقَصَتِي
أضربك حيثُ تقول الهامةُ اسقُوني
وانتفض عبد الملك برِغْدَةٍ (٢) ، فحُمِلَ عن صدره ، ووُضِعَ
على سريرِه .

ودخل يحيى بن سعيد ومن معه على بنى مروان ومواليهم ، فقاتلوهم ،
وجاء عبْدُ الرحمن ابن أمِّ الحكم النقفى ، فدَفَعَ إليه الرأسَ فألقاه
إلى الناس ، وقام عبْدُ العزيز بن مروان ، فأخذ المالَ فى البِدَر ، فجعل
يلقيها إلى الناس ، فلما رأى الناسُ الرأسَ والأموالَ انتهبوا وتفرَّقوا .
ثم أمر عبْدُ الملك بعْد ذلك بتلك الأموال فجُيِّبَت حتى عادت
إلى بيتِ المال .

قال : وأخرج عبْدُ الملك سريرَه إلى المسجد ، وخرج ،
فجلس عليه ، وفقد الوليد ابنه ، فقال : والله ، لئن كانوا قتلوه لقد
أدركوا ثأرهم ، فأتاه إبراهيم بن عربى الكنانى ، فقال : الوليد عندى وقد
جُرح ، وليس عليه بأس .

وأتى عبْدُ الملك بيحيى بن سعيد فأمر أن يُقتل ؛ فقام إليه عبد العزيز
ابن مروان فقال : يا أير المؤمنين ، أترأى قاتل بنى أمية فى يوم واحد ،
فأمر بيحيى فحُيِس ، وأراد قتلَ عَنبَسَه بن سعيد ، فشفع فيه
عبْدُ العزيز أيضا ، وشفع فى عامر بن الأسود الكلبي ، وأمر ببنى
عَمْرُو بن سعيد فحُيِسوا ؛ ثم خرجوا مع عَمَّهم يحيى ،
فألحقهم بمصعب . ثم بعث عبْدُ الملك إلى امرأةِ عمرو الكلبية :

(١) البيت لذى الأصبع ، وهو فى اللسان - هوم .

(٢) فى الطبرى ، والكامل : رعدة .

ابغى إلى^(١) الصُّلْحَ الذى كَتَبْتُ لعمرو . فقالت لرسوله : ارجعْ إليه فَأَعْلَمَهُ أَنَّ ذَلكَ الصُّلْحَ معه فى أَكْفَانِهِ لِيُخَاصِمَكَ بِهِ عِنْدَ رَبِّهِ . قال : ولما قَتَلَ عَبْدُ المَلِكِ مُضْعَبَ بنِ الزُّبَيْرِ دَخَلَ أولادُ عمرو عليه وهم أربعة : أمية ، وسعيد ، وإسماعيل ، ومحمد ؛ فلما نظر إليهم [عبد الملك]^(٢) قال : إنكم أهل بيت لم تزالوا ترون لكم على جميع قومكم فَضْلاً لم يجعله اللهُ لكم ، وإن الذى كان بينى وبين أبيكم لم يكن حديثاً ، بل كان قديماً فى أنفس أوليكم^(٣) على أوليائنا فى الجاهلية .

فلم يقدر أمية أن يتكلم . وكان الأكبر من أولاد عمرو ، فقام سعيد بن عمرو [وكان الأوسط]^(٤) فقال : : يا أمير المؤمنين ، ما تمنى^(٥) علينا أمرافى الجاهلية ، وقد جاء اللهُ بالإسلام فهدم ذلك ، ووعد جنةً ، وحذر ناراً ، وأما الذى كان بينك وبين عمرو فإنه كان ابن عمك وأنت أعلم وما^(٦) صنعت . وقد وصل عمرو إلى الله ، وكفى بالله حسيباً ؛ ولعمري لئن أخذتنا بما كان بينك وبينه لبطن الأرض خير لنا من ظهرها ، فرق لهم عبدُ الملك وقال : إن أباكم خيرنى بين أن يقتلنى أو أقتله ، فاخترتُ قتلَه على قتلنى ، وأما أنتم فما أرغبتى فيكم وأوصلنى لقربابتكم ، وأحسنَ جائزَتهم ووصلهم وقربهم .

(١) فى الطبرى : ابغى إلى بالصلح الذى كنت كتبه . وفى الكامل : ابغى

إلى كتاب الصلح ...

(٢) من الطبرى .

(٣) فى الكامل : أنفس أوليائكم على أوليائنا .

(٤) من الطبرى .

(٥) فى الكامل ، د : ما تمنى .

(٦) فى الكامل : بما صنعت .

وقد قيل فى سبب قتله : إنه قال لعبد الملك حين سار إلى العراق لقتال مُضعب : إنك تخرجُ إلى العراق ، وقد كان أبوك جعل لى الأمر بعده ، وعلى ذلك قاتلتُ معه ، فاجعل هذا الأمر لى بعدك ، فلم يُجِبْهُ عَبْدُ الْمَلِكِ إلى ذلك ، فرجع إلى دمشق ، وكان من أمره ما تقدّم .

وقيل : بل كان عَبْدُ الْمَلِكِ قد استخلفه على دِمَشق ، فوثب بها .

وقيل : إنَّ عَبْدَ الْمَلِكِ لم يقتلَ عمرو بن سعيد بيده ، وإنما أمر غلامه ابن الرُّعَيْزِعة ، فقتله وألقى رأسه إلى الناس ورمى يحيى بصخرة فى رأسه ، وكان مقتله فى سنة [٥٦٩هـ] تسع وستين . وقيل : فى سنة سبعين . والله أعلم .

ذكر نبذة من أخبار عمرو بن سعيد الأشدق

فى الإسلام والجاهلية

كان مولد سعيد بن العاص والد عمرو عام الهجرة . وقيل : سنة إحدى . وقُتِلَ جَدُّهُ العاصُ بنُ سعيد يوم بدرٍ كافراً ، قتله على ابنُ أبى طالب رضى الله عنه ، وكان لجدِّ أبيه سعيد بن العاص ابن أمية ثمانية بنين ، منهم ثلاثة ماتوا على الكُفْرِ ، وهم : أحيحة ، وبه كان يُكنى سعيد بن العاص ، وقتل أحيحة يوم الفِجَارِ . والعاص ، وعبيدة قتيلاً يوم بدرٍ كافرين ، قتل العاص على ، وقتل عبيدة الزبير ، وخمسة أدركوا الإسلام ، وصحبوا رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، وهم : خالد ، وعمرو ، وسعيد ، وأبان ، والحكم بنو سعيد ابن العاص بن أمية ، وغير رسولِ الله صلى الله عليه وسلم اسم (١) الحكم ، فسماه عبد الله . وجدُّ هؤلاء العاص بن أمية ذو العصابة ؛ قيل له ذلك ،

لأنه كان من شرفه إذا اعتمَّ بعمامة بمكة لا يعتمُّ (١) أحدٌ بلوثها
إجلالا له ، وكان يكنى بأبي أحيحة ، وفي ذلك يقول الشاعر :

أبو أحيحة من يعتمُّ عتمُّه يضرب ولو كان ذا مالٍ وذا حسبٍ

وكان سعيد بن العاص والد عمرو بن أشراف قريش ممن جمع
له السخاء والفصاحة ، وهو أحد الذين كتبوا المصحف لعثمان بن عفان
رضي الله عنه ، واستعمله عثمان على الكوفة ، وغزاً بالناس طبرته متان (٢)
فافتتحها . ويقال : إنه افتتح أيضا جرجان في سنة [٥٢٩] تسع
وعشرين أو سنة ثلاثين ، وغزا أذربيجان (٣) لما انتقضت فافتتحها ، ثم
عزله عثمان ، واستعمل الوليد ، فمكث مدة ، ثم شكاه أهل الكوفة ،
فغزله ، وردَّ سعيداً ، فردَّه أهل الكوفة ، وكتبوا إلى عثمان : لاجحة لنا
في سعيدك ولا وليدك ، وكان في سعيد تجبرٌ وغلظٌ وشدةٌ سلطان .
ولما قُتِل عثمان بن عفان كان سعيد والد عمرو ممن لزم بيته ،
واعتزل حرب الجمل وصيفين ، فلما اجتمع الناس على معاوية ولأه
المدينة ، ثم عزله وولَّاها مروان بن الحكم ، وكان يعاقبُ بينه وبين
مروان في ولاية المدينة ، وفيه يقول الفرزدق (٤) :

(١) في ك : لا يقيم - تحريف .

(٢) بفتح أوله وثانيه ، وكسر الراء وسكون السين المهملة (المراصد) :

وفي معجم ما استعجم : وإسكان الراء المهملة وفتح السين المهملة : وهي بلاد

واسعة ومدن كثيرة من الرى .

(٣) بالفتح ثم السكون ، وفتح الراء وكسر الباء الموحدة ، وياء ساكنة

وألف ونون ، وفتح قوم الذال وكسروا الراء . ومد آخرون مع ذلك الهمزة

(المراصد) ، وهي كورة تلى الجبل من بلاد العراق (البكرى) .

(٤) ديوانه : ١٠٠ -

قَرَى الْفُرَّ (١) الْجَحَاجِحَ مِنْ قُرَيْشٍ
 إِذَا مَا الْمَرَّةُ فِي الْحَدَثَانِ غَالَا
 قِيَامًا يَنْظُرُونَ إِلَى سَعِيدٍ
 كَانَهُمْ يَرَوْنَ بِهِ هِـلَالًا

وحكى الزبيد بن بكار قال (٢) : لما عُزل سَعِيدٌ عن المدينة
 انصرف عن المسجد وَحَدَهُ ، فتبعه رجلٌ ، فنظر إليه سَعِيدٌ رضى الله
 عنه ، وقال : أَلَيْكَ حَاجَةٌ ! قال : لا ، ولكنى رأيتك وَحَدَكَ ، فوصلتُ
 جَنَاحَكَ . فقال له : وصلتك الله يا ابنَ أَخِي ، اطلُبْ لى دَوَاةً وَجِلْدًا ،
 واذعُ لى مولاي فَلَانَا ، فَأَتَاهُ بِذَلِكَ ، فكتب له بعشرين ألف درهم ،
 وقال : إِذَا جَاءتْ غَلَّتْنَا دَفَعْنَا ذَلِكَ إِلَيْكَ ، فمات فى تلك السنة ،
 فَأَتَى بِالْكِتَابِ إِلَى ابْنِهِ عَمْرُو ، فَأَعْطَاهُ الْمَالَ .

وكان لسعيد بن العاص سبعة بنين ، وهم : عمرو هذا ،
 ومحمد ، وعبد الله ، ويحيى ، وعثمان ، وعنْبَسَةُ ، وأبان .
 وكانت وفاة سَعِيدٍ فى سنة [٥٩ هـ] تسع وخمسين . ولنرجع
 إلى أخبار عبد الملك :

ذكر عصيان الجراجمة بالشام

وما كان من أمرهم

هذه الحادثة ذكرها ابن الأثير (٣) فى سنة [٥٦٩ هـ] تسع وستين ،
 فقال : لما امتنع عمرو بن سعيد على عبد الملك خرج قائدٌ من قوادِ

(١) فى الديوان : الشم .

(٢) الأغاني : ١-٣٢ ، وقصص العرب : ١-١٩٩ .

(٣) صفحة ٤٠٠ ، جزء ثالث .

الضواحي في جبل اللكام^(١) وأتبعه خلقٌ كثير من الجراجمة^(٢) والأنباط ، وأباق عبيد المسلمين ، وغيرهم ، وسار إلى لُبْنان ، فلما فرغ عبدُ الملك من حمرو أرسل إلى هذا الخارج عليه ، فبذل له في جمعة ألف دينار ، فركنَ إلى ذلك ، ولم يُفْسِدْ في البلاد ، ثم وضع عليه عبدُ الملك سُحيم بن المُهاجر ، فتلطف حتى وصل إليه متنكراً ، وأظهر الميلَ إليه ، ووعدَه أن يَدُلَّه على عوراتِ عبد الملك ، وما هو خيرٌ له من الصلح ؛ فوثق به ؛ ثم أتاه سُحيم في جيشٍ من موالى عبد الملك وبنى أمية وجند من ثقات جنده والخارج ومن معه على غير أهبة ، فدهمهم^(٣) ، وأمر فنودي : مَنْ أتانا من العبيد [يعنى الذين كانوا معه]^(٤) فهو حرٌّ ، وثبت في الديوان ؛ فالتحق به خلقٌ كثيرٌ منهم ، وقاتلوا معه ، فقتلَ الخارجُ ومن أعانه من الروم ، وقتل نَفَرٌ من الجراجمة والأنباط ، ونادى بالأمان فيمن بقى منهم فتنفروا ، وعاد إلى عبد الملك ووفى للعبيد .

وفي سنة تسع اجتمعت الرومُ واستجاشوا^(٥) على من بالشام ، فصالح عبدُ الملك ملكهم على أن يؤدى إليه في كل جمعة ألف دينار . وفيها كان يوم الجُمرة وقد تقدم ذكره^(٦) في أخبار ابن الزبير رضى الله عنه .

(١) اللكام : بالضم والتشديد . ويروى بالتخفيف ، وهو الجبل المشرف على أنطاكية والمصيصة وطرسوس (المراصد) .

(٢) الجراجمة : قوم من عجم الجزيرة ، أو نبط الشام . (القاموس) .

(٣) الفعل مثل سمع ومنع (القاموس) .

(٤) من الكامل .

(٥) استجاش عليهم : طلب لهم الجيش ، وجمعه عليهم (اللسان - جيش) .

(٦) تقدم صفحة ٧٧

ذكر خبر عمير بن الحباب بن جعدة السلمى

وما كان بين قَيْسٍ وتغلب من الحروب إلى أن قُتِلَ عُمَيْرُ
ابن الحُبَابِ وما كان بعد ذلك .

كان مَقْتَلُ عُمَيْرِ بن الحُبَابِ فى سنة [٨٧٠] سبعمين ، وكان سبب ذلك أن عُمَيْرَ بن الحُبَابِ لما انقضى مَرَجُ رَاهِطِ التَّحِقِ بَزُفَرِ بن الحارث الكِلَابِيِّ بقرْقِيسِيا ، ثم بايع مَرَوَانَ وفى نفسه ما فيها بسبب قتل قَيْسٍ بِالْمَرَجِ (١) ، فلما سار عُبَيْدُ اللَّهِ بن زياد إلى الموصِلِ كان معه ، وقد ذكرنا اتفاقه مع إبراهيم بن الأَشْترِ وانهزامه ، حتى قُتِلَ عُبَيْدُ اللَّهِ [بن زياد] (٢) ، وانهزمت جيوشُ الشَّامِ ، فلما كان ذلك أتى عُمَيْرُ ابن الحُبَابِ بقرْقِيسِيا ، وصار مع زُفَرِ بن الحارثِ ، فجعلوا يَطْلُبَانِ كَلْبًا واليانيةَ بَمَنْ قُتِلُوا مِنْ قَيْسٍ ، وكان معهما قومٌ من تَغْلِبَ يقاتلون معهما ، ويدلُونهما ، وشُغِلَ عبد الملك عنهما بمُضْعَبِ ، وتغلب عُمَيْرُ على نَصِيبِينَ (٣) ، ثم ملَّ المقام بقرْقِيسِيا ، فاستأمن إلى عبد الملك ، فأمنه ، ثم غدَرَ به فحبسه عند مَوْلَاهُ الرِّيانِ ، فسقاه عُمَيْرُ وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الحَرِيرِ خمرًا حتى أسكرهم ، وتسَلَّقَ فى سُلَّمٍ مِنَ الجِبَالِ ، وخرج من الحبس ، وعاد إلى الجزيرة ، ونزل على نَهْرِ البَلْبَلِيخِ (٤) بين حَرَّانَ والرِّقَّةِ ، فاجتمعت إليه قَيْسٌ ، فكان يُغَيِّرُ بهم (٥) على كَلْبِ واليانية ، وكان مَنُ مَعَهُ يُسَيِّئُونَ (٦) جِوَارَ تَغْلِبِ ، ويستخرون

(١) مرج راهط ، كما تقدم . (٢) من الكامل .

(٣) بالفتح ، ثم الكسر ، ثم ياء (المرصد) .

(٤) اسم نهر بالريقة (ياقوت) . (٥) فى د : يغيرهم .

(٦) فى د : بسيف - تحريف .

مشايخهم من النصارى ، فهاج ذلك بينهم شراً ، إلا أنه لم يبلغ الحرب . ثم إن عميراً أغار على كلب ، ورجع فنزل على الخابور ، وكانت منازل تغلب بين الخابور والفُرات ودجلة ، وكانت بحيث نزل عمير - امرأة من تميم ناكحٌ في تغلب ، يقال لها أم ذويل ^(١) ، فأخذ غلامٌ من بنى الحريش أصحاب عمير عنزاً من عنمها ، فشكت ذلك إلى عمير ، فلم يمنع عنها ، فأخذوا الباقي ، فمانعهم قومٌ من تغلب ، فقتل منهم رجلٌ يقال له مجاشع التغلبي ، وجاء ذويل فشكت أمه إليه ، وكان من قرمان تغلب ، فسار في قومه وجعل يذكُرهم ما يصنع بهم قيس ، فاجتمع منهم جماعةٌ وأمروا عليهم شعيب ^(٢) ابن مليل التغلبي ، فأغاروا على بنى الحريش ومعهم قومٌ من نَمير ، فقتل فيهم التغلبيون واستاقوا ذوداً لامرأة منهم يقال لها أم الهيثم ، فمانعهم القيسيون ، فلم يقدرُوا على منعهم ، فكان بينهم أيامٌ ^(٣) مذكرة نحن نذكرها على سبيل الاختصار ؛ منها :

يوم ماكسين ^(٤) :

قال : ولما استحكَم الشرُّ بين قيس وتغلب ؛ وعلى قيس عمير ، وعلى تغلب شعيب ^(٢) بن مليل غزا عمير بنى تغلب وجماعتهم بماكسين من الخابور فاقتتلوا قتالاً شديداً ، وهى أول وقعة كانت بينهم ، فقتل من بنى تغلب خمسمائة وقتل شعيب ، وكانت رجله قد قطعت ، فجعل يقاتل حتى قُتل ، وهو يقول :

(١) بالدال المهملة فى الكامل .

(٢) فى الكامل : شعيب بن ملك . والمثبت فى معجم ما استعجم .

(٣) فى الكامل : أياما .

(٤) ماكسين - بكسر الكاف : بلد بالخابور (المراصد) ، وفى البكرى :

بفتح الكاف وكسر السين المهمة بعدها ياء ونون : قرية لبنى تغلب على شاطئ الفرات .

قد علمت قيس ونحن نعلم أن الفتى يَقْتُلُ وهو أجذم
ويوم الثَّرَثَارِ الأول :

والثَّرَثَارِ^(١) نهر أصل مَنبَعُه شرقى مدينة سِنَجَارِ يفرغ فى دجلة .
قال : لما قُتِلَ من تَغْلِبِ بِمَا كَسِبِينَ مِنْ قُتِيلِ اسْتَمَدَّتْ تَغْلِبُ وَحَسَدَتْ
واجتمعت إليها الثَّمَرُ بن قاسط ، وأتاهَا المَجَشَّرُ^(٢)
ابن الحارث الشيبانى . وكان من ساداتهم بالجزيرة ، وأتاهَا عُبَيْدُ الله
ابن زيَاد بن ظبيان مُنْجِدًا لَهُمْ ، واستنجد عُمَيْرُ تَمِيمًا وَأَسَدًا فلم يُنْجِدْهُ
منهم أحد ، فالتقوا على الثَّرَثَارِ ، وقد جعلت تَغْلِبُ عليها بعد شُعَيْثِ
زياد بن هُوَيْرِ^(٣) ، ويقال يزيد بن هُوَيْرِ التغلبى ، فاقتتلوا ،
فانهزمت قيس ، وَقَتَلَتْ تَغْلِبُ منها مقتلة عظيمة ، وبقروا بطون
ثلاثين امرأة من بنى سُلَيْمِ .

ويوم الثَّرَثَارِ الثانى :

قال : ثم إن قيسًا تجمعت واستمدت ، وأتاهم زفر بن الحارث
من قَرْقِيسِيَا ، فالتقوا بالثَّرَثَارِ ، واقتتلوا قتالًا شديدًا . فانهزمت تغلب
ومن معها .

ويوم الفُديين :

قال : وأغار عُمَيْرُ على الفُديين^(٤) ، وهى قَرْيَةٌ على الخابور
فَقَتَلَ مِنْهَا مِنْ بَنِي تَغْلِبِ .

(١) الثَّرَثَارِ - بفتح أوله ، وبتاء مثلثة ثانية قبل الراء ، ثم راء ثانية : ماء

معروف قبل تكريت (المراصد) . (٢) الضبط من المشتبه .

(٣) والقاموس . (٤) بالتصغير (البكرى) .

ويوم السُّكَيْرِ :

وهو على الغابور ؛ يسمى سُكَيْرٌ ^(١) العباس ؛ قال : ثم اجتمعوا
والتقوا واقتتلوا قتالاً شديداً ، فانهزمت تغلب والنمر ، وهرب عُمَيْرُ
ابن جندل ، وهو من فرسان تغلب ؛ فقال عُمَيْرُ بن الحباب :

وأفلتنا يوم السُّكَيْرِ ابن جندل على سابع عُوْج اللبانِ مثابِرِ
ونحن كررُنا الخَيْلَ قُبَاً ^(٢) ثمَوازِبا دِقَاقَ الهَوَادِي دَامِيَاتِ الدَّوَابِرِ
ويوم المَعَارِكِ :

والمعارك بين الحَضْر ^(٣) والعَمِيق من أَرْضِ الموصل ، اجتمعت
تغلب بهذا المكان فالتقوا هم وقَيْس ، واقتتلوا به ، فاشتد قتالُهُمْ ،
فانهزمت تغلب ، فيقال : إن يوم المَعَارِكِ والحَضْر واحدٌ هزموهم
إلى الحَضْر ، وَقَتَلُوا منهم بشراً كثيراً . وقيل : هما يوهان ، كانا
لِقَيْسِ على تغلب . والتقوا أيضاً بِلَبِي ^(٤) فوق تَكْرِيْتِ فنناصفوا ،
فَقَيْسُ تقولُ : كان الفضل إلى ^(٥) ، وتغلب تقول : كان لنا .
ويوم الشَّرْعِيَّةِ :

ثم التقوا بالشرعية فكانَ بينهم قتالٌ شديدٌ كان لتغلب على
قيس ، قُتِلَ يومئذٍ عمار بن المهزَم ^(٦) السلمى . والشَّرْعِيَّةُ هذه من
بلاد تَغْلِبِ ليست الشرعية التي ببلاد منبج .

(١) الضبط في المراصد .

(٢) في الكامل : قدما . والقبيب : دقة الخصر وضمور البطن ، والشازب :
الضامر اليابس (القاموس) .

(٣) والمراصد ، والبكرى .

(٤) في المراصد : بكسر أوله . وفي ياقوت ضبط بكسر اللام وتشديد الباء وقال :
صوابه أن يكتب بالياء ، وإنما كتبناه هنا بالألف على اللفظ : من أرض ، الموصل .

(٥) في الكامل : لنا . (٦) والمشته .

ويوم البليخ :

والبليخ : نهر بين حرّان والرقة اجتمعت تغلب ، وسارت إليه ، وهناك عمير فى قيس ، فالتقوا واقتتلوا فانهزمت تغلب ، وكثرت القتل فيها وبقرت بطون النساء كما فعلوا يوم الشترار . [والله علم (١)] .

ذكر يوم الحشاك (٢)

ومقتل عمير بن الحباب السلمى وابن هوبر التغلبى

قال : ولما رأت تغلب [إلحاح] (٣) عمير بن الحباب عليها جمعت حاضرها وباديها ، وساروا إلى الحشاك - وهو نهر قريب من الشرعبيّة ، فاتاهم عمير فى قيس ، ومعه زفر بن الحارث الكلابى ، وابنه الهذيل بن زفر ، وعلى تغلب ابن هوبر (٤) ، فاقتتلوا عند قل الحشاك أشد قتال حتى جن عليهم الليل ، ثم تفرقوا واقتتلوا من الغد إلى الليل ، ثم تحاجزوا وأصبحت تغلب فى اليوم الثالث ، فتعاقدوا ألا يفرّوا ، فلما رأى عمير جدّهم وأن نساءهم معهم قال لقيس : يا قوم ، أرى لكم أن تنصرفوا عن هؤلاء فإنهم مستقتلون ، فإذا اطمأنوا وساروا وجّهنا إلى كل قوم منهم من يُغير عليهم . فقال له عبد العزيز بن حاتم بن النعمان الباهلى : قتلت فرسان قيس أمس وأول أمس ، ثم ملئ سحرك وجبنت . ويقال : إن الذى قال هذه المقالة عيينة بن أسماء بن خارجة الفزارى ، وكان أناه منجداً ، فغضب عليه عمير ونزل وجعل يقاتل راجلا وهو يقول :

(١) من د .

(٢) الحشاك - بالفتح والتشديد ، وآخره كاف : واد ونهر بأرض الجزيرة كانت فيه وقعة لتغلب (المراصد) .

(٣) من الكامل . (٤) ك : هويز .

أنا عُمير وأبـو المغلس قد أحبس القوم بضنك فاحبس
 وانهزم زُفر بن الحارث في اليوم الثالث ، فلحق بقرقيسيا ، وذلك أنه بلغه
 أن عبد الملك عزم على الحركة إليه بقرقيسيا ، فبادر إليها ، وانهزمت
 قيس ، وشد على عُمير جميل بن قيس من بني كعب بن زهير
 فقتله .

ويقال : بل اجتمع على عُمير غلمان (١) من بني تغلب فرمّوه (١)
 بالحجارة وقد أعيأ حتى أثنونه ، وكر عليه ابن هوبر فقتله ، وأصاب
 ابن هوبر جراحة ، فلما انقضت الحرب أوصى بني تغلب أن يولّوا
 أمرهم مرار (٢) بن علقمة الزهيري . وقيل : إن ابن هوبر جرح
 في اليوم الثاني من أيامهم هذه ، فأوصى أن يولّوا مراراً أمرهم ، ومات
 من ليلته ، وكان مرار رئيسهم في اليوم الثالث ، فعبأهم على رياتهم ،
 وأمر كل بني أب أن يجعلوا نساءهم خلفهم ، وكان ما تقدم .

وكثر القتل يومئذ في بني سليم وغنبي خاصة ، وقتل من قيس
 أيضاً بشراً كثير ، وبعث بنو تغلب رأس عُمير إلى عبد الملك بن مروان ؛
 فأعطى الوغد ، وكساهم . فلما صالح عبد الملك زُفر بن الحارث
 اجتمع الناس عليه ، فقال الأخطل (٣) :

بني أمية قد ناضلت دونكمـو
 أبناء قوم هم آووا وهم نصـروا

(١) في الكامل : غلامان ... فرمياه .

(٢) في الكامل : مرادا .

(٣) والكامل : ٤ - ٧ .

وقيس عيلان حتى أقبلوا (١) رقصا
 فبايعوا لك قسرا بعدما قهروا
 ضجوا من الحرب إذ عصت غواربهم
 وقيس عيلان من أخلاقها الضجر (٢)

وكان مقتل عمير بن الحباب في سنة [٥٧٠هـ] سبعين [كما تقدم] (٣).

ذكر الحرب بعد مقتل عمير بن الحباب السلمى

قال : ولما قتل عمير أتى ابنه تميم زفر بن الحارث ، فسأله الطلب
 بشأره ، فامتنع فقال له ابنه الهذيل بن زفر : والله لئن ظفرت بهم
 تغلب إن ذلك لعار عليك ، ولئن ظفروا بتغلب وقد خذلتهم إن ذلك
 لأشد ، فاستخلف زفر على قرقيسية أخاه أوس بن الحارث ووجه
 زفر خيلاً إلى بنى فدوكس (٤) : وهم بطن من تغلب ، فقتل رجالهم ،
 واستبيحت الأموال [والنساء] (٣) حتى لم يبق منهم غير امرأة
 واحدة استجارت ، فأجارها يزيد بن حمران ، ووجه ابنه الهذيل
 في جيش إلى بنى كعب بن زهير ، فقتل فيهم قتلاً ذريعاً ، وبعث
 أيضاً مسلم بن ربيعة العقيلي إلى قوم من تغلب وقد اجتمعوا (٥)
 بالعقيق من أرض الموصل ، فلما أحسوا به ارتحلوا يريدون عبور
 دجلة ، فلما صاروا بالكحيل وهو من أرض الموصل في جانب دجلة

(١) في ١ : أقبلا .

(٢) في الكامل : من أخلاقها ضجروا .

(٣) في د وحدها .

(٤) والقاموس .

(٥) في الكامل : أجمعوا .

الغربي : فلهقهم زُفرين الحارث [به] ^(١) في القيسية : فاقتتلوا قتالاً شديداً ؛ وترجل أصحابُ زُفر كلُّهم ، وبقى زُفر على بغلة له فقتلوهم ليلتهم وبقروا بطون نساء منهم ، وغرق في دجلة أكثر من قُتِل بالسيف : وأتى ^(٢) فلهم لبي فوجه زُفر ابنه الهذيل فأوقع بهم إلا من عبر فنجا ، وأسر منهم زُفر مائتين فقتلهم صبراً ، فقال في ذلك زُفر ^(٣) :
 ألا يا عين بكي بانسكاب وبكى عاصما وابن الحباب
 فإن تك تغلب قتلت عميراً ورهطا من غنى في الحراب
 فقد أفتى بني جشم بن بكر ونمرهم ^(٤) فوارس من كلاب
 قتلنا منهم مائتين صبيراً ومعدلوا عمير بن الحباب
 وأسر القطامي التغلبي في يوم من أيامهم ، وأخذ ماله ، فقام زُفر بأمره حتى ردَّ عليه ماله ووصله ، فقال فيه ^(٥) :

إني وإن كان قومي ليس بينهمو وبين قومك إلا ضربة الهادي
 مثنى عليك بما أوليت من حسن وقد تعرض مني مقتل بادي

ذكر خبر يوم البشر ^(٥)

كان سبب هذا اليوم أن عبد الملك لما استقر له الأمر قدم عليه الأخطل الشاعر التغلبي وعنده الجحاف بن حكيم السلمي ، فقال له عبد الملك : أتعرف هذا يا أخطل ؟ قال : نعم ، هذا الذي أقول فيه ^(٦) :

- (١) زيادة من الكامل .
 (٢) والكامل : ٤ - ٨ .
 (٣) يريد النمر بن قاسط ، وهي قبيلة ، وسكن لضرورة الشعر .
 (٤) البشر - بكسر أوله ثم السكون : اسم جبل . قال البكري : وسى البشر برجل من النمر بن قاسط كان يخفر السابلة يسمى بشرا .
 (٥) والشعر والشعراء : ٤٥٧ .

أَلَا سَائِلِ الْجَحَافِ هَلْ هُوَ نَائِسٌ بِقَتْلِ أُصَيْبَتٍ مِنْ سُلَيْمٍ وَعَامِرٍ
وَأَنْشُدِ الْقَصِيدَةَ حَتَّى فَرَّغَ مِنْهَا ، وَكَانَ الْجَحَافُ يَأْكُلُ رَطْبًا فَجَعَلَ
النَّوَى يَتَسَاقَطُ مِنْ يَدِهِ غَيْظًا ، ثُمَّ أَجَابَهُ فَقَالَ :

بَلَى سَوْفَ تَبْكِيهِمْ بِكُلِّ مُهْنَدٍ وَتَنْعَى عُمَيْرًا بِالرَّمَاكِ الشُّوَاجِرِ
ثُمَّ قَالَ يَا ابْنَ النُّصْرَانِيَّةِ ؛ مَا كُنْتُ أَظُنُّ أَنْ تَجْتَرَى عَلَى بَمَثَلِ
هَذَا . فَأَرْعُدْ مِنْ خَوْفِهِ ، ثُمَّ قَامَ إِلَى عَبْدِ الْمَلِكِ فَأَمْسَكَ ذَيْلَهُ ، وَقَالَ :
هَذَا مَقَامُ الْعَائِذِ بِكَ . فَقَالَ : أَنَا لَكَ ، ثُمَّ قَامَ الْجَحَافُ فَمَشَى وَهُوَ
يَجْرُ ثَوْبَهُ ، وَلَا يَمْعَلُ ، فَتَلَطَّفَ لِبَعْضِ كُتَّابِ الدِّيْوَانِ حَتَّى اخْتَلَقَ لَهُ
عَهْدًا عَلَى صَدَقَاتٍ تَغْلِبُ وَبَكَرَ بِالْجَزِيرَةِ ، وَقَالَ لِأَصْحَابِهِ : إِنْ أَمِيرٌ
أَوْ مَنِينٌ وَلَأَنى هَذِهِ الصَّدَقَاتِ ، فَمَنْ أَرَادَ اللَّحَاقَ بى فَلْيَفْعَلْ .

ثُمَّ سَارَ حَتَّى أَتَى رُصَافَةَ هِشَامٍ ، فَأَعْلَمَ أَصْحَابَهُ مَا كَانَ مِنَ الْأَخْطَلِ
إِلَيْهِ ، وَأَنَّهُ افْتَعَلَ كِتَابًا وَأَنَّهُ لَيْسَ لَهُ بِيَوَالٍ ، فَمَنْ كَانَ يَحِبُّ أَنْ
يَغْيَسِلَ عَنِ الْعَارِ وَعَنْ نَفْسِهِ فَلْيَضْحَكُنِي ، فَإِنِ أَقْسَمْتُ أَلَّا أُغْسِلَ
رَأْسِي حَتَّى أَوْقَعَ بِنِي تَغْلِبَ . فَرَجَعُوا عَنْهُ غَيْرَ ثَلَاثِمِائَةٍ قَالُوا : نَمُوتُ
لِمَوْتِكَ وَنَحْيَا لِحَيَاتِكَ ، فَسَارَ لَيْلَتَهُ حَتَّى أَصْبَحَ بِالرُّحُوبِ (١) ،
وَهُوَ مَاءُ لَبْنِي جُثْمٍ (٢) بِنِ بَكْرِ بْنِ تَغْلِبَ ، فَصَادَفَ عَلَيْهِ جَمَاعَةٌ
عَظِيمَةٌ مِنْهُمْ ، فَقَتَلَتْ مِنْهُمْ مَقْتَلَةً عَظِيمَةً ، وَأَسْرَ الْأَخْطَلُ وَعَلَيْهِ عِبَادَةٌ
وَسَخَةٌ ، وَظَنَّ الَّذِى أَسْرَهُ أَنَّهُ عَبْدٌ ، فَسَأَلَهُ عَنْ نَفْسِهِ ، فَقَالَ :
عَبْدٌ . فَأَطْلَقَهُ فَرَمَى بِنَفْسِهِ فِي جُوبٍ ، مَخَافَةً أَنْ يَرَاهُ مِنْ يَعْرِفُهُ فَيَقْتُلَهُ ،

(١) الرحوب - بفتح أوله ، على بناء فاعول: موضع قريب من البشر
من عمل الجزيرة (باقوت) .
(٢) المراد .

وأسرف الجحاف في القتل ، وبقّر البطونَ عن الأجنّة ؛ وفعل أمراً عظيماً ، فلما عاد عنهم قدم الأخطل على عبد الملك فأنشده (١) :

لقد أوقع الجحاف بالبشر وقعةً إلى الله منها المشتكى والمعول
فطلب عبد الملك الجحاف فهرب إلى الروم ، فكان يترددُ فيها ،
ثم بعث إلى بطانة عبد الملك من قيس ، فطلبوا له الأمان ، فأمنه
عبد الملك ، فلما جاء أئزّمه ديات من قتل ، وأخذ منه الكفلاء ،
فسعى فيها حتى جمعها وأعطاهما ، ثم تنسك الجحاف بغد ، وصلح ،
ومضى حاجاً فتعلقَ بأستار الكعبة ، وجعل يقول : اللهم اغفر لي ،
وما أظنك تفعل ! فسمعه محمد ابنُ الحنفية ، فقال : يا شيخ ، فَنُوطُك
سُرٌّ من ذنبك .

وقيل : كان سبب عود الجحاف أن ملك الروم أكرمه وقرّبه
وعرض عليه النصرانية ، ويعطيه ما شاء ، فامتنع ، وقال : ما أتيتك
غبةً عن الإسلام .

ثم هزم الجحاف صائفة المسلمين ، فأخبروا عبد الملك أن الذي
هزمهم الجحاف ، فأرسل إليه عبد الملك ، فأمنه ، فسار في بلاد الروم ،
وقصد البشر وبه حتى من تغلب وقد لبس أكفانه ، وقال : قد جئتُ
إليكُم أعطى القود من نفسي ، فأراد شبابُهم قتله ، فنهاهم شيوخُهم ،
وعفوا عنه ، فحجج ، فسمعه عبدُ الله بن عمر وهو يطوف ويقول :
اللهم اغفر لي وما أظنك تفعل ! فقال ابن عمر رضی الله عنهما :
لو كنت الجحاف مازدت على هذا . قال : فأنا الجحاف .

ذكر مسير عبد الملك بن مروان الى العراق

وقتل مُضْعَب بن الزبير واستيلاء عبد الملك على العراق

[وفي جمادى الآخرة سنة [٥٧١هـ] إحدى وسبعين كان مقتل مصعب بن الزبير بن العوام واستيلاء عبد الملك على العراق] (١)؛ وسبب ذلك أن عبد الملك بن مروان لما قتل عمرو بن سعيد كما تقدم وضع السيف على من خلفه ، فصفا له الشام ، فلما لم يبق له بالشام مخالفاً أجمع المسير إلى مُضْعَب بن الزبير بالعراق ، فاستشار أصحابه في ذلك ، فأشار عليه عمه يحيى بن الحكم أن يفتن بالشام ويترك ابن الزبير والعراق ، فكان عبد الملك يقول : من أراد صواب الرأي فليخالف يحيى . وأشار بعضهم أن يؤخر السير هذا العام ، وأشار محمد بن مروان أن يُقيم ويبعث بغرض أهله ، ويمدّه بالجنود . فأتى إلا المسير . فلما عزم على المسير ودّع زوجته عاتكة بنت يزيد بن معاوية ، فبكت فبكى جوارها لبكائها ، فقال : قاتل الله كثيراً عزّة ، لكانه يشاهدنا حين يقول (٢) :

إذا ما أراد الغزو لم يثن همّه حصان عليها عقدٌ درُ يزيرنها
نهته فلما لم تر النهى عاقه بكت فبكى مما عاها قطينها (٣)

وسار عبد الملك نحو العراق ، فلما بلغ مُضْعَب بن الزبير مسيره وهو بالبصرة أرسل إلى المهلب بن أبي صفرة وهو يُقاتل الخوارج

(١) ساقط من ك .

(٢) الأغاني : ٩-٢١ .

(٣) القطين : الخدم والأتباع .

يستشيره . وقيل : بل أحضره إليه ، فقال لمصعب : اعلم أن أهل العراق قد كاتبوا عبد الملك وكاتبهم فلا تبعدني [عنك] (١) .

فقال له مصعب : إن أهل البصرة قد أبوا أن يسيروا حتى أجعلك على قتال الخوارج ، وهم قد بلغوا سوق الأهواز ، وأنا أكره إذ سار عبد الملك [إلى] (١) ألا أسير إليه ، فأكفني هذا الثغر (٢) .

فعاد إليهم ، وسار مصعب إلى الكوفة ومعه الأحنف فتوفى الأحنف بالكوفة ، وأحضر مصعب إبراهيم بن الأشتر ، وكان على الموصل والجزيرة ، فجعله على مقدمته ، وسار حتى نزل باجميرا (٣) قريب أوانا فعسكر هناك ، وسار عبد الملك حتى نزل بمسكين (٤) على فرسخين أو ثلاثة من عسكر مصعب .

وكتب عبد الملك إلى أهل العراق من كاتبه ومن لم يكاتبه ، فجميعهم طلب أصفهان طعمة ، وأخفوا جميعهم كتبهم عن مصعب إلا ابن الأشتر فإنه أحضر كتابه مختوماً إلى مصعب ، فقرأه فإذا هو يدعو إلى نفسه ، ويجعل له ولاية العراق . فقال له مصعب : أتدري ما فيه ؟ قال : لا . قال : إنه يعرض عليك كذا وكذا ، وإن هذا لما (٥) يرغب فيه . فقال إبراهيم : ما كنت لأنتقلد الغدر والخيانة ، والله

(١) زيادة من الكامل .

(٢) في الكامل : النفر .

(٣) باجميرا : بضم الجيم ، وفتح الميم ، وباء ساكنة ، وراء - مقصور : موضع دون تكريت .

وأوانا : بليدة من نواحي دجيل بغداد ، بينها وبين بغداد عشرة فراسخ (ياقوت) .

(٤) مسكن - بفتح ثم سكون ، وكسر الكاف ، ونون ، وقد يقال بفتح الكاف أيضا .

(٥) في د : لما .

ما [عند] (١) عَبْدُ الْمَلِكِ مِنْ أَحَدٍ مِنَ النَّاسِ بَيِّنَاتٍ مِنْهُ مِنِّى ، وَلَقَدْ كَتَبَ إِلَى جَمِيعِ أَصْحَابِكَ مِثْلَ الَّذِى كَتَبَ إِلَى ، فَأَطِغْنِى وَأَضْرِبْ أَعْنَاقَهُمْ . فَقَالَ : إِذَا لَا تَنَاصَحْنِ عَشَائِرَهُمْ .

قَالَ : فَأَوْقَرَهُمْ حَدِيدًا ، وَابْتَعَثَ بِهِمْ إِلَى أَبِيضِ كِسْرَى ، وَاحْسِبْهُمْ هُنَاكَ ، وَوَكَّلْ بِهِمْ مَنْ إِنْ غَلِبْتِ وَتَفَرَّقَتْ عَشَائِرُهُمْ عَنْكَ ضَرَبَ رِقَابَهُمْ ، وَإِنْ ظَهَرَتْ مَنْنَتْ عَلَى عَشَائِرِهِمْ بِإِطْلَاقِهِمْ . فَقَالَ : إِنِّى لَفِى شُغْلٍ عَنْ ذَلِكَ .

وَلَمَّا قَرَّبَ الْعَسْكَرَانَ بَعَثَ عَبْدُ الْمَلِكِ إِلَى مُضْعَبٍ يَقُولُ : دَعِ الدُّعَاءَ لِأَخِيكَ ، وَأَدْعُ الدُّعَاءَ إِلَى نَفْسِى ، وَنَجْعَلِ الْأَمْرَ شُورَى . فَأَبَى مُضْعَبٌ إِلَّا السَّيْفَ .

فَقَدَّمَ عَبْدُ الْمَلِكِ أَخَاهُ مُحَمَّدًا . وَقَدَّمَ الْمُضْعَبَ إِبْرَاهِيمَ بْنَ الْأَشْتَرِ ، فَالْتَقِيَا ، فَتَنَافَسَا الْفَرِيقَانِ ، فَقُتِلَ صَاحِبُ لُؤَاءِ مُحَمَّدٍ ، وَجَعَلَ مُضْعَبٌ عِندَ إِبْرَاهِيمَ ، فَأَزَالَ مُحَمَّدُ بْنُ مَرْوَانَ عَنْ مَوْقِفِهِ ، فَوَجَّهَهُ عَبْدُ الْمَلِكِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يَزِيدَ إِلَى أَخِيهِ مُحَمَّدٍ ، فَاشْتَدَّ الْقِتَالُ ، فَقُتِلَ مُسْلِمُ بْنُ عَمْرٍو الْبَاهِلِيُّ وَالِدُ الْقَتِيْبَةِ ، وَهُوَ فِي أَصْحَابِ مُضْعَبٍ ، وَأَمَدَّ مُضْعَبُ إِبْرَاهِيمَ بَعْتَابَ بْنَ وَرْقَاءَ ؛ فَسَاءَ ذَلِكَ لِإِبْرَاهِيمَ ، وَاسْتَرْجَعَ ، وَقَالَ : قَدْ قُلْتُ لَهُ : لَا يَمْدُنِّى بَعْتَابٌ وَضُرْبَاتِهِ . وَكَانَ عَتَّابٌ قَدْ كَاتَبَ عَبْدَ الْمَلِكِ وَبَايَعَهُ ، فَانْهَزَمَ عَتَّابٌ بِالنَّاسِ وَصَبِرَ ابْنُ الْأَشْتَرِ ، وَقَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ ، قَتَلَهُ عُبَيْدُ بْنُ مَيْسَرَةَ مَوْلَى بَنِي عُذْرَةَ (٢) ، وَحَمَلَ رَأْسَهُ إِلَى عَبْدِ الْمَلِكِ . وَتَقَدَّمَ أَهْلُ الشَّامِ فَقَاتَلَهُمْ مُضْعَبٌ ، وَقَالَ لِقَطْنِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْحَارِثِيِّ : قَدَّمَ خَيْلَكَ أَبَا عَثْمَانَ . فَقَالَ : أَكْرَهُ أَنْ تَقْتُلَ مَنْحَجٍ فِي غَيْرِ

(٢) والاشتقاق .

(١) ساقط في ك .

شيء . فقال لحَجَّار (١) بن أبجر : أبا أسيد : قدّم خيالك . فقال :
إلى هؤلاء الأنتان ! قال : ما نتأخر إليه أنتن .

وقال لمحمد بن عبد الرحمن بن سعيد : قدّم خيالك . فقال :
ما فعل أحد هذا فأفعله . فقال مُضْعَب : يا إبراهيم ، ولا إبراهيم
لى اليوم ! ثم التفت فرأى عروة بن المغيرة بن شعبة فاستدناه ،
فقال له : أخبرني عن الحسين بن علي كيف صنّع بامتناعه عن النزول
على حُكَم ابن زياد وعزّمه على الحرب ؟ فأخبره ، فقال (٢) :

إن الألى بالطفّ من آل هاشم تأسوا فسنوا للكبرام التأسيا

ثم دنا محمد بن مروان من مُضْعَب ، وناداه : أنا ابنُ عمك محمد
ابن مروان ، فاقبل أمان أمير المؤمنين . قال : أمير المؤمنين بمكة ،
يعني أخاه عبد الله . قال : فإن القوم خاذلوك ، فأبى ما عرض عليه .

فنادى محمد عيسى بن مُضْعَب إليه : فقال له مضعب : انظر ما يريد ،
فدنا منه ، فقال له : إني لك ولأبيك ناصح ، ولكم الأمان . فرجع
إلى أبيه فأخبره . فقال : إني أظن القوم يفون لك ، فإن أحببت
أن تأتيهم ، فافعل . قال : لا تتحدّث نساء قريش أني خذلتك ،
وزغيتُ بنفسى عنك . قال : فاذهب أنتَ ومن معك إلى عمك بمكة ،
فأخبره بما (٣) صنع أهل العراق ودعيتي فإني مقتول . فقال : لا أخبر
قريشا عنك أبداً ، ولكن يا أبتِ الحقّ بالبصرة فإنهم على الطاعة ،

(١) والقاموس .

(٢) والطبرى : ١٥٦-٦ ، واللسان (أسي) ، غير معزو .

(٣) في د : ما .

أو الحق بأمر المؤمنين . فقال مُصْعَب : لا تتحدث قريش أنى فَرَزْتُ .
 وقال لابنه عيسى : تقدّم إذا احتسبك . فتقدّم ومعه ناس ،
 فقتل ، وقتلوا ، وجاء رجل من أهل الشام ليحتز رأس عيسى ،
 فحمل عليه مُصْعَب فقتله ، وشدّ على الناس فانفرجوا له ، وعاد ،
 ثم حمل ثانية فانفرجوا له ، وبذل له عَبْدُ الملك الأمان ، وقال :
 إنه يعزُّ على أن تقتل ، فاقبل أمانى . ولك حُكْمُك فى المال والعمل ،
 فأبى ، فقال عبد الملك : هذا والله كما قال القائل (١) :

ومُدَجَّج كَرَّة الكمأة نِسْرَالَه لَامْمَعِنُ هَرَبًا وَلَا مُسْتَسْلِمٌ (٢)

ودخل مُصْعَب سُرَادِقَه فتحنطَ ورَمَى السرادق ، وخرج فقاتل ،
 فأتاه عبيد الله بن زياد بن ظبيان فدعاه إلى المبارزة فقال : يا كلب ،
 اغرب ، مثلى يُبَارِزُ مثلك ! وحمل عليه مُصْعَب فضربه على البيضة
 فهشمها وجرحه ، فذهب (٣) يعصب رأسه ، وترك الناس
 مُصْعَبًا وخذلوه حتى بقى فى سبعة أنفس ، وأثخن بالرمل ، وكثرت
 فيه الجراحات ، فعاد إليه عبيد الله بن زياد بن ظبيان فضربه مصعب ،
 فلم يصنع شيئًا لضعفه ، وضربه ابن ظبيان فقتله . وقيل : بل نظر
 إليه زائدة بن قدامة الثقفى فحمل عليه ، فطعنه فقال : يا لثارات المختار !
 فصرعه وأخذ عبيد الله بن زياد رأسه وحمله إلى عبد الملك ، فألقاه
 بين يديه وأنشد (٤) :

نُعَاطِي (٤) الملوكة الحق ما قَسَطُوا لنا وليس علينا قَتْلُهُم بِمَحْرَمٍ

(١) فى الكامل : ٤-١٢ .

(٢) فى الكامل : لا ممعا ولا مستسلا .

(٣) فى د : فرجع .

(٤) فى العقد الفريد (٤-٤١١) : نطيع ملوك الأرض ما أقسطوا لنا .

فلما رأى عَبْدُ الْمَلِكِ الرَّأْسُ سَجَدَ ، فَقَالَ ابْنُ ظَبْيَانَ : لَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ أَقْتُلَ عَبْدَ الْمَلِكِ وَهُوَ سَاجِدٌ فَأَكُونَ قَدْ قَتَلْتُ مَلِكِي الْعَرَبِ ، وَأَرَحْتُ النَّاسَ مِنْهُمَا ، وَفِي ذَلِكَ يَقُولُ (١) :

هَمَمْتُ وَلَمْ أَفْعَلْ وَكِدْتُ وَلَيْتَنِي فَعَلْتُ فَأَدَمَنْتُ الْبُكَا لِأَقَارِبِهِ
فَأَوْرَدْتَهَا فِي النَّارِ بَكْرَ بْنِ وَائِئِلسِ وَأَلْحَقْتُ مَنْ قَدْ خَرَّ شُكْرًا بِصَاحِبِهِ
وَقَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ : لَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ أَقْتُلَ ابْنَ ظَبْيَانَ فَأَكُونَ قَدْ
قَتَلْتُ أَفْتِكَ النَّاسَ بِأَشْجَعِ النَّاسِ .

وَأَمْرَ عَبْدِ الْمَلِكِ لِابْنِ ظَبْيَانَ بِأَلْفِ دِينَارٍ ، فَقَالَ : لِمَ أَقْتُلُهُ عَلَي طَاعَتِكَ ، وَإِنَّمَا قَتَلْتَهُ بِأَخِي النَّابِي بْنِ زِيَادٍ ، وَلَمْ يَأْخُذْ مِنْهَا شَيْئًا . وَكَانَ النَّابِيُّ قَدْ قَطَعَ الطَّرِيقَ فَقَتَلْتَهُ مُطَّرَفُ الْبَاهِلِيِّ صَاحِبُ شُرْطَةِ مُصْعَبِ . وَكَانَ قَتْلُ مُصْعَبِ بَدْيِيرِ الْجَائِلِيِّ عِنْدَ نَهْرِ دُجَيْلٍ ، وَأَمْرَ عَبْدِ الْمَلِكِ بِهِ وَبَابْنِهِ عَيْسَى فِدْفِنًا ، وَقَالَ : كَانَتْ الْحَرَمَةُ بَيْنَنَا [وَبَيْنَهُ] (٢) قَدِيمَةً ، وَلَكِنْ [هَذَا] (٢) الْمَلِكِ عَقِيمٍ .

قَالَ : ثُمَّ دَعَا عَبْدُ الْمَلِكِ جُنْدَ الْعِرَاقِ إِلَى الْبَيْعَةِ فَبَايَعُوهُ ، وَبِمَارِ حَتَّى دَخَلَ الْكُوفَةَ ، فَأَقَامَ بِالنُّخَيْلَةِ (٣) أَرْبَعِينَ يَوْمًا ، وَخَطَبَ النَّاسَ بِالْكَوْفَةِ ، فَوَعَدَ الْمُحْسِنِينَ وَتَوَعَّدَ الْمُدْبِرِينَ ، وَقَالَ : إِنْ الْجَامِعَةُ الَّتِي وَضَعْتُ فِي عُنُقِ عَمْرُو بْنِ سَعِيدِ عِنْدِي ، وَوَاللَّهِ لَا أَضَعُهَا فِي عُنُقِ رَجُلٍ فَانْتَزَعَهَا إِلَّا صَعْدًا لَا أَفْكُهَا عَنْهُ فَكًّا ، فَلَا يُبْقِيَنَّ أَمْرًا إِلَّا عَلَي نَفْسِهِ ، وَلَا يُوبِقْنِي دَمًا .
وَالسَّلَامُ .

(١) والعقد الفريد : ٤-٤١١ .

(٢) زيادة من الطبري .

(٣) النخيلة : تصغير نخلة : موضع قرب الكوفة (للمراصد) .

قال عبد الملك بن عمير : كُنْتُ مع عبد الملك بِقَصْرِ الكوفة حين
جىء برأس مصعب فوضعت بين يديه ، فرآنى قد ارتعدت ، فقال لى :
مالك ؟ فقلت : أعيذك بالله يا أمير المؤمنين ! كُنْتُ بهذا القَصْرِ
بهذا الموضع مع عبید الله بن زياد فرأيت رأس الحسين رضى الله
عنه بين يديه ، ثم كنت فيه مع المختار بن أبى عبید فرأيت رأس
عبید الله بن زياد بين يديه ، ثم كنت مع مُصْعَب فيه فرأيت رأس
المختار بين يديه ، ثم رأيت رأس مُصْعَب فيه بين يديك . فقام عبد الملك
من مقامه ذلك ، وأمر بهدم ذلك الطاق الذى كُنَّا فيه ، وقال عبد الملك
ابن مروان : متى تخلف قريش مثل المصعب ! ثم قال : هذا سيّد شباب
قريش . فقيل له : أكان يشرب الطَّلَا (١) ؟ فقال : لو علم المصعب
أن الماء يُفسدُ مروءته ما شربه حتى يموت عَطْشًا .

قال : وبعث عبْدُ الملك برأس مُصْعَب إلى أخيه عبدالعزيز بن مروان
بمصر ، فلما رآه وقد قطع السيف أنْفَهُ قال : رحمك الله ، أما والله
لقد كنت من أحسنهم خلقا ، وأشدهم بأسا ، وأسخاهم نفسا .
ثم سيره إلى الشام فنُصِبَ بدمشق ، وأرادوا أن يطوفوا به فى نواحي
الشام ، فأخذته عاتكة بنت يزيد بن معاوية زوجة عبد الملك بن مروان ،
ففسلته وطيبته ودفنته ، وقالت : أما رضيتم بما صنعتم حتى تطوفوا به
المُدْنَ ! هذا بغيُّ .

وكان عمرُ مصعب حين قُتل ستا وثلاثين سنة .

ولما بلغ عبْدُ الله بن خازم مَسِيرُ مُصْعَب لقتال عبْدُ الملك قال :
أمعه عمر بن عبید الله بن معمر ؟

(١) الطلاء : الخمر .

قيل : لا ، استعمله على فارس . قال : أمعه المهلب ؟ قيل : لا ، استعمله على الخوارج . قال : أمعه عباد بن الحصين ؟ قيل : لا ، استخلفه على البصرة . قال : وأنا بخراسان . وأنشد (١) :

خُذِنِي فَجَرِّبِي جَعَارٍ وَأَبْشِرِي بِلَحْمِ امْرِئٍ لَمْ يَشْهَدْ الْيَوْمَ نَاصِرِهِ
قال : ولما قُتِلَ مُصْعَبُ كَانَ الْمَهْلَبُ يُحَارِبُ الْأَزَارِقَةَ بِسُؤْلَافٍ (٢)
ثمانية أشهر ، فبلغ الأزارقة قتلَه قبل أن يبلغ المهلب ، فصاحوا بأصحاب المهلب : ما قولكم في مُصْعَبِ ؟ قالوا : أمير (٣) هُدَى ؛ وهو وليُّنا في الدنيا والآخرة ، ونحن أولياؤه . قالوا : فما قولكم في عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ ! قالوا : ذلك ابنُ اللَّعِينِ ، نحنُ نبرأ إلى الله منه ، وهو [عندنا] (٤) أحلُّ دَمًا منكم . قالوا : فإن عبد الملك قتل مُصْعَبًا ، وسيجعلون غدًا عَبْدَ الْمَلِكِ إمامكم .

فلما كان الغدُ سَمِعَ الْمَهْلَبُ وَأَصْحَابَهُ قَتْلَ مُصْعَبِ ، فبايع المهلب الناسُ لِعَبْدِ الْمَلِكِ ، فصاح بهم الخوارج : يا أعداء الله ، ما تقولون في مصعب ؟ قالوا : يا أعداء الله لا نخبركم . وكرهوا أن يكذبوا أنفسهم . قالوا : فما قولكم في عَبْدِ الْمَلِكِ ؟ قالوا : خَلِيْفَتُنَا . ولم يجدوا بُدًّا إِذْ بَيَّعُوهُ أَنْ يَقُولُوا ذَلِكَ . قالوا : يا أعداء الله ؛ أنتم بالأمس تَتَّبِعُونَ مِنْهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، وَهُوَ الْيَوْمَ إِمَامُكُمْ ، وَقَدْ قَتَلَ امِيرَكُمْ (٥)

(١) البيت في اللسان - جعر ، والطبرى : ٦-١٥٨ .

وروايته في اللسان : فقلت لها غيبي جعمار وجررى ...

(٢) سولاف : بالضم ثم السكون ، وآخره فاء : قرية على غربي دجيل من أرض خوزستان (المراصد) .

(٣) في الطبرى : إمام هدى .

(٤) زيادة من الطبرى . (٥) في الطبرى : إمامكم .

الذى كنتم تتولونه (١) ، فأيهما المهتدى ؟ وأيها المبطل ؟ قالوا :
يا أعداء الله ، رَضِينَا بِذَلِكَ إِذْ كَانَ يَتَوَلَّى أَمْرَنَا وَنَرَضَى بِهَذَا . قالوا :
لا ، والله ، ولكنكم إِخْوَانُ الشَّيَاطِينِ وَعَبِيدُ الدُّنْيَا .

قال : ولم يَفِ عِبْدُ الْمَلِكِ لِأَحَدٍ بِأَصْبَهَانَ ، واستعمل قَطَنَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ
الْحَارِثِيَّ عَلَى الْكُوفَةِ ، ثم عَزَلَهُ ، واستعمل أَخَاهُ بِشْرَ بْنَ مَرْوَانَ .
واستعمل مُحَمَّدَ بْنَ عُمَيْرٍ (٢) عَلَى هَمْدَانَ ، ويزيد بن ورقاء بن رويم على
الري ، واستعمل خَالِدَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ [خَالِدِ بْنِ] (٣) أَسِيدَ عَلَى
البصرة . وعاد إلى الشام .

ذِكْرُ خَيْرِ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ وَزُفَرِ بْنِ الْحَارِثِ

وما كان بينهما من القتال وانتظام الصلح بينهما

قد ذكرنا أن زُفَرَ بْنَ الْحَارِثِ لما قَرَّ من مَرْجِ رَاهِطٍ إِلَى قَرْقِيسِيَاءَ ،
واستولى عليها ، وتحصن بها ، واجتمعت قَيْسٌ عَلَيْهِ ، وكان في بَيْعَةٍ
عَبْدُ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ وَفِي طَاعَتِهِ . فلما مات مَرْوَانَ بْنَ الْحَكَمِ وَوَلِيَ
عَبْدُ الْمَلِكِ كَتَبَ إِلَى أَبِيانَ بْنِ عُقْبَةَ بْنِ أَبِي مُعَيْطٍ ، وهو على حِمْنِصَ ،
يَأْمُرُهُ أَنْ يَسِيرَ إِلَى زُفَرَ ، فَسَارَ إِلَيْهِ ، وعلى مَقْدَمَتِهِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ زَمِيمَةَ
الطَّائِي ، فَوَاقَعَ عَبْدُ اللَّهِ زُفَرَ قَبْلَ وَصُولِ أَبِيانَ فَقَتِلَ مِنْ أَصْحَابِهِ ثَلَاثُمِائَةٍ ،
فَلَامَهُ أَبِيانَ عَلَى عَجَلَتِهِ ، وَأَقْبَلَ أَبِيانَ فَوَاقَعَ زُفَرَ فَقَتَلَ ابْنَهُ وَكَيْعَ
ابْنِ زُفَرَ . فلما سار عَبْدُ الْمَلِكِ إِلَى الْعِرَاقِ لِقِتَالِ مُضْعَبٍ بَدَأَ بِقَرْقِيسِيَاءَ ،
فَحَضَرَ زُفَرَ فِيهَا ، وَنَصَبَ عَلَيْهَا الْمَجَانِيقَ ، فَأَمَرَ زُفَرَ أَنْ يُنَادِيَ فِي

(١) في الطبرى ، والكامل : تولونه .

(٢) في الكامل : ابن عمير .

(٣) من الكامل .

عسكر عبد الملك : لم نَصَبْتُمْ الجانيق علينا ؟ فقالوا : لننلّم ثُلْمَةً
نقاتلكم (١) عليها . فقال زفر : قولوا لهم : فإننا لانقاتلكم من
وراء الحيطان ، ولكننا نخرج إليكم . وقاتلهم زُفر .

وكان خالد بن يزيد بن معاوية مُجَدًّا في قتال زُفر ، فقال رجلٌ
من أصحابه من بنى كِلَابَ : لأقولن لخالد كلاما لا يعودُ إلى مايصنع .
فلما كان الغد خرج خالد للمحاربة فقال له الكلابي :

ماذا ابتغاء خالد وهمُّه إذ سُلِبَ الملك و ... أمه
فاستحيا وعادَ ، ولم يَعُدْ لقتالهم .

وقالت كَلْبُ لعبد الملك : إنا إذا لقينا زُفر انهزمت القيسية الذين
معك ، فلا تَخْلِطْهُمْ مَعَنَا . ففعل . فكتبت القيسية على نَبْلِهَا : إنه
ليس يقاتلكم غداً مُضْرَى ، ورَمَوُ النَّبْلَ إلى زُفر . فلما أصبح دَعَا ابْنَهُ
الهُذَيْلَ فقال : اخرج إليهم : فشدَّ عليهم ، ولا ترجع حتى تضربَ
فُسْطَاطَ عَبْدِ الملك ، وأقسم لئن رجعت دونَ أنْ يفعلَ ذلكَ ليقْتُلنَّه .
فجمع الهذيل خِيَّاهُ ، وحمل ، فصَبَرُوا قليلا ثم انكشفوا ، وتبعهم
الهذيل بخيَّله حتى وطئوا أطنابَ الفُسْطَاطِ ، وقطعوا بعضَها ، ثم
رجعوا . فقبَّلَ زُفرَ رأسَ ابْنِهِ الهذيل . فقال : والله لو شئت أنْ أَدْخَلَ
الفسطاط لفعلت .

قال : وكان رجل من كَلْبُ يقال له الدِّيَالُ يخرجُ فيسبُّ زُفرَ
فيكثر ، فقال زفر للهذيل ابنه أو لبعض أصحابه : أما تكفيني هذا ؟
قال : أنا آتيك به ، فدخل عَسْكَرَ عَبدِ الملك ليلا ، فجعل يُنادي

مَنْ يَعْرِفُ بَغْلًا مِنْ صِفَتِهِ كَذَا وَكَذَا؟ حَتَّى انْتَهَى إِلَى خِيَاءِ الرَّجُلِ .
 فَقَالَ الرَّجُلُ : رَدَّ اللَّهُ عَلَيْكَ ضَالَّتَكَ . فَقَالَ : يَا عَبْدَ اللَّهِ ، إِنِّي قَدْ
 أَعْيَيْتُ ، فَلَوْ أَذْنَتَ لِي فَاسْتَرَحْتُ قَلِيلًا . قَالَ : ادْخُلْ ، فلدخل ، والرَّجُلُ
 وَخَذَهُ فِي خِيَّائِهِ ، فَرَمَى بِنَفْسِهِ ، وَنَامَ صَاحِبُ الْخِيَاءِ ، فَقَامَ إِلَيْهِ
 فَأَيَّقَظَهُ ، وَقَالَ : وَاللَّهِ : لَشِن تَكَلَّمْتَ لَا قَتْلَانَكَ ، قَتِلْتُ أَوْ سَلِمْتَ ، فَمَاذَا
 يَنْفَعُكَ قَتْلِي إِذَا قُتِلْتَ أَنْتَ؟ وَاشْن سَكَتَ وَجِئْتَ مَعِيَ إِلَى زُفَرٍ فَلَكَ عَهْدُ
 اللَّهِ وَمِيثَاقُهُ أَنْ أَرُدَّكَ إِلَى عَسْكَرِكَ بَعْدَ أَنْ يَصِلَكَ زُفَرٌ وَيُحْسِنَ إِلَيْكَ ،
 فخرجا وهو يُنَادِي : مَنْ دَلَّ عَلَى بَغْلٍ مِنْ صِفَتِهِ كَذَا وَكَذَا حَتَّى آتَى زُفَرُ .
 وَالرَّجُلُ مَعَهُ ، فَأَعْلَمَهُ أَنَّهُ قَدْ أَمَّنَهُ ، فَوَهَبَهُ (١) زُفَرٌ دَنَانِيرَ وَحَمَلَهُ عَلَى
 رِحَالِ النِّسَاءِ وَأَلْبَسَهُ ثِيَابَهُنَّ ، وَبِعَثَ مَعَهُ رِجَالًا حَتَّى دَنَوْا مِنْ عَسْكَرِ
 عَبْدِ الْمَلِكِ ، فَنَادَوْا : هَذِهِ جَارِيَةٌ قَدْ بَعَثَ بِهَا زُفَرٌ إِلَى عَبْدِ الْمَلِكِ ، وَانصرفوا!
 فَلَمَّا رَأَى أَهْلُ الْعَسْكَرِ عَرَفُوهُ ، وَأَخْبَرُوا عَبْدَ الْمَلِكِ الْخَبِيرَ فَضَحِكَ ،
 وَقَالَ : لَا يُبْعَدُ اللَّهُ رِجَالَ مَضْرٍ ، وَاللَّهِ إِنْ قَتَلْتَهُمْ لَدَلَّ ، وَإِنْ تَرَكْتَهُمْ لِحَسْرَةٍ .
 وَكَفَّ الرَّجُلُ فَلَمْ يَبْعُدْ يَسْبُ زُفَرُ .

وقيل : إنه هرب من العسكر ، ثم أمر عبدُ الملك أخاه محمداً
 أَنْ يَعْزِضَ عَلَى زُفَرٍ وَابْنِهِ الْهَيْدِيلِ الْأَمَانَ عَلَى أَنْفُسِهِمَا وَمَنْ مَعَهُمَا وَأَنْ
 يُعْطِيَا مَا أَحَبَّ . ففعل ذلك ، فَأَجَابَا عَلَى أَنَّ لَزْفَرَ الْخِيَارَ فِي بَيْعَتِهِ
 سَنَةً ، وَأَنْ يُتْرَكَ حَيْثُ شَاءَ ، وَأَلَّا يُعَيَّنَ عَبْدُ الْمَلِكِ عَلَى قِتَالِ ابْنِ الزُّبَيْرِ .

فبينما الرسل تختلف بينهم إذ جاء رجلٌ من كَلْبٍ ، فقال : قد هدم
 من المدينة أربعة أبراج ، فقال عبدُ الملك : لا أصالِحُهُمْ ،

(١) في الكامل : فوهب له .

وزحف إليهم ، فهزموهم أصحابه حتى أدخلوهم عسكرهم ، فقال :
 أعطوهم ما أرادوا . قال زفر : لو كان قبل هذا لكان أحسن ، واستقر
 الصلح على أمان الجميع ، ووضع الدماء والأموال ، والأيبايح عند الملك
 حتى يموت ابن الزبير للبيعة التي له في عنقه ، وأن يعطى مالا يقسمه
 في أصحابه ، وخاف زفر أن يغدر به عبد الملك كما غدر بعمر بن سعيد ،
 فلم ينزل إليه ، فأرسل إليه بقضيب النبي صلى الله عليه وسلم أماناً له ،
 فنزل إليه ، فلما دخل عليه أجلسه معه على سريريه ، فلما رأى عيد الملك
 قلة من مع زفر قال : لو علمت بأنه في هذه القلعة لحاصرته أبداً حتى
 نزل على حكمي ، فبلغ قوله زفر فقال : إن شئت رجعتا ورجعت .
 قال : بل نفى لك يا أبا الهذيل .

وأمر زفر ابنه الهذيل أن يسير مع عبد الملك إلى قتال مضعب ،
 وقال : أنت لاعهد عليك ، فسار معه ، فلما قارب مصعباً هرب إليه ،
 وقاتل مع ابن الأشر . فلما قتل ابن الأشر اختفى الهذيل في الكوفة
 حتى استؤمن له من عبد الملك فأمنه .

قال : وتزوج مسلمة بن عبد الملك الرباب بنت زفر فكان يؤذن
 لإخوتها : الهذيل والكوثري في أول الناس .

وفي هذه السنة ، أعنى سنة [٥٧١هـ] إحدى وسبعين ، افتتح عبد الملك
 قيسارية^(١) في قول الواقدي رحمه الله .

(١) بالفتح ثم السكون ، وسين مهملة ، وبعد الألف راء وياء مشددة : بلدة
 على ساحل بحر الشام ، تعد في فلسطين بينها وبين طبرية ثلاثة أيام (المراصد) .

ذکر مقتل عبد الله بن خازم

واستيلاء عبد الملك على خراسان

ولما قُتل مُضْعَب كان عَبْدُ اللَّهِ بن خازم يقاتل بِحَيْرٍ (١) بن وَرْقَاءَ لَصْرِيْمِي التَّمِيْمِي بنيسابور، فكتب عَبْدُ اللَّهِ الملك إلى ابْنِ خازم يدعوه إلى البَيْعَةِ وَيُطْعِمُهُ خراسان سَبْعَ سنين، وأرسل الكتاب مع سَوْرَةَ (٢) ابن أشيم النَمِيرِي، فقال له ابن خازم: لولا أن أُضْرِبَ بين بنِي سُليم وبنِي عامر لقتلتك، ولكن كلُّ كتابه، فأكله. وقيل: بل كان الكتاب مع سَوَادَةَ بن عُبَيْدِ اللَّهِ النَمِيرِي. وقيل: مع (٣) مكمل الغنوي. فقال له ابن خازم: إنما بعثك أبو الذُّبَّانَ لَأَنَّكَ مِنْ غَيْبِي، وقد علم أني لا أقتل رجلاً من قيس، ولكن كلُّ كتابه

وكتب عبد الملك إلى بُكَيْرٍ (٤) بن وَسَّاج، وكان خليفة ابن خازم على مَرُو، بعثه على خراسان، ووعدَه ومناه، فخلع بُكَيْرٌ عَبْدَ اللَّهِ ابن الزبير ودعا إلى عَبْدِ اللَّهِ الملك، فأجابَه أهل مَرُو، وبلغ ابن خازم، فخاف أن يأتيه بُكَيْرٌ فيجتمع عليه أهل مَرُو وأهل نَيْسَابور، فترك بِحَيْرًا وأقبل إلى مَرُو، فاتبعه بِحَيْرٌ فلحقه بقريه على ثمانية فراسخ من مَرُو، فقاتله، فقتل ابن خازم. وكان الذي قتله وكيع بن عمرو (٥) القُرَيْمِي، اغتوره وكيع وبيحير بن وَرْقَاءَ وَعَمَّارُ بن عبد العزيز،

(١) بحير - بفتح الباء الموحدة وكسر الحاء المهملة (هامش د).

(٢) في الكامل: سودة: والمثبت في الطبري أيضا (٦-١٧٦).

(٣) في ك، والطبري: سنان بن مكمل الغنوي.

(٤) في الطبري (٦-١٧٦): بكير بن وشاح. والمثبت في القاموس: والتاج.

(٥) في الطبري (٦-١٧٧): وكيع بن حميرة. والمثبت في الكامل أيضا.

فطعنوه ، فصرعوه ؛ وقعد وكيع على صدره فقتله ، وبعث (١) بِشِيرًا بِقَتْلِهِ إِلَى عَبْدِ الْمَلِكِ ، وَلَمْ يَبْعَثْ بِرَأْسِهِ .

وَأَقْبَلَ بِكَيْرٍ فِي أَهْلِ مَرَوْ ، فَوَافَاهُمْ حِينَ قَتَلَ ابْنَ خَازِمٍ ، فَأَرَادَ أَخَذَ الرَّأْسَ وَإِنْفَاذَهُ إِلَى عَبْدِ الْمَلِكِ ، فَمَنَعَهُ بِحَجِيرٍ [فَضْرِبَهُ بِعَمُودٍ وَحَبَسَهُ (٢)] ، وَسَيَّرَ الرَّأْسَ إِلَى عَبْدِ الْمَلِكِ ، وَذَلِكَ فِي سَنَةِ اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ .

وقيل : بل كان مقتله بعد قتل عبد الله بن الزبير ، وأن عبد الملك أنفذ إليه رأس ابن الزبير ، ودعاه إلى نفسه فغسله وكفنته ، وبعثه إلى أهله بالمدينة ، وأطعم الرسول الكتاب ، وقال : لولا أنك رسول لقتلتك .
وقيل : بل قطع يديه ورجليه وقتله ، وحلف ألا يطيع عبد الملك أبداً . [والله أعلم (٢)] .

ذكر مقتل عبد الله بن الزبير

رضى الله عنه وشيء من أخباره

قال لما قتل مصعب بن الزبير تقدم الحجاج بن يوسف الثقفي إلى عبد الملك ، فقال : يا أمير المؤمنين ، قد رأيت في المنام أني أخذتُ ابنَ الزبير وسلخته ، فابعثني إليه ، ووَلَّني حَرْبَهُ ، فَبَعَثَهُ فِي أَلْفَيْنِ ، وَقِيلَ فِي ثَلَاثَةِ آلَافٍ ، فَسَارَ فِي جَمَادَى الْأُولَى سَنَةِ [٥٧٢ هـ] اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ ، وَنَزَلَ الطَّائِفَ ، وَكَانَ يَبْعَثُ الْخَيْلَ إِلَى عَرَفَةَ [فِي الْحَلِ] (٣)

(١) في الكامل : وبعث بحجر ساعة قتله بشيرا .

(٢) من د وحدها .

(٣) زيادة من الطبرى .

بعد الطائف، وبيعت ابنُ الزبير الخَيْلُ فيقتلون فتنهزم خَيْلُ ابنِ الزبير ،
وتعودُ خَيْلُ الحجاج بالظَّفَر .

ثم كتب الحجاج إلى عبد الملك يستأذنه في دخول الحرم وحَضْر (١)
ابن الزبير ، ويُخْبِرُهُ بِضَعْفِهِ وتفرُّقِ أصحابِهِ ، ويستمدّه ، فأمدّه
بطارق بن عمرو مولى عثمان ، وكان عبْدُ الملك قد بعثه في جَيْشٍ
إلى وادى القرى ليمنع عمالَ ابنِ الزُّبَيْرِ من الانتشار ، فقدم المدينة
في ذى القعدة (٢) سنة [٥٧٢] اثنتين وسبعين ، وأخرج عاملَ ابنِ
الزبير منها ، وجعل عليها رجلاً من أهل الشام اسمه ثَعْلَبَةُ ، وقدم
طارق (٢) مكة في ذى الحجة منها في خمسة آلاف ، وتقدم الحجاجُ
إلى مكة ، فنزل عند بشر ميمون (٣) ، وحجَّ بالناس في تلك السنة .
إلا أنه لم يَطْفُفْ بِالْبَيْتِ ، ولا سَعَى بين الصِّفَا والمرْوة ؛ منعه عبْدُ الله
ابنُ الزبير من ذلك ؛ ولم يحجَّ ابنُ الزبير ولا أصحابُهُ في تلك السنة .
ونصب الحجاج المِنْجَنِيْقِ على أبى قُبَيْس (٤) ، ورمى به الكَعْبَةَ ،
فقال عبْدُ الله بنُ عمر بن الخطاب رضى الله عنهما للحجاج ، اتق الله
واكفُفْ هذه الحجارة عن الناس ، فإنك في شهرٍ حرامٍ في بلدٍ حرامٍ ؛
وقد قدمت وفودُ الله مِنْ أَقْطَارِ الأَرْضِ لِيؤْذُوا فريضةَ الله ، وقد منعهم
المِنْجَنِيْقِ عن الطَّوْفِ . فكفَّ حتى انقضى الحج ، ثم نادى في الناس :
انصرفوا إلى بلادكم ، فإننا نعودُ بالحجارة على ابنِ الزبير المُلْحِدِ .

(١) في الطبرى : وحصار .

(٢) في الطبرى : وكان قدوم طارق مكة للال ذى الحجة .

(٣) بئر ميمون : في مكة بأعلاها (المراصد) .

(٤) أبو قبيس : جبل مشرف على مكة .

قال : وأول ما رمى الكعبة بالمنجنيق رعدت السماء وبرقت ،
وعلا صوت الرعد على الحجارة ، فأعظم ذلك أهل الشام وأمسكوا
أيديهم ، فأخذ الحجاج حجر المنجنيق^(١) ووضع به بيده ورمى به ،
فجاءت الصواعق فقتلت من أصحابه اثني عشر رجلاً ، فأنكسر أهل
الشام ، فقال الحجاج : يا أهل الشام ، لا تُنكروا هذا ، فإني ابن
نَهَامَة ، وهذه صواعقها ، وهذا الفتحُ قد حضر ، فأبشروا .

فلما كان الغدُ جاءت الصاعقةُ فأصابت من أصحاب ابن الزبير
عدة . فقال الحجاج : ألا ترون أنهم يُصابون كما تُصابون ، وأنتم
على الطاعة وهم على خلافها ، وكان الحجرُ يقع بين يدي عبد الله
ابن الزبير وهو يُصلي ، فلا ينصرف عن مكانه .

وغلّت الأسعارُ عند ابن الزبير حتى ذبح فرسه ، وقسم لحمه
في أصحابه ، وبيعت الدجاجةُ بعشرة دراهم والمُدُّ الذرةُ بعشرين درهماً ،
وكانت بيوتُ ابن الزبير مملوءةً قمحاً وشعيراً ودرةً وتمرّاً ، وكان أهلُ
الشام ينتظرون فناء ما عنده ، فكان لا ينفق منه إلا ما يُمسك الرَّمقُ
ويقول : نفوسُ أصحابي قويّةٌ ما لم تَفن .

فلما كان قبيل مقتله تفرّق الناسُ عنه ، وخرجوا إلى الحجّاج بالأمان ،
فخرج من عنده نحو عشرة آلاف . وكان من فارقه ابنه حمزةٌ وخبيبٌ ،
أخذًا لأنفسهما أمانًا ، فقال عبدُ الله لابنه الزبير : خذ لنفسك أمانًا
كما فعل أخواك ، فوالله إني لأحبُّ بقاءكم . فقال : ما كنتُ لأرغبَ
بنفسي عنك ، فقتل معه .

(١) في الكامل : حجارة المنجنيق بيده ، فوضعها فيه ، ورمى بها معهم .

قال : ولما كان فى الليلة التى قُتِلَ فيها عَبْدُ اللَّهِ فى صبيحتها جمع قَرِيْشًا فقام لهم : ما تَرَوْنَ ؟ فقال رجل من بنى مخزوم : والله ، إِنَّا قَاتَلْنَا مَعَكَ حَتَّى مَا نَجِدُ مَقْتَلًا ، والله لئن سِرْنَا مَعَكَ ما نَزِيدُ عَلَى أَنْ نَمُوتَ ، وَإِنَّمَا هِيَ إِحْدَى خِصْلَتَيْنِ : إما أَنْ تَأْذَنَ لَنَا فَنَأْخُذَ الْأَمَانَ لِأَنْفُسِنَا وَلَكَ ، وإما أَنْ تَأْذَنَ لَنَا فنخرج .

فقال له رجل : اكتبْ إلى عَبْدِ الْمَلِكِ . فقال : كيف أكتب من عَبْدِ اللَّهِ أمير المؤمنين إلى عَبْدِ الْمَلِكِ بن مروان؟ فوالله لا يَقْبَلُ هذا أَبَدًا ، أو أكتب لِعَبْدِ الْمَلِكِ بن مروان أمير المؤمنين . من عبد الله بن الزبير؟ فوالله لَأَنْ تَقَعَ الْخَضْرَاءُ عَلَى الْغُبْرَاءِ أَهْوَنُ عَلَىَّ مِنْ ذَلِكَ . فقال له عُرْوَةُ وهو جالس معه على السرير : قد جعل اللهُ لَكَ أَسْوَأَ فى الْحَسَنِ بنِ عَلَى رضى اللهُ عَنْهُمَا ، خَلَعَ نَفْسَهُ وَبَايَعَ مَعَاوِيَةَ ، فَرَكَضَهُ بِرِجْلِهِ وَرَمَاهُ عَنِ السَّرِيرِ ، وقال : قَلْبِي إِذَا مِثَلَ قَلْبِكَ ، وَاللَّهِ لَوْ قَاتَلْتُمَا مَا عَشْتُ إِلاَّ قَلِيلًا وَإِنْ أَضْرَبَ بِسَيْفٍ فى عِزٍّ خَيْرٌ مِنْ أَنْ أُلْطَمَ فى دُلٍّ .

فلما أصبح دخل على امرأته أم هانم (١) فقال : اصنعي لى طعامًا . فلما صنعته وأنت به لآك منه لُقْمَةً ثم لفظها ، وقال : اسقونى لبنًا فسقوه ، ثم اغتسل وتطيَّب وتحنَّط ، ودخل على أمه ، فقال : يا أماه ، قد خذلتى الناس حتى ولدي وأهلى ولم يبق معى إلاَّ اليسير ، والقومُ يعطونى ما أردت من الدنيا ، فما رأيك؟ قالت له : أنت أعلمُ بنفسك ، إن كنتَ [تعلم أنك] (٢) على حق وأنت تدعو إليه فامضِ له ، فقد قتل عليه أصحابك ، ولا تمكَّنْ (٣)

(١) فى العقد : بنت منصور بن زياد الفزارية .

(٢) من الطبرى ، والكامل .

(٣) فى الكامل : ولا تمكَّنْ من رقبتك .

من نفسك يتلعبُ بك غِلْمَانُ بنى أمية، وإن كنتَ إنما أردتَ الدنيا
فبئس العبدُ أنتَ ، أهلكتَ نفسك ومن قُتِلَ معك ، وإن قلتَ : كنتُ
على حقٍّ فلما ومن أصحابي ضعفتُ ، فهذا ليس فِعْلَ الأحرار ولا أهل
الدين ، كم خلودك في الدنيا ؟ القتلُ أحسن ! فقال : يا أماه ، أخاف
إن قتلني أهلُ الشام أن يُمَثِّلُوا بي ويصلبُوني . فقالت : يا بني ، إن
الشاةَ لا تألم السلخَ بعد الذبْحِ ، فامضِ على بصيرتك ، واستعن بالله .

فقبَّل رأسها وقال : هذا رأيي ، والذي خرجتُ به دَاعِيَا (١)
إلى يومى هذا . ما ركنتُ إلى الدنيا ، ولا أحببتُ الحياةَ فيها ، ومادعاني
إلى الخروج إلا الغضبُ لله ، وأن تُستَحَلَّ حرُماته ؛ ولكنى أحببتُ
أن أعلمَ رأيك ، فقد زدتنى بصيرةً ، فانظري فينى مقتولٌ في يومى هذا ،
فلا يشندُ حزنك ، وسلَّمى لأمرِ الله ، فإن ابنتك لم يتعمد إتيانَ مُنْكَرٍ
ولا عملاً بفاحشة ، ولم يجرُ في حُكْمِ الله ، ولم يغترِ في أمان ،
ولم يتعمد ظلمَ مسلمٍ أو مُعَاهِدٍ ، ولم يبلغنى ظلمٌ عن عمالي ، فرضيتُ
به ؛ بل أنكرته ، ولم يكن لىءٌ أثر عندى من رضاء ربي . اللهم
إني لا أقولُ هذا تزكيةً لنفسى ، ولكن أقوله تعزيةً لأمى حتى تسَلُّو عني .

فقالت : إني لأرجو أن يكون عَزَاي فيك جميلاً ، إن تقدمتنى
احتسبتُك ، وإن ظفرتُ سُررتُ بظفرك . اخرج [عنى (٢)] حتى
أنظر إلى ما يصير أمرُك ، فقال : جزاك اللهُ خيراً ، فلا تدعى الدعاء لى .
قالت : لا أدعه لك أبداً ، فمن قُتِلَ على باطلٍ فقد قتلت على حقٍّ .

(١) في الكامل : دأبها .

(٢) في د وحدها .

ثم قالت : اللهم ارحم طول ذلك القيّام فى الليل الطويل ، وذلك النحيب والظمأ فى هواجر مكة والمدينة ، وبره بابيه وبى . اللهم قد سلمته لأمرِكَ فيه ، ورضيت بما قضيت ، فأثبني فيه ثواب الصابرين الشاكرين .

فتناول يدها ليقبّلها ، فقالت : هذا وداعٌ فلا تبعه . فقال لها : جفت مودعاً ، لأنى أرى هذا آخر أيامى من الدنيا . قالت : امض على بصيرتك ، واذن منى حتى أودّعك ، فدنا منها فعانقها ، وقبل بين عينيها ، فوقعت يدها على الدرع ، فقالت : ما هذا صنيع من يُريد ما تُريد ! فقال : ما ليسته إلا لأشدّ متّك . قالت : فإنه لا يشدّ منى ، فنزعها ، ثم درج (١) كميته ، وشدّ أسفل قميصه وجبة خز تحت السراويل ، وأدخل أسفلها تحت المنطقة ، وأمه تقول : البس ثيابك مشمرّة .

فخرج من عندها وحمل على أهل الشام حملةً منكورة ، فقتل منهم ، ثم انكشف هو وأصحابه ، فقال له بعض أصحابه : لو لحقت بموضع كذا . فقال : بئس الشيخ أنا إذا فى الإسلام أن أوقعت قوماً فقتلوا ثم فررت عن مثل مصارعهم .

ودنا أهل الشام حتى امتلأت منهم الأبواب ، وكانوا يصيحون : يابن ذات النطاقين ، فيقول : وتلك شكاة ظاهر عنك لؤمها (٢) .

(١) فى الطبرى : أدرع .

(٢) فى الكامل : عارها .

وجعل أهل الشام على أبواب المسجد رجالاً^(١) ، فكان لأهل حِمص الباب الذي يواجه باب الكعبة ، ولأهل دمشق بابُ بني شَيْبَةَ ، ولأهل الأزدن بابُ الصَّفَا ، ولأهل فلسطين بابُ بني جُمَح ، ولأهل قِنسرين بابُ بني سَهْم . وكان الحجاج وطارق بناحية الأبطح إلى المَرَوَّة ، وابنُ الزبير يحمل على هذه الناحية مرةً وفي هذه أخرى ، وكأنه أسدٌ في أجمَةٍ ما تُقدّم عليه الرجال وهو يَعُدُّو في إثر القوم حتى يخرجهم ، ثم يصيح [يا]^(٢) أباصفوان ، ويل أمه فَتَحًا ، لو كان له رجالٌ . * لو^(٣) كان قِرْنِي واحداً كَفَيْتُهُ * .

فيقول أبو صفوان عبد الله بن صفوان بن أمية بن خلف :
أى والله وألف .

فقال رجل من أهل الشام اسمه جُلُبُوب^(٤) : إنما يمكنكم أخذه إذا وئى . قيل : فخذهُ أنتَ إذا وئى . قال : نعم ، وتقدّم ليخضينهُ مِن خلفه ، فعطف عليه فَقَطَّ ذِرَاعَيْهِ فصاح ، فقال : اصبر جُلُبُوب^(٤) . قال : فلما رأى الحجاج أنَّ الناس لا يُقدِّمون على ابنِ الزبير غضب وترجَّل يسوقُ الناس ويصدم^(٥) بهم ، فصدم صاحبَ عَلمِ ابنِ الزبير وهو بين يديه ، فتقدّم ابنُ الزبير على صاحبِ عَلمه وقتلهم حتى انكشفوا ، ورجع فصلَّى ركعتين عند المقام ، فحملوا

(١) في الكامل : رجلا من أهل كل بلد .

(٢) من الطبرى .

(٣) والعقد : ٤-٤١٦ ، والطبرى : ٦-١٩١ ، وطبقات القراء : ٢٨ ،

وهو لدويد بن زيد .

(٤) في العقد (٤١٦) : خلبوب . والمثبت في الكامل ، د . والضبط في د .

(٥) في الكامل : ويصمد بهم ، فصمد .

على صاحبِ عَلمه ، فقتلوه عند بابِ بنى شَيْبَةَ ، وأخذوا العَلمَ .
فلما فرغ من صلواته تقدم فقاتل بغير عَلم ، وقتل رجلا من أهل الشام
وآخر ، وقاتل معه عَبْدُ اللَّهِ بن مُطِيع ، وهو يقول :
أنا الذى فرزتُ يومَ الحِرةِ والحُرِّ لا يَفِرُّ إِلَّا مَرَّةً
واليومَ أَجزى فَرَّةً بكَرَّةً

وقاتل حتى قُتل ، ويقال : أصابته جراحة فمات منها بعد أيام .
قال : وقال عَبْدُ اللَّهِ بن الزُبَيْرِ لأصحابه وأهله يوم قُتِل بعد صلاة
الصبح : اكشفوا وُجُوهكم حتى أنظر إليكم وعليكم المَغَافِرُ ، ففعلوا ،
فقال : يا آلَ الزُبَيْرِ ، لو طِبْتُمْ لى نفسا عن أنفسكم كُنَّا أهلَ بيت
من العرب اصطَلَمْنَا فى اللَّهِ فلا يَرُعُكم وَقَعُ السيفِ ، فإنَّ أَلَمَ الدِّواءِ
للجراحِ أَشدَّ من أَلَمِ وَقَعِها ، صونُوا سيوفكم كما تصونون وجوهكم ،
عُضُّوا أبصاركم عن البارِقةِ ، وليشغل كلَّ امرئٍ قِرْنَه ، ولا تسألوا
عنى ، فمن كان سائلا عنى فإنى فى الرِّعيلِ الأوَّلِ ، احمِلوا على بَرَكةِ اللَّهِ .
ثم حمل عليهم حتى بلغ بهم الحجُّونُ (١) فَرُمِيَ بِأَجْرَةٍ ، رماه بها
رجُلٌ من السُّكُونِ ، فأصابَتْ وجهَهُ فأرْعَشَ لها وسال الدَّمُ على وجهه ،
فقال رضى اللهُ عنه وأرضاه (٢) :

فَلَسْنَا على الأَعقابِ تَدْمَى كلومُنَا ولكن على أَعقابنا تَقَطَّرُ الدِّمَا
وقاتلهم قتالاً شديداً ، فتعاونوا (٣) عليه ، فقتلوه ، قَتَلَهُ رَجُلٌ

(١) الحجون : بأعلى مكة : عند مقبرة أهلها (المراد) .

(٢) والطبرى : (٦-١٩٢) ، والبيت للحصين بن الحمام المرى ، وانظر

ديوان الحماسة بشرح المرزوقى : ١ - ١٩٢ .

(٣) فى الكامل : فتعاونوا .

من مُراد، وحمل رأسه إلى الحجاج ، فسجد . ووفد السُّكُونِي والمُرَادِي إلى عَبْدِ الْمَلِكِ بالخبر ؛ فَأَعْطَى كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا خَمْسَ مِائَةِ دِينَارٍ .

وقيل في قَتْلِهِ : إنه جاءه حَجَرُ الْمِنْجَنِيْقِ وهو يقاتِلُ فصرعه فاقتحم عليه أَهْلُ الشَّامِ ، وذهبوا به إلى الحجاج فحزَّ رأسه بيده . وكان مقتله - رضى الله عنه - في يوم الثلاثاء لثلاث عشرة ليلة بقيت من جُمَادَى الْأُولَى سنة [٥٧٣هـ] ثلاث وسبعين وقيل في جمادى الآخرة منها ، وله ثلاث وسبعون سنة .

ولما قُتِلَ رضى الله عنه كَبُرَ أَهْلُ الشَّامِ فَرَحًا بِقَتْلِهِ ؛ فقال عَبْدُ اللَّهِ ابن عمر : انظروا إلى هؤلاء . انظروا إلى هؤلاء . لقد كَبُرَ المسلمون فرحًا بولادته ، وهؤلاء يكبرون فرحًا بقَتْلِهِ .

وبعث الحجاج برأسه ورأس عبد الله بن صفوان ورأس عُمارة ابن عَمْرٍو بن حَزْمٍ إلى المدينة ، ثم إلى عبد الملك وصلب جثته [منكسة] (١) على الثنية اليمنى بالحجون ، فأرسلت إليه أسماء تقول : قاتلك الله ! على ماذا صلبته ؟ قال : استبقتُ أنا وهو إلى هذه الخشبة ، فكانت له . فاستأذنته في تكفينه ودفنه . فأبى .

وكتب إلى عبد الملك يُخْبِرُهُ بِصَلْبِهِ ، فكتب إليه يَلُومُهُ ، ويقول : أَلَا خَلَيْتَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أُمَّه . فَأَذِنَ لَهَا الحجاج فدَفَنَتْهُ بِالْحَجُونِ .

وكان قبل مقتله بقى أياماً يستعمل الصبر والمِسْكَ لثلاثين

(١) ساقط في الكامل .

إِنَّهُ صُلِبَ ، فَلَمَّا صُلِبَ ظَهَرَ مِنْهُ رِيحُ الْمَسْكِ ، فَقِيلَ : إِنَّ الْحِجَّاجَ
صَلَبَ مَعَهُ كَلْبًا مَيْتًا . وَقِيلَ ، سِنُورًا ، فَعَلِبَ عَلَى رِيحِ الْمَسْكِ .

وَمَا قَتَلَ عَبْدُ اللَّهِ رَكِبَ أَخُوهُ عُرْوَةَ بْنَ الزَّبِيرِ نَاقَةً لَمْ يَرَ مِثْلَهَا
وَسَارَ إِلَى عَبْدِ الْمَلِكِ فَسَبَقَ رُسُلَ الْحِجَّاجِ ، فَاسْتَأْذَنَ عَلَى عَبْدِ الْمَلِكِ
فَأْذِنَ لَهُ ، فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ سَلَّمَ عَلَيْهِ بِالْخِلاَفَةِ ، فَرَحَّبَ بِهِ وَأَجْلَسَهُ مَعَهُ
عَلَى السَّرِيرِ ، فَقَالَ عُرْوَةُ :

نَمْتُ (١) بِأَرْحَامِ إِلَيْكَ قَرِيبَةً وَلَا خَيْرَ فِي الْأَرْحَامِ مَا لَمْ تُقْرَبْ

وَتَحَدَّثَ (٢) حَتَّى جَرَى ذِكْرُ عَبْدِ اللَّهِ ، فَقَالَ عُرْوَةُ : إِنَّهُ كَانَ .

فَقَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ : وَمَا فَعَلَ ؟ قَالَ : قُتِلَ ؛ فَخَرَّ سَاجِدًا . فَقَالَ عُرْوَةُ :
إِنَّ الْحِجَّاجَ صَلَبَهُ . فَهَبْ جُثَّتَهُ لِأُمِّهِ . قَالَ : نَعَمْ .

وَكَتَبَ إِلَى الْحِجَّاجِ فَعَظَّمُ (٣) صَلَبَهُ .

وَكَانَ الْحِجَّاجُ لَمَّا فَقَدَ عُرْوَةَ كَتَبَ إِلَى عَبْدِ الْمَلِكِ : إِنَّ عُرْوَةَ كَانَ
مَعَ أَخِيهِ . فَلَمَّا قَتَلَ عَبْدُ اللَّهِ أَخَذَ مَالًا مِنْ مَالِ اللَّهِ وَهَرَبَ .

فَكَتَبَ إِلَيْهِ عَبْدُ الْمَلِكِ يَقُولُ : إِنَّهُ لَمْ يَهْرَبْ ، وَلَكِنَّهُ أَتَانِي مُبَايِعًا ،
وَقَدْ أَمَّنْتَهُ وَحَلَلْتَهُ مِمَّا كَانَ مِنْهُ ، وَهُوَ قَادِمٌ عَلَيْكَ ، فَيَايَاكَ وَعُرْوَةَ .

فَعَادَ عُرْوَةَ إِلَى مَكَّةَ فَكَانَتْ غَيْبَتُهُ عَنْهَا ثَلَاثِينَ يَوْمًا . فَأَنْزَلَ
الْحِجَّاجُ جُثَّةَ عَبْدِ اللَّهِ عَنِ الْخَشْبَةِ وَبَعَثَ بِهَا إِلَى أُمِّهِ فغسلته . فَلَمَّا أَصَابَهُ
الْمَاءُ تَقَطَّعَ فغسلته عُضْوًا عُضْوًا . وَصَلَى عَلَيْهِ عُرْوَةُ وَقِيلَ غَيْرُهُ .

(١) فِي الْكَامِلِ : مَتَّ .

(٢) فِي الْكَامِلِ : ثُمَّ تَحَدَّثَا .

(٣) فِي الْكَامِلِ : يَعْظُمُ .

وقيل : لم يُصَلِّ عليه أحدٌ ؛ منع الحجاجُ من الصلاة عليه .
وكانت أيام ولايته منذ مات معاوية بن يزيد إلى أن قُتِل سبع
سنين وأياماً .

وكان له من الأولاد : عَبْدُ اللَّهِ ، وحمزة ، وخُبَيْب ، وثابت ،
وعَبَاد ، وقيس ، وعامر ، وموسى .
وكاتبه زيد بن عَمْرٍو .

وحاجبه سالم مولاه [والله الموفق بمنه وكرمه] (١) .

ذكر نبذة من سيرته

[رضى الله عنه] (١) وأخباره

كان كثيرَ العبادة إذا سجد وقعت العصافيرُ على ظهره تظنه
حائطاً لسكونه وطول سجوده . وقال بعض السلف : قَسَمَ عَبْدُ اللَّهِ
الدَّهْرَ على ثلاث حالات فليَلةٌ قائم حتى الصباح ، وليَلة راكم حتى
الصباح ، وليَلة ساجد حتى الصباح .

وقيل : أول ما علم مِنْ هَمَّتِهِ أَنه كان يَلْعَبُ ذات يومٍ مع الصَّبِيانِ
وهو صَبِيٌّ ، فمرَّ رجلٌ فصاح عليهم ففروا ، ومشى عَبْدُ اللَّهِ القَهْقَرَى ،
وقال للصبيان : اجعلوني أميركم ، وشُدُّوا بنا عليه .

ومرَّ به عُمَرُ بن الخطاب رضى الله عنه وهو يلعبُ مع الصبيان
ففروا ووقف هو ، فقال له عُمَرُ : ما منعك أن لاتفرَّ معهم (٢) ؟
فقال : لم أُجْرِمُ فأخافك ، ولم تكن الطريقُ ضيقةً فأوسَّع لك .

(١) ساقط في د .

(٢) في الكامل : مالاك لم تفر معهم .

وقال: هشام بن عروة: كان أول ما أفصح به عمى عبد الله ابن الزبير وهو صغير السيف^(١)، فكان لا يَضَعُهُ مِنْ فِيهِ^(٢). فكان الزبير رضى الله عنه يقول: والله ليكوننَّ لك منه يوم وأيام.

وقال ابن سيرين: قال ابن الزبير: ما كان شىء يحدثنا به كعب إلا وقد جاء على ما قال إلا قوله: فتنى ثقيف يقتلنى وهذا رأسه بين يدى - يعنى المختار.

قال: لم يشعر ابن الزبير أن الحجاج قد خبىء له. ومر [به]^(٣) عبد الله بن عمر رضى الله عنهم وهو مصلوب، فقال: يَرَحْمُكَ اللهُ إن كنتَ لصوأمًا قوأمًا، ولقد أفلحت قريش إن كنتَ شرها. وكان الحجاج قد صلبه ثم ألقاه فى مقابر اليهود، وأرسل إلى أمه يستحضرها، فلم تحضر، فأرسل إليها لتأتينى أو لأبعثنَّ إليك مَنْ يسحبك بقروئك، فلم تأتِه فجاء إليها. فقال: كيف رأيتنى صنعنتُ بعدوَّ الله^(٤)؟ قالت: رأيتك أفسدت على ابنى دُنْيَاهُ، وأفسد عليك آخرتك؛ وإن رسول الله صلى الله عليه وسلم حدثنا أن فى ثقيف كذابا ومُبيِّرًا، فأما الكذاب فقد رأيناه [تعنى المختار]^(٥)، وأما المُبيِّر فأنت^(٦).

(١) فى د: السن.

(٢) فى الكامل: من يده.

(٣) من الكامل.

(٤) فى الكامل: بعد الله.

(٥) من الكامل.

(٦) فى الكامل: فأنت هو.

وقال قَتَنُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ : كان الزُّبَيْرُ يُفْطِرُ من الشهر ثلاثة أيام ، ومكث أربعين سنة لم ينزع ثوبه عن ظهره . وقال مجاهد : لم يكن باباً من أبواب العباداة يعجز عنه الناس إلا تكلفه ابن الزبير ، ولقد جاء سيئلاً طبق البيت ، فجعل ابنُ الزبير رضى الله عنه يطوفُ سباحة . [وماتت أسماء رضى الله عنها بعده بقليل (١)] .

انتهت أخبار عبد الله بن الزبير رضى الله عنه ، فلنذكر غير ذلك من أخبار أيام عبد الملك ونبدأ بتمتة أخبار الحجاج وما فعل بمكة والمدينة [والله أعلم (٢)] .

ذكر مبايعة أهل مكة عبد الملك بن مروان

وما فعله الحجاج من هدم الكعبة وبنائها ومسيره إلى المدينة وما فعله فيها بالصحابة رضى الله عنهم

قال : ولما فرغ الحجاجُ من أمرِ عَبْدِ اللَّهِ بنِ الزبير دخل مكة فبایعَهُ أهلُهَا لِعَبْدِ الملكِ بنِ مَرَوان ، وأمر بكنن المسجد الحرام من الحجارة والدم ، وهدم الكعبة في المحرم سنة [٥٧٤هـ] أربع وسبعين ، وأعادها إلى البناء الأول وأخرج الحجر منها ، وكان عبد الملك [يقول (٢)] : كذب ابنُ الزبير فيما رواه عن عائشة رضى الله عنها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في أمر الحجر ، وأنه من البيت . فلما (٣) قال له

(١) ساقط من ك .

(٢) ليس في د .

(٣) في الكامل : فلما قيل له .

غَيْرُ ابْنِ الزَّبِيرِ : إِنَّ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا رَوَتْ ذَلِكَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : وَدِدْتُ أَنْ تَرَكَتَهُ وَمَا تَحْمَلُ .

والكعبة في وقتنا هذا على بناها الذى أعاده الحجاج بن يوسف .

قال : ثم سار الحجاج إلى المدينة في سنة [٥٧٤هـ] أربع وسبعين ، وكان عَبْدُ الْمَلِكِ قد عزل طارقاً (١) عنها ، واستعمل عليها الحجاج ، فصار معه مكة والمدينة واليمن واليمامة ، فلما قدم المدينة أقام بها شهراً أو شهرين ، فأساء إلى أهلها ، واستخف بهم ، وقال : أَنْتُمْ قَتَلْتُمْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عُمَانَ ، وَخَتَمَ أَيْدِي جَمَاعَةٍ مِنَ الصَّحَابَةِ بِالرِّصَاصِ اسْتِخْفَافاً بِهِمْ ، كَمَا يُفْعَلُ بِأَهْلِ الذِّمَّةِ ، مِنْهُمْ جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ . وَأَنْسَ بْنُ مَالِكٍ ، وَسَهْلُ بْنُ سَعْدٍ ، ثُمَّ عَادَ إِلَى مَكَّةَ مُعْتَمِراً ، وَقَالَ حِينَ خَرَجَ مِنَ الْمَدِينَةِ : الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَخْرَجَنِي مِنْ أُمَّ نَتْنٍ ، أَهْلُهَا أَخْبَثُ أَهْلُ بَلَدٍ ، وَأَغْثُهُ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَأَحْسَدُهُمْ لِي عَلَى نِعْمَةِ اللَّهِ ، وَاللَّهُ لَوْلَا مَا كَانَتْ تَأْتِينِي كُتُبُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ فِيهَا لَجَعَلْتُهُمْ مِثْلَ جَوْفِ الْجِمَارِ ، أَعْوَادٌ يَهْوَدُونَ بِهَا ، وَرِمَةٌ قَدِ بَلَيْتَ ، يَقُولُونَ : مَنْبَرُ رَسُولِ اللَّهِ ، وَقَبْرُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

فبلغ جابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ قَوْلَهُ ، فَقَالَ : إِنْ وَرَاءَهُ مَا يَسُوءُهُ . قَدْ قَالَ فَرَعُونَ مَا قَالَ ، فَأَخَذَهُ اللَّهُ بَعْدَ أَنْ أَنْظَرَهُ .

وأقام الحجاج بالحجاز إلى أن نقله عَبْدُ الْمَلِكِ إلى ولاية العراق . وذلك في سنة [٥٧٥هـ] خمس وسبعين على ما نذكره إن شاء الله تعالى .

(١) هو طارق بن عمرو .

ذكر أخبار الخوارج

في أيام عبد الملك بن مروان منذ استقل بالأمر

قد ذكرنا أنه لما قُتِل مصعب بن الزبير كان المهلب بن أبي صفرة يقاتل الخوارج منذ ثمانية أشهر، وذكرنا مقالاتهم لأصحابه حين بلغهم قتل مصعب، وتبعه عبد الملك، فلما كان في سنة [٥٧٢هـ] اثنتين وسبعين استعمل عبد الملك خالد بن عبد الله بن أسيد^(١) على البصرة، فلما قدمها استعمل المهلب على خراج الأهواز ومعونتها، وبعث أخاه عبد العزيز بن عبد الله إلى قتال الخوارج، وسير معه مقاتل بن مسمع، فخرجوا يطلبان الأزرق، فأتت الخوارج من ناحية كرمان إلى درابجرد^(٢) وأرسل قطري بن الفجاءة المازني أمير الحج سبعمائة فارس مع صالح ابن مخراق^(٣)، فأقبل بهم حتى استقبل عبد العزيز وهو يسير ليلا على غير تعبئة، فانهزم بالناس، ونزل مقاتل بن مسمع، فقاتل حتى قُتِل.

ولما انهزم عبد العزيز أخذت امرأته ابنة المنذر بن الجارود، فأقيمت فيمن يزيد، فبلغت قيمتها مائة ألف، فجاء رجل من قومها^(٤) كان من رؤوس الخوارج، فقال: تنحوا هكذا، ما أرى هذه المشتركة إلا قد فتنتمكم، فضرب عنقها، ولحق بالبصرة، فرآه آل المنذر،

(١) الضبط في معجم البكري.

(٢) درا يجرى: بفتح أوله. وقال أبو حاتم: بكسر أوله. والباء المعجمة بواحدة، بعدها جيم مكسورة، وراء هملة ساكنة، ودال مهمل (البكري).
وفي ك: دار الجرة - تحريف.

(٣) في الكامل: مخراق، والمثبت في الطبري أيضا. وفي الكامل: تسعمائة فارس.

(٤) في الكامل: يقال له أبو الحديد الشبي.

فقالوا : والله ماندرى أنحمدك أم نذمك ؟ فكان يقول : ما فعلته
إلا خيرةً وحميةً .

وانتهى عبد العزيز إلى رامهرمز ، وأتى المهلبَ خبره ، فأرسل^(١)
إلى أخيه خالد بن عبد الله بخبر هزيمة ، فقال للرسول : كذبت .
فقال : إن كنت كاذباً فاضرب عنقى ، وإن كنت صادقاً فأعطني
جبتك ومطرفك . قال : ويحك ! قد رضيت من الخطر العظيم بالخطر
اليسير ، ثم حبسه وأحسن إليه لما صحَّ عنده خبر الهزيمة . وفى هذه
الهزيمة وفرار عبد العزيز يقول ابن قيس الرقيات^(٢) :

عبد العزيز فضحت^(٣) جيشك كلهم
وتركتهم صرعى بكل سبيـــــــــــــــــل
من بين ذى عطش يجودُ بنفسهـــــــــــــــــه
وملحّب^(٤) بين الرجال قتيـــــــــــــــــل
هلاً صبرت مع الشهيدٍ مقاتـــــــــــــــــلا
إذ رخت منتك القوى بأصـــــــــــــــــيل
وتركت جيشك لا أميرَ عليهمـــــــــــــــــو
فارجع بعمارٍ فى الحياة طويـــــــــــــــــل
ونسيت عرسك إذ تقاد سبيـــــــــــــــــة
نبكى العيون برنةٍ وعويـــــــــــــــــل

(١) فى الطبرى : فأرسل إليه شيخاً من الأزد .

(٢) والطبرى : ٦-١٧٣ : وديوانه : ١٩٠ . والكامل : ٤-١٩

(٣) فى ك : قضمت ، والمثبت فى د ، والكامل ، والطبرى .

(٤) ملحّب : قطعه السيف .

قال : وكتب خالد إلى عَبْدِ الملك بالخبر ، فكتب إليه يقول :
 قَبِّحَ اللهُ رَأْيَكَ حِينَ تَبْعْتُ أَخَاكَ أَعْرَابِيًّا مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ عَلَى الْقِتَالِ ،
 وَقَدَّعَ الْمَهْلَبُ يَجْبِي الْخِرَاجَ ، وَهُوَ الْمِيمُونُ النَّقِيبَةُ ، الْمُقَابِسِيُّ لِلْحَرْبِ ،
 ابْنُهَا وَابْنُ أَبْنَائِهَا . أَرْسَلَ إِلَى الْمَهْلَبِ يَسْتَقْبِلُهُمْ ، وَقَدْ بَعَثْتُ
 إِلَى بِشْرِ بِالْكُوفَةِ أَنْ يَمْدُكَ بِجَيْشٍ ، فَمِيسِرٌ مَعَهُمْ ، وَلَا تَعْمَلْ فِي عَدُوِّكَ
 بِرَأْيٍ حَتَّى يَحْضُرَهُ الْمَهْلَبُ . وَالسَّلَامُ .

وكتب عَبْدُ الملك إلى أَخِيهِ بِشْرِ ، وَهُوَ أَمِيرُ الْكُوفَةِ ، بِأَمْرِهِ
 بِإِنْفَازِ خَمْسَةِ آلَافٍ مَعَ رَجُلٍ يَرْضَاهُ لِقِتَالِ الْخَوَارِجِ ، فَإِذَا قَضَوْا
 غَزْوَتَهُمْ سَارُوا إِلَى الرَّيِّ ، فَقَاتَلُوا عَدُوَّهُمْ ، وَكَانُوا مَسْلُوحَةً ، فَبِعَثَ
 بِشْرُ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ الْأَشْعَثِ فِي خَمْسَةِ آلَافٍ ، وَكَتَبَ
 عَهْدَهُ عَلَى الرَّيِّ ، وَخَرَجَ خَالِدٌ بِأَهْلِ الْبَصْرَةِ حَتَّى قَدِمَ الْأَهْوَازَ ؛ وَقَدِمَهَا
 عَبْدُ الرَّحْمَنِ فِي أَهْلِ الْكُوفَةِ ، وَجَاءَتِ الْأَزَارِقَةُ حَتَّى دَنَوْا مِنَ الْأَهْوَازِ ؛ فَعَبَأَ
 خَالِدٌ أَصْحَابَهُ ، وَجَعَلَ الْمَهْلَبَ عَلَى مِيْمَنَتِهِ ، وَدَاوُدُ بْنُ قَحْذَمٍ مِنْ بَنِي
 قَيْسِ بْنِ ثَعْلَبَةَ عَلَى مَيْسَرَتِهِ ، ثُمَّ زَحَفَ خَالِدٌ إِلَيْهِمْ بِالنَّاسِ بَعْدَ
 عَشْرِينَ لَيْلَةً ، فَرَأَوْا مِنْ كَثْرَةِ النَّاسِ مَا هَالَهُمْ ، فَانصَرَفُوا عَلَى
 حَامِيَةٍ ^(١) ، وَلَمْ يَقَاتِلُوا ؛ فَأَرْسَلَ خَالِدٌ دَاوُدَ بْنَ قَحْذَمٍ فِي آثَارِهِمْ ،
 وَانصَرَفَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ إِلَى الرَّيِّ ، وَأَقَامَ الْمَهْلَبُ بِالْأَهْوَازِ ، وَانصَرَفَ
 خَالِدٌ إِلَى الْبَصْرَةِ ، وَكَتَبَ إِلَى عَبْدِ الملكِ بِذَلِكَ ، فَكَتَبَ إِلَى أَخِيهِ
 بِشْرِ بِأَمْرِهِ أَنْ يَبْعَثَ أَرْبَعَةَ آلَافٍ فَارِسٍ مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ مَعَ رَجُلٍ بِصَيْبِرٍ

(١) في الكامل : كأنهم على حامية .

بالحَرْبِ إلى فارس في طلب الأَزَارِقَةِ، ويأمر صاحبه بموافقة داود ابن قَحْدَمَ إن اجتمعا .

فبعث بِشْرَ عَتَابِ بْنِ وَرْقَاءِ فِي أَرْبَعَةِ آلَافٍ ، فَمَارُوا حَتَّى لَحِقُوا دَاوُدَ ، فَاجْتَمَعُوا ، ثُمَّ اتَّبَعُوا الْخَوَارِجَ حَتَّى هَلَكَتْ خِيُولُ عَامَتِهِمْ ، وَأَصَابَهُمُ الْجُوعُ وَالْجَهْدُ ، وَرَجَعَ عَامَةُ الْجَيْشِ ^(١) مُشَاةً إِلَى الْأَهْوَازِ ؛ وَذَلِكَ فِي سَنَةِ [٥٧٢هـ] اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ .

ذِكْرُ مَقْتَلِ أَبِي فُذَيْكٍ الْخَارِجِيِّ

قَدْ ذَكَرْنَا فِي أَخْبَارِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزَّبِيرِ قَتْلَ نَجْدَةَ بْنِ عَامِرٍ وَطَاعَةَ أَصْحَابِهِ أَبَا فُذَيْكٍ ، فَلَمَّا كَانَ فِي سَنَةِ [٥٧٢هـ] اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ غَلَبَ أَبُو فُذَيْكٍ عَلَى الْبَحْرَيْنِ ؛ فَبَعَثَ خَالِدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ أَمِيرُ الْبَصْرَةِ أَخَاهُ أُمِيَّةَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ فِي جُنْدٍ كَثِيفٍ ، فَهَزَمَهُ أَبُو فُذَيْكٍ ، وَأَخَذَ جَارِيَةً لَهُ ، فَاتَّخَذَهَا لِنَفْسِهِ ، فَكَتَبَ إِلَى عَبْدِ الْمَلِكِ بِذَلِكَ ، فَأَمَرَ عَبْدُ الْمَلِكِ عُمَرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَعْمَرٍ أَنْ يَنْدُبَ النَّاسَ مِنْ ^(٢) أَهْلِ الْكُوفَةِ وَالْبَصْرَةِ وَيَسِيرَ إِلَى قِتَالِهِ ، فَانْتَدَبَ مَعَهُ عَشْرَةُ آلَافٍ ، وَسَارَ بِهِمْ ، وَجَعَلَ أَهْلَ الْكُوفَةِ عَلَى الْمِيْمَةِ ، وَعَلَيْهِمْ مُحَمَّدُ بْنُ مُوسَى بْنِ طَلْحَةَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ، وَأَهْلَ الْبَصْرَةِ عَلَى الْمَيْسِرَةِ وَعَلَيْهِمْ عُمَرُ بْنُ مُوسَى بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَعْمَرٍ ، وَهُوَ ابْنُ أَخِي عُمَرَ ، وَجَعَلَ خَيْلَهُ فِي الْقَلْبِ ، وَسَارُوا حَتَّى انْتَهَوْا إِلَى الْبَحْرَيْنِ ، فَالْتَقَوْا ، وَاصْطَفَوْا لِلْقِتَالِ ، فَحَمَلَ أَبُو فُذَيْكٍ وَأَصْحَابُهُ حَمَلَةً رَجُلٍ وَاحِدٍ ، فَكَشَفُوا مَيْسِرَةَ عُمَرَ حَتَّى أَبْعَدُوا إِلَّا الْمَغِيرَةَ

(١) في د ، والكامل : الجيشين .

(٢) في ك : مع .

ابن المهلب ، ومَجَاعَة بن عبد الرحمن ، وفُرْسَان الناس ؛ فإنهم مالوا إلى صَفِّ أهل الكوفةِ باليمنة ، ثم رجع أهلُ الميسرة وقاتلوا واشتد قتالهم حتى دخلوا عَسْكَرَ الخوارج ، وحمل أهلُ اليمنة حتى استباحوا عَسْكَرَ الخوارج ، وقتلوا أبا فُدَيْك ، وحَصَرُوا أصحابه حتى نزلوا على الحكم ، فقتل منهم نحو ستة آلاف ، وأسر ثمانمائة ؛ ووجدوا جارية أمية بن عبد الله حُبْلَى من أبي فُدَيْك ، وعادوا إلى البصرة ، وذلك في سنة [٥٧٣هـ] ثلاث وسبعين .

ذكر ولاية المهلب بن ابي صفرة حرب الأزارقة

في سنة [٥٧٤هـ] أربع وسبعين أمر عَبْدُ الملك أخاه بِشِرا ، وكان قد أضاف إليه ولايةَ البصرة مع الكوفة ، أن يبعثَ المهلبَ بنَ أبي صُفْرَةَ لحربِ الأزارقة في أهل البصرة ، وأن ينتخب مَنْ أراد منهم ، وأن يتركه في الحرب ورأيه ، وأمره أن يبعثَ من أهل الكوفة رجلاً شريفاً معروفاً بالبأس والنجدة في جيش كثيف إلى المهلب ، وأن يتتبعوا الخوارجَ حيث كانوا حتى يستأصلوهم .

فأرسل المهلبَ خَلِيَجَ بنَ سَعِيدٍ^(١) بنَ قَيْبِصَةَ ، وأمره أن ينتخب الناس من الديوان ، وشمقَ على بشر أن إمرةَ المهلبِ جاءت من قِبَلِ عَبْدِ الملك ، وبعثَ بشر عبد الرحمن بن مَخْنَفَ على أهل الكوفة ، وأغراه بالمهلب ، وأمره أن يستبدَّ بالأمر ، وسار المهلب حتى نزل رَامَهْرَمَز ، فلقى بها الخوارج ، فَخَنَدَقَ عليه ، وأقبل أهلُ الكوفة حتى نزلوا على ميل من المهلب ، فلم يلبث العسكر إلا عشرًا^(٢) حتى

(١) والإكمال : ٢ - ١٣٣ .

(٢) في ك : شهرًا ، والمثبت في د ، والطبرى .

أناهم نعى بشر بن مروان فتفرقوا ، وعاد أكثر أهل الكوفة والبصرة إلى أن قدم الحجاج إلى الكوفة في سنة [٨٧٥] خمس وسبعين ، فأخرج الناس إلى المهلب وابن مخنف على ما نذكر ذلك إن شاء الله في أخبار الحجاج حين قدم الكوفة .

ذكر اجلاء الخوارج عن رامهرمز

وقتل عبد الرحمن بن مخنف

قال : ولما أعاد الحجاج البعوث إلى المهلب كتب إليه وإلى عبد الرحمن بن مخنف يأمرهما بمناهضة الخوارج رجعا (١) إليهم وقتلوهم شيئا من قتال ، فانزاحت الخوارج كأنهم على حامية ، وساروا حتى نزلوا بكازرون (٢) ، وسار المهلب وابن مخنف حتى نزلوا بهم ، وخذق المهلب على نفسه ، وأشار على ابن مخنف أن يخذق ، فقال أصحابه : نحن خندقنا سيوفنا ، فأتى الخوارج المهلب ليبيئوه ، فوجدوه قد خندق ، فمالوا نحو ابن مخنف ، فقاتلوه ، فانهزم عنه أصحابه ، فنزل فقاتل في ناس من أصحابه ، فقتل وقتلوا رجاله ، فقال شاعرهم (٣) :

لمن العسكر المكلل بالصر عى فهم بين ميّة وقتيل
فترأمو تسفى الرياح عليهمو حاصب الرمل بعد جر الذبول

هذا قول أهل البصرة في قتل ابن مخنف .

(١) في الكامل : زحفوا .

(٢) كازرون - بتقديم الزاى ، وآخره نون : مدينة بفارس بين البحر وشيراز ، يقال : هى دمياط الأعاجم (البكرى) .

(٣) والطبرى : ٦ - ٢١٢ .

وأما أهل الكوفة فقالوا : إنه لَمَّا وصل كتابُ الحجاج لناهضة^(١) الخوارج ناهضهم المهلبُ وابنِ مِخْنَفٍ ، واقتتلوا قتالاً شديداً ؛ فمالت الخوارج إلى المهلبِ فاضطَّروه إلى عسكره ، فاستنجد عبْدُ الرحمن فأمَّده بالخيل والرجال ، وكان ذلك بعد الظهر لعَشرٍ بَقِيْن من شهر رمضان سنة [٥٧٥هـ] خمس وسبعين .

فلما كان بعد العَصْرِ ورأت الخوارج مَنْ يَأْتِي مِنْ عسكر عبد الرحمن [من الرجال] (٢) علموا أنه قد خَفَّ أصحابُه ، فجعلوا بإزاء المهلبِ مَنْ يَشْغله ، وانصرفوا بِحَدِّهم (٣) إلى ابنِ مِخْنَفٍ ، فنزل ونزل معه القُرَاءُ ، منهم أبو الأحوص (٤) صاحب ابن مسعود ، وخزيمة بن نصر أبو نصر بن خزيمة ، ونزل معه من قومه واحدٌ وسبعون رجلاً ، وحملت عليهم الخوارجُ فقاتلوا قتالاً شديداً ، وانكشف الناسُ عنه ، وبقي في عصابةٍ من أهل الصَّبْرِ ، فقاتلوا حتى ذهب نَحْوُ ثلثي الليل ، ثم قُتِلَ في تلك العِصَابَةِ .

فلما أصبحوا جاء المهلبُ فصلَّى عليه ودَفَنَه ، وكتب بذلك إلى الحجاج ، فبعث إلى عَسْكَرِ عبد الرحمن عَتَّابَ ابنِ ورقاء ، وأمره أن يسمع إلى المهلبِ ، فسأه ذلك ، ولم يجد بُدًّا من طاعته ، فجاء وقاتل الخوارج ؛ ثم وقع بينه وبين المهلبِ كلامٌ أغلظَ كلُّ منهما لصاحبه ، فرفع المهلبُ القضيْبَ على عَتَّابِ ،

(١) في ك : بمناهضة .

(٢) من الكامل .

(٣) في ك : يجدهم . وفي الكامل : يجندهم . والمثبت في د ، والطبرى .

(٤) في الطبرى : عليهم أبو الأحوص .

فوثب المغيرةُ بن المهلب فقبض (١) القضيبَ من يَدِ أبيه وسكته ،
وأثنى على عتاب ، وافترقا .

فأرسل عتاب إلى الحجاج يشكو المهلب ، ويسأله أن يأمر
بالعود ، فوافق ذلك حاجةً من الحجاج إليه ، فاستقدمه ، وأمره
أن يترك ذلك الجيش مع المهلب ، فجعل المهلب عليهم ابنه حبيباً ،
وقاتل المهلبُ الخوارجَ على سابور (٢) نحو سنةٍ بعدَ مسير عتاب عنه ،
وكانت كِرمَان في يَدِ الخوارج ، وفارس في يَدِ المهلب ؛ فضاق على
الخوارج مكانهم ، فخرجوا حتى أتوا كِرمَان ، وتبعهم المهلب
حتى نزل بجيزفت (٣) ، وهى مدينة كِرمَان ، فقاتلهم قتالاً شديداً .
ثم أرسل إليه الحجاج البراء بن قبيصة يحثه على قتالِ الخوارج ،
ويأمره بالجدِّ ، وأنه لاَ قدرَ له عنده .

فخرج المهلبُ بالعسكر ، فقاتل الخوارجَ مِنَ الغداةِ إلى الظهر ،
ثم انصرفوا والبراء على تلِّ مُشرف (٤) يَراهم ، فأثنى على المهلب
وعلى أصحابه ، وانصرف إلى الحجاج ، وعرفه عُذْرَ المهلب ، ثم قاتلهم
المهلبُ ثمانية عشر شهراً لا يَقْدِرُ منهم على شىء إلى أن وقع بينهم
الاختلاف .

(١) فى الطبرى : قبض على القضيب .

(٢) كورة مشهورة بأرض فارس (ياقوت) .

(٣) بالكسر ثم السكون وفتح الراء وسكون الفاء ، وتاء فوقها نقطتان :
مدينة بكرمان (المراصد) .

(٤) فى الكامل : على مكان عال .

ذكر الاختلاف بين الأزارقة

ومفارقة قَطْرِيَّ بن الفُجاءة

لِيَتَاهُمْ ومبايعتهم عبد ربِّ الكبير والحَرْبِ بينه وبين المهلب ومقتله

وفي سنة [٥٧٧هـ] سبَّع وسبعين وقع الاختلاف بين الخوارج ، فخلعوا قَطْرِيَّ بن الفُجاءة ، وبايعوا عبد ربِّ الكبير ، واختلف في سبب ذلك ، فقيل : إنَّ عالماً^(١) لَقَطْرِيَّ على ناحية كِرْمَانَ ، يدعى الْمُعْطَر الضُّبِّي ، قتل رجلاً منهم ، فوثبت الخوارجُ إلى قَطْرِي ، وطلبوا منه أن يقيدهم مِنْ عامله ، فلم يَفْعَلْ ، وقال : إنه تَأَوَّلَ فَأَخْطَأَ التَّأْوِيلَ ، وهو ن ذَوِي السَّابِقَةِ فيكم ، ما أرى أن نقتلوه ، فاختلفوا .

وقيل : كان السبب في اختلافهم أن رجلاً كان في عسكرهم يَعْمَلُ النُّصُولَ المسمومةً ، فيرمى بها أصحابَ المهلب ، فشكا أصحابه منها ، فقال : أنا أكفيكموه ، فوجه رجلاً من أصحابه ومعه كتابٌ ، فأمره أن يُلْقِيَهُ في عسكر قَطْرِي ولا يراه أحد ، ففعل ، ووقع الكتابُ إلى قَطْرِي ، فإذا فيه : أما بعد فإن نِصَالَكَ وصلت ، وقد أنقذتُ إليك ألفَ درهم ، فأحضر قَطْرِيُّ الصَّانِعَ فسأله . فجحد ، فقتله ، فأنكر عليه عبد ربِّ الكبير قتلَه ، واختلفوا .

ثم وضع المهلب رجلاً نصرانياً ، وأمره أن يسجد لَقَطْرِي . ففعل . فقال الخوارج : إن هذا قد اتَّخَذَكَ إِلَهًا . ووثب بعضهم على النَّصْرَانِي فقتلَه ، فزاد اختلافهم ، ففارق بعضهم قَطْرِيًّا وخلعوه ، وولَّوْا

(١) في ك : غلاما .

عبد رب الكبير ، وبقى مع قَطْرَى منهم نحو رُبْعِهِمْ أو خُمْسِهِمْ ،
واقْتَتَلُوا فيما بينهم نَحْوًا من شهر (١) .

وكتب المهلب إلى الحجاج بذلك ، فكتب إليه الحجاجُ بِأمره
بِقِتَالِهِمْ على حالِ اختلافهم قبل أن يجتمعوا .

فكتب إليه المهلب : إني لستُ أرى أن أقاتلهم مادام يَقتُلُ
بعضهم بعضًا ، فإن تَمَّوا على ذلك فهو الذى نُريدُ (٢) ، وفيه هلاكهم .
وإن اجتمعوا لم يجتمعوا إلا وقد رَقَّقَ بَعْضُهُمْ بعضًا فأنا هضمهم حينئذ ،
وهم أهونُ ما كانوا وأضعفهم شوكة إن شاء الله تعالى . والسلام .
فسكت عنه .

ثم إن قَطْرِيًّا خرج بمن معه نحو طبرستان ، وأقام (٣) عند
عبد رب الكبير بِكَرْمَانَ ، فنهض إليهم المهلبُ ، فقاتلوه قتالاً شديداً
وحصرهم بِجَيْرَفَتٍ ، وكرَّرَ قتالهم وهو لا يبلغُ منهم ما يريد .

فلما طال عليهم الحصار خرجوا من جَيْرَفَتٍ بأموالهم وحُرْمِهِمْ ،
فقاتلهم المهلبُ قتالاً شديداً حتى عُقِرَت الخيَلُ وتكسَّرَ السلاحُ ،
وقُتِلَ الفرسان ، فتركهم ، فساروا ، ودخل المهلبُ جَيْرَفَتٍ ، ثم سار
حتى لحقهم على أربعة فراسخ منها ، فقاتلهم مِنْ بُكْرَةِ النهار إلى
الظُّهرِ ، ثم كَفَّ عنهم ، فجمع عبدُ رب الكبير أصحابه ، وقال :

(١) فى الكامل : أشهر .

(٢) فى د : نريده .

(٣) فى الطبرى : وباب عامتهم عبد رب الكبير ، وفى الكامل : وباب الباقون
عبد رب الكبير .

يا معشر المهاجرين ؛ إن قَطَرِيًّا ومن معه هربوا ، طلب (١) البقاء ،
ولا سبيل إليه ، فألقوا عدوكم ، وهبوا أنفسكم لله ، ثم عاود القتال ،
فاقتتلوا قتالاً شديداً أنساهم ما قبله ، فتبايع (٢) جماعة من أصحاب
المهلب على الموت ، وترجلت الخوارج ، وعقرُوا دوابهم ، واشتد
القتال ، وعظم الخطبُ حتى قال المهلب : ما مرَّ بي يومٌ مثل هذا .

ثم هزم الله الخوارج ، وكثر القتلُ فيهم ، فكان عدد القتلى
أربعة آلاف ، منهم ابن عبد رب الكبير ، ولم ينجُ منهم إلا القليل ،
وأخذَ عسكرهم وما فيه ، وبعث المهلب إلى الحجاج مُبَشِّراً . فلما دخل
البشِير إليه أخبره عن الجيش وعن الخوارج وذكر حروبهم ، وأخبره
عن بني المهلب ، فقال : المغيرة فارسهم وسيدهم ، وكفى بيزيد
فارساً شجاعاً ، وجوادهم وشجاعهم (٣) قبيصة ، ولا يستحي الشجاع
أن يفرَّ من مُذْرِكِهِ . وعبد الملك سم نافع ، وحبیب موت دُعَاف (٤) ،
ومحمد ليث غاب ، وكفالك بالفضل نجدة . قال : فأبهم كان أنجد ؟
قال : كانوا كالحلقة المفرغة لا يُعرف طرفها .

استحسن قوله : وكتب إلى المهلب يشكره ، ويأمره أن يولي
كِرْمَانَ مَنْ يَثِيقُ إِلَيْهِ ، ويجعل فيها مَنْ يحميها ، ويقدم عليه ، فاستعمل
عليها ابنه يزيد . وسار إلى الحجاج .

فلما قدم عليه أكرمه وأجلسه إلى جانبه ، وقال : يا أهل العراق .

(١) في ك : طلبوا .

(٢) في الكامل : فبايع .

(٣) في د ، والكامل : وسخيم .

(٤) بالذال ، والزاي : كما في القاموس .

أنتم عبيد المهلب . ثم قال له : أنت كما قال لقيط بن يعمر الإيادى
فى صفة أمير الجيوش (١) :

فقلدوا (٢) أمركم لله دركم —
رحب الدراع بأمر الحرب مضطلعا
لامترقا إن رخاء العيش ساعده
ولا إذا عَضَ مكروه به خشعا (٣)
مسهد النوم تغنيه ثغوركم —
يروم منها إلى الأعداء مطلعا
ما انفك يخلب هذا الدهر أشطره
يكون متبعا طورا ومتبعا
وليس يشغله مال يُثمّره
عنكم ولا ولد يبغى له الرفعا
حتى استمرت على شزير مبررته
مستحكم السن لأقحما ولا ضرعا (٤)

وأحسن الحجاج إلى أهل البلاء من أصحاب المهلب وزادهم
[والله أعلم (٥)] .

(١) والشعر والشعراء : ١٥٢ ، والأبيات من قصيدة له طويلة فى مختارات
ابن الشجرى : ٣ .

(٢) فى الكامل : وقلدوا .

(٣) فى د ، ك : جشعا .

(٤) القحج : الكبير السن جدا . والضرع : الضعيف . وفى ك : فرعا .

(٥) ساقط من د .

ذكر مقتل قطري بن الفجاءة وعبيدة بن هلال

ومن معهما من الأزارقة

كان مقتلهم في سنة [٥٧٧هـ] سبع وسبعين ، وذلك أنه لما تشبَّهت أمرهم بسبب الاختلاف الذي ذكرناه ، وسار قَطْرِيٌّ نحو طَبْرِسْتَانَ ندب الحجاجُ سُفْيَانَ بن الأبرد في جيشٍ كثيف ، فسار ، واجتمع معه إسحاق بن محمد بن الأشعث في جيشٍ لأهل الكوفة بطبرستان ، فأقبلا في طلبِ قَطْرِيٍّ ، فأدركوه في شِعْبٍ من شِعَابِ طَبْرِسْتَانَ ، فقاتلوه ، فتنفَّرَ عنه أصحابُه ، وسقط عن دابته فتَدَهَّدَه (١) إلى أسفل الشَّعْبِ ، وأتاه عِلْجٌ من أهل البلد وهو لا يعرفه فقال [له] (٢) قَطْرِيٌّ: اسْقِنِي (٣) الماء . فقال العِلْجُ: أَعْطِنِي شَيْئًا . فقال : ما معي إلا سِلَاحِي ، وإن أَتَيْتَنِي بالماء فهو لَكَ ، فانطلق العِلْجُ حتى أشرفَ على قَطْرِيٍّ ثم حَدَّرَ عليه حَجْرًا عَظِيمًا من فوقه ، فأصاب وَرَكَه (٤) فأَوْهَنَه ، وصاح بالناس فأقبلوا نحوه .

وجاء نَفَرٌ من أهل الكوفة فقتلوه ، منهم سَوْرَةَ بن أبجر (٥) التميمي ، وجعفر بن عبد الرحمن بن مخنف ، والصبحاح بن محمد بن الأشعث ، وعُمَرُ بن أبي الصلت ، وكلُّ هؤلاء ادَّعى قَتْلَه ، فجاءهم أبو الجهم

(١) في الطبري : فتدهدى ، وهما بمعنى : تدهرج .

(٢) من الكامل .

(٣) في الطبري : من الماء .

(٤) في الطبري : وركبه .

(٥) في الكامل : سورة بن الحر ، والمثبت في الطبري أيضا .

ابن (١) كنانة ، فقال : ادفعوا رأسه إلىّ حتى تصطلحوا ، فدفعوه إليه ، فأقبل به إلى إسحاق بن محمد ، وهو على أهل الكوفة ، فأرسله معه إلى سُفْيَان بن الأبرد ، فبعثه معه إلى الحجاج ، فسيره معه إلى عبد الملك ، فجعل عطاءه في ألفين ؛ ثم سار سُفْيَان إليهم ، وأحاط بهم وأميرهم عُبيدة بن هلال ، فأمر منادياً فنادى : مَنْ قتل صاحبه وجاء إلينا فهو آمن ، وحصرهم سُفْيَان حتى أكلوا دوابهم ، ثم خرجوا إليه ، وقاتلوه ، فقتلهم ، وبعث برؤسهم إلى الحجاج ، وانقضت الأزارقة بعد مقتل قَطْرِيّ وعُبيدة ، [فكان أولهم نافع ابن الأزرق ، وآخرهم قَطْرِيّ وعُبيدة] (٢) : واتصل أمرهم بضعاً وعشرين سنة ، ثم دخل سفیان دُنْبَاوَنَد (٣) وطَبْرِسْتَان ، فكان هناك حتى عزّله الحجاجُ قبل الجَمَاجِم .

هذا ما كان من أمر الأزارقة ، فلنذكر من سواهم من الخوارج . أيام عبد الملك .

(١) ك : فى . والمثبت فى الكامل ، والطبرى أيضا (٦-١٠٣) .

(٢) ساقط فى ك .

(٣) دنباوند : جبل فى نواحى الزى (ياقوت) .

ذكر خروج صالح بن مسرح التميمي

وشيب بن يزيد بن نعيم الشيباني

قال : كان صالح بن مُسْرَح (١) التميمي رجلاً ناصحاً مُصَفَّرَ الوجهِ صاحبَ عِبادَةٍ ، وكان بداراً وأرض الموصل والجزيرة ، وله أصحابٌ يُقرئهم القرآنَ والفيقهَ ، ويقصُّ عليهم ، فدعاهم إلى الخروج وإنكارِ المظالم وجهادِ المخالفين لهم ، فأجابوه إلى ذلك ، فبينما هم في ذلك إذ ورد عليهم (٢) كتاب شيب بن نعيم يقول [له] (٣) : إنك كنت تريدُ الخروجَ ، فإن كان ذلك من شأنك اليوم فأنت شيخُ المسلمين ، ولن نَعْدِلَ بكَ أحداً ، وإن أَرَدْتَ تأخيرَ ذلك فأعلمني ؛ فإنَّ الآجالَ غاديةٌ ورائحةٌ ، ولا آمنُ أن تَخْتَرِ مني المنيةَ ، ولم أجاهد الظالمين .

فكتب إليه صالح : إنه لم يمنعني من الخروج إلا انتظارُك ، فاخْرُجْ إلينا ، فإنك ممن لا يُستَغْنَى عن رأيه ، ولا تُقضى دونه الأمور .

فلما قرأ شيب كتابه دعا نَفَرًا من أصحابه ؛ منهم أخوه مُصَاد (٤) ابن يزيد ، والمُحَلَّل (٥) ابن وائل اليشكري وغيرهم (٦) ، وخرج بهم

(١) بضم الميم وفتح السين وتشديد الراء المكسورة وبالحاء المهملة (الكامل).

(٢) في الكامل : عليه .

(٣) ساقط في ك .

(٤) بضم الميم ، وتفتح .

(٥) الضبط في د .

(٦) في الكامل : وغيرهما .

حتى قَدِمَ على صالح بدارا ، فلما لقيه قال : اخرج بنا رَحِمَكَ اللهُ ،
 فوالله ما تَزْدَادُ السُّنَّةُ إِلَّا دُرُوسًا ، ولا يَزْدَادُ المجرمون إِلَّا طَغْيَانًا .
 فبثَّ صالحُ رُسُلَهُ ، وواعدَ أصحابَه للخروج هلال صفر سنة [٥٧٦هـ]
 ست وسبعين ، فاجتمعوا عنده ليلة الموعِد ، فسأله بَعْضُ أصحابه
 عن القتال ؛ أيكون قبل الدعاء أو بَعْدَهُ ؟ فقال : بل ندعوهم ،
 فإنه أقطع لِحُجَّتِهِمْ . فقال : كيف ترى فيمن قاتلنا فظفِرنا بهم ،
 ما تقولُ في دمايهم وأموالهم ؟ فقال : إن قاتلنا فغنمنا فلنَّا ، وإن عَفَوْنَا
 فموسِعٌ علينا .

ثم وعظ أصحابَه وأمرهم بأمره ، وقال لهم : إن أكثركم رجالة ،
 وهذه دوابٌ لمحمد بن مروان فابدءوا بها ، فاحملوا عليها راجلكم وتقووا
 بها على عدوكم .

فخرجوا تلك الليلة فأخذوا الدوابَّ ، وأقاموا بأرض دارًا ثلاث
 عشرة ليلة ، وتحصَّنَ أهلُها منهم وأهل نَصِيبين وسنجار (١) ،
 وكان خروجُه في مائة وعشرين ، وقيل : وعشرة .

ويبلغ ذلك محمد بن مروان وهو أميرُ الجزيرة يومئذ ، فأرسل إليهم
 عدى بن عدى الكندى في ألف ، فسار من حران ، وكانه يُساقُ
 إلى الموت ، وأرسل عدى إلى صالح يسأله أن يخرج من هذه البلد ،
 ويعلمه أنه يكره قتالَه . وكان عدى ناسكًا . فأعاد صالح إليه :
 إن كنت ترى رأيتنا خرجنا عنك . فأرسل إليه : إنى لا أرى رأيك ،
 ولكنى أكره قتالك وقتال غيرك . فقال صالح لأصحابه : اركبوا ،

(١) بالكسر ثم السكون ، ثم جيم ، وآخره راء : مدينة مشهورة من نواحي
 الجزيرة ، بينها وبين الموصل ثلاثة أيام (المراصد).

فركبوا ، وحبس الرسول (١) عنده ومضى . فَأَتَى عَدِيًّا وهو يصلِّي الضُّحَى ، فلم يشعروا إلا والخيلُ قد طلعت عليهم ، وهو على غَيْرِ تعبئة ، فحمل عليهم شَيْبِيب وهو على مَيْمَنَةِ صالح ، وسُوَيْدُ بنِ سُلَيْم وهو على ميسرته ؛ فانهزموا ، وأتى عَدِيٌّ بدابته فركبها ، وانهمز . وجاء صالح فنزل في معسكره ، وأخذَ مَا فِيهِ ، ودخل أصحابُ عَدِيٍّ على محمد ابنِ مَرْوَانَ فغضب على عَدِيٍّ . ثم دعا خالد بنِ جَزْءِ السلمي ، فبعثه في ألف وخمسمائة ، وبعث الحارث بنِ جَعُونََةَ (٢) في ألف وخمسمائة ، وقال : اخرجوا إلى هذه المارقة (٣) ، وأغذوا السير ، فأيكما سبق فهو الأميرُ على صاحبه ، فخرجوا متساندين يسألان عن صالح ؛ فقيل : إنه نحو آمد (٤) ، فقصداه ، فوجه صالح شَيْبِيًّا في شطر [من] (٥) أصحابه إلى الحارث ، وتوجه هو نحو خاد ، فالتقيَا ، واقتتلوا وقتَ العصر أشدَّ قتال حتى أمسوا ، وقد كثر الجراح في الفريقين ، فلما حال بينهما الليلُ خرج صالح وأصحابه ، فساروا حتى قطعوا أرضَ الجزيرة والموصل ، وانتهوا إلى الدُّشْكِرَةِ (٦) .

فلما بلغ خبرهم الحجاج سَرَّح إليهم الحارث بن عميرة في ثلاثة آلاف من أهل الكوفة ، فلقبهم صالح في تسعين رجلا ، وذلك لثلاث

(١) في الطبرى : الرجل .

(٢) بفتح الجيم وسكون العين المهملة ، وفتح الواو ، وآخره نون (الكامل :

٤٤ - ٤٤) .

(٣) في الطبرى : الخارجة .

(٤) آمد - بكسر الميم : بلد قديم على نهر ، ودجلة محيطة بأكثره مستديرة به

كالهلال (المراصد) .

(٥) قرية كبيرة بناوحي نهر ملك .

(٦) من ك .

عشرة ليلة بقيت من جمادى الآخرة ، فاقتتلوا . فانهزم سُويد بن سُليم بميسرة صالح ، وثبت صالح ، فقاتل حتى قُتل ، وقاتل شبيب حتى صُرع عن فرسه ، فحمل عليهم راجلاً فانكشفوا عنه ، فنادى : إلى يامعشر المسلمين ، فلاذُّوا به . فقال لأصحابه : ليجعل كلُّ واحد منكم ظهره إلى ظهر صاحبه ، وليطاعنْ عدوه حتى ندخل هذا الحصن ونرى رأيَنا . ففعلوا ذلك ، ودخلوا الحصن ، وهم سبعون رجلاً ، وأحاط بهم الحارثُ ، وأحرق عليهم الباب ، وقال : إنهم لا يقدرُونَ على الخروج منه . وكانت هذه الواقعة بقريّة يقال لها المدبج (١) .

ذكر بيعة شبيب بن يزيد الشيباني

ومحاربتة الحارث بن عميرة وهزيمة الحارث

قال : ولما أحرق الحارثُ البابَ على شبيب انصرف إلى عسكره وقال : إنهم لا يقدرُونَ على الخروج منه ؛ فنصبَهم غداً فنقتلهم . فقال شبيب لأصحابه : ما تنتظرون ؟ فوالله لئن صبَّحكم هؤلاء إنَّه لهلاكُكُمْ . فقالوا : مُرنا بأمرِكَ . فقال : بايعُونى أو مَنْ شئتم من أصحابكم ، واخرجوا بنا إليهم ، فإنهم آمنون ، فبايعُوهُ ، وأتوا باللبود فبلُّوها وجعلوها (٢) على جمرِ الباب وخرجوا . فلم يشعر الحارثُ إلا وهم بينهم بالسيوف : فصُرعَ الحارثُ ، فاحتمله أصحابه وانهزموا نحوَ المدائن ، وحوى شبيب عسكرهم . فكان ذلك أول جيش هزمه .

(١) فى د: المريج . والصواب فى ك ، وياقوت ، والطبرى (٦-٢٢٤) : وهى على تخوم ما بين الموصل والعراق .

(٢) فى الطبرى : ثم ألقوها على الجمر .

ذكر الحروب بين أصحاب شبيب وعنزة

قال : ثم لقي شبيب سلامة بين سيار^(١) التيمى ، تيم شيبان ، بأرض الموصل ، فدعاه إلى الخروج معه فشرط عليه سلامة أن ينتخب ثلاثين فارساً ينطلقُ بهم نحو عنزة^(٢) ليوقع بهم ، فإنهم كانوا قتلوا أخاه فضالة ، وكان فضالة قد خرج في ثمانيه عشر رجلاً حتى نزل ماء يقال له الشجرة وبه^(٣) عنزة نازلون ، فنهضت عنزة فقتلوه ومن معه وأتوا برؤوسهم إلى عبد الملك فأنزلهم بانيقيا^(٤) ، وفرص لهم ، وكان خروج فضالة قبل خروج صالح ، فأجابه شبيب فخرج حتى انتهى إلى عنزة ، فجعل يقتل المحلة بعد المحلة حتى انتهى إلى فريق منهم فيه خالته قد أكتبت على ابن لها وهو غلام حين احتلم ، فأخرجت فديها [إليه]^(٥) وقالت : أنشدك ترحم^(٦) هذا يا سلامة . فقال : [لا]^(٥) والله ما رأيت فضالة مذ أناخ بأرض الشجرة^(٧) . لتقومين عنه أو لأجمعنكما بالرمح ، فقامت عنه . فقتله .

(١) في الكامل : بن سيار . والمثبت في الطبرى أيضا .

(٢) عنزة بن أسد : حى (القاموس) .

(٣) في الطبرى : وعليه .

(٤) من نواحي الكوفة .

(٥) من الطبرى .

(٦) في الطبرى والكامل : برحم هذا يا سلامة .

(٧) في الكامل : بأصل . وفي الطبرى ، والكامل - يعنى أخاه .

ذكر مسيرة شبيب الى بنى شيبان

وإيقاعه بهم ودخولهم معه

قال : ثم أقبل شبيب بخيَّله نحو راذان فهرب منه طائفة من بنى شيبان ، ومعهم ناس قليل من غيرهم ، فأقبلوا حتى نزلوا ديراً خراباً (١) إلى جنب حولايا (٢) ، وهم نحو ثلاثة آلاف ، وشبيب في سبعين رجلاً أو يزيدون قليلاً ، فنزل بهم فتحصنوا منه فجعل أخاه مُصَاد بن يزيد يحاصرهم ، وتوجه إلى أمه ليأخذها وهو في اثني عشر رجلاً ؛ فمر في طريقه بجماعة من بنى [تيم بن] (٣) شيبان في أموالهم مُقيمين ؛ لا يرون أن شيبيا يمر بهم . ولا يشعر بمكانهم ، فحمل عليهم فقتل ثلاثين شيخاً فيهم حوثرة بن أسد ، ومضى إلى أمه ؛ وأشرف رجل من الدبر على أصحاب شبيب ، فقال : يا قوم ؛ بيننا وبينكم القرآن ، قال الله تعالى (٤) : « وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ » . فكفوا عنا حتى نخرج إليكم بأمانٍ وتعرضوا علينا أمركم ، فإن قبلناه حرمت عليكم دماؤنا وأموالنا ، وإن نحن لم نقبله ردّتمونا إلى مآمننا ، ثم رأيتم رأيكم . فأجابوهم فخرجوا إليهم ، فعرض عليهم أصحاب شبيب قولهم ، فقبلوه كله ، فنزلوا إليهم ، وجاء شبيب فأخبر بذلك ، فقال : أصبتم ووقفتم .

(١) في ك : خربا . وفي الطبرى : دبر خرزاد .

(٢) حولايا - بفتح الحاء ، وسكون الواو ، وآخره ياء وألف : قرية كانت بالهروان ، خربت بخرابه (المراصد) .

(٣) من الطبرى . (٤) سورة التوبة ، آية ٦ .

ذكر الوقعة بين شبيب وسفيان الخثعمي

قال : ثم ارتحل شبيب ، وخرج معه طائفة ، وأقامت طائفة ؛ فسار في أرض الموصل نحو أذربيجان . وكتب الحجاجُ إلى سفيان ابن أبي العالية الخثعمي يأمره بالقفول ، وكان معه ألف فارس يريد أن يدخل بها طبرستان . فلما أتاه كتابُ الحجاج صالح صاحب طبرستان ورجع ، فأمره الحجاج أن ينزل الدسكرة^(١) حتى يأتيه جيش الحارث بن عميرة الهمداني وتأتيه خيل المناظر ، ثم يسير إلى شبيب . فأقام بالدسكرة ونودي في جيش الحارث : الحرب بالكوفة والمدائن ، فخرجوا حتى أتوا سفيان ، وأتته خيل المناظر عليهم سورة^(٢) ابن أبجر التميمي ، وكتب إليه سورة بالتوقف حتى يلحقه ، فعجل سفيان في طلب شبيب ، فلحقه بخانقين^(٣) وارتفع شبيب عنهم ، وأكمن له أخاه مُصاداً في خمسين رجلاً ، ومضى في سفح الجبل ، فقالوا : هرب عدو الله ، فاتبعوه ، فقال لهم عدى بن عميرة الشيباني : لا تعجلوا حتى تبصروا الأرض لثلاث يكون قد أكمن بها كميناً ، فلم يلتفتوا واتبعوه ، فلما جازوا الكمين عطف عليهم شبيب ، وخرج أخوه في الكمين ، فانهزم الناس بغير قتال ، وثبت سفيان في نحو

(١) في المراد: بالفتح ثم السكون : وكسر كاهه : قرية كبيرة بناوحي نهر ملك كمدينة صغيرة على ضفة نهر الملك . وسميت دسكرة الملك لأن هرمزين أردشير كان يكثر المقام بها . والدسكرة أيضا : قرية بنخوزستان . وفي ياقوت . بفتح الكاف .

(٢) في الكامل : سورة بن الحر . والمثبت في الظبري أيضا .

(٣) بلدة من نواحي السواد (المراد ، والكامل) .

مائتين ؛ فقاتلهم قتالاً شديداً ، ثم نجا حتى انتهى إلى بابل مهروذ (١) وكتب إلى الحجاج بالخبر ، ويعرفه وصول الجند إلا سورة بن أبجر فإنه لم يشهد معى القتال .

ذكر الواقعة بين شبيب وسورة

قال : ولما وصل كتابُ سفیان إلى الحجاج كتب إلى سورة ابن أبجر يلومه ويتهدده ، ويأمره أن ينتخب من المدائن خمسمائة فارس ويسير بهم ويمنّ معه إلى شبيب ، ففسار سورة بهم نحو شبيب ، وشبيب في جُوحى (٢) ، وسورة في طلبه حتى انتهى إلى المدائن ، فتحصن (٣) منه وأخذ منها [دواب] (٤) وقتل من ظهر له ، وخرج حتى انتهى إلى النهروان (٥) فصلوا وترحموا على أصحابهم الذين قتلهم على رضى الله عنه وتبرءوا من على وأصحابه . وبلغ سورة خبره ، فجمع أصحابه وقال : إن شبيبا لا يزيد على مائة رجل ، وقد رأيت أن أنتخبكم فأسير في ثلاثمائة من شجعانكم وآتية ، فأجابوه إلى ذلك ، ففسار في ثلاثمائة نحو النهروان ، وأذكى شبيب الحرس ، فلما دنا أصحاب سورة علموا بهم ، فاستووا على خيولهم ، وتعبثوا تعبثتهم للحرب ؛ فلما انتهى إليهم سورة رأهم قد حذروا ،

- (١) مهروذ : آخره ذال معجمة ، والواو ساكنة : من طساسيج سواد العراق : نهر عليه قرى في طريق خراسان (المراصد) .
 (٢) نهر عليه كورة واسعة في سواد العراق (المراصد) .
 (٣) في الكامل : فتحصنوا .
 (٤) بياض بالأصل ، والمثبت من الطبرى والكامل .
 (٥) كورة واسعة أسفل بغداد من شرقى تامرا (المراصد) .

فحمل عليهم فثبتوا له ، وصاح شبيب بأصحابه فحملوا عليهم وشبيب يقول (١) :

من ينك العيرَ ينك نياكا جندلتان اضطكتنا اضطكاكا
فرجع سورة إلى عسكره وقد هزم الفرسان وأهل القوة ، فتحمل بهم ،
وأقبل نحو المدائن ، فتبعه شبيب يرجو أن يذكره ، فوصل إليهم ،
وقد دخل الناس المدائن ، فمرّ على كلواذا (٢) ، فأصابها دوابٌ
كثيرة للحجاج ، فأخذها ومضى إلى تكريت ، وأرجف الناس
بالمدائن بوصول شبيب إليهم ، فهرب من بها من الجند نحو الكوفة ،
وحبس الحجاج سورة ثم أطلقه .

ذكر الحرب بين شبيب والجزل بن سعيد

وقتل سعيد بن مجالد

قال : ولما قدم الفل (٣) الكوفة سير الحجاج الجزل بن سعيد
ابن سُرخبيل الكندي ، واسمه عثمان ، نحو شبيب ، وأوصاه بالاحتياط
وترك العجلة ، وأخرج معه أربعة آلاف ليس فيهم أحدٌ من هزم ،
فقدم الجزل بين يديه عياض بن أبي ليثنة (٤) الكندي ، فساروا في طلب
شبيب وهو يخرج من رُستاق إلى رُستاق ، يقصد بذلك أن يفرق
الجزل أصحابه فيلقاه وهو على غير تعبئة ، فجعل الجزل لا يسير
إلا على تعبئة ، ولا ينزل إلا خندق على نفسه .

فلما طال ذلك على شبيب دعا أصحابه وكانوا مائة وستين رجلاً ،

(١) الشطر الأول في اللسان . وهو مثل يضرب في مغالبة الغلاب .

(٢) كلواذي : قرب بغداد (المراصد) .

(٣) الفل : المهزوم . (٤) الكامل : ابن أبي لبنة .

ففرقهم أربع فرق كل فرقة أربعين ، فجعل أخاه مُصَادَا في أربعين ،
وسويد بن سُليم في أربعين ، والمحَلَّل (١) بن وائِل في أربعين ، وبتى
هو في أربعين . وأنته عيونُه ، فأخبروه أن الجَزَل يريد (٢)
يزدَجِرْد ، فسار شَيْب ، وأمر كلُّ رأس من أصحابه أن يأتى الجَزَل
من جهة ذكرها له ، وقال : إني أريد أن أبيتَهُ (٣) ، فسار أخوه فانتهى
إلى دَيْرِ الخَرَّارَةِ ، فرأى للجَزَل مَسْلِحَةَ مع ابنِ أَبِي لَيْثَةَ ، فحمل عليهم
مُصَاد فيمن معه ، فقاتلوه ساعةً ، ثم اندفعوا بين يديه ، وقد أدرَكهم
شَيْب ، فقال : اركبوا أكتافهم لتَدْخُلُوا عليهم عسكرهم إن استطعتم .
فاتبعوهم فانتَهوا إلى عسكرهم ، فمنعهم أصحابهم من دخول
خَنْدَقِهِمْ ، وكان للجَزَلِ مسالِح أخرى فرجعت ، فمنعهم من دخولِ
الخَنْدَق ، وجعل شَيْب يَحْمِلُ على المسالِح حتى اضطرهم إلى الخَنْدَق ،
ورشقهم أهلُ العسكر بالنَّبْلِ . فلما رأى شَيْب أنه لا يصل إليهم (٤)
سار عنهم وتركهم ، ثم نزل هو وأصحابه فاستراحوا ، ثم أقبل
بهم راجعاً إلى الجَزَل ، فأقبلوا وقد أدخل أهلُ العسكر مسالِحهم إليهم
وأمنوا ، فما شعروا إلا بوقوعِ حَوَافِرِ الخَيْلِ ، فانتَهوا إليهم قَبْلَ الصبح ،
وأحاطوا بعسكرهم من جهاته الأربع ، ثم انصرف شَيْب وتركهم ،
ولم يظفَر بهم ، فنزل على ميل ونصف ، ثم صلَّى الغَدَاة وسار نحو
جَرَجْرَايَا (٥) ، وأقبل الجَزَل في طلبهم على تعبثته ، وسار شَيْب

(١) في د : المخلك - تحريف .

(٢) في الطبرى : نزل دير يزدجرد .

(٣) في الطبرى : أن أبيت هذا العسكر .

(٤) في الكامل : إليه .

(٥) جرجرايا : بفتح الجيم وسكون الراء الأولى وفتح الثانية : بلد من أعمال

النهران الأسفل بين واسط وبغداد من الجانب الشرق (المراصد) .

في أرض الجُوخى (١) وغيرها ، فطال ذلك على الحجَّاج ، فكتب إلى
الجزل يُنكر عليه إبطاءه ويأمره بمناهضتهم ، فجدَّ في طلبهم وبعث
الحجاجُ سعيدَ بنَ المجالد على جيشِ الجزل ، وأمره بالجدِّ في قتال
شبيب وتترك المطاولة ، فوصل سعيد إلى الجزل وهو بالنَّهْرَوَان وقد
خندق عليه ، فقام في العسكر ووبَّخَهُمْ وعجزهم .

ثم خرج ، وأخرج معه الناس ، وضمَّ إليه خيولَ أهل العسكر
ليسير بهم جريدة (٢) إلى شبيب ويترك الناس (٣) مكانهم ، فنهاه
الجزل عن ذلك ، فلم يَنْتَه ولم يرجع إليه ، وتقدَّم ومعه الناس ، وأخذ
شبيب إلى قَطِيظِيَا (٤) ، فدخلها وأغلق الباب ، وأمر دُهْمَانَهَا (٥)
أن يُصلح لهم غداء ، فلم يتهيأ الغداء حتى أتاه سعيد في ذلك الجيش ،
فأعلم الدهقان شبيباً ، فقال : لا بأس ، قرب الغداء ، فقربه فأكل
وتوضأ وصلَّى ركعتين ، وركب بغلاً ، وخرج إلى سعيد وهو على باب
المدينة فحمل عليهم ، وقال : لا حُكْمَ إلا للحكم ، فهزمهم
وثبت سعيد ، ونادى أصحابه ، فحمل عليه شبيب ، فضربه بالسيف
فقتله ، فانهزم ذلك الجيش ، وقفلوا حتى انتهوا إلى الجزل ، وكان
قد وقف في بقية العسكر ، فناداهم : أيها الناس ، إلىَّ إلىَّ ، وقاتل
قتالاً شديداً حتى حُمِلَ جريحاً ، وقدم المنهزمون الكوفة .

(١) جوخي : في الكامل ، والطبرى ، وياقوت .

(٢) الجريدة : خيل لا رجالة فيها (القاموس) .

(٣) في د : الباقيين .

(٤) الضبط من الطبرى .

(٥) بكسر الدال وضمها (القاموس) .

وكتب الجَزَل إلى الحجاج بالخبر ، وأقام بالمدائن ، فكتب إليه الحجاج يشكره ويثني عليه ، وأرسل إليه نفقةً ومَنْ يُداوى جِراحه . وسار شبيب نحو المدائن فعلم أنه لا سبيلَ إلى أهلها ؛ فأقبل حتى أتى الكَرْخ ، فعبّر دجلةَ إليه ، وأرسل إلى أهل سُوقِ بغداد فأمنهم ، وكان يومَ سوقهم ، واشترى أصحابه دوابَّ وغيرها .

ذكر مسير شبيب إلى الكوفة

قال : ثم سار شبيب إلى الكوفة فنزل عند حَمَام (١) عُمَر ابن سعد (٢) ، فلما بلغ الحجاج مكانه بعث سُويد بن عبد الرحمن السُعَدِي في ألقى رجل ، وقال له : ألقى شبيباً فإن استطرد لك فلا تتبعه . فخرج وعسكرَ بالسَّبْحَةِ (٣) ، فبلغه أن شبيباً قد أقبل ، فسار نحوه وأمر الحجاج عثمان بن قَطَن فعسكرَ بالناس في السَّبْحَةِ ، فبينما سُويد يُعيء أصحابه إذ قيل له : أتاك شبيب ؛ فنزل ونزل معه جُلُّ أصحابه ، ثم أخبر أنه قد عبّر الفرات وهو يريد الكوفة من وجهٍ آخر ، فركب هو ومن معه ، وساروا في آثارهم ، وبلغ من السَّبْحَةِ إقبالَ شبيب فهموا بدخول الكوفة ، ثم قيل لهم : إن سُويداً في آثارهم قد لحقهم وهو يقاتلهم ، فثبتوا ، وحمل شبيب على سُويد ومن معه حملةً منكرة ، ثم أخذ على بيوت الكوفة نحو الحيرة ، وذلك عند المساء ، وتبعه سُويد إلى الحيرة ، فرآه قد ترك وذهب ، فتركه سُويد وأقام حتى أصبح . وأرسل إلى الحجاج يُعلمه الخبر .

(١) موضع في طريق الحاج بالكوفة (المراصد) .

(٢) في ك : عمر بن سعيد ، والمثبت في الطبرى ، والمراصد . وفي الكامل .

عمير بن سعد . (٣) موضع بالبصرة .

ذكر محاربة شبيب أهل البادية

قال : وكتب الحجاجُ إلى سُويد يَأُرُّهُ باتباعه ، فاتَّبعه ، ومضى شبيب حتى أغار أسفل الفرات على مَنْ وجد مِنْ قومه ، وارتفع إلى البر فأصاب رجالاً من بني الوُرثة^(١) ، فقتل منهم ثلاثة عشر رجلاً ، منهم : حنظلة بن مالك ، ومالك بن حنظلة ، ومضى حتى أتى بني أمية على اللِّصْف^(٢) ، وعلى ذلك الماء الفزْر بن الأسود ، وهو أحدُ بني الصلت ، وكان ينهى شبيبا عن رأيه ، وكان شبيب يقول : لئن ملكت سبعة أعنة لأغزوَنُ الفزْر ، فلما بلغهم خبر شبيب ركب الفزْر فرساً ، وخرج من البيوت وانهمز . فرجع شبيب ، وقد أخاف أهل البادية ، فأخذ على القطُّطانة^(٣) ثم على قَصْر بني مقاتل ، ثم على الأنبار ، ومضى حتى دخل دُقُوقاء^(٤) ، ثم ارتفع إلى أداني أذربيجان ، فلما أبعد سار الحجاجُ إلى البصرة ، واستخلف على الكوفة عروة^(٥) بن شعبة ، فاتاه الخبر بإقبالِ شبيب نحو الكوفة ، فكتب إلى الحجاج بذلك ، فأقبل من البصرة مجداً نحو الكوفة فسابق^(٦) شبيبا إليها .

(١) في هامش الكامل : الورثة - بكسر الواو . وفي القاموس : وبنو الورثة - بالكسر : بطن نسبوا إلى أمهم .

(٢) في المراصد : اللصف - بالتحريك : بركة في غربي طريق مكة .

(٣) بالضم ، ثم السكون ، ثم قاف أخرى مضمومة ، وطاء أخرى ، وبعد

الألف نون وهاء : موضع قرب الكوفة من جهة البرية بالطف (المراصد) .

(٤) دقوقاء : بالفتح ثم الضم ، وبعد الواو قاف أخرى ، وألف ممدودة :

بلدة بين إربل وبغداد (المراصد) .

(٥) في الطبري ، والكامل : عروة بن المغيرة بن شعبة .

(٦) في د : يسابق .

ذكر دخول شبيب الكوفة

قال : وأقبل شبيب إلى الكوفة فسابقَ (١) الحجاج إليها ، فطوى الحجاج المنازل ، فوصل الكوفة صلاة العصر ، ونزل شبيب السبخة صلاة المغرب ، فأكلوا شيئاً ثم ركبوا خيولهم فدخلوا الكوفة وبلغوا السوق ، وضرب شبيب باب القصر بعموده ، فأثر فيه أثراً عظيماً ، ووقف عند المصطبة ، ثم قال (٢) :

عبد دعى من ثمود أضله لابل يُقال أبو أبيهم يقدم

يعنى الحجاج ، فإن بعض الناس يقول : إن ثقيفاً بقايا ثمود ، ومنهم من يقول : هم من نسل يقدم الأيادى .

ثم اقتحموا المسجد الأعظم ، وكان لا يفارقه قوم يصلون فيه ، فقتلوا عقيل بن مضعب الراءى ، وعدى بن عمرو الثقفى ، وأبا ليث ابن أبي سليم ؛ ومرؤا بدار حوشب وهو على الشرط - فقالوا : إن الأمير يطلبه ، فأراد الركوب ، ثم أنكرهم فلم يخرج إليهم ، فقتلوا غلامه . ثم مروا بمسجد بنى ذهل ، فرأوا ذهل بن الحارث فقتلوه ، ثم خرجوا من الكوفة ، فاستقبلهم النضر بن القعقاع بن شور (٣) الذهل ، وكان قد أقبل مع الحجاج من البصرة ، فتخلف عنه فقتلوه ، ثم خرجوا نحو المردمة (٤) ، وأمر الحجاج مُنادياً فنادى : يا خيل الله

(١) فى د : يسابق .

(٢) والطبرى : ٦-٢٤١ ، والكمال : ٤-٤٩ .

(٣) فى ك : سور . والصواب فى د ، والطبرى ، والكمال ، والقاموس .

(٤) جبل لبنى مالك بن ربيعة (المراصد) .

اركبى ؛ فأتاه الناس من كل جانب ، فبعث بشر بن غالب الأسدي في ألقى رجل ، وزائدة بن قدامة الثقفي في ألقى رجل ، وأبا الضريس مؤلى بنى تميم في ألقى رجل ، وعبد الأعلى بن عبد الله بن عامر ، وزياد ابن عمرو العتكي ، وسير معهم محمد بن موسى بن طلحة بن عبيد الله ، وكان عبد الملك قد استعمله على سجستان ، وكتب إلى الحجاج أن يُجهزه ، فقال له الحجاج : تلقى شبيباً فتجاهده ، فيكون الظفر لك ، ويظهر (١) اسمك ثم تمضى إلى عملك .

وقال الحجاج لهؤلاء الأمراء : إن كان حربٌ فأميركم زائدة ابن قدامة . فساروا فنزلوا أسفل الفرات ، فترك شبيب الوجهة الذي هم فيه وأخذ نحو القادسية .

ذكر معاربة شبيب زحر بن قيس

وهزيمة جيش زحر (٢)

قال : ووجه الحجاج جريدة خيلٍ اختارهم ألف وثمانمائة فارس مع زحر بن قيس ، وقال له : اتبع شبيباً حتى تواقعه أين أذكرته إلا أن يكون ذاهباً فاتركه ما لم يعطف عليك ؛ فخرج زحر حتى انتهى إلى السيدكجين (٣) ، وأقبل شبيب نحوه فالتقيا ، فجمع شبيب خيله ، ثم اعترض بهم الصف حتى انتهى إلى زحر ، فقاتل زحر حتى صرع ، وانهم أصحابه وظنوا أنهم قتلوه ، فلما كان السحر قام يمشي حتى دخل قرية فبات بها ، وخيل منها إلى الكوفة وبوجهه ورأيه بضع عشرة جراحة ، فمكث أياماً . ثم أتى الحجاج فأجلسه معه على السرير ،

(١) في الكامل : ويظهر .

(٢) في ك : بضم الزاي والحاء ، والصواب في القاموس ، والتاج .

(٣) بفتح أوله وإسكان ثانيه وفتح اللام وكسر الحاء المهملة : موضع بالحيرة

(المراصد) .

وقال : مَنْ أَرَادَ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ يَمْشَى فِي النَّاسِ فَلْيَنْظُرْ إِلَى هَذَا .

ذِكْرُ مَعَارِبَتِهِ الْأُمَرَاءِ

الذين ندهم الحجاج لقتاله وقاتل^(١) محمد بن موسى بن طلحة

وزائدة بن قدامة

قال : لما هزم شبيب أصحاب زحر قال له أصحابه : نصرف بنا الآن وإفريقين ، فقد هزمتنا لهم جنوداً . فقال : إن هذه الهزيمة قد أزعجت قلوب الأُمراء والجنود الذين في طلبكم ؛ فاقصدوهم ، فوالله لئن قاتلناهم مادون الحجاج مانع^(٢) ، ونأخذ الكوفة إن شاء الله .

فقالوا : نحن ليرأيك تبع ، وسأل عن الأُمراء ف قيل : إنهم برؤذبار^(٣) على أربعة وعشرين فرسخاً من الكوفة ؛ فقصدهم فانتهم إليهم وقد تعبثوا للحرب ، وأمير الجماعة زائدة بن قدامة ، وعلى ميمنته زياد بن عمرو العتكي ، وعلى اليسرة بشر بن غالب الأسدي ، وكل أمير واقف في أصحابه .

وأقبل شبيب في ثلاث كتائب : كتيبة فيها سُويد بن سُليم وقف بإزاء الميمنة ، وكتيبة فيها مُصاد أخو شبيب وقف بإزاء اليسرة ، ووقف شبيب مقابل القلب . فحمل سُويد على زياد فأنكشف أهل الميمنة ، وثبت زياد في نحو من نصف أصحابه ، ثم ارتفع عنهم سُويد قليلاً ، ثم حمل ثانية فتطاعنوا ساعةً ، واقتتلوا أشد قتالاً ،

(١) في ك : وقتل .

(٢) في الطبرى : ما دون الحجاج من شيء .

(٣) في المراصد : بضم أوله وسكون ثانيه وذال معجمة وباء موحدة وآخره

راء . وفي البكرى باسكان الذال المعجمة .

ثم ارتفع سُويد عنهم ، فتفرق أصحابُ زياد بن عمرو من كل جانب ، فحمل عليهم الثالثة فانهزموا وأخذت السيوف زياد بن عمرو من كل جانب [فلم تضره للباسه (١)] ، فانهزم (٢) وقد جرح جراحةً يسيرة ، وذلك عند المساء ، ثم حملوا على عبد الأعلى بن عبد الله ابن عامر ، فهزموه ، ولم يقاتل كثيراً ، ولحق بزياد ؛ فمضيا منهزمين .

وحملت الخوارجُ على محمد بن موسى بن طلحة عند المغرب ، فقاتلوه قتالاً شديداً ، وحمل مُصَاد على بشر بن غالب ، وهو في ميسرة أهل الكوفة ، فصبر بشر ، ونزل ونزل معه نحو خمسين رجلاً ، فقاتلوا حتى قتلوا عن آخرهم ، وانهزم أصحابه ، وحملت الخوارج على أبي الضُرَيْس مولى بنى تميم ، وهو يلى بشر بن غالب ، فهزموه حتى انتهى إلى موقف أعين ، ثم حملوا عليه وعلى أعين ، فهزموهما حتى انتهوا بهما إلى زائدة بن قدامة ، فنادى زائدة : يا أهل الإسلام ؛ الأرض ، الأرض ، لا يكونوا على كفرهم أصبر منكم على إيمانكم ، فقاتلهم عامة الليل حتى كان السحر ، ثم إن شبيباً حمل عليه في جماعة من أصحابه ، فقتله وقتل أصحابه ، فلما قتل دخل أبو الضُرَيْس وأعين جوسقاً عظيماً ، وقال شبيب لأصحابه : ارفعوا السيوف عنهم ، وادعُوهم إلى البيعة ، فدعُوهم (٣) إلى البيعة عند الفجر ، فبايعوه وسلموا عليه بإمرة المؤمنين ، وكان فيمن بايعه أبو بردة بن أبي موسى

(١) من د .

(٢) في د : ثم انهزم .

(٣) في ك : فدعاهم .

الأشعري ، فلما طلع الفجر أمرَ محمد بن موسى بن طلحة مؤذنه فأذن ، وكان لم ينهزم . فقال شبيب : ما هذا؟ قالوا : محمد بن موسى لم يبرح ، فقال : قد ظننتُ أن حُمتَه وخيلاه يَحْمِلُه على هذا . ثم نزل شبيب فأذن هو وصَلَّى بأصحابه الصبح ، ثم ركبوا فحملوا على محمد وأصحابه ، فانهزمت طائفةٌ منهم ، وثبتت معه طائفةٌ ، فقاتل حتى قُتل ، وأخذت الخوارجُ ما فى العسكر ، وانهزم الذين كانوا بايَعُوا شبيباً بجملتهم ، ثم أتى شبيب الجوسق الذى فيه أعين وأبو الضُرَيْس فتحصنوا منه ، فأقام عليهم يومه ذلك ، وسار عنهم فأتى خانيجار (١) فأقام بها ، وبلغ الحجاجَ مَسِيرُه ، فظن أنه يريد المدائن ، فهالَه ذلك ، فبعث عثمان بن قَظَن أميراً على المدائن وعزَّل عنها عبيد الله بن أبى عَصِيْفِير (٢) .

وقيل فى مقتل محمد بن موسى : أنه قتله مُبارزةً ، وذلك أنه كان شهد مع عمر بن عبيد الله بن معمر قتالَ أبى قُدَيْك ، وكان شجاعاً ذا بَأْس ، فزوجه عُمَر ابنته ، وكانت أخته تحت عبد الملك ابن مروان ، فولاه سجستان ، فمرَّ بالكوفة وفيها الحجاج ، فقيل له : صار هذا بسجستان مع صِهره لعبد الملك ، فلو لجأ إليه أخذُ من يُطلب (٣) مَنَعَكَ منه . قال : فما الحيلةُ ؟ قال : تأتى إليه ، وتسلم

(١) خانيجار : بعد الألف نون ، ثم ياء مشاة من تحت وجيم وآخره راء : بليدة قرب دقوقاء (المراصد) .

(٢) والطبرى : ٦-٢٢٨ ، وفى الكامل : عبد الله بن عصفير .

(٣) فى ك : تطلب .

عليه ، وتذكر نَجْدَتَهُ وبأسه ، وأنَّ شَيْبًا في طريقه ، وأنه قد أعياك ، وترجو أن يريح الله منه على يده ، فيكون له ذِكْرُه وفخره .

ف فعل الحجاج ذلك ، فأجابه محمد ، وعدل إلى شَيْب ، فأرسل إليه شَيْب إنك مخدوع ، وإن الحجاج قد اتقى بك ، وأنت جار لك حق ، فانطلق لما أمرت به ولك الله أني لا أضرك (١) . فأبى إلا محاربتة ، فواقفه شَيْب ، وأعاد عليه الرسول ، فأبى وطلب البراز فبرز إليه شَيْب ، وقال له : أنشدك الله في دمك ؛ فإن لك جواراً ، فأبى . فحمل عليه شَيْب فضربه بعمود حديد زنته اثنا عشر رطلا بالشامى ، فهشم البيضة ورأسه ، فسقط فكفنه شَيْب ودفنه ، وابتاع ماغنمه من عسكره فبعثه إلى أهله واعتذر شَيْب إلى أصحابه ، وقال : هو جارى ، ولى أن أهب ماغنمت .

ذكر محاربتة (٢) عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث

وعثمان بن قطن وقتل ابن قطن

قال : ثم إن الحجاج أمر عبداً الرحمن بن محمد بن الأشعث أن ينتخب ستة آلاف فارس ويسير بهم في طلب شَيْب أين كان ، ففعل ذلك ، وسار نحوه ، فسار شَيْب إلى دقوقاء وشهرزور (٣) ، وعبداً الرحمن في طلبه حتى انتهى إلى التخوم ، فوقف وقال : هذه أرض الموصل ، فليقاتلوا عنها .

(١) في الكامل : لا أؤذيك .

(٢) في الكامل : محاربة .

(٣) بالفتح ثم السكون وراء مفتوحة بعدها زاي وواو ساكنة وراء : بكورة

واسعة بين إربل وهمدان (المراصد) .

فكتب إليه الحجاج : أما بعد فاطلبُ شبيبًا واسلك في أثره
أين سلك حتى تذرَكَ فتقتله أو تنفيه ، فإنما السلطان سلطان
أمير المؤمنين والجنْدُ جنده .

فخرج عبْدُ الرحمن في طلبه ، فكان شبيب يدْعُه حتى يدنو منه
فيبيته فيجده قد خنْدَق على نفسه وحذر ، فيتركه [ويسير] (١)
فيتبعه عبد الرحمن ، فإذا بلغ شبيبًا مسيرهم أتاهم وهم سائرون فيجدهم
على تعريته فلا يصيب لهم غرة ، ثم جعل إذا دنا منه عبْدُ الرحمن
يسير عشرين فرسخا ، ونحوها ، وينزل في أرض خشنة غليظة ،
ويتبعه عبْدُ الرحمن ، فإذا دنا منه فعل مثل ذلك حتى أتعب ذلك
الجيوش ، وشق عليهم (٢) ، وأحفى دوابهم .

ولم يزل عبد الرحمن يتبعه حتى مر به على خانقين (٣) وجلولاء
وتامرا (٤) ، ثم أقبل إلى البت ، وهى من قرى الموصل ليس
بينها وبين سواد الكوفة إلا نهر حولايا ، وذلك في عشر ذى الحجة
سنة [٨٧٦] ست وسبعين ، فأرسل شبيب إلى عبد الرحمن :
إن هذه أيام عيد لنا ولكم [يعنى عيد الذبح] (٥) ، فهل لك فى الموادة
حتى تمضى هذه الأيام ؟ فأجابه إلى ذلك ، وكان يحب المطاولة .

وكتب عثمان بن قطن أمير المدائن إلى الحجاج يقول : أما بعد

(١) من الكامل . وفى الطبرى : فيمضى ويدعه فيبعه .

(٢) الكامل : وشق عليه .

(٣) خانقين : بلدة من نواحي السواد فى طريق همدان من بغداد . وخانقين

أيضا : بلدة بالكوفة (المراصد) .

(٤) تامرا : نهر كبير تحت بغداد شرقيا . وفى الكامل : سامرا . وسامرا :

مدينة كانت بين بغداد وتكريت على شرقى دجلة .

(٥) من الكامل .

فإنَّ عَبْدَ الرَّحْمَنِ قد حفر جُوحى كلَّها خندقًا واحدًا ، وكسر خرَّاجها ،
وخلَّى شبيبًا يأكلُ أهلها . والسلام .

فكتب إليه الحجاج يأمره بالمسير إلى الجيش ، وأمره عليهم ،
وعزل عنهم عَبْدَ الرَّحْمَنِ ، وبعث إلى المدائن مُطَرِّفَ بنِ المغيرة
ابن شُعبَةَ ، فسار عثمان حتى قدم على العسكر عشيةَ الثلاثاء يوم
التَّروية ؛ فنَادى النَّاسَ - وهو على بَغْلَةٍ : أيها النَّاسَ ، اخرجوا إلى
عدوكم ، فقالوا : هذا المساء قد غَشِينَا والنَّاسَ لم يوطَّنوا أنفسهم على
الحرب ، فبتِ اللَّيْلَةَ ثم اخرج على تعبئة ، فأبى ذلك ، ثم نزل وبات
لَيْلَتِهِ يحرِّضُ أصحابه ، فلما أصبح يوم الأربعاء اخرج بالنَّاسَ كلَّهم ،
فاستقبلتهم ريحٌ شديدةٌ وغبرة ، فقال له أصحابه : ننشدك الله
أن تخرج بنا والريحُ علينا . فأقام بهم ذلك اليوم ، ثم خرج يوم
الخميس ، ثم (١) عبَّأهم ، فجعل في الميمنة خالد بن نَهَيْك بن قَيْس ،
وعلى اليسرة عقيل بن شدَّاد ، ونزل هو في الرِّجَالَةَ ، وعبر شبيب
إليهم النهر ، وهو يومئذ في مائة وأحد وثمانين رجلا ، فوقف هو
في الميمنة ، وجعل أخاه مُصَادًا في القَلْبِ ، وجعل سُويد بن سُلَيْمِ في
اليسرة ، وزحف بعضهم إلى بعض ، فحمل شبيب على ميسرة
عثمان فانهزموا ، ونزل عقيل بن شدَّاد فقاتل حتى قُتِل ، وقتل مالك
ابن عَبْدَ اللهِ الهَمْدَانِي ، ودخل شبيب عسكرهم ، وحمل سُويد على
ميمنة عثمان فهزمها ، فقاتل خالد بن نَهَيْك قتالاً شديداً ، وحمل شبيب
من ورائه فقتله ، وتقدم عُثْمَانُ بن قَطَنٍ وقد نزل معه العرفاء

(١) في د : وقد .

وأشرفُ الناس والفُرسان نحو القلب وفيه مُصاد أخو شبيب في
نيحور من ستين رجلا، فشدَّ عليهم عثمان فيمنَّ معه فثبَّتوا له .

وحمل شبيب بالخيَل من ورائهم فما شعروا إلا والرماحُ في أكتافهم
تكبُّهم لوجوههم ، وعطف عليهم سُويد بن سُليم في خيَله ، وقاتل
عثمان بن قَطَن أحسن قتال ، ثم أحاطوا به ، وضربَه مُصاد بن يزيد
ضربةً بالسيف استدار لها وقال (١) : « وكان أمرُ الله مفعولا » .

ثم قُتل ، وسقط عبد الرحمن عن فرسيه ، فأتاه ابن أبي سبرة الجعفى
وهو على بغلة فأركبه معه ، ونادى فى الناس : الحقوا بدير (٢) أبى مريم ،
ثم انطلقا (٣) ذاهبين ، ثم أتاه واصل [بن الحارث] (٤) السكونى ببيرفون
فركبه وسار حتى نزل ديرة البقار (٥) ، وأمر شبيب أصحابه فرفعوا
السيف عن الناس ، ودعاهم إلى البيعة فبايعوه ، وقُتل يومئذ من كندة
مائة وعشرون ، وبات عبد الرحمن بدير البقار (٥) ، فأتاه فارسان ،
فصعدا إليه فخلا به أحدهما طويلاً ثم نزلاً ، فقيل : إن ذلك الرجل
كان شبيباً ، وكان بينه وبين عبد الرحمن مكاتبة ، وسار عبدُ الرحمن
حتى أتى ديرة أبى مريم ، فاجتمع الناس إليه وقالوا له : إن سمع شبيبُ
بمكانك أنك فكننت له غنيمة .

فخرج إلى الكوفة واختفى من الحجاج حتى أخذ له الأمان منه ، وكانت
هذه الوقائع التى ذكرناها كليهما من أخبار شبيب فى سنة ست وسبعين .

(١) سورة النساء ، آية ٤٧ ، وغيرها .

(٢) فى ك : بدير ابن أبى مريم . والمثبت فى الكامل ، د ، والطبرى .

(٣) فى الكامل : ثم انطلقوا ذاهبين ، والمثبت فى الطبرى أيضا .

(٤) زيادة من الطبرى .

(٥) فى الطبرى (٦-٢٥٥) : دير اليعار . والمثبت فى الكامل أيضا .

ذكر محاربة (١) عتاب بن ورقاء

وزهرة بن حويّة (٢) وقتلها

وفي سنة [٥٧٧هـ] سبع وسبعين أتى شبيب ماه بهراذان (٣) فصيف بها ثلاثة أشهر ، وكان حين هزم ذلك الجيش حرًا شديد ، فلما صيف هناك أتاه ناس كثير من يطلب الدنيا وممن كان الحجاج يطلبهم بمالٍ أو تبعات .

فلما ذهب الحرّ خرج في نحو ثمانمائة رجل ، فأقبل نحو المدائن ، وعليها مطرف بن المغيرة بن شعبة ، فجاء حتى نزل قناطر حديفة ابن البان ، فكتب مهروذ عظيم بابل إلى الحجاج بذلك ، فقام الحجاج في الناس فقال : أيها الناس ، لتقاتلن عن بلادكم وعن بنيكم (٤) أولأبعثن إلى قوم هم أطوع وأصبر على اللأواء والقيظ منكم ، فيقاتلون عدوكم ويأكلون فيثكم .

فقام إليه الناس من كل جانب فقالوا : نحن نقاتلهم فليندبنا الأمير إليهم ، وقام زهرة بن حويّة - وهو شيخ كبير ، فقال : أصلح الله الأمير ، إنما تبعث إليهم الناس منقطعين ، فاستنفر الناس إليهم كافة ، وبعث إليهم رجلاً شجاعاً مجرباً ممن يرى الفرار [هضمًا] و (٥) عاراً ، والصبر مجدداً وكرماً .

(١) في د : محاربتة .

(٢) في المشتبه : ابن جويرية . وقيل : ابن حوية . والمثبت في الطبري أيضا .

(٣-٦) (٢٥٧) .

(٣) ماه بهراذان : قال ياقوت : وما أظنها إلا ناحية الراذانيين .

(٤) في الكامل ، والطبري : فيثكم .

(٥) من الطبري .

فقال الحجاج : فَأَنْتَ ذَاكَ الرَّجُلَ ، فَأَخْرَجُ .

فقال : أَصْلَحَ اللَّهُ الْأَمِيرَ ، إِنَّمَا يَصْلِحُ رَجُلٌ يَخِيلُ الدَّرْعَ وَالرَّمْحَ ، وَيَهْزُ السَّيْفَ ، وَيَثْبُتُ عَلَى الْفَرَسِ ، وَأَنَا لَا أَطِيقُ شَيْئًا مِنْ هَذَا ، وَقَدْ ضَعُفَ بَصْرَى ، وَلَكِنْ أَخْرَجْنِي فِي النَّاسِ مَعَ الْأَمِيرِ فَأَشِيرَ عَلَيْهِ بِرَأْيِ .

فقال له الحجاجُ : جَزَاكَ اللَّهُ خَيْرًا عَنِ الْإِسْلَامِ وَأَهْلِهِ فِي أَوَّلِ أَمْرِكَ وَآخِرِهِ .

ثم قال : أَيُّهَا النَّاسُ ، سِيرُوا بِأَجْمَعِكُمْ كَأَفَّةٍ ؛ فَخَرَجَ النَّاسُ يَتَجَهَّزُونَ وَلَا يَدْرُونَ مَنْ أَمِيرُهُمْ .

وكتب الحجاج إلى عبد الملك يُخْبِرُهُ أَنَّ شَيْبَةَ قَدْ نَسَرَافَ الْمَدَائِنَ ؛ وَأَنَّهُ يُرِيدُ الْكُوفَةَ ، وَقَدْ عَجَزَ أَهْلُهَا عَنْ قِتَالِهِ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ ، يَقْتُلُ أَمْرَأَهُمْ وَيَهْزِمُ جُنْدَهُمْ ؛ وَسَأَلَهُ أَنْ يَبْعَثَ جُنْدًا مِنَ الشَّامِ يَقَاتِلُونَ الْخَوَارِجَ ، وَيَأْكُلُونَ الْبِلَادَ . فَبَعَثَ عَبْدُ الْمَلِكِ سُفْيَانَ بْنَ الْأَبْرَدِ الْكَلْبِيَّ فِي أَرْبَعَةِ آلَافٍ ، وَحَبِيبَ بْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْحَكَمِيَّ فِي أَلْفَيْنِ ، وَبَعَثَ الْحَجَّاجَ إِلَى عَتَّابِ بْنِ وَرْقَاءَ يَسْتَدْعِيهِ ، وَكَانَ يَقَاتِلُ الْإِزَارَةَ مَعَ الْمُهَلَّبِ كَمَا تَقْدُمُ .

واستشار الحجاجُ أَهْلَ الْكُوفَةِ فِيمَنْ يُؤَلِّيه أَمْرَ الْجَيْشِ ، فَقَالُوا : رَأَيْكَ أَفْضَلَ . فَقَالَ : قَدْ بَعَثْتُ إِلَى عَتَّابِ بْنِ وَرْقَاءَ وَهُوَ قَادِمٌ عَلَيْكُمْ اللَّيْلَةَ أَوْ الْقَابِلَةَ ؛ فَقَالَ زَهْرَةَ : رَمَيْتَهُمْ بِحَجْرِهِمْ ، وَاللَّهُ لَا يَرْجِعُ إِلَيْكَ حَتَّى يَظْفَرَ أَوْ يَقْتُلَ . وَقَالَ لَهُ قَبِيصَةُ بْنُ وَقَلٍ : إِنَّ النَّاسَ قَدْ تَحَدَّثُوا أَنَّ جَيْشًا قَدْ وَصَلَ إِلَيْكَ مِنَ الشَّامِ ، وَأَنَّ أَهْلَ الْكُوفَةِ قَدْ هَزَمُوا وَهَانَ عَلَيْهِمُ الْفِرَارُ ، فَقَلُوبُهُمْ كَأَنَّهَا لَيْسَتْ فِيهِمْ ؛ فَإِنَّ رَأْيْتَ أَنَّ تَبْعْتَ

إلى أهل الشام ليأخذوا حذرهم ، فإنك تحارب حوَّلاً قَلْبًا ظَعَانًا (١)
 رَحَالًا ، وقد جهزت إليهم أهل الكوفة ولست واثقاً بهم كل
 الثقة ، فإن شبيباً بينا هو في أرض إذا هو في أخرى ، ولا آمن أن
 يأتي أهل الشام وهم آمنون ؛ فإن يهلكوا تهلك (٢) ويهلك أهل العراق .

فقال : لله أبوك ، ما أحسن ما أشرت به ! وأرسل إلى أهل
 الشام يحذّرهم ويأمرهم أن يأتوا على عين النمر (٣) ، ففعلوا ، وقدم
 عتاب بن رقاء تلك الليلة ، فبعثه الحجاج على ذلك الجيش ، فعسكر
 بحمام أعين (٤) ، وأقبل شبيب حتى انتهى إلى كَلَوَاذَا (٥) فقطع منها
 دجلة ، ثم سار حتى نزل مدينة بَهْرَمِير (٦) الدنيا ، وهي المدائن
 الغربية ، فصار بينه وبين مُطَرَفٍ دجلة ، فقطع مطرف الجسر ،
 وبعث إلى شبيب أن ابعث إلى رجلا من وجوه أصحابك أدارسهم
 القرآن وأنظر فيما يدعون (٧) إليه ، فبعث إليه بمعتب (٨) بن سويد
 والمحلل وغيرهما ، وأخذ منه رهاين على عود أصحابه ، فأقاموا عنده
 أربعة أيام ، ثم أعادهم ، ولم يتفقوا ، فلما لم يتبعه مُطَرَفٌ تهيأ

(١) في ك : طمانا .

(٢) في الطبرى : نهلك .

(٣) عين النمر : بلدة في طرف البادية على غربي الفرات (المراصد) .

(٤) حمام أعين : موضع بالكوفة منسوب إلى « أعين » مولى سعد بن أبي

وقاص .

(٥) قرب بغداد .

(٦) بالفتح ، ثم الضم وفتح الراء وكسر السين المهمله وياء ساكنة وراء :
 من نواحي بغداد قرب المدائن . وقال حمزة : هي إحدى المدائن السبعة التي سميت
 بها المدائن ، وهي في غربي دجلة (المراصد) .

(٧) في الكامل : فيما تدعو إليه .

(٨) في الكامل : قعنب ، والمثبت في الطبرى أيضا .

للمسير إلى عتّاب . وأقبل عتّاب حتى نزل بسوقِ حَكَمَةَ (١) . وقد خرج معه من المقاتلة أربعون ألفاً ، ومن الشباب والأتباع عشرة آلاف ، فكانوا خمسين ألفاً . وكان الحجاج قد قال لهم حين ساروا : ألا إن للسائر المجدّ الكرامة والأثرة ، وللهارب الهوان والجفوة ، والذي لا إله غيره لئن فعلتم في هذا الوطن كفعلكم في غيره من المواطن لأولينكم كنفاً (٢) خشناً ، ولأعركنكم بكلكل ثقيل .

وسار شبيب من المدائن وأصحابه ألف رجل ، فتخلف عنه بعضهم ، فصلّى الظهر بساباط ، وصلّى العصر ، وسار حتى أشرف على عتّاب وعسكره ، فلما رآهم نزل فصلّى المغرب ، وكان عتّاب قد عبأ أصحابه ، فجعل في الميمنة محمد بن عبد الرحمن بن سعيد بن قيس ، وفي اليسرة نعيم بن عليم ، وبعث حنظلة بن الحارث اليربوعي - وهو ابن عمه - على الرجال ، وصفهم ثلاثة (٣) صفوف : صف فيهم أصحاب السيوف ، وصف فيهم أصحاب الرماح ، وصف فيهم الرماة ، ثم سار في الناس يحرضهم على القتال ، ورجع فجلس في القلب ، ومعه زهرة بن حوية جالس ، وعبد الرحمن بن محمد بن الأشعث ، وأبو بكر ابن محمد بن أبي جهم العدوي .

وأقبل شبيب وهو في ستائة ، وقد تخلف عنه من أصحابه أربعمائة ، فجعل مؤيد بن سليم في اليسرة في مائتين ، والمحلل بن وائل في القلب في مائتين ، ووقف هو في الميمنة في مائتين ، وذلك بين المغرب والعشاء .

(١) سوق حكمة : موضع بنواحي الكوفة .

(٢) الكنف : الجانب .

(٣) بالأصول : ثلاث .

الآخرة حين أضاء القمر ، فناداهم : لَمَنْ هذه الرايات ؟ قالوا : لربيعة .
قال : طالما نصرت الحق ، وطالما نصرت الباطل ، والله لأجاهدَنَّكُمْ
محتسباً ، أنا شبيب ، لا حُكْمَ إلا للحكم ، اثبتوا إن شئتم .

ثم حمل عليهم ففَضُّهُمْ ، فثبت أصحابُ رايات قبيصة بن والقي ،
وعبيد بن الحليس ، ونعيم بن عليم ، فقتلوا ، وانهمزت الميسرة كلها ،
ثم حمل شبيب على عَتَّاب بن ورقاء ، وحمل سُويد بن سُليم على
الميمنة وعليها محمد بن عبد الرحمن ، فقاتلهم في رجال من تميم
وهَمْدَان ؛ فما زالوا كذلك حتى قيل لهم : قُتِلَ عَتَّابُ ، فانفَضُّوا^(١) .
ولم يزل عَتَّابُ جالسا على طِنْفِسَتِهِ^(٢) في القلبِ ومعه زَهْرَةَ بن حَوِيَّةَ
حتى غَشِيَهُمْ شبيب ، فقال عَتَّابُ : يا زَهْرَةَ ، هذا يوم كَثُرَ فيه العدد
وقلَّ فيه الغنَاءُ ، والهفَى على خمسمائة فارس من تميم من جميع الناس ،
ألا صابِرٍ لعدوه ! ألا مُوَأِسٍ بنفسه ! فانفَضُّوا عنه وتركوه ، فلما دنا
منه شبيب وثب في عَصَابَةٍ قليلة صَبَرَتْ معه ، وقاتل ساعة ، فراه
رجُلٌ من أصحابِ شبيب يُقَالُ له عامر بن عَمْرُو التغلبي ، فحمل
عليه فطَعَنَهُ ، وجاء الفضلُ بن عامر الشيباني إلى زَهْرَةَ فقتله ، وتمكَّن^(٣)
شبيب من أهل العسكر والناس ، فقال : ارفعوا السيف . ودعاهم
إلى البيعة ، فبايعه الناس وهربوا من ليلتهم ، وحوى مافي العسكر .
وأقام شبيب بعد الواقعة ببيت قُرَّةَ يَوْمِينَ ، ثم سار نحو الكوفة

(١) في ك : فانقرضوا .

(٢) في الكامل ، والطبرى : طنفسة .

(٣) في الكامل : فاستمسك . وفي الطبرى : واستمكن .

فنزل بسُورًا (١) . وقتل عامِلها ، وكان سفيانُ بن الأبرد وعسْكَرُ الشام قد دخلوا الكوفة فشدُّوا ظهر الحجاج ، واستغنى بهم عن أهل الكوفة ، وقام على المنبر فقال : يا أهل الكوفة ، لا أعزُّ الله من أراد بكم العِزَّ ، ولا نصَّر من أراد بكم النَّصْرَ ، اخرجوا عَنَّا فلا تشاهدوا معنا قتال عدونا ، انزلوا الحِيرةَ مع اليهود والنصارى ، ولا يقاتل معنا إلا من لم يشهد قتالَ عتَّاب .

ذكر قدوم شبيب الكوفة وانهزامه عنها

قال : ثم سار شبيب من سُورًا فنزل حمامَ أعين ، فدعا الحجاجُ الحارث بن معاوية الثقفى ، فوجهه فى ناسٍ من الشُّرط وغيرهم لم يشهدوا يوم عتَّاب ، فخرجوا فى ألفٍ فنزلوا زُرارةَ (٢) ، فبلغ ذلك شبيباً ، فعَجِل إلى الحارث ، فلما انتهى إليه حمل عليه فقتله ، وانهمز أصحابه ، فدخلوا الكوفة ، وجاء شبيب فعسْكَر بنا حية الكوفة فأقام ثلاثاً ، فنزل السَّبِخة ، وابتتنى بها مسجداً ، وذلك فى اليوم الثانى من الأيام الثلاثة .

فلما كان اليوم الثالث أخرج الحجاجُ أبا الوَرْدِ مَوْلاه عليه تَجَقَّاف (٣) ومعه غلمان (٤) له ، فقالوا : هذا الحجاج ! فحمل عليه شبيب فقتله ، فأخرج إليه غلامه طَهْمَان فى مثل تلك العُدَّة والحالة ، فقتله شبيب ، وقال : إن كان هذا الحجاج فقد أرختكم منه .

(١) سورا : موضع من أرض بابل . وسوراء : موضع قيل إلى جنب بغداد . وقيل بغداد نفسها ، ويروى بالقصر (المراصد) .

(٢) محلة بالكوفة .

(٣) التجفاف - بالكسر : آلة يلبسها الفرس والإنسان لتقيه فى الحرب (القاموس)

(٤) فى الأصول : ومعه غلمان له .

ثم خرج الحجاج عند ارتفاع النهار من القَصْر، فركب بغلاً ومعه أهل الشام، فلما رأى الحجاج شبيباً وأصحابه نزل وجلس على كرسي، وتقدم إليه شبيب وأصحابه فلقوهم بأطراف الأسينة؛ فكان بينهم قتال شديد عامة النهار، حتى انتهى الحجاج إلى مسجد شبيب، فقال: هذا أول الفتح.

ثم قال خالد بن عتاب للحجاج: ائذن لي في قتالهم، فإني موتور. فأذن له، فخرج ومعه جماعة من أهل الكوفة، فقصدهم عنكرهم من ورائهم، فقتل مصاداً أخا شبيب، وقتل امرأته [غزاة] (١)، هذا وشبيب يُقاتل الحجاج، وأتى الخبر الحجاج فكبر فعندها ركب شبيب وكان قد نزل فقاتل على الأرض، وقال الحجاج لأصحابه: احمِلوا عليهم، فإنه قد أتاهم ما أرعبهم؛ فشدوا على أصحاب شبيب فهزموهم، وثبت شبيب في حامية الناب، فبعث الحجاج إلى خياله أن دَعُوهُ، فتركوه ورجعوا، ودخل الحجاج الكوفة، وبعث حبيب بن عبد الرحمن الحكمي في ثلاثة آلاف فارس من أهل الشام، فخرج في أثره حتى نزل إلى الأنبار.

وكان الحجاج قد نادى عند انهزام شبيب: من جاءنا منكم فهو أمين؛ فتفرق عن شبيب ناس كثير من أصحابه. فلما نزل حبيب الأنبار أتاهم شبيب، فلما دنا منهم نزل فصلى المغرب، وكان حبيب قد جعل أصحابه أرباعاً، وقال: ليمنع كل ربيع منكم جانبته فإن قاتل هنا الربيع فلا يُعذبهم (٢) الربيع الآخر. وأتاهم شبيب وهو على تعبثته فحمل [على] (٣) ربيع، فقاتلهم طويلاً، فمازالت قدم إنسانٍ عن موضعها

(١) ساقط في ك.

(٢) في الطبري: فلا يعذبهم. (٤) من دين السطور.

فتركهم ، وأقبل إلى رُبْعٍ آخر ، فكانوا كذلك ، وقاتل الربع الثالث والرابع وهم كذلك ، فما برح يقاتلهم حتى ذَهَبَ ثلاثةُ أرباع الليل ، ثم نازلهم رَاجِلًا ، فسقطت بينهم (١) الأيدي وكثرت القَتْلَى ، وفُقِمتُ الأعين ، وقُتِلَ مِنْ أَصْحَابِ شَبِيبٍ نَحْوُ ثَلَاثِينَ رَجُلًا ، ومن أهل الشام نحو مائة . واستولى التَّعَبُ والإِعياءُ على الطائفتين حتى إن الرجلَ لِيَضْرِبُ بِسَيْفِهِ فلا يصنع شيئًا ، فلما يئس شبيبٌ منهم تركهم وانصرف عنهم ، ثم قطع دَجَلَةَ وأخذ في أرض جُوخَى ثم قطع دجلة مرة أخرى عند واسط ، وأخذ نحو الأهواز إلى فارس ثم إلى كَرْمَانَ ليستريح هو وَمَنْ مَعَهُ .

ذِكْرُ مَهْلِكِ شَبِيبٍ

كان مَهْلِكُ شَبِيبٍ في سنة [٨٧٧] سبع وسبعين ، وسببُ ذلك أن الحجاجُ أنفق في أصحابِ سُفْيَانَ بنِ الأبردِ مالاً عظيماً ، وأمرهم بقصد شَبِيبٍ ، فساروا نحوه مع سفيان بن الأبرد ، وكتب الحجاج إلى الحكم بن أيوب زوج ابنته - وهو عامله على البصرة - أن يرسل أربعة آلاف فارس من أهل البصرة ، ففعل وسيرهم مع زياد بن عمرو العتكي ، فلم يصل إلى سفيان حتى التقى سفيان مع شبيب . وكان شبيب قد أقام بِكَرْمَانَ حتى استراح وأراح ، ثم أقبل راجعاً فالتقى مع سفيان بِجَنْسَرٍ (٢) دُجَيْلِ الأهواز ، فعبر شبيب الجسر إلى سفيان فوجده قد نزل في الرجال ، وجعل مهاصر بن سيف (٣) على الخيل ، وأقبل

(١) في الكامل : منهم .

(٢) بالفتح ثم السكون ، وآخره راه . وربما كسرت الجيم ، والفتح أشهر (المراصد) .

(٣) في الطبرى (٦-٢٧٩) : بن صيفى . والمثبت في الكامل أيضا .

شبيب في ثلاثة كَرَادِيْسٍ (١) ، فاقْتَتَلُوا أَشَدَّ قِتَالٍ ، وَرَجَعَ شَبِيبٌ إِلَى الْمَكَانِ الَّذِي كَانَ فِيهِ ، ثُمَّ حَمَلَ عَلَيْهِ هُوَ وَأَصْحَابُهُ أَكْثَرَ مِنْ ثَلَاثِينَ حِمْلَةً ، وَأَهْلُ الشَّامِ عَلَى حَالِهِمْ فِي ثِبَاتِ الْقَدَمِ ، وَمَا زَلُوا يُقَاتِلُونَ الْخَوَارِجَ حَتَّى اضْطَرُّوهُمْ إِلَى الْجِسْرِ . فَلَمَّا انْتَهَى شَبِيبٌ إِلَى الْجِسْرِ نَزَلَ وَنَزَلَ مَعَهُ نَحْوُ مِائَةِ رَجُلٍ ، فَقَاتَلُوا حَتَّى الْمَسَاءِ ، وَأَوْقَعُوا بِأَهْلِ الشَّامِ مِنَ الضَّرْبِ وَالطَّعْنِ مَا لَمْ يَرَوْا مِثْلَهُ ، فَأَمَرَ سَفِيَانُ الرُّمَاءَ أَنْ يَرْمُوهُمْ فَتَقَدَّمُوا ، وَرَمَوْهُمْ سَاعَةً ، فَحَمَلَ شَبِيبٌ وَأَصْحَابُهُ عَلَى الرُّمَاءِ ، فَقَاتَلُوا مِنْهُمْ أَكْثَرَ مِنْ ثَلَاثِينَ رَجُلًا ، ثُمَّ عَطَفَ عَلَى سُفِيَانَ وَمَنْ مَعَهُ فَقَاتَلَهُمْ حَتَّى اخْتَلَطَ الظَّلَامُ ، ثُمَّ انْصَرَفَ ، فَقَالَ سَفِيَانُ لِأَصْحَابِهِ : لَا تَتَّبِعُوهُمْ .

فَلَمَّا انْتَهَى شَبِيبٌ إِلَى الْجِسْرِ قَالَ لِأَصْحَابِهِ : اعْبُرُوا فَإِذَا أَصْبَحْنَا بِأَكْرَنَاهُمْ إِنْ شَاءَ اللَّهُ . فَعَبَرُوا أَمَامَهُ ، وَتَخَلَّفَ فِي آخِرِهِمْ ، وَجَاءَ لِيَعْبُرَ وَهُوَ عَلَى حِصَانٍ وَبَيْنَ يَدَيْهِ حِجْرٌ (٢) ، فَنَزَا فَرَسُهُ عَلَيْهَا وَهُوَ عَلَى الْجِسْرِ فَاضْطَرَبَتْ تَحْتَهُ ، وَنَزَلَ حَافِرَ رِجْلِ حِصَانِهِ عَلَى حَرْفِ السَّفِينَةِ ، فَسَقَطَ فِي الْمَاءِ ، فَلَمَّا سَقَطَ قَالَ : لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا . وَانْغَمَسَ (٣) فِي الْمَاءِ ، ثُمَّ ارْتَفَعَ ، وَقَالَ : ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ . وَغَرِقَ .

• قَالَ : وَكَانَ أَهْلُ الشَّامِ قَدْ عَزَمُوا عَلَى الْإِنصِرَافِ ، فَأَتَاهُمْ صَاحِبُ

(١) الكردوسة ، بالضم : قطعة عظيمة من الخيل .

(٢) الحجر : الأنثى من الخيل .

(٣) في الطبرى : فارتمس . والارتماس : الاغتماس .

الجِسر ، فقال لسفيان : إن رجلا منهم وقع فى الماء ، فتنادوا بينهم : غرق أمير المؤمنين . ثم انصرفوا راجعين ، وتركوا عسكرهم ليس فيه أحد ، فكبر سفيان وكبر أصحابه ، وأقبل حتى انتهى إلى الجِسر ، وبعث إلى المعسكر ، وإذا (١) ليس فيه أحد ، وإذا هو أكثر العساكر خيراً ، ثم استخرجوا شبيبا فشققوا جوفه ، وأخرجوا قلبه ؛ فكان صلبا كأنه صخرة ، فكان يضرب به الصخرة فينبو (٢) عنها قامة إنسان .

قال : وكان شبيب يُنمى لأمه فيقال لها: قتل ، فلا تقبل ذلك . فلما قيل لها غرق صدقت ذلك ، وقالت : إني رأيت حين ولدته أنه خرج منى شهاب نار ، فعلمت أنه لا يطفئه إلا الماء ، وكانت أمه جارية رومية اشتراها أبوه فأولدها شبيبا سنة [٥٢٥هـ] خمس عشرين يوم النحر ، وقالت : إني رأيت فيما يرى النائم أنه خرج من قبلى شهاب نار ، فذهب ساطعا إلى السماء ، وبلغ الآفاق كلها ، فبينما هو كذلك إذ وقع فى ماء كثير فخبأ ، وقد ولدته فى يومكم الذى تهريقون فيه الدماء ، وقد أولت ذلك أن ولدى يكون صاحب دماء وأن أمره سيعلو ويعظم سريعا .

(١) فى الكامل : وإذا .

(٢) فى الطبرى : فيثب عنها .

ذكر خروج مطرف بن المغيرة

ابن شُعْبَةَ ومَقْتَلَهُ

كان خروجه وقَتْلُهُ في سنة [٥٧٧هـ] سبع وسبعين ، وذلك أنه لما قدم الحجاجُ العِراقَ استعمل أولادَ المغيرةِ على أعماله لشرفهم ومنزلتهم بن قومهم ، واستعمل عُرْوَةَ [بن المغيرة] ^(١) على الكوفة ، ومُطَرِّفًا على المدائن ، وحمزة على همدان ، فكانوا على أعمالهم أحسنَ الناسِ سيرةً ، وأشدَّهم على المريب ، وكان المُطَرِّفُ على المدائن لما خرج شبيب ، وقد ذكرنا أن المطرف أرسل يستدعى منه أن يُسيرَ إليه من أصحابه من يدارسه ويسمعُ منه ، وأنه سيرَ إليه جماعةً ، ولم يحصل بينهم اتِّفَاقٌ ، وكان مِنَّا تكلُّموا فيه أن المطرف سألهم عما يدعونَ إليه ، فقالوا : ندعو إلى كتاب الله وسنة رسوله ، وأن الذي نقمنا على ^(٢) قومنا الاستثناءُ بالفقهاء وتعطيلُ الحدود والتسلُّطُ بالجبرية ، فقال لهم مُطَرِّفٌ : ما دعوتكم إلا إلى حق ، وما نقمتم إلا جوراً ظاهراً ، أنا لكم مُتَابِعٌ ^(٣) ، فبأيِّعوني ^(٤) على ما أذعوكم إليه : أن نُقاتِلَ هؤلاء الظَّلمةَ على أحداثهم ، ونَدْعوهم إلى كتابِ الله وسنةِ نبيِّه صلى الله عليه وسلم ، وأن يكونَ هذا الأمرُ سُورَى بين المسلمين ، يُؤمِّرون من يرضون ^(٥) على مثلي الحال التي تركهم عليها عمر بن الخطاب ،

(١) زيادة من الطبرى .

(٢) في الكامل : من قومنا .

(٣) في ك : سامع .

(٤) في الطبرى : فتابعونى .

(٥) في الطبرى والكامل : يرضون .

فإنَّ العَرَبَ إذا علمت أنها إنما يُراد بالشورى الرضا من قُرَيْشِ رَضُوا
وَكَثُرَ تَبِعْكُمْ وَأَعْوَانُكُمْ .

فقالوا : هذا مالا نُجِيبُكَ إِلَيْهِ ، وفارقوه ، وأحضر مُطَرِّفٌ
نصحاءه (١) وثِقَاتِهِ ، فذكر لهم ظُلْمَ الحجاج وعَبْدَ الملك ، وأنه
ما زال يُؤَثِّرُ مَخَالَفَتَهُمْ وَمَنَاهَضَتَهُمْ ، وأنه يرى ذلك دينًا لو وجد عليه
أَعْوَانًا ، وذكر لهم ما جرى بينه وبين أصحاب شيبب ، وأنهم
لوتابعوه على رَأْيِهِ لَخَلَعَ عبد الملك والحجاج ، واستشارهم فيما يفعل .

فقالوا له : أَخْفِ هذا الكلامَ وَلَا تُظْهِرْهُ لِأَحَدٍ . فقال له يزيد
ابن أبى زياد مولى أبيه : وَاللَّهِ لَا يَخْفَى عَلَى الحجاج ما كان بينك
وبينهم كلمةٌ واحدةٌ وَلِيُزَادَنَّ عَلَى كُلِّ كَلِمَةٍ عَشْرَ أَمْثَالِهَا ، ولو كنتَ
فى السحابِ (٢) لَا لَتَمَسَّكَ الحجاجُ حَتَّى يُهْلِكَكَ ، فالنَّجَاءُ النَّجَاءُ .

فوافقهُ أصحابُهُ على ذلك ، فسار عن المدائن نحو الجبال ،
ثم دعا أصحابَهُ الذين لم يَعْلَمُوا بِحَالِهِ إِلَى ما عَزَمَ عَلَيْهِ ، فبايعه
بَعْضُهُمْ ، ورجع عنه بَعْضُهُمْ ، وسار نحو حُلوان وبها سُويْدُ بن عبد الرحمن
السعدى من قَبْلِ الحجاج ، [فأراد هو والأكراد مُنَعَهُ لِيَعْدِرَ عِنْدَ الحجاج] (٣) ،
فأوقع مُطَرِّفٌ بِالْأَكْرَادِ فقتل منهم ، وسار .

فلما دنا من هَمْدَانَ وبها أخوه حمزة بن المغيرة تركها ذاتَ اليسار ،
وأرسل إلى أخيه حَمَزَةَ يَسْتَمِدُّهُ بِالْمَالِ وَالسَّلَاحِ ، فأرسل إليه ما طَلَبَ

(١) فى الكامل : صلحاءه .

(٢) فى ك: السحابة .

(٣) ساقط فى ك .

سِراً ، وسار مُطَّرَفٌ حتى بلغ قُمْ^(١) وقاشان ، وبعث عماله على تلك النواحي ، وأتاه الناس .

وكان مِمَّنْ أتاه سُويد بن سرحان الثقفي ، وبكير بن هارون النَّخعي^(٢) من الرىِّ في نحو مائة رجلٍ ، وكتب البراء بن قبيصة - وهو عامل الحجاج على أصفهان - إليه يعرفه حالَ المُطَّرَفِ ويستمدّه ، فأمدّه بالرجال بَعْدَ الرجال على دوابِّ البريد .

وكتب الحجاجُ إلى عديّ بن زياد^(٣) عامل الرىِّ يأمره بقصد مُطَّرَفٍ ، وأن يجتمع هو والبراء على محاربتِهِ ، فسار عديّ من الرىِّ واجتمع هو والبراء وعديّ الأميرُ ، واجتمعوا في نحو ستة آلاف مقاتل . وكان حمزة بن المغيرة قد أرسل إلى الحجاج يعتذر ، فأظهر قبولَ عُذْرِهِ ، وأراد عزله وخاف أن يمتنع عليه ، فكتب إلى قيس بن سعد العجلي ، وهو على شُرطة حمزة بعُهدِهِ على هَمْدَانَ ، ويأمرُهُ أن يقبض على حمزة ابن المغيرة ؛ فسار قيس بن سعد إلى حمزة في جماعةٍ من عشيرته فأقرأه العُهد بولايته ، وكتابَ الحجاج بالقبض عليه ، فقال : سَمِعاً وطاعة . فقبض قيس عليه وسجنه ، وسار عديّ والبراء نحو مُطَّرَفٍ فالتقوا واقتتلوا قتالاً شديداً ، فانهزم أصحابُ مُطَّرَفٍ وقُتِل هو وجماعة كثيرة من أصحابه ، قَتَلَهُ عَمْرُ^(٤) بن هبيرة الفزاري ، وكان الحجاج يقول : إن مُطَّرَفًا ليس بوكلد المغيرة بن شعبة ، إنما هو

(١) قُم - بالضم وتشديد الميم: بين أصفهان وساعة . وقاشان : مدينة قرب

أصفهان (المراصد) .

(٢) في الطبري : البجلي . والمثبت في الكامل أيضا .

(٣) في الطبري : عدي بن وناد . والمثبت في الكامل أيضا .

(٤) في ك : عمرو ، وفي الكامل : عمير . والمثبت في الطبري أيضا .

ولد مَضَقَلَةَ بن هُبَيْرَةَ الشيبانى ، وكان مَضَقَلَةَ والمغيرة يدعيانه ، فألحق بالمغيرة ، وجُلِدَ مَضَقَلَةَ الحَدُّ ، فلما أظهر رأى الخوارج قال الحجاج ذلك ، لأنَّ كثيراً من ربيعة كانوا خوارج^(١) . ولم يكن منهم أحدٌ من فيس عَيْلان .

انتهت أخبار الخوارج فلنذكر الغزوات فى خلافة عبد الملك

ذكر الغزوات والفتوحات

فى أيام عبد الملك بن مَرْوَانَ على حكم السنين

فى سنة [٥٧١] لإحدى وسبعين افتتح عبد الملك قَيْسَارِيَّةَ فى قَوْلِ الواقدى .

وفى سنة [٥٧٣] ثلاث وسبعين غزا محمد بن مَرْوَانَ الروم صائفةً ، فهزمهم ، وفيها كانت وَقْعَةُ عَثْمَانَ بن الوليد بالروم من ناحية أَرْمِينِيَّةَ ، وهو فى أربعة آلاف ، والروم فى ستين ألفاً ، فهزمهم وأكثر فيهم القتل .

وفى سنة [٥٧٤] أربع وسبعين غزا عبد الله بن أمية رُتْبِيلَ^(٢) من سِجِسْتَانَ ، وكان رُتْبِيلَ هائِباً للمسلمين ، فلما وصل عَبْدُ اللَّهِ إلى بُسْتِ^(٣) راسله رُتْبِيلَ فى طَلَبِ الصلح ، وبذلَ أَلْفَ أَلْفٍ ، وبعث إليه بهدايا ورقيق ، فأبى عَبْدُ اللَّهِ قبولَ ذلك ، وقال : إن مَلَأَ لى هذا الرِّوَاقَ ذَهَباً وإلَّا فَلَا صلح ، وكان غِراً ، فغخلى له رُتْبِيلَ البلادَ حتى أوغل فيها ، وأخذ عليه الشَّعَابَ والمضايق [وطلب أن يخلى عنه

(١) فى ك : من خوارج .

(٢) الضبط فى القاموس والمشتهب .

(٣) بست - بالضم : مدينة بين سجستان وغزني وهراة (المراصد) .

وعن المسلمين] (١) ، ولا يأخذ منه شيئاً ، فأبى رُتَيْبِيلُ وقال : يَا خُدُّ (٢) ثلاثمائة ألف درهم صلحاً ، ويكتبُ لنا بها كِتَاباً ، ولا يَغزُو بلادنا مادمتُ أميراً ، ولا يحرق ولا يخرَّب .

ف فعل ، وبلغ ذلك عبد الملك فعزَّه .

وفيها غزا محمد بن مروان الروم صائفةً ، وبلغ أندولبةً ، وغزا أيضاً في سنة [٥٧٥] خمس وسبعين صائفةً حتى خرجت الروم من قبل مرعش ، وغزا أيضاً في سنة [٥٧٦] ست وسبعين من ناحية مَلَطِيَّة . وفي سنة [٥٧٧] سبع وسبعين غزا أمية بن عبد الله ماوراء النهر فبلغ بُخَارَى ، وخالف عليه بكير بن وَسَّاج ، فصالح أهل بُخَارَى على فِدْيَةٍ قليلة ، ورجع لقتال بكر .

وفيها غزا أمية أيضاً ، وعَبَّرَ نهر بَلَخ ، فحُوصِرَ حتى جهد هو وأصحابه ، ثم نَجَّوْا بعد ما أشرفوا على الهلاك ، ورجعوا إلى مَرُو .

وغزا الوليد بن عبد الملك الصائفة .

ذكر غزو عبيد الله بن أبي بكره رتَيْبِيل

وفي سنة [٥٧٩] تسع وسبعين غزا عبيد الله بن أبي بكره بلاد رُتَيْبِيل ، وكان الحجاج قد استعمله على سجستان ، وكان رُتَيْبِيل يُؤدِّي الخراج ، وربما امتنع منه ، فبعث الحجاج إلى عُبَيْدِ اللَّهِ [ابن أبي بكره] (٣) يأمره بِمُتَاجَزَتِهِ ، وألا يرجع حتى يَسْتَبِيحَ بلاده ، ويهدم قلاعَهُ ، ويقتل (٤) رجاله .

(١) ساقط في ك . (٢) في ك : تأخذ منه .

(٣) زيادة من الطبري .

(٤) في الكامل : ويقيد . وفي الطبري : ويقتل مقاتلته .

فسار عُبَيْدُ اللَّهِ فِي أَهْلِ الْبَصْرَةِ وَالْكُوفَةِ ، وَعَلَى أَهْلِ الْكُوفَةِ شُرَيْحُ
ابن هانئ ؛ فمضى عُبَيْدُ اللَّهِ حَتَّى دَخَلَ بِلَادَ رُثَيْبِلَ ، فَأَصَابَ مِنْ
الغنائِمِ مَا شَاءَ ، وَهَدَمَ حُصُونَنَا ، وَغَلَبَ عَلَى أَرْضِ مِنْ أَرْضِيهِمْ ،
وَأَصْحَابُ رُثَيْبِلَ مِنَ التَّرِكِ يُخْلَوْنَ لِلْمُسْلِمِينَ أَرْضًا بَعْدَ أَرْضٍ ، حَتَّى
أَمْعَنُوا فِي بِلَادِهِمْ ، وَدَنَوْا مِنْ مَدِينَتِهِمْ ، وَكَانُوا مِنْهَا عَلَى ثَمَانِيَةِ عَشْرَ
فَرَسَخًا ، فَأَخَذَ التَّرِكَ عَلَيْهِمُ الشُّعَابُ وَالْعُقَابُ ^(١) ، فَصَالِحَهُمْ عُبَيْدُ اللَّهِ
عَلَى سَبْعِمِائَةِ أَلْفٍ يُوصلُهَا إِلَى رُثَيْبِلَ لِيَمْكُنَ الْمُسْلِمِينَ مِنَ الْخُرُوجِ ؛
فَلَقِيَهُ شُرَيْحُ فَقَالَ : إِنَّكُمْ لَا تَصَالِحُونَ ^(٢) عَلَى شَيْءٍ إِلَّا حَسْبَهُ
السُّلْطَانُ مِنْ أَعْطِيَاتِكُمْ ، ثُمَّ قَالَ : يَا أَهْلَ الْإِسْلَامِ ، تَعَاوَنُوا عَلَى عَدُوِّكُمْ ،
فَقَالَ لَهُ ابْنُ أَبِي ^(٣) بَكْرَةَ : إِنَّكَ شَيْخٌ قَدْ خَرَفْتَ . فَقَالَ شُرَيْحُ :
يَا أَهْلَ الْإِسْلَامِ ، مَنْ أَرَادَ مِنْكُمْ الشَّهَادَةَ فِإِلَى ، فَاتَّبِعْهُ نَاسٌ مِنَ الْمُطَوَّعَةِ ^(٤)
غَيْرَ كَثِيرٍ ، وَفُرسَانِ النَّاسِ ، وَأَهْلِ الْحِفَازِ ، فَقَاتَلُوا حَتَّى أَصِيبُوا
إِلَّا قَلِيلًا ، وَجَعَلَ شُرَيْحُ يَرْتَجِزُ وَيَقُولُ ^(٥) :

أَصْبَحْتُ ذَابْتُ أَقَامِي الْكَبِيرَا قَدْ عِشْتُ بَيْنَ الْمُشْرِكِينَ أَعْصُرَا
ثُمَّتْ أَدْرَكْتُ النَّبِيَّ الْمُنْدِيرَا وَبَعْدَهُ صِدِّيقَهُ وَعَمَّرَا
وَيَوْمَ مِهْرَانَ وَيَوْمَ تُسْتَرَا وَالْجَمْعَ فِي صِفِّيهِمْ وَالنَّهْرَا
هِيَهَاتَ مَا أَطُولُ هَذَا الْعُمْرَا ^(٦)

(١) فِي الْكَامِلِ ، وَالطَّبْرِيُّ : فَأَخَذُوا عَلَى الْمُسْلِمِينَ الشُّعَابُ وَالْعُقَابُ .

(٢) فِي ك : لَا تَحْسَبُونَ .

(٣) فِي ك : أَبُو بَكْرَةَ - وَأَرَاهُ تَحْرِيفًا .

(٤) فِي الطَّبْرِيِّ : الْمُطَوَّعَةُ . (٥) وَالطَّبْرِيُّ : ٦-٣٢٣ .

(٦) فِي الطَّبْرِيِّ ، وَالْكَامِلِ :

وقَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ فِي نَاسٍ مِنْ أَصْحَابِهِ ، وَنَجَا مَنْ نَجَا مِنْهُمْ ، وَخَرَجُوا مِنْ بِلَادِ رُتْبَيْلٍ ، فَاسْتَقْبَلَهُمُ النَّاسُ بِالْأَطْعَمَةِ ، فَكَانَ أَحَدُهُمْ إِذَا أَكَلَ وَشَبِعَ مَاتَ ، فَحَنَرَ النَّاسَ وَجَعَلُوا يَطْعَمُونَهُمْ [السَّمْنُ] ^(١) قَلِيلًا قَلِيلًا حَتَّى اسْتَمْرَعُوا .

وفيهما أصاب الروم أهل أنطاكية وظفروا بهم ، وكان قد أصاب أهل الشام طاعونٌ شديد فلم يَغْزُ تلك السنة أحدٌ منهم .

ذكر مسير عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث

إلى رُتْبَيْلٍ وما مَلَكَه مِنْ بِلَادِهِ

كان مسيره في سنة [٨٠] هـ ثمانين ، وذلك أنه لما رجع عبید الله ابن أبي بكرٍة ومَنْ مَعَهُ مِنْ بِلَادِ رُتْبَيْلٍ عَلَى الْحَالِ الَّتِي ذَكَرْنَا كَتَبَ الْحِجَاجُ إِلَى عَبْدِ الْمَلِكِ بِخَبَرِهِمْ ، وَيُخْبِرُهُ أَنَّهُ قَدْ جَهَّزَ مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ وَالْبَصْرَةِ جَيْشًا كَثِيفًا وَيَسْتَأْذِنُهُ فِي إِرسَالِهِ إِلَى بِلَادِ رُتْبَيْلٍ ، فَأَذِنَ لَهُ فِي ذَلِكَ ، فَجَهَّزَ مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ عَشْرِينَ أَلْفَ فَارِسٍ وَمِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ مِثْلَهَا ، وَأَنْفَقَ فِيهِمْ أَلْفَ أَلْفٍ سِوَى أُعْطِيَاتِهِمْ ، وَأَعْطَى كُلَّ رَجُلٍ يَوْصِفُ بِشِجَاعَةٍ وَغَنَاءٍ ، وَبِعَثَ عَلَيْهِمْ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ الْأَشْعَثِ .

ولما أراد أن يبعثه على الجيش أتاه ^(٢) إسماعيلُ بن الأشعث ، فقال : لا تَبْعُهُ ، وَاللَّهِ مَا جَازَ جِسْرَ الْفُرَاتِ فَرَأَى لُؤَالَ عَلَيْهِ طَاعَةَ ، وَإِنِّي أَخَافُ خِلَافَهُ .

(١) من الكامل ، والطبرى .

(٢) في الطبرى : أتى الحجاج عمه إسماعيل بن الأشعث .

فقال الحجاج : هو أهيبُ لى من أن يخالفَ أمرى . وسيّره على الجيش ، فسار حتى قدم سجستان ، فجمع أهلها فخطبهم ثم قال : إن الحجاج ولّانى تُغرّكم ، وأمرنى بجهادِ عدوّكم الذى استباح بلادكم ، فإياكم أن يتخلّف منكم أحد فتسيمه (١) العقوبة . فعسكروا مع الناس ، وساروا بأجمعهم ، وبلغ الخبرُ رُتَيْبيلَ ، فأرسل يعتذر ويبتدّلُ الخراج ، فلم يقبلَ منه ، وسار إليه ، ودخل بلاده ، فترك له رُتَيْبيلَ أرضًا أرضًا ورُستاقًا ورُستاقًا وحصنًا حصنًا ، وعبدُ الرحمن يحوى ذلك ؛ وكلما حوى بلدًا بعث إليه عاملاً (٢) ، وجعل معه أعوانًا ، وجعل الأرزاد على العقاب والشعاب ، ووضع المسالِحَ بكل مكان مخوف ، حتى حاز (٣) من أرضه أرضًا عظيمة ، وملاّ الناس أيديهم من الغنائم العظيمة ، ومنع الناس من التوغّل ، وقال : نكتفى بما قد أصبناه العام من بلادهم حتى نجيشها (٤) ونعرقها ، ويجترئ المسلمون على طرفها ، وفي العام المقبل نأخذُ مارواعها إن شاء الله تعالى حتى نقاتلهم فى آخر ذلك على كنوزهم ودّراريهم فى أقصى بلادهم حتى يهلكهم الله تعالى .

وكتب إلى الحجاج بما فتح الله عليه وبما يُريد . فكتب الحجاج إليه يُنكر فعّاه ، ويأمره بالمناجزة ، فأدى ذلك إلى خروج عبد الرحمن على الحجاج على ما ذكره إن شاء الله تعالى .

(١) فى الكامل : فتمسه . وفى الطبرى : فيحل بنفسه العقوبة .

(٢) فى ك : غلاما .

(٣) فى ك : جاز .

(٤) فى الطبرى : حتى نجيبها .

ذكر غزو المهلب بن أبي صفرة ما وراء النهر

وفي سنة [٨٨٠هـ] ثمانين قطع المهلب نهر بلخ ونزل على كَشَّ (١) ، وكان الحجاج قد استعمله على خراسان حين ضمها عبد الملك إلى عمله ، فسار وعلى مقدمته أبو الأدهم (٢) الزماني في ثلاثة آلاف ، وهم في خمسة آلاف ، ولما نزل المهلب على كَشَّ أتاه ابن عم ملك الختل (٣) دعاه إلى غزو الختل ، فوجه معه ابنه يزيد ، وكان اسم ملك الختل السبل (٤) ، فسار يزيد وابن عم الملك حتى نازلوه ، ونزل كل واحد منهما ناحية ، فبيت الملك ابن عمه ، وأخذه فقتله ، فحصر يزيد القلعة ، فصالحوه على فدية حملت إليه ، ورجع يزيد عنهم . ووجه المهلب ابنه حبيباً ، فوافق صاحب بخارى في أربعين ألفاً ، فنزل جماعة من العدو قرية ، فسار إليهم حبيب في أربعة آلاف فقتلهم وأحرق القرية فسببت المحترقة . ورجع حبيب إلى أبيه ، وأقام المهلب بكش (١) سنتين ، ف قيل له : لو تقدمت إلى ما وراء ذلك ! فقال : ليت حظي من هذه الغزوة سلامة هذا الجند ، وعودهم سالمين ، ثم صالح أهل كش على فدية يأخذها منهم .

(١) كش - بالفتح ثم التشديد : قرية على ثلاثة فراسخ من جرجان على الجبل ، وقرية من قرى أصبهان (المراصد) ، وقال ابن ماكولا : كثره العراقيون . وغيرهم جعله بفتح الكاف ، وربما صحفه بعضهم فقالوا بالثين المعجمة ، وهو خطأ .

(٢) في الطبري : أبو الأدهم زياد بن عمر .

(٣) ختل - كسكر : كورة بما وراء النهر (القاموس) .

(٤) في الكامل : السبل . والضبط في الطبري .

وفى سنة [٨١١هـ] إحدى وثمانين سير عبد الملك ابنه عبید الله
ففتح قَالِيَقْلًا (١) .

ذكر دخول الديلم قزوين وقتلهم

كانت قزوين ثغراً للمسلمين من ناحية الديلم ، فكانت العساكرُ
لا تَبْرَحُ مرابطةً بها ، يتحارسون ليلاً ونهاراً ، فلما كان فى سنة
[٨١١ هـ] إحدى وثمانين كان فى جملة (٢) من رابطَ بها محمد
ابن أبى سبرة الجعفى ، وكان فارساً شجاعاً ، فرأى الناس
يتحارسون فلا ينامون الليل ، فقال : أتخافون أن يدخل عليكم العدو
مدينتكم ؟ قالوا : نعم . قال : لقد أنصفوكم إن فعلوا ، افتحوا
الأبواب ، ولا بأس عليكم . ففتحوها ، وبلغ ذلك الديلم ، فساروا
إليهم وبيئتهم ، وهجموا إلى البلد ؛ فقال ابن أبى سبرة : أغلقوا أبواب
المدينة علينا وعليهم ، فقد أنصفونا ، وقاتلواهم .

فغلقوا الأبواب وقاتلواهم ، وأبلى ابنُ أبى سبرة بلاءً عظيماً ، وظفير بهم
للمسلمون ، فلم يفلت من الديلم أحدٌ ، واشتهر اسمه بذلك ، ولم يُقدم
الديلمُ بعدها على مفارقة أرضهم ، فصار محمد فارس ذلك الثغر
المشار إليه . [والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب] (٣) .

(١) فاليقلا : بإرمينية العظمى من نواحي خلاط (المراصد) .

(٢) فى الكامل : جماعة .

(٣) ساقط من د .

ذكر فتح قلعة نيزك ببادغيس (١)

وفي سنة [٥٨٤هـ] أربع وثمانين فتح يزيد بن المهلب قلعة نيزك، فلما بلغه خروجه عن القلعة سار إليها وحاصرها. فملكها وما فيها من الأموال والذخائر، وكانت من أحصن القلاع وأمنعها، وكان نيزك إذا رآها سجد لها تعظيماً، وفيها يقول كعب بن معدان الأشقري (٢):

وبادغيس التي من حلّ ذروتها عزّ الملوك فإن شا جارا أو ظلماً
منية لم يكدها قبله ملك إلا إذا واجهت جيشاً له وجماً
تخال نيرانها من بُعد منظرها بعض النجوم إذا مائلها عتماً
وهي أبيات عديدة .

وقال أيضاً يذكر يزيد [رحمه الله] (٣) وفتحها (٤):

نفى نيزكا عن بادغيس ونيزك بمنزلة أعيان الملوك اغتصابها
محلقة دون السماء كأنها غمامة صيف زل (٥) عنها سحبها
ولا يبلغ الأروى شماريخها العلاء ولا الطير إلا نسرهما وعقبها
واخوفت بالذئب ولدان أهلها ولا تبحت إلا النجوم كلابها

(١) نيزك : ضبطت في الطبري بكسر النون وفتح الزاي . وفي د : بفتحها .
وضم الزاي . وبادغيس : ناحية من أعمال هراة ومرو الروذ (المراصد) .

(٢) في ك : الأشعري . والمثبت في الطبري ، والكامل ، ومعجم الشعراء ،
والأغاني ، والشعر والشعراء . والشعر في الطبري : ٦-٣٨٦ ، والكامل : ٤ - ٩٤ .

(٣) ساقط في د .

(٤) والطبري : ٦-٣٨٧ .

(٥) في الكامل : زال .

ذكر فتح المصيصة

وفى سنة [٥٨٤هـ] أربع وثمانين أيضاً غزا عبْدُ الله بن عبد الملك الرومَ ، ففتح المصِيصَةَ^(١) وبنى حصنها ، وجعل فيها ثلاثمائة مقاتل من ذوى البأس ، ولم يكن المسلمون سكنوها قبل ذلك ، وبنى مسجدَها . وغزا محمد بن مروان أرمينية .

وفى سنة [٥٨٥هـ] خمس وثمانين غَزَا المفضل بن المهلب بأذغيس ففتحها وأصاب مغنماً فقسمه ، فأصاب كلَّ رجل ثمانمائة^(٢) ، ثم غزا أخرون^(٣) وشومان ، فغنم وقنم ما أصاب . وفيها غزا محمد بن مروان أرمينية ، فصاف فيها وشتا . انتهى ذكر الغزوات والفتوحات .

ذكر الحوادث الكائنة

فى أيام عبْد الملك بن مروان منذ استقلَّ بالأمر خلاف ما ذكرناه ، وذلك على حُكم السنين قد ذكرنا حوادث السنين فى أخبار عبْد الله بن الزبير رضى الله عنهما إلى أن قُتِل فى سنة [٧٣ هـ] ثلاث وسبعين ، وذكرنا ما هو متعلِّقُ بهذه الدولة الأموية فى أثناء أخبار عبد الملك ، فلنذكرُ خلاف ذلك .

(١) المصيصة - بالفتح ، ثم الكسر والتشديد ، وياء ساكنة ، وصاد أخرى ، وقيل بتخفيف الصادين ، وهى مدينة على شاطئ جيجان من ثغور الشام (المراصد) . وفى البكرى : بكسر أوله .

(٢) فى الطبرى : ثمانمائة درهم .

(٣) فى ك : أجرون ، والمثبت فى الكامل ، والطبرى .

سنة (٧٣ هـ) ثلاث وسبعين :

ذكر ولاية محمد بن مروان

الجزيرة وأزمينية

في هذه السنة استعمل عبدُ الملك أخاه محمدًا على الجزيرة، وكانت
بُحيرة أزمينية مباحة لم يعرض لها أحد، بل يأخذ منها من شاء،
فمنع من صيدها وجعل عليه من يأخذه ويبيعه ويأخذ ثمنه، ثم صارت
بعده لابنه مروان ، واستمر ذلك بعده .

وفيهما عزل عبدُ الملك خالد بن عبد الله عن البصرة، واستعمل
عليها أخاه بشر بن مروان، فاجتمع له المضران: الكوفة، والبصرة،
فسار بشر إلى البصرة ، واستعمل على الكوفة عمرو بن حريث .

وحج بالناس في هذه السنة الحجاج وهو على مكة واليمن والهاجرة ،
وكان على قضاء الكوفة شريح بن الحارث ، وعلى قضاء البصرة هشام
ابن هبيرة ، وكان على خراسان بكير بن وشاح^(١) .

وفيهما مات عبد الله بن عمر بن الخطاب رضى الله عنهما بمكة
وكان سبب وفاته أن الحجاج أمر بعض أصحابه ، فضرب ظهر قدميه
بزجاج رُمح مسموم ، فمات منها، وعاده الحجاج في مرضه ، فقال :
من فعل بك هذا ؟ فقال : أنت ، لأنك أمرت بحمل السلاح في بلد
لا يحل حملهُ فيه . وكانت وفاته بعد قتل ابن الزبير بثلاثة أشهر ،
وكان عمره سبعاً وثمانين سنة ، ومات غيره من الصحابة رضى الله عنهم .

(١) في الطبرى ، والكامل : وشاح . وقد تقدم الخلاف فيه .

سنة (٧٤ هـ) اربع وسبعون :

فى هذه السنة عزل عبدُ الملك طارقاً^(١) عن المدينة ، واستعمل عليها الحجاج ، ففعل ما قدّمنا ذكره .

وفىها استقضى عبد الملك أبا إدريس الخولانى .

وفىها استعمل عبد الملك أميةَ بن عبد الله بن خالد بن أميد^(٢) على خراسان ، وعزل عنها بؤكير بن وسّاج ، فسار أمية إليها ، فلقبه بـحجير^(٣) بن ورّقاء بنيسابور ، وأخبره عن خراسان وما يحسن به طاعة أهلها ، ورفع على بؤكير أموالاً أخذها وحذره غدّره^(٤) ، وسار معه حتى قدم مرو ، وكان أميةً كريماً فلم يعرض لبؤكير ولا لعماله ، وعرض عليه شرطته ، فأبى فولّاهما بحجير بن ورّقاء ، ثم خيّر بؤكيراً أن يؤلّيه ما شاء من خراسان ، فاختر طخارستان .

قال : فتجهّز لها ، فأنفق مالا كثيراً ؛ فقال بحجير لأمية : إن أتى طخارستان خلّعتك ، وحذّره فلم يؤلّه .

وفىها استعمل عبدُ الملك حسانَ بن النعمان الغسانى على إفريقية ، وسيذكر ذلك إن شاء الله فى أخبار إفريقية .

وحجّ بالناس فى هذه السنة الحجاج بن يوسف .

وفىها توفى بشر بن مروان بالبصرة ، واستخلف قبل وفاته خالد ابن عبد الله بن خالد على البصرة ، وكان خليفته على الكوفة عمرو

(١) هو طارق بن عمرو .

(٢) أسيد - بفتح الهمزة وكسر السين - الكامل .

(٣) بحير - بفتح الباء الموحدة وكسر الحاء - الكامل .

(٤) فى ك : عدوه .

ابن حُرَيْث ؛ فكانوا على ذلك إلى أن قدم الحجاجُ بن يوسف الثقفي أميراً سنة [٥٧٥] خمس وسبعين .

ذكر ولاية الحجاج بن يوسف العراق

وما فعله عند مقدمه

وفي هذه السنة استعمل عَبْدُ الملك بن مَرْوان الحجاج بن يوسف الثقفي على العراق دون خراسان وسجستان ، وأرسل^(١) إليه بعهدته وهو بالمدينة ، فسار في اثني عشر راكباً على النَّجَائبِ حتى دخل الكوفة حين انتشر النهارُ ، فبدأ بالمسجد ، فصعد المنبر وهو متلثم بعمامةٍ خَزٌّ حمراء ، فقال : علىَّ بالناس ، فحسبوه خارجياً ، فهُمَّوا به وهو جالس على المنبر ينتظرُ اجْتِمَاعَهُمْ ، فاجتمع الناس وهو ساكت قد أطال السكوت ، فتناول عُمَيْرُ بن ضَابِيءَ البرجمي حَصِيَّ^(٢) وقال : ألا أَحْصِيَهُ لَكُمْ ! فقالوا : أمهل حتى ننظر . وقيل : إن الذي همَّ بِحَصْصِهِ محمد بن عُمَيْرٍ وقال : قاتله الله ما أغياه وأدمه^(٣) ، والله إني لأحسب خبره كروياه^(٤) .

فلما تكلم الحجاجُ جعل الحصى ينتثر من يده وهو لا يَعْقِلُ ، فلما رأى عيونَ الناس إليه حسر اللثامَ عن وجهه ونهض فقال : أنا ابن جِلا^(٥) وطلاعُ الثنايا متى أضع العمامة تعرفوني أما والله إني لأحمل الشرَّ مخملاً ، فأخذه^(٦) بِفِعْله ، وأجزيه بمثله ،

(١) في د : فأرسل .

(٢) في الكامل : فتناول محمد بن عمير حصاء ، وسيأتي .

(٣) في الكامل : ما أغياه وذمه .

(٤) في الطبري : كروائه .

(٥) ابن جلا : هو الصبح ، لأنه يجلو الظلمة . والثنايا : ما صغر من الجبال .

والبيت من قصيدة لسحيم بن وثيل الرياحي (الأصمعيات : ١٧) .

(٦) في الطبري : وأخذوه بنعله . والمثبت في الكامل أيضا .

وإني لأرى رموسا قد أينعت وحن قِطافها، وإني لصاحبها، وإني لأنظر
إلى الدماء بين العنائم واللحي . قد شمّرت عن ساقها تشميرا .
هذا أو أن الشد فاشتدى زيمٌ قد لفها الليلُ بسواقٍ حُطَم (١)
ليس براعى إبلٍ ولا غنمٍ ولا بجزائرٍ على ظهرٍ وضم (٢)
قد لفها الليلُ بعصليّ (٣) أزوع خراجٍ من الدوى (٤)
مهاجرٍ ليس بأغـرابي

قد شمّرت عن ساقها فشُدوا وجدّت الحربُ بكم فجدوا
والقوسُ فيها وترٌ عردٌ (٥) مثل ذراع البكرِ أو أشد
ليس أو أن يكره الخلاطُ جاءت به والقلصُ الأعلاط. (٦)
يهوى هوى سابق الغطاط (٧)

إني والله يا أهلَ العراق ما يُتَمَقِّع لي بالشَّتان (٨) ، ولا يُغمزجانبي
تغماز التين ، ولقد فُرِرتُ عن ذكَاو ، وفَتَّشت عن تَجْرِبَةِ ،
وجرنتُ إلى الغايَةِ القُصْمَوَى . ثم قرأ (٩) : « وضرب الله مثلاً قريةً
كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغداً من كلِّ مكان فكفرت بأنعم الله

(١) الرجز لرويشد بن رميض العنبري - اللسان - حام . وفي الأغاني (١٥ - ٢٥٥) :
الشعر لرشيد بن رميض العنزي .

(٢) الوضم : ما وفي به اللحم عن الأرض .

(٣) الرجز في اللسان - عصلب . والعصلي : الشديد .

(٤) الدوية : الفلاة . (٥) عرد : شديد .

(٦) الأعلاط من الإبل : التي لا أرسان عليها .

(٧) في الكامل : سائق . والغطاط - بالضم والفتح : ضرب من الطير .

(٨) الشتان : جمع شنة ، وهي القرية البالية اليابسة .

(٩) سورة النحل ، آية ١١٢

فَأَذَاتَهَا اللَّهُ لِبَاسِ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ . فَأَنْتُمْ أَوْلَئِكَ
 وَأَشْبَاهُ أَوْلَئِكَ . إِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَبْدَ الْمَلِكِ نَشَرَ (١) كِتَابَتَهُ فَعَجَمَ (٢)
 عِيدَانَهَا عُرُودًا عُرُودًا ، فَوَجَدَنِي أَمْرًا عُرُودًا (٣) ، وَأَصْلِبُهَا مَكْسِرًا ،
 فَوَجَّهَنِي إِلَيْكُمْ ، وَرَمَى بِي فِي نُحُورِكُمْ ، فَإِنَّكُمْ أَهْلُ بَغْيٍ وَخِلَافٍ وَشِقَاقٍ
 وَنِفَاقٍ ، طَالَمَا أَوْضَعْتُمْ فِي الشَّرِّ ، وَاضْطَجَعْتُمْ فِي الضَّلَالَةِ ، وَسَنَنْتُمْ
 أَسِنَّةَ الْغَيْبِ ، فَاسْتَوْثِقُوا (٤) وَاسْتَقِيمُوا ، فَوَاللَّهِ لَأُذِيقَنَّكُمْ الْهَوَانَ
 وَالْأَمْرِيَنِيَّتُمْ (٥) حَتَّى تَلِيرُوا ، وَلَأَلْحُونَكُمْ لَحْوَ الْعُودِ ، وَلَأَعْصِبَنَّكُمْ
 عَضْبَ السَّلَمِ (٦) ، حَتَّى تَذَلُّوا ، وَلَأَضْرِبَنَّكُمْ ضَرْبَ غَرَائِبِ الْإِبِلِ حَتَّى
 تَذَرُّوا الْعِضْيَانَ وَتَتَقَادُوا ، وَلَأَقْرَعَنَّكُمْ قَرَعَ الْمَرْوَةِ حَتَّى تَلِينُوا . إِنِّي وَاللَّهِ
 مَا أَعِدُّ إِلَّا وَفِيَّتْ ، وَلَا أَمَّهُ إِلَّا أَمْضِيَّتْ ، وَلَا أَخْلُقُ (٧) إِلَّا فَرِيَّتْ ،
 فَيَأِي وَهَذِهِ الْجَمَاعَاتُ ، فَلَا يَرْكَبَنَّ رَجُلٌ إِلَّا وَحْدَهُ ، أَقْسَمُ بِاللَّهِ لَتُقْبِلَنَّ
 عَلَى الْإِنْصَافِ ، وَلَتَدْعُنَّ الْإِرْجَافَ ، وَقِيلًا وَقَالَ ، وَمَا يَقُولُ فُلَانٌ ،
 وَأَخْبِرَنِي فُلَانٌ ، أَوْ لَادَعَنَّ لِكُلِّ رَجُلٍ مِنْكُمْ شُغْلًا فِي جَسَدِهِ ، فِيمَ أَنْتُمْ
 وَذَٰكَ ، وَاللَّهِ لَتَسْتَقِيمَنَّ عَلَى الْحَقِّ أَوْ لَأَضْرِبَنَّكُمْ بِالسَّيْفِ ضَرْبًا يَدْعُ
 النِّسَاءَ أَيَامِي وَالْوُلْدَانَ يَتَامَى ، وَحَتَّى تَذَرُّوا السُّمَهَى (٨) وَتُقْلِعُوا

(١) في د : نزل .

(٢) عجم عيدانها : أى عضها واختبرها .

(٣) أمرها عودا : أصلها وأقواها .

(٤) في د : فاستوثقوا .

(٥) مري الناقة مريا : مسح ضرعها لتدر (اللسان) .

(٦) العصب : القطع . والسلم : شجر من العضاة . والعضاة : كل شجر يعظم

وله شوك (اللسان) .

(٧) الخلق : التقدير ، ويقال : فريت الأديم إذا أصلحته (هامش د) .

(٨) السمهي : الباطل والكذب .

عن هاوها (١) ، ألا إنه لو ساغ لأهل المعصية معصيتهم ماجبى قىء ولا قوتل عدو ، ولعلت الثغور ، ولولا أنهم يغزون كرها ما غزوا طوعاً ، ولقد بلغنى رفضكم المهلب وإقبالكم على مضركم عاصين مخالفين وإنى أقسم بالله لا أجد أحداً من عسكره بعد ثالثة (٢) إلا ضربت عنقه ، وأنهت داره .

ثم أمر بكتاب عبد الملك فقرأ ، فلما قال القارىء : بسم الله الرحمن الرحيم . من عبد الملك بن مروان أمير المؤمنين إلى من بالكوفة من المسلمين : سلامٌ عليكم ، فإني أحمد الله إليكم - فلم يقل أحدٌ شيئاً ، فقال : اكفف ، ثم قال : يا عبيد العصا ، يسلم عليكم أمير المؤمنين فلا يرد راد منكم السلام . هذا أدب ابن نهيمة (٣) ، أدبكم به ، والله لأودبنكم غير هذا الأدب ، أو لتستقيمن . ثم قال ، للقارىء : اقرأ . فلما بلغ سلام عليكم قالوا بأجمعهم : وعلى أمير المؤمنين السلام ورحمة الله . ثم نزل ودخل منزله ، ودعا العرفاء وقال : ألحقوا الناس بالمهلب ، واثتوني بالبراءات بموافاتهم ، ولا تغلقن أبواب الجسر ليلاً ولا نهاراً حتى تنقضى هذه المدة .

قال : فلما كان في اليوم الثالث سمع تكبيراً في السوق ، فخرج وجلس على المنبر ، فقال : يا أهل العراق ، يا أهل الشقاق والنفاق

(١) فى ك : هؤلاء . وفى الكامل : هواها . والمثبت فى الطبرى أيضا .

(٢) فى الكامل : بعد ثلاثة .

(٣) فى ك : ابن أديه . والمثبت فى الطبرى أيضا ولكنه رواه بكسر التون وسكون الهاء ، وقد زعم أبو العباس أن ابن نهيمة رجل كان على الشرطة بالبصرة قبل الحجاج . . ونهيمة : أم ولد عمر بن الخطاب ، كما فى القاموس ، والتاج . وفى اللسان ، والاشتقاق : أديه : أبو مرداس الحرورى .

ومساوىء الأخلاق ، إني سمعتُ تكبيراً ليس بالتكبيرِ الذي يُرادُ به وجهُ الله ، ولكنه التكبيرُ الذي يُرادُ به الترهيب ، وقد عرفتُ أنها عجاجةٌ تحتها قَصْفٌ^(١) ، يابني اللُّكَيْعَةَ^(٢) ، وعبيدُ العصا ، وأبناء الأيامى ، ألا يَرِيعُ رجلٌ منكم على ظَلْعِهِ^(٣) ويُحَسِّنُ حَقْنَ دِمِهِ ، ويعرف^(٤) موضعَ قَدَمِهِ ، فأقسمُ بالله لأَوْشِكُ أن أوقِعَ بكم وقعةً تكونُ نكالاً لما قَبَلها وأدباً لما بَعْدها .

فقام إليه عُميرُ بنُ ضَبْيِءِ الحنظلي^(٥) التميمي ، فقال : أصَلح اللهُ الأمير ، أنا في هذا البعثِ وأنا شيخُ كبيرٍ عليل ، وابني هذا هو أقوى مني على الأسفارِ أَفَتَقْبَلُهُ مِنِّي بديلاً؟ فقال: نَفْعَلُ . ثم قال : ومن أنت ؟ قال : أنا عُميرُ بنُ ضَبْيِءِ . قال : أَسَمِعْتَ كَلَامَنَا بِالْأَمْسِ ! قال: نعم . قال : أَلَسْتُ الذي غَزَا عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ؟ قال: بلى . قال : يا عدوَّ الله ، أفلا بعثتُ بديلاً إلى أمير المؤمنين ، وما حملَكَ على ذلك؟ قال: إنه حبسَ أبي ، وكان شيخاً كبيراً . قال: أولستَ القائل^(٦) :

هممتُ ولم أفعلْ وكِدْتُ وليتني تركتُ على عُثْمَانَ تَبْكِي حلائله

إني لأحسبُ أنَّ في قتلِكَ صلاحَ المِضْرِينِ ، وأمرُ به فُضِرَتْ رَقَبَتُهُ ، وأهْبَ ماله ، وأمرُ منادياً فنادى : ألا إنَّ عُميرَ بنَ ضَبْيِءِ أتى

(١) القصف: شدة الريح .

(٢) اللكعاء : الحمقاء من الإماء .

(٣) اربع على ظلعك : ارفق على نفسك فيما تحاوله (اللسان) .

(٤) في الطبرى : ويبصر

(٥) في الطبرى : التميمي ثم الحنظلي .

(٦) والكمال : ٤-٣٥ ، والطبرى : ٦-٢٠٧ .

بعد ثلاثة^(١) ، وكان قد سمع النداء ، فأمرنا بقتله ، ألا وإن فِئمة الله
بريشة ممن بات الليلة من جنود المهلب .

فخرج الناس فازدحموا على الجسر ، وخرج العرفاء إلى المهلب
وهو برامهمز ، فأخذوا كتبه بالموافاة ، فقال المهلب : قدم العراق اليوم
رجل ذكر ، اليوم فويل^(٢) العدو .

وقال : ولما قتل الحجاج عميراً لقي إبراهيم بن عامر الأسدى
عبد الله بن الزبير^(٣) [رضى الله عنهما]^(٤) فى السوق ، فسأله
عن الخبر ، فقال^(٥) :

أقول لإبراهيم لَمَّا لَقِينْتَهُ أرى الأَمْرَ أضْحَى مُنْصِيباً مُتَشَعِباً
تَجَهَّزْ فَاسْرِعْ وَالْحَقِّ الْجَيْشُ لَا أرى سوى الجيش إلا فى المهلك مذعباً
تَخِيرُ فِيمَا أَنْ تَزُورَ ابْنَ ضَابِيهِ عُمَيْرًا وَإِذَا أَنْ تَزُورَ الْمُهْلَبِيَا
هَمَا خُطَّتَا خَسْفٌ^(٦) نَجَاؤُكَ مِنْهُمَا رَكُوبُكَ حَوْلِيَا مِنَ التَّلْجِ^(٧) أَشْهَبَا
فحال ولو كانت خراسان دونه رأها مكان السوق أوهى أقربا

(١) فى الكامل : بعد ثلاثة .

(٢) فى د : قوتل العدد . والمثبت فى ك .

(٣) الضبط فى الكامل ، ومعجم الشعراء : ٧٣ .

(٤) ساقط فى د .

(٥) الأبيات فى الطبرى (٦-٢٠٩) ، وفى الكامل (٤-٣٥) ، والبيتان

الأخيران فى معجم المرزبانى (٧٣) .

(٦) فى الطبرى : خطتنا كره .

(٧) الحولى : المهرأتى عليه الحولى . وقوله : من التلج - ير يد أن لونه أشد

شبهة من التلج . وفى الكامل : من البلج .

قال : وكان الحجاجُ أولَ من عاقب بالقَتْلِ على التخلُّف عن الوجهِ الذي يُكتب إليه .

قال الشعبي : كان الرجل إذا أَخْلُ بوجهه الذي يكتب إليه زمن عمر وعثمان وعليّ رضی الله عنهم نُزِعَت عِمَامَتُهُ وَيُقَامُ للناس ، ويُشهر أمره ، فلما ولي مصعب قال : ما هذا بشيء ، وأضاف إليه حلق الرعوس واللَّحَى ، فلما ولي يِشْر بن مروان زاد فيه ، فصار يُرْفَع الرجلُ عن الأرض ويسمَّرُ في يديه مسماران في حائط ، فربما مات ، وربما خرق المسمار يده ، فسلم .

فلما ولي الحجاج قال : كلُّ هذا لئب ، أَضْرِبُ عُنُقَ من يُعْزِلُ (١) بمكانه من الثغر .

قال : وكان قدوم الحجاج في شهر رمضان ، فوجه الحكم بن أيوب الثقفي على البصرة أميراً ، وأمره أن يشتدَّ على خالد بن عبد الله ، فبلغ الخبر خالدًا فخرج عن البصرة فنزل الجُلحاء (٢) وشيعة أهل البصرة فقسم فيهم ألف ألف .

(١) في الكامل : يخل مكانه .

(٢) الجُلحاء - بفتح ثم سكون ، ثم حاء مهمله وألف ممدودة : موضع على ستة

أميال من الغوير المعروف بالزبيدية بين العقبة والقاع (ياقوت) .

ذكر وثوب أهل البصرة بالحجاج

قال : ثم خرج الحجاج من الكوفة إلى البصرة ، واستخلف على الكوفة عروة بن المغيرة بن شعبة . فلما قدم البصرة خطبهم بمثل خطبته بالكوفة ، وتوعد من رآه منهم بعد ثلاثة (١) ، ولم يلحق بالمهلب ، فاتاه شريك بن عمرو البشكري وكان به فتق ، فقال : أصلح الله الأمير، إن بي فتقاً ، وقد رآه بشر بن مروان فعذرنى ، وهذا عطائي مرذود في بيت المال ، فأمر به فضربت عنقه ، فلم يبق بالبصرة أحد من عسكر المهلب إلا لحق به .

ثم سار الحجاج إلى رستقباد (٢) وبينها وبين المهلب ثمانية عشر فرسخاً ، وقال حين نزل بها : ي أهل المضرين ، هذا المكان والله مكانكم شهراً بعد شهر ، وسنة بعد سنة ، حتى يهلك الله عدوكم ، هؤلاء الخوارج المطيلين عليكم .

ثم خطب يوماً فقال : إن الزيادة التي زادكم إياها ابن الزبير إنما هي زيادة ملحد فاسق منافق ، وليسنا نجيزها - وكان مصعب قد زاد الناس في العطاء مائة مائة - فقال عبد الله بن الجارود : إنها ليست زيادة ابن الزبير ، إنما هي زيادة أمير المؤمنين عبد الملك قد أنفذها وأجازها على يد أخيه بشر .

(١) في الكامل : بعد ثلاثة .

(٢) رستقباد : موضع من أرض دستوا (المراصد) .

فقال له الحجاج : ما أنت والكلام ! لتُحْسِنَنَّ حَمَلَ رَأْسِكَ أَوْ لَأَسْلُبَنَّكَ
إِيَّاهُ . فقال : ولِمَ ؟ إني لك لَنَاصِحٌ ، وإن هذا لقول مَنْ وَرَأَى .

فنزل الحجاج ومكث أشهراً لا يذكر الزيادة ، ثم أعاد القول فيها ،
فردّ عليه ابن الجارود مثل رده الأول ، فقام مضقّلة بن كرب العبدي ،
فقال : إنه ليس للرعية أن تردّ على راعيها ، وقد سمعنا ما قال الأمير ،
فسمعنا وطاعة فيما أحب^(١) وكرهنا . فسبّه ابن الجارود وقام فاتاه
وجوه الناس فصوّبوا رأيه وقولّه ، وقال الهذيل بن عمران البُرْجُمِي
وعبد الله بن حكيم بن زياد المجاشعي وغيرهما : نحن معك وأعوانك ،
إن هذا الرجل غير كافٍ حتى ينقصنا هذه الزيادة فهل نبايعك على
إخراجه من العراق ، ثم نكتب إلى عبد الملك أن يؤلّي علينا غيره ، فإن
أبي خلعتناه ، فإنه هائب لنا ما دامت الخوارج .

فبايعه الناس سراً ، وأعطوه المواثيق على الوفاء ، وبلغ الحجاج ما هم
فيه ، فأحرز بيت المال .

فلما تمّ لهم أمرهم أظهروه ، وذلك في شهر ربيع الآخر سنة
[٥٧٦هـ] ست وسبعين ، واجتمع الناس على ابن الجارود حتى لم يبقَ
مع الحجاج إلا خاصّته وأهل بيته ، وأرسل الحجاج أعين صاحب
حمام أعين^(٢) إلى ابن الجارود يستدعيه ، فقال : لا كرامة لابن أبي
رغال^(٣) ، ولكن ليخرج عتاً مذموماً مذخوراً ، وإلا قاتلناه . قال أعين :

(١) في الكامل : أحينا .

(٢) حمام أعين - بتشديد الميم : بالكوفة (ياقوت) .

(٣) رغال - ككتاب (القاموس) .

فإنه يقولُ لك : أَتَطِيبُ نَفْسًا بِقَتْلِكَ وَقَتْلِ بَيْتِكَ وَعَشِيرَتِكَ !
والذى نفسى بيده لئن لم تَأْتِ لَأَدْعَنَّ قَوْمَكَ وَأَهْلَكَ خَاصَّةً حَديثًا
لِلغَابِرِينَ .

وكان الحجاجُ قد حَمَلَ أَعْيُنَ هَذِهِ الرِّسَالَةَ ؛ فَقَالَ ابْنُ الْجَارُودِ :
لَوْلَا أَنَّكَ رَسُولٌ لَقَتَلْتُكَ يَا ابْنَ الْخَبِيثَةِ ، وَأَمْرَفُوجِيءُ فِي عُنُقِهِ ، وَأَخْرَجَ .
وَأَقْبَلَ ابْنُ الْجَارُودِ بِالنَّاسِ زَحْفًا نَحْوَ الْحَجَّاجِ ، وَكَانَ رَأْيُهُمْ أَنْ
يُخْرِجُوهُ عَنْهُمْ وَلَا يَقَاتِلُوهُ . فَلَمَّا صَارُوا إِلَيْهِ نَهَبُوا مَا فِي فُسْطَاطِهِ .
وَأَخَذُوا مَا قَدَرُوا . عَلَيْهِ مِنْ مَتَاعِهِ وَدَوَابِّهِ ، وَجَاءَ أَهْلُ الْيَمَنِ فَأَخَذُوا
امْرَأَتَهُ ابْنَةَ النُّعْمَانَ بْنِ بَشِيرٍ ، وَجَاءَتْ مُضَرَّ فَأَخَذُوا امْرَأَتَهُ الْآخَرَى
أُمَّ سَلْمَةَ بِنْتَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَمْرٍو أَخَى سُهِيلِ بْنِ عَمْرٍو .

ثم إن القوم انصرفوا عن الحجاج وتركوه . فَأَتَاهُ قَوْمٌ مِنْ أَهْلِ
الْبَصْرَةِ فَصَارُوا مَعَهُ خَوْفًا مِنْ مُحَارَبَةِ الْخَلِيفَةِ ، فَجَعَلَ الْفَضْلُ بْنُ
ابْنِ الْقَبْعَثَرِيِّ الشَّيْبَانِي يَقُولُ لِابْنِ الْجَارُودِ : تَعَشَّ بِالْجَنْدِيِّ قَبْلَ
أَنْ يَتَغَدَّى بِكَ . أَمَا تَرَى مَنْ قَدْ أَتَاهُ مِنْكُمْ ؟ وَلَكِنْ أَصْبَحَ لِي كَثْرَتٌ
نَاصِرِهِ ، وَلِتَضَعُ قُنَّ مُنْتَكُمْ ^(١) .

فَقَالَ : قَدْ قَرُبَ الْمَسَاءُ ، وَلَكِنَّا نَعُاجِلُهُ بِالْعَدَاةِ ، وَكَانَ مَعَ الْحَجَّاجِ
عُمَانُ بْنُ قَطَنَ ، وَزِيَادُ بْنُ عَمْرٍو الْعَتَكِيُّ ، وَكَانَ زِيَادٌ عَلَى شَرْطَتِهِ بِالْبَصْرَةِ ،
فَقَالَ لِهَمَا : مَا تَرِيَانِ ؟ فَقَالَ زِيَادٌ : أَرَى أَنْ آخُذَ لَكَ مِنَ الْقَوْمِ أَمَانًا
وَتَخْرُجَ حَتَّى تَلْحَقَ بِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، فَقَدْ أَرَفَضَ أَكْثَرُ النَّاسِ عَنْكَ ،
وَلَا أَرَى لَكَ أَنْ تُقَاتِلَ بِنِ مَعَكَ .

فَقَالَ عُمَانُ بْنُ قَطَنَ الْحَارِثِيُّ : لَكِنِّي لَا أَرَى ذَلِكَ ، إِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ

(١) المنة : القوة .

قد شركك في أمره ، وخلطك بنفسه ، واستنصحك وسلطك ، فسرت إلى ابن الزبير وهو أعظم الناس خطراً فقتلته ، فولاك الله شرف ذلك وسنائه ، وولاك أمير المؤمنين العراقيين ، فحيث جريت إلى المدى وأصبحت الغرض الأقصى تخرج على قعود إلى الشام ، والله لئن فعلت لا نلت من عبد الملك مثل الذي أنت فيه من السلطان أبداً ، ولكنى أرى أن نمشى بسيوفنا معك فنقاتل حتى نلقى ظفراً أو نموت كراماً .

فقال له الحجاج : الرأي ما رأيت ، وحفظ^(١) هذه لعثمان ، وحقدها على زياد ، وجاء عامر بن مسمع إلى الحجاج فقال : إني قد أخذت لك أماناً من الناس ، فجعل الحجاج يرفع صوته ليسمع الناس ويقول : والله لا أؤمنهم أبداً حتى يأتوا بالهذيل وعبد الله بن حكيم . ومرّ عباد بن الحصين الحبطي^(٢) بابن الجارود وابن الهذيل وابن حكيم وهم يتناجون ، فقال : أشركونا في نجواكم . فقالوا : تهيئات أن يدخل في نجوانا أحد من الحبط ، فغضب وسار إلى الحجاج في مائة رجل ، فقال له الحجاج : ما أبالي من تخلف بعدك . وأتاه قتيبة بن مسلم في قومه من بني أعصر ، وكان الحجاج قد يمش من الحياة ، فلما جاءه هؤلاء اطمأن ، ثم جاءه سبرة بن على الكلابي ، وسعيد بن أسلم بن زُرعة ، وجعفر بن عبد الرحمن بن مخنف الأزدي ، وأرسل إليه مسمع بن مالك بن مسمع يقول : إن شئت أتيتك ، وإن شئت أقمت وثببت الناس عنك . فقال : أقم وثببت الناس عنى . فلما اجتمع للحجاج عدد^(٣) يُمنع بمثلهم خرج ، وعبأ أصحابه :

(١) في الكامل : هذا . (٢) في ك : الحبطي - تحريف .

(٣) في الكامل : جمع للحجاج عدد .

وتلاحق الناس به ، فلما أصبح إذا حوله ستة آلاف ، فقال ابن الجارود لعبيد الله بن زياد بن ظبيان : ما الرأى ؟ قال : تركتُ الرأى أمس حين قال لك الغضبان : تعش بالجدى قبل أن يتغدى بك . وقد ذهب الرأى وبقي الصبر .

فحرص ابن الجارود الناس ، وزحف بهم وعلى ميمنته الهذيل ابن عمران ، وعلى ميسرته عبيد الله بن زياد بن ظبيان ، وتقدم الحجاج وعلى ميمنته قتيبة بن مسلم ، ويقال عبّاد بن الحصين ، وعلى ميسرته سعيد بن أسلم ، فحمل ابن الجارود فى أصحابه حتى جاوز أصحاب الحجاج ، فعطف الحجاج عليه ، ثم اقتتلوا ساعة وعاد ابن الجارود بظفر ، فاتاه سهمٌ غربٌ^(١) فقتله ، ونادى منادى الحجاج بأمان الناس إلا الهذيل وعبد الله بن حكيم ، وأمر ألا يتبع المنهزمون . فانهمز عبيد الله بن زياد بن ظبيان ، فأتى سعيد [ابن عبّاد الجُلندى الأزدي بعمان ، فقبل لسعيد : إزه رجل فاتك فاحنره ، فلما جاء البطيخ بعث إليه]^(٢) بنصف بطيخة مسمومة ، وقال : هذا أول شىء جاءنا منه ، وقد أكلتُ نصف هذه ، وبعثتُ إليك بنصفها ، فأكلها عبيد الله فأحس بالشر ، فقال : أردتُ أن أقتله فقتلتى .

قال : وحمل رأس ابن الجارود وثمانية عشر من وجوه أصحابه إلى المهلب ، فنصبت ليراها الخوارجُ ويأسوا من الاختلاف .
وحبس الحجاج عبيد بن كعب النميرى ومحمد بن [عميرين]^(٢)

(١) يقال : أصابه سهم غرب - بالإضافة والتنوين ، أى لا يدري راميه (القاموس) .
(٢) ساقط فى ك .

عطار ، فإنه كان قد بعث إلى كل منهما يقول : هلمَّ إلى فامننَّي ، فقال : إن أتيتنَّي منعتك . وحبس الغضبان وقال : أنت القائل : تعشَّ بالجدى قبل أن يتعدَّى بك ! فقال : ما نفعت من قيلت له ولاضرت من قيلت فيه ! فكتب عبد الملك إلى الحجاج بإطلاقه .

ذكر ما كلم به الحجاج أنس بن مالك

رضى الله عنه وشكواه إياه وما كتب به عبد الملك من الإنكار على الحجاج وسببه بسببه

قال : كان عبْدُ الله بن أنس بن مالك الأنصارى رضى الله عنه ممن قُتِلَ مع ابنِ الجارود ، فلما دخل الحجاجُ البصرة أخذ ماله ، فدخل عليه أنس بن مالك رضى الله عنه ، فحين رآه الحجاج قال له : لا مَرَحِبًا ولا أهلاً ، إيه يا خَيْثَةَ^(١) ؛ شيخُ ضلالة ، جوال في الفِتن ، مرَّةً مع أبي تُراب ، ومرَّةً مع ابنِ الزُّبَيْرِ ، ومرَّةً مع ابنِ الجارود ؛ أما والله لأجرذنك جرَدَ القُضيب ، ولأعصبتك عَصَبَ السَّلْمَةِ ، ولأفلعنك قلع الصَّمْغَةِ .

فقال أنس : مَنْ يَعْنِي الأمير؟ فقال : إياك أعنِّي ، أصمُّ اللهُ صدَّاك . فرجع أنس ، فكتب إلى عبد الملك كتاباً يشكو فيه الحجاج وما صنع به .

فكتب عبْدُ الملك إلى الحجاج : أما بعْدُ يا بن أم الحجاج فإنك عبْدٌ طمَّنت بك الأمُور ففلوت فيها حتى عدوت طورك ، وتجاوزت قدرك ، يا بن المستفرمة بعجم الزبيب^(٢) لأعمرنك غمزةً كبعض

(١) واللسان . يا خَيْثَةَ : يا خَيْث .

(٢) المستفرمة : التي تضع دواءً تضيق به . والعجم — بالتحريك :

نوى كل شيء (القاموس) .

غمزات الليوث^(١) الثعالب ، ولأخبطنك خبظةً تودُّ لها لو أنك رجعتَ
فى مخرجك من بطن أمك . أما تذكر حال آباءك بالطائف حيث كانوا
يتنقلون الحجارة على ظهورهم ، ويحفرون الآبار بأيديهم فى أوديتهم
ومياهم ؛ أم نسيت حال آباءك فى اللؤم والدناءة فى المروءة والخلق .

وقد بلغ أمير المؤمنين الذى كان منك إلى أنس بن مالك جرأة
وإقداماً ، وأظنك أردت أن تسبِّر ما عند أمير المؤمنين فى أمره فتعلم
إنكاره ذلك وإغضاه عنك ، فإن سوغك ما كان منك مضيئت عليه
قُدماً ، فعليك لعنة الله من عبد أخفش العينين^(٢) ، أصك^(٣)
الرجلين ، ممسوح الجاعرتين^(٤) ، ولولا أن أمير المؤمنين ظنَّ
أن الكاتب كثر [فى الكتابة]^(٥) عن الشيخ إلى أمير المؤمنين فىك
لأتاك من يسحبك ظهراً لبطن حتى يأتى بك أنساً فىحك فىك ،
فأحزيم أنساً وأهل بيته ، واعرف له حقه وخدمته رسول الله صلى الله
عليه وسلم ، ولا تقصرن فى شىء من حوائجه ، ولا يبلغن أمير المؤمنين
عنك خلاف ما تقدم فيه إليك من أمر أنس وبره وإكرامه ، فبيعت
إليك من يضرب ظهرك ، ويهتك سترك ، ويؤشمت بك عدوك ،
والقه فى منزله متنصلاً إليه ، وليكتب إلى أمير المؤمنين برضاه عنك ،
إن شاء الله . والسلام .

(١) الليث : الأسد . وفى د : الليوث ، والمثبت فى الكامل ، والعقد . وفيه :

الليوث للثعالب .

(٢) الخفش - محرقة : صغر العين وضعف البصر خلقة (القاموس) .

(٣) رجل أصك : مضطرب الركبتين والعرقوبين (القاموس) .

(٤) الجاعرتان : حرفا الوركين المشرفين على الفخذين .

(٥) من الكامل .

وبعث بالكتاب مع إسماعيل بن عبد الله مولى بنى مخزوم ، فأتى
 إسماعيلُ أنساً بكتابِ عبد الملك فقرأه ، وأتى الحجاج بالكتاب فجعل
 يقرؤه ووجهه يتغير ويتمعر^(١) ، وجبينه يرشح عرقاً ، ثم قال^(٢) :
 يغفر اللهُ للأمير المؤمنين .

ثم اجتمع بأنس فرحبَ به الحجاج ، وأذناه ، واعتذر إليه ،
 وقال : أردتُ أن يعلمَ أهلُ العراق إذ كان من ابنك ما كان وإذ بلغتُ
 منك ما بلغتُ أنى إليهم بالعقوبةِ أسرع .

فقال أنس : ما شكوت حتى بلغ منى الجهد ، وقد زعمتُ أننا
 الأشرار ، وقد سمّانا اللهُ الأنصار ، وزعمتُ أننا أهلُ النفاق ، ونحن
 الذين تبوءوا الدارَ والإيمانَ ، وسيحكّمُ اللهُ بيننا وبينك ، فهو أقدرُ
 على التغيير ، لا يشبهه الحق عنده الباطل ، ولا الصدق الكذب ،
 وزعمتُ أنك اتخذتني ذريعةً وسلماً إلى مساءةِ أهل العراق باستيخال
 ما حرّم الله عليك منى ، ولم يكن لى عليك قوة ، فوكلتكَ إلى الله ثم
 إلى أمير المؤمنين ، فحفظ من حقّي ما لم تحفظ ، فوالله لو أنّ النصرارى
 على كفرهم رأوا رجلاً خدّم عيسى ابن مريم يوماً واحداً لعرفوا من
 حقه ما لم تعرف أنت من حقى ، وقد خدمتُ رسولَ الله صلى الله عليه
 وسلم عشر سنين . وبعد فإن رأينا خيراً حمدنا الله عليه ، وأثينا ،
 وإن رأينا غير ذلك صبرنا . والله المستعان .

وردّ عليه الحجاج ما كان أخذ منه .

(١) معروجه : غيره غيظاً فتمعر (القاموس) . وفى الكامل : ويتغير .

(٢) فى د : ويقول .

ذكر ولاية سعيد بن أسلم السند وقتله

وولاية مُجَاعَةَ بن سِغْر^(١) التميمى ووفاته

وفى هذه السنة استعمل الحجاج على السند سعيد بن أسلم ابن زُرعة ، فخرج عليه معاوية ومحمد ابنا الحارث العلقمانيان . فقتلاه وغلبا على البلاد ، فأرسل الحجاج مُجَاعَةَ بن سِغْر التميمى إلى السند ، فغلب على ذلك الثغر ، وغزاه وفتح أماكن من قنْدَابِيل^(٢) ، ومات مُجَاعَةَ بعد سنة بمُكْرَانَ^(٣) . [والله أعلم] .^(٤)

ذكر خبر الزنج بالبصرة

قال : كان الزنج قد اجتمعوا بفُرات البصرة فى آخر أيام مُصعب ، ولم يكونوا بالكثير ، فأفسدوا . فلما ولى خالد بن عبد الله البصرة كثُروا ، فشكا الناس إليه ما ينالهم منهم ، فجمع لهم جيشا ، فلما بلغهم ذلك تفرقوا ، وأخذ بعضهم فقتلهم وصلبهم ، فلما كان من أمر ابن الجارود ما ذكرناه اجتمع من الزنج خلق كثير بالفُرات ، وجعلوا عليهم رجلا منهم اسمه رباح ويلقب شيرزنجى^(٥) يعنى أمد الزنج ، [فأفسدوا]^(٦) ، فأمر الحجاج زياد بن عمرو وهو على شرطة البصرة

(١) الضبط فى القاموس .

(٢) قنْدَابِيل : مدينة با لسند . قضية لولاية (المراصد) .

(٣) مكران- با لضم ، ثم السكون ، ونون ، وهى ولاية واسعة تشتمل على

مدن وقرى (المراصد) .

(٤) ساقط فى د .

(٥) فى د : شيرزنجى . والمثبت فى الكامل أيضا .

(٦) من الكامل .

لأنَّ يُرْسِلَ إِلَيْهِمْ جَيْشًا ، فَنَدَبَ ابْنَهُ حَفْصُ بْنُ زِيَادٍ فَقَتَلُوهُ ، وَهَزَمُوا أَصْحَابَهُ ، فَسِيرَ إِلَيْهِمْ جَيْشًا آخَرَ فَهَزَمَ الزَّنَجَ وَقَتَلَهُمْ ، وَاسْتَقَامَتِ الْبَصْرَةُ .

وفي هذه السنة حجَّ عبد الملك بالناس فخطبَ الناسَ بالمدينة ، فقال بعد حمد الله والثناء عليه :

أما بعد فإني لستُ بالخليفة المستضعف - يعنى عثمان ، ولا بالخليفة المداهن - يعنى معاوية ، ولا بالخليفة المأفون (١) - يعنى يزيد ، ألا وإني لا أداوى هذه الأمة إلا بالسيف حتى تستقيم لي قناتكم ، وإنكم تكلفوننا أعمالَ المهاجرين الأولين ولا تعملونَ مثلَ أعمالهم : وإنكم تأمروننا بتقوى الله وتنسئونَ ذلك من أنفسكم ، والله لا يأمرني أحدٌ بتقوى الله بعد مقامي هذا إلا ضربتُ عنقه : ثم نزل .

سنة (٧٦ هـ) ست وسبعين :

ذكر ضرب الدنانير والدراهم الإسلامية

وفي هذه السنة ضربَ عبْدُ الملكِ بنِ مَرْوَانَ الدنانير والدراهم الإسلامية ، وهو أوَّلُ مَنْ أَخَذَ ضَرْبَهَا فِي الْإِسْلَامِ ؛ وَكَانَ سَبَبَ ذَلِكَ أَنَّهُ كَتَبَ فِي صُدُورِ الْكُتُبِ إِلَى الرُّومِ : قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ . وَذَكَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَعَ التَّارِيخِ . فَكَتَبَ إِلَيْهِ مَلِكُ الرُّومِ : إِنَّكُمْ قَدْ أَحَدْتُمْ هَذَا فَاتْرَكُوهُ ، وَإِلَّا أَتَاكُمْ فِي دَنَانِيرِنَا مِنْ ذِكْرِ نَبِيِّكُمْ مَا تَكْرَهُونَ . فَعَظَّمَ ذَلِكَ عَلَى عَبْدِ الْمَلِكِ ، وَاسْتَشَارَ خَالِدَ بْنَ يَزِيدَ بْنِ مَعَاوِيَةَ ، فَقَالَ : حَرَّمَ دَنَانِيرَهُمْ ، وَاضْرِبْ لِلنَّاسِ سِكَّةً فِيهَا ذِكْرُ اللَّهِ تَعَالَى .

(١) في ك : المأبون .

فضرب الدنانيرَ والدراهمَ ونقش عليها : قل هو الله أحد . فِكْرَةَ الناسِ ذلك لِمَكَانِ القرآنِ ؛ لأنَّ الجُنُبَ والحائِضَ تَمَسُّهُنَّ (١) ، ثم ضربها الحجاج .

وقد قيل : إن مصعب بن الزبير ضربَ دَرَاهِمَ قليلة أيامَ أخيه عبد الله ، ثم كُسرَت بعد ذلك في أيام عبد الملك . والصحيحُ أنَّ عبدَ الملك أولَ مَنْ ضربَ الدنانيرَ والدراهمَ في الإسلام .

* * *

وفيها استعمل عبد الملك أبان بن عثمان على المدينة .

وفيها وُلد مروان بن محمد بن مروان .

وحجَّ بالناس في هذه السنة أبان بن عثمان وهو أميرُ (٢) المدينة ، وكان على العرق الحجاج ، وعلى خراسان أمية بن عبد الله ، وعلى قضاء الكوفة شريح ، وعلى قضاء البصرة زُرارة بن أوفى .

سنة سبع وسبعين :

ذكر مقتل بكر بن وساج

وفي هذه السنة قَتَلَ أميةُ بنُ عبدِ الله أميرَ خراسانِ بُكَيْرَ بنِ وساجِ (٣) ، وسبب ذلك أن أمية أمرَ بُكَيْرًا أن يتجهزَ لغزوِ ماوراءِ النَّهرِ ، فتجهزَ وأنفقَ نفقةً كَبِيرَةً ، فقالَ بِحَيْرِ بنِ ورقاءَ لِأُمِيَّةَ : إن صارَ بينك وبينه النَّهرُ خلعَ الخليفة . فأرسلَ إليه أميةُ يقولُ : أقيمُ لعلِّي أغزوُ فتكونَ معي ، فغَضِبَ بُكَيْرٌ ، وكان قبل ذلك قد وُلِّاه طَخَارِسْتَانَ ، وأنفقَ

(١) في ك : تلمسها .

(٢) في الطبرى : أمير على المدينة .

(٣) الضبط في القاموس ، وفي الطبرى : وشاح . وقد تقدم الخلاف فيه .

نفقةً عظيمة ، فحذّره بِحَيْرٍ منه فمَنعه منها ، ثم إن أمية تجهّزَ
للغزو إلى بُخارى وتجهّزَ معه الناس ، وفيهم بُكَيْرُ بن وَسَاج ، فلما بلغوا
النَّهْرَ وأرادوا قَطْعَه قال أمية لبُكَيْرِ : إني قد استخلفتُ ابني على خراسان
وأخاف أنه لا يضبطها ، لأنّه غلام حَدَث ، فارجع إلى مرو فاكفنيها ،
فقد وليتَ كها ، فقسّمُ بِأمرِ ابني .

فانتخب بُكَيْرُ فُرْسَانًا كان قد عرفهم ووثق بهم ، ورجع . ومضى
أمية إلى بُخارى فقال عُمَاقُ^(١) الغُداني لبُكَيْرِ : إنا طلبنا أميرًا من
قريش ، فجانا أميرًا يلعب بنا ، يحوّلنا من سجن إلى سجن ، وإني أرى
أن نَحْرِقَ هذه السفن ، ونَمْضِي إلى مَرَو ، ونخلع أمية ونُقيّم بِمَرَو ،
نأكلها إلى يومٍ مآ ، ووافقهُ الأحنف بن عبد الله العنبري على هذا ، فقال
بُكَيْرِ : أخاف أن يهلك هؤلاء الفرسان الذين معي . قال : إن هلك
هؤلاء أنا آتيك من أهل مرو بما شئت . قال : يهلك المسلمون . قال :
إنما يكفنيك أن يُنادِي منادٍ : من أسلم رَفَعْنَا عنه الخراج ، فيأتيك
خمسون ألفًا أَسْمَعُ من هؤلاء وأطوع . قال : فيهلك أمية ومن معه .
قال : ولِمَ يهلكون ولهم عِدَدٌ وَعُدَّةٌ وَنَجْدَةٌ وسلاح ظاهر ، ليقَاتِلُوا
عن أنفسهم حتى يبلغوا الصين .

فأحرقَ بُكَيْرُ السفنَ ، ورجع إلى مَرَو ، فحبس ابن أمية وخلع
أمية ، وبلغ أمية الخبر ، فصالح أهل بخارى على فِدْيَةٍ قليلة ، ورجع
وأمر^(٢) باتخاذ السفن ، وعبر ، وذكر للناس إحسانه إلى بُكَيْرِ مرةً
بعد أخرى ، وأتته كافأه بالعِصيان .

(١) الضبط من القاموس والإكمال . وفي د ، والطبري : عتاب . ويقال له :

(٢) في الطبري : فأمر .

ذو اللقوة .

وسار إلى مَرُو، وأرسل شَمَّاسَ بنِ دِثَارِ في ثمانمائة ، فسار بُكَيْرُ
إليهم ، فانهزم شَمَّاسُ ، وأمر أصحابه ألا يَقْتُلُوا مِنْهُمْ أَحَدًا ، فكانوا
يأخذون سِلَاحَهُمْ ويطلقونهم . وقدم أميةٌ فتلقاه شماس ، فقدم ثابت
ابن قُطَيْبَةَ فَلَقِيَهُ بِكَيْرٍ فَأَسْرَهُ ، وفرَّقَ جَمْعَهُ ، ثم أطلقه لِيَدِ كَانَتْ
لثابت عنده . وأقبل أميةٌ وقاتله بِكَيْرٍ فكان بينهم وقعت في أيامٍ ،
فانكشف أصحابُ بُكَيْرٍ في بعضها ، فاتبعه حُرَيْثُ بن قُطَيْبَةَ
حتى بلغ التَّنَطْرَةَ وناداه إلى أين يا بُكَيْرُ ! فرجع فضربه حُرَيْثُ على
رأسه فقطع المِغْفَرَ ، وعَضَّ السيفُ برأسه فقطع فصُرْع ، واحتمله
أصحابُهُ فأدخلوه البلد .

وكان أصحابُ بُكَيْرٍ يفتدون ^(١) في الثياب المصبغة فيجلسون
يتحدثون . وينادى مُناديهم من رمى بسهمٍ رمينا إليه برأس رجلٍ من
ولده وأهله ، فلا يريهم أحد .

وخاف بِكَيْرٌ إن طال الحصار أن يَخْذُلَهُ الناس ، فطلب الصلح ؛
وأحبَّ ذلك أيضًا أصحابُ أمية ، فاصطلحوا على أن يقضى عنه أمية
أربعمائة ألف ، ويصل أصحابه ويوليه أى كُورِ خراسان شاء ،
ولا يسمع قولَ بَحِيرٍ فيه ، وإن رآبه رَيْثُ فهو آمن أربعين يومًا .

ودخل أمية مدينةَ مَرُو ، ووفى لبُكَيْرٍ ، وعاد إلى ما كان من
الكرامة ^(٢) ، وأعطى أمية عُمَاقًا ^(٣) عشرين ألفًا ، وكان أمية سهلا

(١) في الكامل ، والطبرى : يفتدون .

(٢) في الكامل : لإكرامه . وفي الطبرى : إلى ما كان عليه من الإكرام .

(٣) في ك : عتابا . وانظر هامش رقم ١ صفحة ٢٢٥ .

لَيْنًا سَخِيًّا، وكان مع ذلك ثقيلاً على أهل خُرَاسان، وكان فيه زهد^(١).
وعزل أمية بَحِيرًا عن شرطته وولَّاهَا عطاء بن أبي السائب، وطالب
أمية الناس بالخراج واشتدَّ عليهم، فجلس بُكَيْر في المسجد وعنده
الناس، فذكروا شِدَّةَ أمية فذَمُّوه وبَحِير، وضرار بن حصن^(٢)،
وعبد^(٣) العزيز بن جارية بن قُدَّامة في المسجد، فنقل بَحِير ذلك
إلى أمية فكذَّبَه، فادَّعى شهادة هؤلاء، فشهد مُزاحم بن أبي المُجَشَّر
السلمي أنه كان يَمَزح، فتركه أمية، ثم إن بَحِيرًا أتى أمية وقال:
والله إن بُكَيْرًا قد دعاني إلى خَلْعِكَ، وقال: لولا مكانك لقتلتُ هذا
القرشي، وأكلتُ خراسان. فلم يصدِّقه أمية، فاستشهد جماعةً
ذكر بُكَيْرُ أنهم أعداؤه. فقبض أمية على بُكَيْرٍ وعلى ابني أخيه:
بدل، وشَمْرَدل، ثم أمر بغصَّ الرؤساء بقتل بُكَيْر، فامتنعوا فأمر
بَحِيرًا بقتله فقتله، وقتل أمية ابني أخى بُكَيْر.

وحجَّ بالناس في هذه السنة أبان بن عثمان.

وفيهما مات جابر بن عبد الله بن عمرو الأنصاري.

سنة (٧٨ هـ) ثمان وسبعين

في هذه السنة عزل عَبْدُ الْمَلِكِ بن مَرْوان أمية بن عبد الله عن
خراسان وسجستان، وضمهما إلى أعمال الحجاج، فاستعمل

(١) في الكامل، والطبري: زهو شديد.

(٢) في الكامل: حصين. والمثبت في الطبري أيضا.

(٣) في الكامل: وعبد الله بن جارية، والمثبت في الطبري أيضا.

الحجاجُ المهلبُ بن أبى صُفْرَةَ على خراسان وعُبَيْد (١) اللهُ بن أبى بكرة على سجستان ، فبعث المهلب ابنه حَبِيبًا إلى خُرَاسان ، فلما ودَّع الحجاج أعطاه بَغْلَةً خَضْرَاءَ ، فسار عليها وأصحابه على البريد ، فوصل خُرَاسان فى عشرين يوماً ، فلما دخل باب مَرَو لقيه حِجْلُ حَطَبٍ ، فنفرت البَغْلَةُ فمَجِبُوا مِنْ نِفَارِهَا بعد ذلك التعب وشِدَّةَ السير ، ولم يعرض لأمية ولا لعماله ، وأقام عشرة أشهر حتى قدم عليه المهلبُ فى سنة [٥٧٩هـ] تسع وسبعين .

وحجَّ بالناس [فى هذه السنة] (٢) أبان بن عثمان (٣) ، وكان العمال مَنْ ذَكَرْنَا ، وعلى قضاء الكوفة شُرَيْحٌ ، وعلى قضاء البَصْرَةَ موسى بن أنس .

سنة (٧٩ هـ) تسع وسبعين :

فى هذه السنة استعفى شُرَيْحٌ بن الحارث من القضاء فأعفاه الحجاجُ ، واستعمل على القضاء أَبَا بُرْدَةَ بن أبى موسى . وحجَّ بالناس أبان بن عثمان وهو أمير المدينة .

سنة (٨٠ هـ) ثمانين :

فى هذه السنة حجَّ بالناس أبان بن عثمان ، وفيها توفى أبو إدريس الخولانى ، وعبد الله بن جعفر بن أبى طالب . وقيل سنة [٥٨٤هـ] أربع وثمانين ، وقيل سنة خمس . وقيل سنة ست . وقيل سنة تسعين . والله أعلم .

(١) فى ك : وعبد الله . والمثبت فى الطبرى أيضا .

(٢) ساقط فى د .

(٣) فى الطبرى : وحج بالناس فى هذه السنة الوليد بن عبد الملك وكان أمير المدينة فى هذه السنة أبان بن عثمان .

وفيهما توفي محمد بن علي بن أبي طالب [رضي الله عنهما] (١) ، وهو
ابنُ الحنفية ، ومات جماعة من الصحابة رضي الله [تعالى] (١) عنهم
[أجمعين] (١) .

سنة (٨١ هـ) احدى وثمانين :

ذكر مقتل بحير بن ورقاء

[بشر القاتل بالقتل لأنه كان سبياً وباعثاً لقتل بكير بن وساج] (١)
في هذه السنة قتل بحير بن ورقاء الصريجي . وكان سبب قتله
أنه لما قتل بكير بن وساج وكلاهما كان تميمياً - قال عثمان بن رجاء
ابن جابر أحد بني (٢) عوف بن سعد من الأبناء ، والأبناء عدة بطون
من تميم ، يُحرّض (٣) بعض آل بكير من الأبناء على الطلب بشأره (٤) :

أَلْعَمْرَى لَقَدْ أَغْضَيْتَ عَيْنَنَا عَلَى الْقَيْدَى

وَبَيْتَ بَطِينًا مِنْ رَحِيقِ مَرُوقٍ (٥)

وَخَلَيْتَ (٦) ثَأْرًا طُلَّ وَاخْتَرْتَ نَوْمَةً

وَمَنْ شَرِبَ (٧) الصَّهْبَاءَ بِالْوَتْرِ يُسْبِقُ

فَلَوْ كُنْتَ مِنْ عَوْفِ بْنِ سَعْدِ ذَوَابَسَةً

تَرَكْتَ بَحِيرًا فِي دَمٍ مُتْرَفَرِقٍ

(١) ساقط في د .

(٢) في ك . حدثني . والمثبت في الكامل ، والطبري .

(٣) في الطبري : يحض .

(٤) معجم الشعراء : ٩١ ، والكامل : ٤-٧٥ ، والطبري : ٦-٣٣١ .

(٥) في المرزباني : معتق .

(٦) في المرزباني : وخيلت .

(٧) في الكامل ، والمرزباني : ومن يشرب .

فقل لَبَّحِيرٍ نَمَّ وَلَا تَخَشَّ ثَائِرًا
 بِيَكْرٍ (١) فعوف أهلُ شاةٍ حَبَلْتِ (٢)
 دَع (٣) الضَّانَ يوماً قد سُبِقْتُمْ بوتركم
 وصرتم حديثاً بين غَرْبٍ ومشرقٍ
 وهُبُوا فلو أَمْسَى (٤) بِيَكِيرٍ كَعَهْدِهِ
 لغاداهموا زَحْفًا بجأواءٍ فَيَلْتَقِ (٥)
 وقال أيضاً (٦) :

فلو كان بكرٌ بارِزاً فى أَدَاتِهِ
 وذى العرشِ لم يُتَقَدِّمِ عليه بحِجْرٍ
 ففى الدهرِ إن أَبْقَانِي الدهرُ مَطْلَبُ
 وفى اللهِ طَلَّابُ بِذَاكَ جَدِيدٍ
 فبلغ بحيراً أن رَهَطَ بِيَكِيرٍ مِنَ الأبناءِ يتوعَّدونه ، فقال (٦) :
 تَوَعَّدْتِي الأبنَاءَ جَهْلًا كَأَنَّما
 يَرَوْنَ فِنَائِي مُتَفَيِّراً مِنْ بَنِي كَعْبِ

(١) فى ك : بكر . وفى الطبرى ، والمرزبانى : بعوف .
 والمثبت فى الكامل أيضاً .

(٢) فى الطبرى : أهل شاة ، والحبلق : صغار الغنم .

(٣) فى الكامل : دعوا ...

(٤) فى ك : آسى .

(٥) فى المرزبانى : كعهدكم صحيحاً لغاداهم ... وفى الطبرى : كعهده

صحيحاً لغاداهم ...

(٦) والطبرى : ٦-٣٣١ ، والكامل : ٤-٧٦ .

رفعتُ له كَفَى بَعْضِ (١) مُهْنًا
حُسَامٍ كَلُونِ الْمِلْحِ (٢) ذِي رَوْتِي عَضِبَ
فتعاقد سبعة (٣) عشر من بني عَوْفٍ على الطلبِ بَدَمٍ بُكَيْرٍ ،
فخرج فتى منهم يقال له شَمْرَدَل (٤) من البادية حتى قدم خراسان ،
فرأى بَحِيرًا واقفًا ، فحمل عليه فطعنَه فصرعه ، وظنَّ أنه قتله ، وركض ،
فعرثر به فرسه فسقط عنه فقتل . وخرج صَعَصَعَةُ بن حرب العوفي
من البادية ، ومضى إلى سجستان ، فجاور قرابةً لَبَحِيرٍ مدةً ، وادعى
أنه من بني حنيفة من اليمامة ، وأطال مُجالستهم حتى أنسوا به ،
ثم قال لهم : إن لي بخراسان ميراثًا فاكتبوا لي إلى بَحِيرٍ كتابًا
ليُعينني على حَقِّي . فكتبوا له ، وسار فقدم على بَحِيرٍ فأخبره أنه من
من بني حنيفة وأنَّ له مالًا بسجستان وميراثًا بمرؤ ، وقدم لبيعه (٥)
ويعود إلى اليمامة . فأنزله بَحِيرٍ ، وأمر له بنفقةً ، ووعدته المساعدة .
وكان بَحِيرٍ قد حذِر ، فلما قال له : إنه من بني حنيفة أمِنه ،
وكان إذ ذاك في الغزو مع المهلب . فقال له : أقيم معك حتى ترجعَ
إلى مرؤ ، فأقام شهرًا يحضر معه باب المهلب ، فجاء صعصعة يومًا
وبَحِيرٍ عند باب المهلب وعليه قميص وريداء ، فقمعد خلفه ، ودنا منه
كأنه يكلمه ، فوجَّاه بخنجر معه في خاصرته ، فغيبه في جوفه :
ونادى يالثرات بكير ! فأخذ وأتى به المهلب ، فقال له : بؤسا لك !

(١) في الطبري : بجد مهند وفي الكامل : سيف ...

(٢) في الكامل : كلون الثلج .

(٣) في ك : سبع .

(٤) في الطبري : الشمردل .

(٥) في د : لبيعه .

ما أدرکتَ بشارك ، وقتلت نفسك ، وما على بَحِيرِ بأس ! فقال :
لقد طعنته طعنةً لو قُسمت بين الناس لماتوا . ولقد وجدت ریح
بطنِهِ فى يَدِي .

فحبسه المهلب ، ومات بَحِيرِ من الغدِ ، فقال صعصعة : اصنعوا
الآن ما شئتم ، أليس قد خَلتْ خدور^(١) نساء بنى عوف ، وأدرکت
بشارِي . والله لقد أمكنتنى منه [ما صنعت]^(٢) خالياً غير مرة ،
فكرهت أن أقتله سراً .

فقال المهلب : ما رأيتُ رجلاً أسخى نفساً بالموت من هذا ،
وأمر بقتله ، فقتل .

وقيل : إنه بعثه إلى بَحِيرِ قبل أن يموتَ فقتله ، وغضبت عوف
والأبناء وقالوا : علام قُتِل صاحبُنَا ، وإنما أخذَ بشاره ، فنازعتهم
مُقَاعِيسَ والبطون ، وكلُّهم بطون من تميم ، حتى خاف الناس أن يعظم
الأمر ، فقال أهلُ الحجَا : احملوا دَمَ صعصعة ، واجعلوا دَمَ بَحِيرِ
[بواء] ^(٢) ببيكير ، فودوا صعصعة ، فقال رجل من الأبناء بمدح
صعصعة^(٣) :

لِلَّهِ دَرٌّ فَتَى تَجَاوَزَ هَمُّهُ دُونَ الْعِرَاقِ^(٤) مَفَاوِزًا وَبِحُورَا
مَا زَالَ يُدْتِيبُ^(٥) نَفْسَهُ وَرِكَابَهُ حَتَّى تَنَاوَلَ فِي الْحُزُونِ^(٦) بَحِيرَا

(١) فى الطبرى والكامل : حلت نذور نساء بنى عوف .

(٢) زيادة من الطبرى .

(٣) والطبرى : ٦-٣٣٤ ، والكامل : ٤-٧٧ .

(٤) فى ك : دون الفرات .

(٥) فى الطبرى : يدأب ... ويكدها .

(٦) فى الكامل : فى الحروب . وفى الطبرى : فى خرون !

ذكر خلاف عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث

على الحجاج وما كان بينهما من الحروب

كان ابتداء خلافه على الحجاج في هذه السنة ، واستمرت الوقائع التي نذكرها بينهما إلى سنة [٥٨٣هـ] ثلاث وثمانين ، وقد رأينا أن نجم أخباره بجملتها في هذا الموضع ، ولا نَقَطَعُها بغيرها ، ونميّز كل وقعةٍ منها بتاريخها .

وكان سبب خلافه أن الحجاج لما بعثه في الجنود إلى بلاد رُتْبِيل في سنة [٥٨٠هـ] ثمانين كما ذكرنا في الغزوات ، وملك مملك من من حصون رُتْبِيل ، واستولى على ما استولى عليه من بلاده ، وأقام ، وكتب إلى الحجاج يُعَرِّفه أنه رأى ترك التوغّل في بلاد رُتْبِيل حتى يعرفوا طُرُقها ويَجْبُوا خراجها .

فلما ورد كتابه على الحجاج كتب إليه : إن كتابك كتابُ امرئ يحبُّ الهدنة ، ويستريح إلى المودعة ، فامض إلى (١) ما أمرتك من الوغول في أرضهم ، والهدم لحصونهم ، وقتل مقاتلتهم ، وسبي ذراريهم ، ثم أردفه كتاباً آخر [ينحو ذلك] (٢) ، وفيه :

أما بعد فمُرْ مَنْ قَبْلَكَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فَلْيَحْرَثُوا وَيَقِيمُوا بِهَا ، فَإِنَّمَا دَارُهُمْ حَتَّى يَفْتَحَهَا اللَّهُ عَلَيْهِمْ .

ثم كتب إليه كتاباً ثالثاً كذلك ، ويقول : إن مضيت إلى ما أمرتك

(١) في ك : لما .

(٢) من د .

وإلا فأخوك إسحاق بن محمد أميرُ الناس . فدعا عبدُ الرحمن الناس وقال لهم : أيها الناس ، إننى لكم ناصح وليصلاحكم مُجِبٌ ، ولكم فى كل ما يُحيط به نفعكم ^(١) ناظر ، وقد كان رأى فيما بينى وبين عدوى ^(٢) مارِضِيَه ذوو أحلامكم وأولو التجربة منكم ، وكتبت بذلك إلى أميرِكم الحجاج ، فأتانى كتابه يعجزنى ويضعفى ويأمرنى بتعجيل الوغول بكم فى أرضِ العدو ، وهى البلادُ التى هلك فيها إخوانكم بالأمس ، وإنما أنا رجلٌ منكم أمضى إذا مضيتُم ، وآبى إذا أبيتُم .

فثار إليه الناس وقالوا : بل ، نأبى على عدوِّ الله ، ولا نسمع له ولا نطيع .

فكان أول من تكلم أبو الطفيل عامر بن واثلة الكنانى ، وله صُحبة : فقال - بعد حمد الله : أما بعدُ فإنَّ الحجاج يرى بكم ما رأى القائل الأول [إذ قال لأخيه] ^(٣) : احمل عبدك على الفرس ، إن هلك هلك ، وإن نجا فلك . إنَّ الحجاج لا يبالى أن يخاطر بكم فيتمحكم بلأيا ^(٤) كثيرة ، ويغشى بكم اللهب واللصوب ^(٥) ، فإن ظفرتم وغنيمتكم أكلَ البلاد وحازَ المال ، وكان ذلك زيادة فى سُلطانه ؛

(١) فى الطبرى : ولكم فى كل ما يحيط بكم نفعه . والمثبت فى الكامل أيضا .

(٢) فى الطبرى : عدوكم .

(٣) زيادة فى الطبرى .

(٤) فى ك : بلادا .

(٥) اللهب : جمع لهب ، وهو وجه من الجبل لا يمكن ارتقاؤه . واللصب :

مضيق الوادى ، وجمعه لصبوب (القاموس) .

وإن ظفر عدوكم كُنْتُمْ أَنْتُمْ الأعداء البغضاء الذين لا يبالي عنْتَهُمْ ،
ولا يُبْقَى عليهم ، اخلعوا عَدُوَّ اللَّهِ الحجاج ، وبأيعُوا الأمير عبد الرحمن ،
فإني أشهدكم أنّي أوَّلُ خالع .

فنادى الناس من كل جانب : فَعَلْنَا فَعَلْنَا ، قد خلعنا عَدُوَّ اللَّهِ .

وقام عبد المؤمن بن شَبِث بن رَبِيعي ثانياً فتكلّم ، وندب الناس
إلى مُبَايعة عبد الرحمن ، فبايعوه على خَلْع الحجاج ونَفْيهِ من العراق ،
ولم يذكر عَبْدُ الْمَلِك ، فوثب الناس إلى عبد الرحمن فبايعوه على خَلْع
الحجاج ونَفْيِهِ وعلى النُّصْرَة له ، فصالح عبد الرحمن رُتْبِيل على أنه
إن ظهر فلا خراج على رُتْبِيل أبداً ، وإن هُزِم فأراده منعه (١) .

ثم جعل عَبْدُ الرَّحْمَنِ على بُسْت عِيَاض بن هَمِيان الشَّيْبَانِي
وعلى زَرْنِج (٢) عبد الله بن عامر التميمي ، وعلى كِرْمَان خَرَشَة بن عمرو
التميمي ، ورجع إلى العراق ، وجعل على مقدّمته عطية بن عمرو
العنبري .

فلما بلغ فارس اجتمع الناس بعضهم إلى بعض ، وقالوا :
إذا خلَعْنَا الحجاجَ عامل عبد الملك فقد خلعنا عَبْدَ الْمَلِك ، فاجتمعوا
إلى عَبْدِ الرَّحْمَنِ ، فكان أول الناس خلع عبد الملك تيجان (٣)
ابن أبجر بن تَيْم الله بن ثعلبة (٤) ، قام فقال : أيها الناس ، إني خلعت

(١) في الطبري : أبلّاه عنده .

(٢) زرنج - بفتح أوله وثنائه ، ونون ساكنة ، وجيم : مدينة هي قسبة

سجستان (ياقوت) .

(٣) في الطبري : تيجان - بالحاء المهملة .

(٤) في الطبري : من بني تيم الله .

أبا ذِيَّانَ (١) كخلى خاتمى (٢) ، فخلعه الناسُ إِلَّا قليلاً منهم ،
وباعوا عَبْدَ الرَّحْمَنِ . وكانت بيعته يبايعون على كتاب الله وسنة
نبيه صلى الله عليه وسلم ، وعلى جهادِ أهل الضلالة ، وخلعهم ،
وجهادِ المحلّين .

فلما بلغ الحجاج خلعَهُ كتبَ إلى عَبْدِ الملك بالخبر ، ويسأله
أن يعجّل بعثة الجنود إليه . وسار الحجاج حتى بلغ البصرة .

ولما وصل كتابُ الحجاج إلى عبد الملك هاله ، ودعا خالد بن يزيد
فأقرأه الكتاب ، فقال : يا أمير المؤمنين ، إن كان هذا الحدث من
سجستان فلا تخفّه ، وإن كان من خراسان فإني أتخوف .

فجهزَ عبد الملك الجُنْدَ على البَريْدِ ، فكانوا يصلون من مائة ومن
خمسين وأقل من ذلك وأكثر ، وسار الحجاج من البصرة إلى تُسْتَر (٣) ،
وقدم مقدمته إلى دُجَيْلٍ ، فلقوا خَيْلاً لعبد الرحمن ، فانهزم أصحابُ
الحجاج بعد قتالٍ ، وذلك يوم الأضحى سنة [٨١١هـ] إحدى وثمانين ،
وقتل منهم جمع كثير .

فلما أتى خَبْرُ الهزيمة إلى الحجاج رجع إلى البَصْرَةَ وتبعه أصحابُ
عبد الرحمن ، فقتلوا من أصحابه وأصابوا بَعْضَ أثقالِهِمْ . وأقبل
الحجاج حتى نزل الزاوية (٤) ، وجمع عنده الطعام ، وفرّق في الناس

(١) أبو ذيان : كنية عبد الملك بن مروان .

(٢) في الطبرى والكامل : قميص .

(٣) مدينة بخوزستان (المراصد) .

(٤) الزاوية : عدة مواضع ، منها قرية بالموصل ، وموضع قرب البصرة .

كانت به الواقعة المشهورة بين الحجاج وابن الأشعث (المراصد) .

مائة وخمسين ألف درهم ، وأقبل عبدُ الرحمن حتى دخل البصرة فباعه جميعُ أهلها .

وكان السبب في سرعة إيجابتهم إلى بيعته أن عمال الحجاج كتبوا إليه إن الخراج قد انكسر ، وإن أهل النمة قد أسلموا ولحقوا بالأمصار .

فكتب إلى البصرة وغيرها : إن من كان له أصل في قرية فليخرج إليها ، فأخرج الناس لتؤخذ منهم الجزية ، فجعلوا يبكون وينادون : يا محمداه ! يا محمداه ! وجعل قراء البصرة يبكون .

فلما قدم ابنُ الأشعث إثر ذلك بايعوه على حرب الحجاج ، وخلع عبد الملك ؛ وخذق الحجاج على نفسه ، وخذق عبد الرحمن على البصرة ، وكان دخوله البصرة في آخر ذى الحجة .

ذكر الحرب بين الحجاج وابن الأشعث

وانهزم ابن الأشعث من البصرة إلى الكوفة

وفي المحرم سنة [٨٢هـ] اثنتين وثمانين اقتتل عسكرُ الحجاج وعسكر ابن الأشعث قتالاً شديداً ، وكان بينهم عدة وقعات ، فلما كان آخر يومٍ من المحرم اشتد القتال ، فانهزم أصحابُ الحجاج حتى انتهوا إليه ، وقتلوا على خنادقهم ، ثم تزاخفوا فتقوض أصحابُ الحجاج ، فجثا على ركبتيه ، وقال : لله در مصعب ! ما كان أكرمه حين نزل به منازل ، وعزم على أنه لا يفر .

فحمل سفيان بن الأبرد على ميمنة ابن الأشعث فهزمها ، وانهزم

أهلُ العراق ، وأقبلوا نحو الكوفة مع عَبْدِ الرحمن ، وقُتِلَ منهم خلقٌ كثير ، منهم : عقبه بن عبد الغافر الأزدي وجماعة من القراء .

ولما بلغ ابنُ الأشعث الكوفة تبعه أهلُ القوَّة وأصحابُ الخيل من البصرة ، واجتمع من بقي بالبصرة مع عبد الرحمن بن عباس ابن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب ، فبايعوه ، فقاتل بهم الحجَّاجُ حَمَسَ ليالٍ أشدَّ قتالَ رآه النَّاسُ ، ثم انصرف فلحق بابن الأشعث ومعه (١) طائفة من أهل البصرة ، وهذه الوقعة تُسمَّى وقعةَ الزاوية .

وقتلُ الحجَّاجُ في هذا اليوم بعد الهزيمة أحدَ عشر ألفاً خدعهم بالأمان ، أمر مُنادياً فنادى : الأمان لفلان وفلان ، سمى رجلاً ، فقال العامة : قد أمن الناس ، فحضرُوا عنده ، فأمر بهم فقتلوا .

قال : وكان الحجَّاجُ عند مسيره من الكوفة إلى البصرة استعمل عليها عبدُ الرحمن بن عبد الرحمن بن عبد الله بن عامر الحضرمي حليف بني أمية ، فقصده مطر بن ناجية اليربوعي ، فنحصن منه ابن الحضرمي في القصر ، فوثب أهلُ الكوفة مع مطر ، فأخرج ابن الحضرمي ومن معه من أهل الشام ، وكانوا أربعة آلاف ، واستولى مطر على القصر ، واجتمع إليه الناس ، ففرق فيهم لكلِّ إنسان مائتي درهم .

فلما وصل ابنُ الأشعث إلى الكوفة كان مطر بالقصر ، فخرج أهلُ الكوفة يستقبلونه ، فدخل الكوفة ، وقد سبق إليه همدان فكانوا حولَه ، فأتى القصر فمنعه مطر بن ناجية ومن معه من بني تميم ، فأصعد

(١) في الطبرى ، والكامل : وتبعه .

عبد الرحمن الناس في السلايم إلى القَصْر فأخذه ، وأتى عبد الرحمن بمطر فحبسه ثم أطلقه .

ذكر وقعة دير الجماجم

[واهنزام أصحاب ابن الأشعث وعود الحجاج إلى الكوفة] (١)
 كانت وقعة دَيْرِ الْجَمَاجِمِ (٢) في شعبان سنة [٥٨٢هـ] اثنتين وثمانين ،
 وقيل : كانت في سنة ثلاث وثمانين . والذي يقول : إنها في سنة
 ثلاث يقول : كان نزولهم بدَيْرِ الْجَمَاجِمِ ليلَةَ مَضَتْ مِنْ شَهْرِ ربيع
 الأول سنة [٥٨٣هـ] ثلاث وثمانين ، والهزيمة لأربع عشرة ليلة مضت
 من جمادى الآخرة منها ، فكانت مائة يوم وثلاثة أيام . والله أعلم .
 وكان سبب هذه الوقعة أن الحجاج سار من البصرة إلى الكوفة
 لقتال عبد الرحمن بن الأشعث ، ونزل دَيْرِ (٣) قُرَّة ، وخرج
 عبدُ الرحمن من الكوفة فنزل دَيْرِ الْجَمَاجِمِ ، واجتمع لعبدِ الرحمن
 أهلُ الكوفة وأهلُ البصرة وأهلُ الثغورِ والمسالح والقراء ، وكانوا مائة
 ألفٍ ممن يأخذ العطاء ومعهم مثلهم (٤) ، وجاءت الحجاج أمداؤ
 الشام قبل نزوله بدَيْرِ قُرَّة ، وخذق كلُّ منهما على نفسه ، وكان
 الناس يقتتلون كل يوم ، ولا يزال أحدهما يُدْنِي خَنْدَقَهُ من الآخر .
 فبعث عبدُ الملك ابنه عبدُ الله وأخاه محمد بن مروان - وكان محمد
 بأرض الموصل - في جُنْدٍ كَثِيفٍ إلى الحجاج ، وأمرهما أن يعرضا

(١) من د .
 (٢) على سبعة فراسخ من الكوفة على طرف البر للسالك إلى البصرة (المراصد) .
 (٣) دير قرة : بازاء دير الجماجم مما يلي الكوفة (المراصد) .
 (٤) في ك : نسلهم .

على أهل العراق عَزَلَ الحجاج ، وأن يُجْرَى عليهم أعطياتهم ، كما يُجْرَى على أهل الشام ، وأن ينزل عبد الرحمن بن الأشعث أى بلد شاء من العراق ، فإذا نزل كان والياً عليها مادام حياً ، وعبد الملك خليفة . فإن أجاب أهل العراق إلى ذلك عَزَلَ الحجاج عنهم (١) ، وصار محمد بن مروان أمير العراق ، وإن أبى أهل العراق ذلك فالحجاج أمير الجماعة ووالى (٢) القتال ، ومحمد وعبد الله فى طاعته ، فلم يأت الحجاج أمر قط كان أشد عليه ولا أوجع لقلبه منه ، وخشى أن يقبل أهل العراق عزله فيعزل عنهم ، فكتب إلى عبد الملك : والله لو (٣) أعطيت أهل العراق عزلى (٤) لم يلبثوا إلا قليلا حتى يخالفوك ويسيروا إليك ، ولا يزيدهم ذلك إلا جراءة عليك ، ألم تر وبلغك وثوب أهل العراق مع الأشتر على عثمان ابن عفان وسؤالهم نزع سعيد بن العاص ، فلما نزعه لم تتم لهم السنة حتى ساروا إلى عثمان فقتلوه ؛ وإن الحديد بالحديد يفلح .

فبأبى عبد الملك إلا عرض عزله على أهل العراق ، وقال : عزله أينس من حرب أهل العراق ، ويحقن الدماء . ١

فخرج عبد الله بن عبد الملك وقال : يأهل العراق ، أنا ابن أمير

المؤمنين ، وهو يعطيكم كذا وكذا .

(١) فى الكامل : عنها .

(٢) فى الطبرى : وولى .

(٣) فى الطبرى : لئن .

(٤) فى الطبرى ، والكامل : نزعى .

وخرج محمد بن مروان ، وقال : أنا رسول أمير المؤمنين ، وهو
يُعرض عليكم كذا وكذا .

فقالوا : نرجع للعشيّة . ورجعوا ، واجتمعوا عند ابن الأشعث ،
فقال لهم : قد أعطيتُم أمراً انتهأزُكم إياه اليوم فُرصة ، وإنكم اليوم
على النّصف ؛ فإن كانوا اعتدُّوا عليكم بيوم الزّاوية فأنتم تعتدون
عليهم بيوم تُستَر ، فاقبلُّوا ما عرض عليكم ، وأنتم أعزاء أقوياء .

فوثبوا وقالوا : لا والله لا نقبلُ . وأعادوا خلَعَ عبد الملك
ثانياً ؛ وكان أول مَنْ قام بخلّعه بدير الجماجم عبد الله بن ذؤاب السلمي
وعمير بن تبحان ، وكان اجتماعهم على خلّعه بالجماجم أجمع من الخلّع
بفارس .

فقال عبدُ الله ومحمدٌ للحجاج : شأنك بعسكرك وجُنُديك ،
واعملْ برأيك ، فإننا قد أمرنا أن نسمع لك ونطيع ، وكانا يسلمان
عليه بالإمرة ويسلّم عليهما بالإمرة .

قال : ولما اجتمع أهلُ العراق على خلّع عبد الملك قال ابنُ الأشعث :
ألا إن بني مروان يعيرون بالزرقاء ، والله مالهم نسب أصح منه ،
إلا أن بني العاص (١) أعلاج من أهلِ صَفُورِيَّة (٢) ، فإن يكن هذا
الأمرُ في قريش فعنَى تقوَّب (٣) بيضة قريش ، وإن يك في العرب
فإن ابنُ الأشعث ، ومدّها صوتُه حتى سمعه الناس .

(١) في الطبري : ألا أن بني أبي العاص .

(٢) صفورية : كورة وبلد من نواحي الأردن بالشام قرب طبرية (المراصد) .

(٣) في الكامل : فمى ، وفي الطبري : فمى فقتت . وتقوَّب البيضة : انفلقت عن

وبرزوا للقتال ، فجعل الحجاجُ على ميمنته عبد الرحمن بن سنيه الكلبى ، وعلى ميسرته عمارة بن تميم اللخمي ، وعلى خيله سُفيان ابن الأبرد الكلبى ، وعلى رجاله عبد الله^(١) بن حبيب الحكيمى . وجعل ابنُ الأشعث على ميمنته الحجاج بن جارية^(٢) الخثعمى . وعلى ميسرته الأبرد بن قرّة التميمى ، وعلى خيله عبد الرحمن ابن العباس^(٣) بن ربيعة الهاشمى ، وعلى رجاله محمد بن سعد ابن أبى وقاص ، وعلى مُجنّبه^(٤) عبد الله بن رزام الحارثى ، وجعل على القراء زحر^(٥) بن قيس الجعفى ، وفيهم سعيد بن جبير بن هشام الشعبي ، واسمه عامر بن شراجيل ، وأبو البختري الطائى ، وعبد الرحمن ابن أبى ليلى .

وأخذوا فى القتال [فى كل يوم]^(٦) ، وأهل العراق تأتيتهم موادهم من الكوفة وسوادها : وهم فى خضب . وأهل الشام فى ضيق^(٧) شديد ، قد غلّت عندهم الأسعار ، وفقد اللحم ، حتى كانوا فى حصارٍ . وهم على ذلك يُعادون القتال ويراوحن^(٨) .

فعبأ الحجاج فى بعض الأيام لكتيبة القراء ثلاث كتائب : وبعث عليها الجراح بن عبد الله الحكيمى ؛ فقام^(٩) جبلة بن زحر

(١) فى الطبرى : عبد الرحمن بن حبيب .

(٢) فى الكامل : حارثة . (٣) فى الطبرى : ابن عباس

(٤) فى ك ، والطبرى : مجفته . والمنبث فى الكامل أيضا .

(٥) فى الكامل : جبلة بن زحر . والمنبث فى ك ، د ، والطبرى .

(٦) زيادة فى ك .

(٧) فى الكامل : فى ضنك . (٨) فى الطبرى : ويراوحنهم .

(٩) فى الكامل : فعبأ ابن جبلة - تحريف ، صوابه فى د ، والطبرى .

في القراء ، وحرصهم على القتال ، وذم أهل الشام ، وسمّاهم المحلّين
المحدثين المتدعين الذين جهلوا الحقّ فلا يعرفونه ، وعملوا بالعدوان
فلا ينكرونه في كلام كثير قاله . وقال أبو البخترى : أيها الناس ،
قاتلوهم على دينكم ودنياكم .

وقال الشعبي : أيها الناس قاتلوهم قاتلوهم ولا يأخذكم حرج من
قتالهم : فوالله ما أعلم على بسيط الأرض أعمل بظلم ولا أجور في
حكم منهم .

وقال سعيد بن جبير نحو ذلك .

وقال جبلة : احملوا حملةً صادقةً ولا تردّوا وجوهكم عنهم .
فحملوا عليهم فأزالوا الكتاب عن مواقفها وفرّقوها وتقدّموا حتى
واقعوا صفّهم ، فأزالوه عن مكانه ؛ ثم رجعوا فوجدوا جبلةً بن زحر
قتيلاً .

وكان سبب قتله أن أصحابه لما حملوا على أهل الشام وفرّقوهم
وقف لأصحابه ليرجعوا إليه ، فافترقت فرقة من أهل الشام ، فنظروا
إليه ، فقال بعضهم لبعض : احملوا عليه مادام أصحابه مشاغيل
بالقتال ، فحملوا عليه فلم يزل (١) ، وحمل عليهم فقتل ؛ قتله الوليد
ابن نحيث (٢) الكلبى ، وجيء برأسه إلى الحجاج ، فبشّر أصحابه
بقتله ، فلما رجع أصحاب جبلة ورأوه قتيلاً سقط في أيديهم ؛
وظهر الفشل في القراء [وناداهم أهل الشام : يا أعداء الله ، قد هلكتم
وقتل طاغيتمكم] (٣) - وقدم عليهم بسطام بن مضقلة بن هبيرة

(١) في الكامل : فلم يول .

(٢) الضبط في الطبرى ، والقاموس (نحت) .

(٣) زيادة في د ، والكامل .

الشيبانى ، ففر حوا به ، وقالوا : تقوم مقام جيلة ، وكان قدومه من الرى ، فجعله عبد الرحمن على ربيعة ، فدخل عسكر الحجاج : فأخذ من نساء أصحابه ثلاثين امرأة فأطلقهن ، فقال الحجاج : منعوا نساءهم لو لم يردوهن لسببت نساءهم إذا ظهرت عليهم .

قال : وخرج عبد الله بن رزام الحارثى يطلب^(١) المبارزة : فخرج إليه رجل من عسكر الحجاج فقتله عبد الله ، فعل ذلك ثلاثة أيام . فلما كان فى اليوم الرابع خرج فقالوا : جاء لا جاء الله به ! فقال الحجاج للجراح : اخرج إليه . فخرج ، فقال له عبد الله : ما جاء بك ؟ ويحك يا جراح ! وكان له صديقاً . فقال : ابتليت بك . قال : فهل لك فى خير ؟ قال الجراح : ما هو ؟ قال : أنهزم لك فترجع إلى الحجاج وقد أحسنت عنده وحيدك ، وأحتمل أنا مقالة الناس فى انهزامى حياً لسلامتك ، فإنى لا أحب قتل مثلك من قومى . قال : افعل .

فحمل الجراح عليه فاستطرد له ، وحمل عليه الجراح بجده^(٢) يريد قتله ، فصاح بعبد الله غلامه وقال : إن الرجل يريد قتلك . فعطف عبد الله على الجراح فضربه بعمود على رأسه فصرعه ، وقال له : يا جراح ، بهئسما جزيتنى ! أردت بك العافية ، وأردت قتلى . انطلق فقد تركتك للقرابة والعشيرة .

قال : ودام القتال بينهم بدبير الجماجم إلى آخر المدة التى ذكرناها ،

(١) فى الكامل : فطلب .

(٢) فى ك : فجره . والمثبت فى ك ، والكامل . وفى الطبرى : حملة يجهد لا يريد

فلما كان يوم الهزيمة اقتتلوا أشدَّ قتالٍ ، واستظهر أصحابُ
عبد الرحمن على أصحابِ الحجاج ، واستعلوا عليهم ، وهم آمنون
أنَّ ينهزموا ، فبينما هم كذلك إذ حمل سُفيان بن الأبرد وهو على
مِمنَّةِ الحجاج على الأبرد بن قُرَّة التميمي ، وهو على ميسرة
ابن الأشعث ، فانهزم الأبردُ بالناس من غير قتالٍ ، فظنَّ الناس أنَّ
الأبرد قد صولج على أن ينهزم بالناس ، فلما انهزم تقوّضت الصفوف ،
وركب الناس بعضهم بعضا ، وصعد عبد الرحمن [بن محمد] (١)
المنبر ينادي الناس : إلى عباد الله ؛ فاجتمع إليه جماعة ، فثبت حتى
دنا أهلُ الشام ، فقاتل من معه ، ودخل أهلُ الشام العسكر ، فأتاه
عبدُ الله بن يزيد بن المغفل الأزدي ، فقال له : انزل ، فإنني أخاف
عليك أن تؤسر ، ولعلك إذا انصرفت أن يجتمع (٢) لك جمعٌ
يهلكهم الله به .

فنزل وانهزم هو ومن معه لا يلبثون على شيء . ودخل الحجاجُ
الكوفة ، وعاد محمد بن مروان إلى الموصل ، وعبد الله بن عبد الملك
إلى الشام ، وأخذ الحجاج يبّايع الناس ، وكان لا يبّايع أحدا
إلا قال له : أتشهد أنك كفرت ، فإن قال نعم بايعه ، وإلا قتله .
فأتاه رجل من خثعم كان قد اعتزل الناس جميعا ، فسأله عن حاله
فأخبره باعتزاله ، فقال له : أنت متريص ، أتشهد أنك كافر !
فقال : بئس الرجل أنا إذا ؛ أعبدُ الله (٣) ثمانين سنة ثم أشهد
على نفسي بالكفر .

(١) زيادة في الطبرى .

(٢) في الطبرى : أن يجمع لهم جمعا . وفي ك : أن يجمع لك جمعا .

(٣) في الطبرى : إن كنت عبدت الله ...

قال : إذا أقتلك ، قال : وإن قتلتني ، فقتله . فما بقى أحدٌ من أهل الشام والعراق إلا رحمه .

وقتل كميل بن زياد وكان خصيصاً بعلی بن أبى طالب رضى الله عنهما ، وأتى بآخر بعده ، فقال الحجاج : أرى رجلاً ما أظنه يشهد على نفسه بالكفر ، فقال له الرجل : أتخادعنى ^(١) عن نفسى ، أذا أكفرت أهل الأرض وأكفرت من فرعون . فضحك الحجاج وخطى سبيله .

قال : وأقام الحجاج بالكوفة شهراً ، وأنزل أهل الشام بيوت أهل الكوفة مع أهلها ، وهو أول من أنزل الجند فى بيوت غيرهم ، واستمرت هذه القاعدة بعده .

قال : وكان الحجاج لما انهزم الناس أمر منادياً فنادى : من لحق بقتيبة بن مسلم فهو أمانه ^(٢) . وكان قد ولّاه الرى ، فلحق به ناس كثير منهم الشعبي ، فذكره الحجاج يوماً بعد الفراغ من أمر ابن الأشعث ، فقبل له : إنه لحق بقتيبة بالرئى ؛ فكتب إلى قتيبة يأمره بإرساله .

قال الشعبي : فلما قدمت على الحجاج لقيت يزيد بن أبى مسلم وكان صديقاً لى ، فقال : اعتذر مهما ^(٣) استطعت . وأشار بمثل ذلك إخوانى ونصحائى .

فلما دخلت على الحجاج رأيت غير ما ذكروا ^(٤) ، فسلمت عليه بالإمرة ، وقالت : أيها الأمير ، إن الناس قد أمرؤنى أن أعتذر

(١) فى الطبرى : أخادعى . (٢) فى الكامل : آمن .

(٣) فى الطبرى : ما استطعت من عذر .

(٤) فى الطبرى : غير مارأواى .

بما يعلمُ اللهُ أنه غيرُ الحق ، وإيْمُ اللهُ لا أقولُ في هذا المقام إلا الحق :
 قد والله تَمَرَدْنَا (١) عليك وحرَضْنَا عليك ، وجهدنا ، فما كُنَّا بالأقوياء
 الفَجْرَةَ ولا بالأتقياء البررة ، ولقد نصرَك اللهُ علينا ، وأظفركَ بنا ،
 فإن سَطَوْتَ فبذُنُوبِنَا ، وما جرت إليه أيدينا ، وإن عَفَوْتَ عَنَّا فبِحلمك .
 وبعد فالحجةُ لك علينا .

فقال الحجاج : أنت والله أحبُّ إلى قولاً ممن يدخلُ علينا يقطُرُ
 سيفه من دماننا ثم يقول : ما قلتُ ولا شهدتُ ، قد أمنتَ يا شعبي .
 كيف وجدْتَ الناسَ بعدنا ، فقلت : أصلح اللهُ الأمير ، اكتحلْتُ
 بعدك السهر ، واستوعرتُ الجنابَ ، وفقدتُ صالح الإخوان ،
 ولم أجِدْ من الأمير خَلْفًا . قال : انصرف يا شعبي . فانصرفت .

نعود إلى بقية أخبار عبد الرحمن بن الأشعث :

ذكر الوقعة بمسكن (٢)

قال : ولما انهزم عبْدُ الرحمن من دَيْرِ الجماجم أتى البصرة ،
 فاجتمع إليه من المنهزمين جَمْعٌ كثير ، فاجتمعوا بمسكن ، وبايعوه
 على الموت ، وخندق عبْدُ الرحمن على أصحابه ، وجعل القتال من وجه
 واحد ، وقدم إليه خالد بن جرير بن عبْدِ اللهِ من خُرَّاسان ، وأتاه
 الحجاجُ ، فاقتتلوا خمسة عشر يوماً من شعبان أشدَّ قتال ، وبات
 الحجاجُ يحرضُ أصحابه ، فلما أصبحوا باكروا القتال ، واشتدَّت

(١) في الكامل : مردنا عليك . وفي الطبري : سودنا .

(٢) مسكن - بالفتح ثم السكون وكسر الكاف ونون . ويقال له مسكن
 بفتح الكاف ، وهو موضع من أو انا على نهر دجيل عند دير الجاثليق (المراصد) .

الحرَبُ ، فانهزم ابن الأشعث وَمَنْ معه ، وقتل عبد الرحمن بن أبى ليلى الفقيه ، وأبو البختري الطائى ، ومشى بسطام بن مَضَلَمَة بن هُبَيْرَة فى أربعة آلاف فارس من سُجْعَانَ أهل الكوفة والبصرة ، وكسروا جُفُونَ سيوفهم ، وحملوا على أهل الشام ، فكشفوهم مراراً ، فدعا الحجاج الرِّمَاءَ قَرْمُومَ ، وأحاط بهم الناس ، فقتلوهم إلا قليلاً . ومضى ابنُ الأشعث إلى سجستان .

وقد قيل فى هزيمة ابن الأشعث بمسكن أنه اجتمع هو والحجاج ، وكان العسكران بين دجلة والسيب (١) والكرخ (٢) ، فاقتنلوا شهراً أو دونه ، فأتى شيخ فدل (٣) الحجاج على طريق من وراء الكرخ (٢) فى أجمة وضحضاح من الماء ، فأرسل معهم أربعة آلاف ، فسار بهم ، ثم قاتل الحجاج أصحاب عبد الرحمن ، فانهزم الحجاج فعبر السيب ، ورجع ابنُ الأشعث إلى عسكره آمناً بعد أن نهب عسكر الحجاج ، فأمن أصحابه ، وألقوا السلاح . فلما كان نصف الليل لم يشعروا إلا وقد أخذهم السيف من تلك السرية ، ففرق من أصحاب عبد الرحمن أكثر ممن قُتِل ، ورجع الحجاج على الصوت يقتل من وجد ، فكان عِدَّة من قُتِل أربعة آلاف ، منهم عبد الله بن شداد ابن الهاد ، وبسطام بن مضقلة ، وعمر بن ضبيعة الرقاشى ، وبشر ابن المنذر بن الجارود ، وغيرهم .

(١) السيب - بالكسر ثم السكون : نهر بالبصرة .

(٢) فى ك : الكرخ - تعريف .

(٣) فى ك : بدل .

ذكر مسير عبد الرحمن الى رتبيل

وما كان من أمره وأمر أصحابه

قال : ولما انهزم عَبْدُ الرَّحْمَنِ من مَسْكَنِ سَارِ إِلَى سَجِسْتَانَ فَاتَّبَعَهُ الْحِجَاجُ ابْنَهُ مُحَمَّدًا وَعُمَارَةَ بْنَ تَمِيمِ اللَّخْمِيَّ ، وَعُمَارَةَ عَلَى الْجَيْشِ ، فَأَدْرَكَهُ عُمَارَةُ بِالسُّوسِ (١) ، فَقَاتَلَهُ سَاعَةً ، ثُمَّ انْهَزَمَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ وَمَنْ مَعَهُ ، وَسَارُوا حَتَّى بَلَغُوا نَيْسَابُورَ (٢) ، وَاجْتَمَعَ إِلَيْهِ الْأَكْرَادُ ، فَقَاتَلَهُمْ عُمَارَةُ قِتَالًا شَدِيدًا عَلَى الْعَقْبَةِ ، فَجُرِحَ عَمَارَةٌ وَكثِيرٌ مِنْ أَصْحَابِهِ ، فَانْهَزَمَ عُمَارَةُ وَتَرَكَ لَهُمْ (٣) الْعَقْبَةَ ، وَسَارَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ حَتَّى أَتَى كِرْمَانَ وَعُمَارَةَ يَتَّبِعُهُ ، فَلَمَّا وَصَلَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ إِلَيْهَا لَقِيَهُ عَامِلُهُ وَقَدْ هَيَّأَ لَهُ مَنْزِلًا (٤) ، فَانْزَلَ . ثُمَّ رَحَلَ إِلَى سَجِسْتَانَ فَأَتَى زَرْنَجَ (٥) وَفِيهَا عَامِلُهُ فَأَغْلَقَ بَابَهَا . وَمَنَعَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ مِنْ دُخُولِهَا ، فَأَقَامَ عَلَيْهَا أَيَّامًا لِيَفْتَحَهَا فَلَمْ يَصِلْ إِلَى ذَلِكَ ، فَسَارَ إِلَى بُسْتِ (٦) ، وَكَانَ قَدْ اسْتَعْمَلَ عَلَيْهَا عِيَاضُ بْنُ هَمِيَانَ بْنِ (٧) هِشَامِ السَّدُوسِيِّ الشَّيْبَانِيَّ . فَاسْتَقْبَلَهُ فَأَنْزَلَهُ . فَلَمَّا غَفَلَ عَنْهُ أَصْحَابُهُ قَبِضَ عَلَيْهِ عِيَاضُ ، وَأَوْثَقَهُ ، وَأَرَادَ أَنْ يَأْمَنَ بِهِ (٨) عِنْدَ الْحِجَاجِ .

وكان رُتْبَيْلُ مَلِكُ التُّرْكِ قَدْ سَمِعَ بِمَدَمِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ، فَسَارَ إِلَيْهِ

(١) السوس : بلدة بما وراء النهر (المراصد) .

(٢) في الكامل : سابور . (٣) في ك : ونزل بهم العقبة .

(٤) في د : نزلا .

(٥) زرنج - بفتح أوله وثانيه ونون ساكنة وجيم : مدينة هي قصبة سجستان

(المراصد) .

(٦) بست - بالضم : مدينة بين سجستان وغزنيين وهرارة من البلاد الحارة

كثيرة الأنهار والبساتين (المراصد) .

(٧) هذا بالأصل د ، وفي الكامل . وفي الطبري : أبو هشام بن عياض السدوسي

(٨) في الطبري : بها .

ليستقبله لما كان قد تقرر بينهما من العهود والمواثيق كما تقدم .
فلما بلغه أن عيَاضاً قد قبض عليه نزل على بُسْت : وبعث إلى
عيَاض يتهدده بالقتل إن هو لم يُطلقه ، فاستأمنه عيَاض ، وأطلق
عبد الرحمن ، ثم سار عبد الرحمن مع رُتبيل إلى بلاده ، فأنزله
وأكرمه وعظّمه ، وكان ناسٌ كثير من أصحاب عبد الرحمن ممن انهزم
من الرؤوس وقادة الجيوش الذين لم يقبلوا أمان الحجاج ، ونصبوا
له العداوة في كل موطنٍ قد بعثوا يستدعونه ويخبرونه أنهم على قصد
خراسان ليَقبوا بمن بها من عشائهم ، فاتاهم ابنُ الأشعث . وكان
عبدُ الرحمن بن العباس بن ربيعة بن الحارث بن عبدِ المطلب يُصلى
بهم إلى أن قدم ابنُ الأشعث . فلما قدم عليهم ساروا كلهم ففتحوا
زرنج ، وسار نحوهم عمارة بن تميم في أهل الشام ؛ فقال أصحابُ
عبد الرحمن له : اخرج بنا عن سجستان إلى خراسان . فقال : إن
بها يزيد بن المهلب ، وهو رجلٌ شجاع ، ولا يترك لكم سلطانه ،
ولو دخلناها لقاتلنا وتتبعنا ^(١) أهلُ الشام ، فيجتمع علينا أهلُ
خراسان وأهلُ الشام . فقالوا : لو دخلنا خراسان لكان من يتبعنا أكثر
ممن يقاتلنا . فسار معهم حتى بلغوا حرّاة ، فهرب من أصحابه عبيد
الله بن عبد الرحمن بن سمرة القرشي في ألفين . فقال لهم عبد الرحمن :
إني كنتُ في مأمن وملجأ ، فجاءتني كتبكم أن أقبل ، فإن أمرنا واحد ،
فعلننا نُقاتل عدونا . فاتيتكم فرأيتم أن أمضى إلى خراسان ، و [زعمتم] ^(٢)
أنكم مجتمعون لي ^(٣) . ولا تتفرقون ، وهذا عبيد الله قد صنع

(٢) من الكامل .

(١) في الكامل : وتبعنا .

(٣) في الكامل : إلى .

ما رأيتم، فاضنعوا ما بدأ لكم، أما أنا فمُنْصَرِفٌ إلى صاحبي الذي أتيت
ن عنده .

فتفرق منهم طائفةٌ وبقي معه طائفة ، وبقي عظم العسكر مع
عبد الرحمن^(١) بن العباس [فبايعوه^(٢)] ، فأتوا هَرَاةَ ، فلقوا بها
الرُقَادَ^(٣) الأزدي فقتلوه ، فسار إليهم يزيد بن المهلب .

وقيل : لما انهزم ابنُ الأشعث من مَسْكِنِ أَيْ عُبَيْدُ اللَّهِ بن عبد الرحمن
ابن سَمُرَةَ هَرَاةَ ، وأتى عبد الرحمن بن عباس سجستان ، فاجتمع
معه قَلْ ابن الأشعث . فساروا إلى^(٤) خُرَاسَانَ في عشرين ألفاً ، فنزل
هَرَاةَ : ولقى الرُقَادَ [بن عبيد العتكي]^(٥) بها فقتلوه ، فأرسل إليه
يزيد بن المهلب وهو عاملُ خراسان يقول : قد كان لك في البلاد
مُتَسَمِعٌ ، مَنْ^(٦) هو أهون مني شَوْكَةً ؛ فارتحل إلى بلد ليس [لى]^(٧)
فيه سلطان ، فإني أكره قِتَالَكَ ، وإن أردتَ مَالاً أرسلتُ إليك .
فأعاد الجوابَ : إنا ما نزلنا لمحاربةٍ ولا لِمَقَامٍ ، ولكن أردنا أن نُريحَ ،
ثم نَرَحَلَ عنك ، وليستَ بنا إلى المَالِ حاجة .

ثم أقبل عبد الرحمن بن العباس على الجَبَايَةِ ، وبلغ ذلك يزيد
ابن المهلب ، فقال : مَنْ أراد أن يُريحَ ثم يرحل لم يَجِبِ الخراجَ ،

(١) في الطبري : فوثبوا إلى عبد الرحمن .

(٢) زيادة في الكامل .

(٣) في ك : الرقاد بن عبيد العتكي . ورقاد - كغراب ، كما في الفاموس .

(٤) في د : فساروا . وفي الكامل : سار .

(٥) زيادة في الطبري .

(٦) في الطبري : ومن ... وفي الكامل : وقد كان لك في البلاد ممتنع .

(٧) ساقط في ك .

وسار نحوه ، وأعاد مُرَاسَلَتَهُ يقول : إنك قد أَرَحْتِ وسمِنْتِ وَجَبِيئْتِ الخراج ، فلك ما جَبِيئْتِ وزيادة ، فاخرُجْ عني ، فإني أَكْرَهُ قِتَالَكَ : فإني إِلَّا القتال .

وكتبَ جُنْدَ يَزِيدٍ يَسْتَمِيلُهُمْ ويدعوهم إلى نَفْسِهِ ، فعلم يزيد بذلك : فقال : جلَّ الأَمْرُ عن العِتَابِ ، ثم تقدَّم إليه فقاتله ، فلم يكن بينهما (١) كثيرُ قتال ، حتى تفرَّق أصحابُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ عنه ، وصبر وصَبِرَتْ معه طائفةٌ ، ثم انهزموا .

وأمر يزيدُ أصحابَه بالكفِّ عن اتباعهم ، وأخذ ما كان في عسكرهم ، وأسروا منهم أسرى ، منهم محمد بن سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ ، وعمر ابن موسى بن عُبيد الله بن معمر ، وعِيَّاشُ (٢) بن الأسود بن عوف الزُّهْرِيُّ ، والهَلِقَمُ بن نُعَيْمِ بن القَعْقَعِ بن معبد بن زُرَّارَةَ ، وقَيْرُوزِ ابن حصين ، وأبو العَلَجِ (٣) مولى عُبيد الله بن معمر : وسوار ابن مروان ، وعبد الرحمن بن طلحة بن عبد الله بن خلف الخُزَاعِيُّ ، وعبد الله بن فَضَالَةَ الزُّهْرَانِي الأَزْدِي ، ولحق عبد الرحمن بن العباس بالسَّنَدِ ، وأتى ابن سَمُرَةَ مَرُو ، وانصرف يزيد بن المهلب إلى مَرُو : وبعث الأسرى إلى الحجاج مع سَبْرَةَ بن نجدة (٤) إِلَّا عَبْدَ الرَّحْمَنِ ابن طلحة فإنه أطلقه .

وكان سبب إطلاقه أن حبيب بن المهلب قال لأخيه يزيد لما أراد

(١) في الكامل : بينهم .

(٢) في الكامل : وعباس .

(٣) في الكامل : وأبو الفلج .

(٤) في الطبرى : مع سبرة بن نجف . وفي الكامل : مع سبرة ونجدة .

أَنْ يُسِيرَ الْأَسْرَى : بِأَيِّ وَجْهِ تَنْظُرُ إِلَى الْيَمَانِيَةِ ، وَقَدْ بَعَثْتُ عَبْدَ الرَّحْمَنِ ابْنَ طَلْحَةَ ؟ فَقَالَ يَزِيدُ : إِنَّهُ الْحِجَابُ ، فَلَا تَتَعَرَّضُ (١) إِلَيْهِ . قَالَ : وَطُنَّ نَفْسِكَ عَلَى الْعَزْلِ ، وَلَا تَرْسِلْ بِهِ ، فَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا يَدًا . قَالَ : وَمَا هِيَ ؟ قَالَ : الْأَزِيمُ الْمَهْلَبُ فِي مَسْجِدِ الْجَمَاعَةِ بِمِائَةِ أَلْفٍ ، فَأَدَّاهَا طَلْحَةُ عَنْهُ ، فَأَطْلَقَهُ يَزِيدُ ، وَلَمْ يَرْسِلْ أَيْضًا عَبْدَ اللَّهِ بْنِ فَضَالَةَ لِأَنَّهُ مِنَ الْأَزْدِ ، وَأَرْسَلَ الْبَاقِينَ .

فلما قدموا على الحجاج أحضر فيروز ، فقال له الحجاج : أبا عثمان ، ما أخرجك مع هؤلاء ؟ فوالله ما لحمتك من لحومهم ، ولا دمتك من دماتهم . قال : ففِتْنَةُ عَمَّتِ النَّاسَ . قال : اكتب لي أموالك . قال : اكتب يا غلام ألف ألف وألفي ألف ، فذكر مالا كثيرا . فقال الحجاج : أين هذه الأموال ؟ فقال : عندي . قال : فأدّها . قال : وأنا أمين على دمي ؟ قال : والله لتؤدبنيها ثم لأقتلنك . قال : والله لا يجتمع دمي ومالي . فأمر به فنحى ، ثم أحضر محمد بن سعد بن أبي وقاص ، فقال : يا ظلّ الشيطان ، أعظم الناس تبيها وكبرا ، تأبى بيعة يزيد بن معاوية وتشبه بالحسين وابن عمر ، ثم صيرت مؤذنا (٢) . وجعل يضرب رأسه بعمود (٣) في يده حتى أدماه ، ثم أمر به فقتل .

ثم دعا بعمر بن موسى ، فقال : يا عبد المرأة ، تقوم بالعمود على

(١) في د : ولا . وفي الطبري : والكامل : ولا يتعرض له .

(٢) في الطبري : مؤذنا لابن كنانة عبد بنى نصر - يعنى عمر بن أبى الصلت .

(٣) في الطبري والكامل : بعود .

رأس (١) ابن الحائك - يعنى ابن الأشعث وتشربُ معه فى الحمام (٢).
فقال : أصلح الله الأمير ، كانت فتنة شملت البرَّ والفاجر ،
فدخلنا فيها ، وقد أمكنك الله منَّا ، فإن عفوتَ فيفضلك وحلمك :
وإن عاقبتَ عاقبتَ ظلمةً مُذنبين .

فقال الحجاج : إنها شملت الفجار ، وعوفى منها الأبرار :
أما اعترافك فعسى أن ينفعك ، فرجا (٣) الناس السلامة . ثم أمر به
فقتل .

ثم دعا بالهلقام بن نعيم ، فقال له : احسب (٤) أن ابن الأشعث
طلب ما طلب ، ما الذى أملت أنت معه ! قال : أملتُ أن يملك فيولِّبني
العراق كما ولأكَ عبْدُ الملك إياه ، فأمر به فقتل . ودعا عبْدُ الله بن عامر .
فلما أتاه قال له : يا حجاج ، لا رأيت عينك الجنة إن أفلت (٥)
ابنُ المهلب بما صنع ، قال : وما صنع ؟ قال :

لأنه كاس (٦) فى إطلاقِ أسرته وقاد نحوكَ فى أغلالها مُضراً
وقى بقومك وِرْدَ الموتِ أسرته وكان قومك أذنى عنده خطراً
فأطرق الحجاجُ ، ووقرت فى قلبه ، وقال : ما أنت وذاك ؟
ثم أمر به فقتل .

(١) فى الكامل : على رأسك ابن الحائك . وانثبت فى الطبرى أيضاً .

(٢) فى الطبرى : وتشرب معه الشراب فى حمام .

(٣) فى ك : ورجا .

(٤) فى الكامل : أحببت - تحريف .

(٥) فى الطبرى : أفلت . وفى الكامل : إن أفلت ، قال : جزى الله ابن المهلب

خيراً بما صنع .

(٦) كاس : انقلب (اللسان) . والبيتان فى الطبرى ، والكامل .

ثم أمر بفيروز فعُذِّب ، فلما أَحَسَّ بالموت قال للموَكَّلِ بعدَّابه :
 إِنَّ النَّاسَ لَا يَشْكُونُ أَنِي قَدْ قُتِلْتُ ، وَلَوْ دَائِعُ وَأَمْوَالُ عِنْدَ النَّاسِ
 لَا تَوَدُّ إِلَيْكُمْ أَبَدًا ؛ فَأَظْهَرَنِي ^(١) لِلنَّاسِ لِيَعْلَمُوا أَنِي حَيٌّ ، فَيَوَدُّوا الْمَالَ .
 فَأَعْلَمَ الْحِجَاجُ بِقَوْلِهِ ، فَقَالَ : أَظْهَرُوهُ ^(٢) . فَأُخْرِجَ إِلَى بَابِ
 الْمَدِينَةِ ، فَصَاحَ فِي النَّاسِ : مَنْ عَرَفَنِي فَقَدْ عَرَفَنِي ، وَمَنْ أَنْكَرَنِي
 فَأَنَا فِيروزُ بْنُ حُصَيْنٍ ، إِنْ لِي عِنْدَ أَقْوَامٍ مَالٌ ، فَمَنْ كَانَ لِي عِنْدَهُ
 شَيْءٌ فَهُوَ لَهُ ، وَهُوَ مِنْهُ فِي حِلٍّ ، فَلَا يَوَدُّ أَحَدٌ دِرْهَمًا ، لِيَبْلُغَ الشَّاهِدُ
 الْغَائِبَ ، فَأَمَرَ بِهِ الْحِجَاجُ فَقُتِلَ .

وأمر بقتل عمر بن ^(٣) قرّة الكندي ، وكان شريفًا ، وقتل أعشى
 همدان : وأتى بأسيرين فأمر بقتلهما ، فقال أحدهما ، إِنْ لِي عِنْدَكَ
 يَدًا . قَالَ : وَمَا هِيَ ؟ قَالَ : ذَكَرَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ يَوْمًا أَمَكَ بِسَوْءِ فَنَهَيْتَهُ .
 قَالَ : مَنْ يَعْلَمُ ذَلِكَ ؟ قَالَ : هَذَا الْأَسِيرُ الْآخِرُ . فَمَسَّاهُ الْحِجَاجُ فَصَدَّقَهُ .
 فَقَالَ لَهُ الْحِجَاجُ : فَلِمَ لَمْ تَفْعَلْ كَمَا فَعَلَ ؟ قَالَ : وَيَنْفَعُنِي الصَّدَقُ
 عِنْدَكَ ؟ قَالَ : نَعَمْ . قَالَ : مَنَعَنِي الْبُغْضُ لَكَ وَلِقَوْمِكَ . قَالَ : خَطُّوا
 عَنِ هَذَا لِفِعْلِهِ . وَعَنِ هَذَا لِيَصِدَّقَهُ .

(١) فِي الطَّبْرِيِّ : فَأَظْهَرُونِي .

(٢) فِي كُ : أَظْهَرَهُ .

(٣) فِي الْكَامِلِ : ابْنُ أَبِي قُرَّةِ .

وأما ابن الأشعث فإنه سار إلى رُتْبِيل ، فأقام عنده ، فكتب إليه الحجاج : أن ابْعَثْ إِلَى وَاِلَّا فوالذى لا إلهَ غيره لأوطئَنَّ أَرْضَكَ أَلْفَ أَلْفِ مَقَاتِلٍ ، وكان مع عبد الرحمن رجل من تميم اسمه عُبَيْد ابن سبيع ^(١) التميمى ، وكان رسوله إلى رُتْبِيل . فقال القاسم بن محمد ابن الأشعث لأخيه عَبْدَ الرحمن : إني لا آمن غَدْرَ هذا التميمى فاقْتَلَهُ . فخافه عُبَيْد على نفسه ، فوشى به إلى رُتْبِيل ، وخوفه الحجاج ، ودعاه إلى الغَدْرِ بِابْنِ الْأَشْعَثِ ، وقال له : أنا آخِذٌ لك من الحجاج عهداً ليكفَّنَّ ^(٢) عن أَرْضِكَ سبع سنين ، على أن تدفع إليه عبد الرحمن ، فأجابته إلى ذلك .

فخرج عُبَيْد إلى عُمارة سراً فذكر ذلك له ، فكتب عُمارة إلى الحجاج بذلك . فأجابته إليه ، وبعث رُتْبِيلَ برأس عبد الرحمن ، وذلك في سنة [٨٨٥] خمس وثمانين .

وقيل : إن عبد الرحمن كان قد أصابه السل فمات فقطع رُتْبِيلَ رأسه .

وقيل : إن رُتْبِيلَ لما صالح عُمارة بن تميم اللخمي عن ^(٣) ابن الأشعث كتب عُمارة إلى الحجاج بذلك ، فأطلق له خراج بلاده عشر سنين ،

(١) في الطبرى : عبيد بن أبى سبيع .

(٢) في ك : ليكفف . وفي الطبرى : ليكفن الخراج ...

(٣) في الكامل : علي .

فأرسل رُتْبِيلَ إلى عَبْدِ الرَّحْمَنِ وَثَلَاثِينَ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ ، فَحَضَرُوا عِنْدَهُ ، فَقَبِلَهُمْ وَأَرْسَلَهُمْ إِلَى عُمَارَةَ ، فَأَلْقَى عَبْدُ الرَّحْمَنِ نَفْسَهُ مِنْ سَطْحِ قَصْرِ فَمَاتَ ، فَاحْتَزَّ رَأْسَهُ ، وَسَيَّرَهُ إِلَى الْحِجَاجِ ، وَسَيَّرَهُ الْحِجَاجُ إِلَى عَبْدِ الْمَلِكِ مَعَ عِرَارِ بْنِ عَمْرِو بْنِ شَأْسَ ، وَكَتَبَ مَعَهُ كِتَابًا ، فَجَعَلَ عَبْدُ الْمَلِكِ يَقْرَأُ كِتَابَ الْحِجَاجِ ، فَإِذَا شَكَ فِي شَيْءٍ سَأَلَ عِرَارًا عَنْهُ فَيُخْبِرُهُ بِهِ ، وَكَانَ عِرَارٌ أَسْوَدَ اللَّوْنِ ، فَعَجِبَ عَبْدُ الْمَلِكِ مِنْ بَيَانِهِ وَفَصَاحَتِهِ مَعَ سِوَاةِ ، وَهُوَ لَا يَعْرِفُهُ فَمَثَلُ (١) :

وإن (٢) عِرَارًا إن يكن غير واضح فإني أحب الجونَ ذا المنطقِ العمم

فضحك عرار ، فقال له عبدُ الملك : مالك تضحك ؟ فقال : أتعرف عِرَارًا يا أمير المؤمنين ؟ قال : لا . قال : فأنا هو . فضحك عبدُ الملك ثم قال : حظٌ وافق حكمة . وأحسن جائزته ، وسرَّحه .

وروى أبو عمر بن عبد البر بسندٍ رفعه إلى العُتْبِيِّ عن أبيه ، قال (٣) : كتب الحجاجُ إلى عبدِ الملك كتابًا يصفُ له فيه أهلَ العراق وما ألقاهم عليه من الاختلافِ وما يكرهه (٤) منهم ، وعرفه ما يحتاجون إليه رنَ التقويم والتأديب ، ويستأذنه أن يُودِعَ قلوبهم من الرهبة ما يخفون به إلى الطاعة ، ودعا رجلاً من أصحابه كان يأنس به ، فقال له : انطلق بهذا الكتاب ، ولا يصلنَّ من يدك إلا إلى يد أمير المؤمنين ، فإذا قبضه فتكلم عليه .

(١) واللسان - عمم .

(٢) في اللسان : فإن ... ذا المنكب العمم . ومنكب عمم : طويل .

(٣) الاستيعاب : ١١٨٠

(٤) في الاستيعاب : وما يكره .

ف فعل الرجل ذلك ، فجعل (١) عبد الملك كلما شك في شيء
يستفهمه (٢) ، فوجده أبلغ من الكاتب (٣) ، فقال [عبد الملك] (٤) :
وإن عراراً إن يكن غير واضح ... البيت .

فقال [له] (٥) الرجل : يا أمير المؤمنين ، أتدرى من يخاطبك ؟
قال : لا . قال : أنا عرار ، وهذا الشعر لأبى ، وذلك أن أمى ماتت
وأنا مريض ، فتزوج أبى امرأة فكانت تسمى (٦) ولايتى ، فقال أبى :

فإن كنت منى أو (٧) تُريدَيْنِ صُحبتى
فكُونى له كالشَّمْسِ رُبَّتْ بِهِ الأدم

وإلاً فسيرى سيرَ راکبِ ناقِيةٍ
تيمم خبثاً ليس فى سيره أمم

أرادت عراراً بالهوان ومن يُرد
عراراً لعمرى بالهوان لقد (٨) ظلم

وإن عراراً إن يكن غير واضح
فإنى أحبُّ الجونَ ذا المنطقِ العمم

ولما جرى بالرأس إلى عبد الملك أرسله إلى أخيه عبد العزيز بمصر ،
فقال بعض الشعراء :

(١) فى الاستيعاب : و جعل :

(٢) فى الاستيعاب : استفهمه .

(٣) فى الاستيعاب : الكتاب .

(٤) زيادة فى الاستيعاب .

(٥) ساقط فى ك .

(٦) فى ك : نسمى - تحريف .

(٧) فى ك : إذ .

(٨) فى د : فقد . والمثبت فى الاستيعاب أيضا .

هيئات موضع جُثَّةٍ مِنْ رَأْسِهَا
رَأْسٌ بِمِصْرَ وَجُثَّةٌ بِالرُّخَجِ (١)

وقيل : إن هلاك عبد الرحمن كان في سنة [٨٤هـ] أربع وثمانين .

ولنرجع إلى تنمة حوادث السنين :

وفي سنة (٨١ هـ) إحدى وثمانين :

حج بالناس سليمان [بن عبد الملك] (٢) .

سنة (٨٢ هـ) اثنتين وثمانين :

في هذه السنة كانت وفاة المغيرة بن المهلب بخراسان في شهر
رجب منها ، وكان أبوه قد استخلفه على عمِّله .

ذكر وفاة المهلب بن أبي صفرة

ووصيته لبنيه وولاية ابنه يزيد خراسان

وفي هذه السنة توفى المهلب بن أبي صفرة بمرو الروذ بالشوصة
وقيل بالشوكة (٣) ، وأوصى إلى حبيب ابنه فصلً عليه ، وقال لبنيه :
إني قد استخلفتُ عليكم يزيد فلا تخالفوه . فقال ابنه المفضل :
لو لم تقدمه لقدمناه ، وأحضر ولده فأوصاهم ، وأحضر سهماً مخزومة
فقال : أتكسرونها مجتمعةً ؟ قالوا : لا . قال : أفتكسرونها متفرقةً ؟
قالوا : نعم . قال : فهكذا الجماعة . ثم قال : أوصيكم بتقوى الله ،
وصلة الرحم ، فإنها تنسيء في الأجل وتثري المال ، وتكثر العدد ؛

(١) وخبج - بتشديد ثانيه ، وقيل بإسكانه ، وآخره جيم : كورة من أعمال
سجستان ، ومدينة من نواحي كابل (المراصد) .

(٢) ساقط من ك .

(٣) في الطبري : أصابته الشوصة : وقوم يقولون الشوكة . والشوصة : وجع
في البطن أوريح تمتب في الأضلاع ؛ أو ورم في حجابها من داخل (القاموس) .

وأنهاكم عن القطيعة؛ فإنها تُعقِبُ النار والذلة والقلّة ، وعليكم بالطاعة والجماعة ، ولتكنّ فعالكم أفضل من مقالكم (١) ، واتقوا الجواب وزلة اللسان ، فإن الرجل يزل قدمه فينتعش (٢) ، ويزل لسانه فيهلك ، واعرفوا لمن يغشاكم حقه ، فكفى بغدو الرجل ورواحه إليكم تذكرة له ، وآثروا الجود على البخل ، وأحبوا العرب (٣) ، واصنعوا المعروف (٤) ؛ فإن الرجل من العرب تعدّه العدة فيموت دونك ، فكيف بالصنيعة عنده ! وعليكم في الحرب بالثؤدة (٥) والمكيدة ، فإنهما (٦) أنفع من الشجاعة ، وإذا كان اللقاء نزل القضاء ، فإن أخذ الرجل (٧) بالخزم فظفر قيل : أتى الأمر من وجهه فظفر فحمد ، فإن لم يظفر [بعد الأناة] (٨) قيل : ما فرط ولاضيع ، ولكن القضاء غالب . وعليكم بقراءة القرآن وتعليم السنن وآداب (٩) الصالحين ، وإياكم وكثرة الكلام في مجالسكم . ومات رحمه الله . فكتب ابنه يزيد إلى الحجاج يعلمه بوفاته ، فأقره على خراسان .

• • •

وفيهما عزل عبد الملك أبنان بن عثمان عن المدينة في جمادى الآخرة ، واستعمل عليها هشام بن إسماعيل المخزومي .

(١) في الطبرى : من قواكم .

(٢) في ك : فينتعش . والمثبت في الكامل والطبرى .

(٣) في الكامل : العرف . والمثبت في الطبرى .

(٤) في الطبرى : العرف . (٥) في الطبرى : بالأناة .

(٦) في الطبرى والكامل : فإنها . (٧) في الطبرى : رجل .

(٨) زيادة من الطبرى . (٩) في الطبرى والكامل : وأدب .

وحجَّ بالناس أباَن بن عثمان .

سنة (٨٣ هـ) ثلاث وثمانين :

ذكر خبر عمر بن أبي الصلت

وخلَّعه الحجاج بالرى وما كان من أمره

قال : لما ظفر الحجاجُ بابنِ الأشعث لحق خَلقٌ كثير من المنهزمين بعُمَر بن أبي الصَّلْت ، وكان قد غلب على الرىِّ فى تلك الفتنة ، فلما اجتمعوا بالرىِّ أرادوا أن يحفظوا عند الحجاج بأمرٍ يَمْحُون به عن أنفسهم عَشْرَةَ (١) الجماجم ، فأشاروا على عُمَر بخلع الحجاج وقتيبة ، فامتنع ، فوضعوا عليه أباه ؛ أبا الصَّلْت ، وكان به باراً ، فأشار بذلك عليه وألزمه به ، وقال : يا بنى ، إذا سار هؤلاء تحت لوائك لا أبالى أن تُقتل غداً . ففعل . فلما قارب قُتَيْبَةَ الرىِّ استعدَّ لقتاله ، فالتقوا ، واقتتلوا ، فغدر أصحاب عُمَر به وأكثرهم من تميم ، فانهزم ولحق بطبرستان ، فأواه الأصبهذ (٢) وأكرمه وأحسن نزله ، فقال عُمَر لأبيه : إنك أمرتني بخلع الحجاج وقتيبة فأطعته وكان خلاف رأيي ، ولم أحمد رأيك ، وقد نزلنا بهذا الأصبهذ فدعنى حتى أثب إليه (٣) فأقتله . وأجلس على مملكته ، فقد علمت الأعاجم أنى أشرف منه . فقال أبوه : ما كنت لأفعل هذا برجلٍ (٤) أو أنا وأكرمنا وأنزلنا . فقال عمر : أنت أعلم ، وسترى .

ودخل قُتَيْبَةَ الرى ، وكتب إلى الحجاج بانهزام عُمَر إلى طبرستان .

فكتب الحجاج إلى الأصبهذ (٢) أن يبعث بهم أوبرعوسهم (٥) ، وإلا فقد

(١) فى ك : عيرة . والمثبت فى د ، والكامل .

(٢) وتاج الغروس . (٣) فى د ، والكامل : عليه .

(٤) فى الكامل : بالرجل . (٥) فى الكامل : بها أوبرعوسهما .

بَرِّتَتْ مِنْكَ الذِّمَّةُ ، فَصَنَعَ لَهُمُ الْأَضْبَهُذَ طَعَامًا وَأَحْضَرَهُمْ ، فَقَتَلَ عُمَرَ ، وَبَعَثَ أَبَاهُ أَسِيرًا . وَقِيلَ : قَتَلَهُمْ وَبَعَثَ بَرَّعُوسَهُمْ . وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

ذِكْرُ بِنَاءِ مَدِينَةِ وَاسِطٍ

وَفِيهَا بَنَى الْحِجَاجُ مَدِينَةَ وَاسِطٍ ، وَسَبَبُ ذَلِكَ أَنَّهُ ضَرَبَ الْبَعْثَ عَلَى أَهْلِ الْكُوفَةِ إِلَى خُرَّاسَانَ وَعَسْكَرَ بِحِمَامٍ عُمَرَ ، وَكَانَ قَتَى مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ حَدِيثَ عَهْدٍ بِعُرْسٍ [بِابْنَةِ عَمِّ لَهُ] ^(١) ، فَانْصَرَفَ مِنْ الْعَسْكَرِ إِلَى ابْنَةِ عَمِّهِ ، فَطَرَقَ ^(٢) عَلَيْهِ الْبَابَ طَرَفًا شَدِيدًا ، فَإِذَا سَكَرَانُ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ ، فَقَالَتِ الْمَرْأَةُ لِبَعْلِهَا : لَقَدْ لَقِينَا مِنْ هَذَا الشَّامِيِّ شَرًّا يَفْعَلُ بِنَا كُلَّ لَيْلَةٍ مَا تَرَى - يُرِيدُ الْمَكْرُوهَ ، وَقَدْ شَكَّوْهُ إِلَى مَشِيخَةِ أَصْحَابِهِ . فَقَالَ : ائْذِنِي لَهُ ، فَأَذْنَتْ لَهُ . فَلَمَّا دَخَلَ قَتَلَهُ زَوْجُهَا .

فَلَمَّا أَدْنَى الْفَجْرُ خَرَجَ إِلَى الْعَسْكَرِ وَقَالَ لِابْنَةِ عَمِّهِ : إِذَا صَلَّيْتَ الْفَجْرَ فابْعَثْنِي إِلَى الشَّامِيِّينَ لِيَأْخُذُوا صَاحِبَهُمْ ، فَإِذَا أَحْضَرُوكَ إِلَى ^(٣) الْحِجَاجِ فَاصْدُقْهُ الْعَجْبَرَ عَلَى وَجْهِهِ ، فَفَعَلَتْ ، وَأَحْضَرَتْ إِلَى الْحِجَاجِ ، فَأَخْبَرْتَهُ فَصَدَّقَهَا ، وَقَالَ لِلشَّامِيِّينَ : خُذُوا صَاحِبَكُمْ لَا قَوْلَ لَهُ وَلَا عَقْلَ ، فَإِنَّهُ قَبِيلٌ ^(٤) اللَّهُ إِلَى النَّارِ . ثُمَّ نَادَى مُنَادٍ : لَا يَنْزِلُنَّ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ ، وَبَعَثَ رَوَادًا يَرْتَادُونَ لَهُ مَنَزِلًا ، وَأَقْبَلَ حَتَّى نَزَلَ بِمَوْضِعٍ ^(٥) وَاسِطٍ ، وَإِذَا رَاهِبٌ قَدْ أَقْبَلَ عَلَى حِمَارٍ ، فَلَمَّا كَانَ بِمَوْضِعِ وَاسِطٍ بَالَ الْحِمَارُ ، فَنَزَلَ الرَّاهِبُ فَاحْتَفَرَ ^(٦) ذَلِكَ الْبَوْلَ وَرَمَاهُ فِي دَجَلَةٍ

(١) زيادة في الطبرى .

(٢) في الطبرى والكامل : فطرق الباب طارق .

(٣) في الكامل : عند . (٤) في الكامل : قتل .

(٥) في د : والكامل : موضع . (٦) في ك : فاحتفن .

والحجاجُ ينظرُ إليه، فاستحضره وقال له : ما حَمَلَك على ما صنَعْتَ ؟
قال : نَجِدُ في كتبنا أنه يُبْنَى في هذا الموضع مسجد يُعْبَدُ اللهُ فيه ما دام
في الأَرْضِ أَحَدٌ يوْحَدُ اللهُ .

فاختطَّ الحجاجُ مدينةَ واسط وبنى المسجد في ذلك الموضع .

وحجَّ بالناس في هذه السنة هشام بن إسماعيل .

سنة (٨٤ هـ) اربع وثمانين :

في هذه السنة قتل الحجاجُ أيوب بن القُرَيْبَةِ (١) ،
وكان مع ابن الأشعث ، فلما هُزِمَ التحق أيوب بحوشب بن يزيد
عامل الحجاج على الكوفة ، فاستحضره الحجاج وقتله .
وحجَّ بالناس هشام بن إسماعيل .

سنة (٨٥ هـ) خمس وثمانين :

ذكر عزل يزيد بن المهلب عن خراسان

وولاية أخيه المفضل

وفي هذه السنة عزل الحجاجُ يزيد بن المهلب عن خُرَّاسان ،
وكان سبب عزله أنَّ الحجاجُ وقد إلى عبد الملك فمرَّ في طريقه
براهبٍ ، فقيل له : إنَّ عنده عِلْمًا ، فأحضره الحجاجُ ، وسأله :
هل تَجِدُونَ في كتبكم ما أنتم فيه ونحن ؟ قال : نعم . قال : فَمُسَمَّى
أو موصوفًا ؟ قال : كلُّ ذلك نجده موصوفًا (٢) بغير اسم ومُسَمَّى
بغير صفة (٢) . قال : فما تَجِدُونَ صفةَ أمير المؤمنين ؟ قال :
نجده في زماننا ملك أفرع من يقم لسبيله يُضْرَعُ . قال : ثم

(١) الضبط في المشبه :

(٢) في الطبرى : كل ذلك موصوف ، واسم بغير صفة .

من^(١) ؟ قال : اسم رجل يقال له الوليد ، ثم رجل اسمه اسم نبيّ يُفْتَحُ به على الناس . قال : [أتعرّفنى ؟ قال : قد أخبرت بك . قال : أفتعلم ما أليّ ؟ قال : نعم]^(٢) . قال : أفتعلم من يلىّ بعدي ؟ قال : نعم ، رجل يقال له يزيد ، قال : أفتعرف صفته ؟ قال : يَغْدِرُ غَدْرَةً ، لا أعرف غير هذا .

فوقع فى نفسه أنه يزيد بن المهلب ، ثم سار وهو وجل من قول الراهب . فلما عاد كتب إلى عبد الملك يذمُّ يزيد وآل المهلب ، ويخبره أنهم زُبَيْرِيَّة .

فكتب إليه عبدُ الملك : إني أرى طاعتهم لآل الزبير نقصاً لآل المهلب ؛ بل وفاؤهم لهم يدعُوهم إلى الوفاء لى . فكتب إليه الحجاج يخوفه غدره .

فكتب إليه : إنك قد أكثرت فى يزيد وآل المهلب فسمَّ رجلاً يصلح لخراسان . فسمّى له قُتَيْبَةَ بن مسلم ، فكتب إليه أن وُلِّه . فكرة الحجاج أن يكتب إليه بعزله ، فكتب إليه يأمره أن يستخلف أخاه المفضل ويُقبِلَ إليه .

فاستشار يزيدُ حُضَيْنَ^(٣) بن المنذر الرقاشى : فقال له : أقيم واعتلّ ، واكتب إلى أمير المؤمنين ليقرّك ، فإنه حسنُ الرأى فيك . فقال له يزيد : نحن أهلُ قد بُورِكَ لنا فى الطاعة ، وأنا أكره الخِلافَ . وأخذ يتجهزُ فأبطأ .

(١) فى الطبرى : ثم من يليه . (٢) من الطبرى .

(٣) فى الكامل : حُضَيْنَ بالحاء المهملة المضمومة والضاد المعجمة المفتوحة وآخره نون . وفى ك : حُضَيْنَ بالضاد المهملة — تحريف .

فكتب الحجاج إلى المفضل: إني قد وليتكَ خراسان ، فجعل المفضل يستحثُّ يزيد ، فقال له [يزيد] (١) : إنَّ الحجاج لا يقرك بعدي ، وإنما دعاه إلى ما صنع مخافةً أنْ أمتنعَ عليه ، وستعلم .

وخرج يزيد في شهر ربيع الآخر سنة [٨٨٥هـ] خمس وثمانين ، وأقرَّ الحجاجُ أخاه المفضل تسعة أشهر ، ثم عزله ، واستعمل قتيبة على ما نذكره ، وسار يزيد بن المهلب فكان (٢) لا يمرُّ بتلد إلا فرش أهلها الرياحين .

ذكر أخبار موسى بن عبد الله بن خازم

واستيلائه على ترمذ (٣)

وما كان من حروبه مع العرب والتربك وخبر مقتله

كان موسى بن عبد الله قد استولى على ترمذ ، وأخرج ترمذ شاه عنها ، وسبب ذلك أن أباه عبد الله لما قتل من قتل من بني تميم بخراسان (٤) كما تقدم ذكر ذلك في أثناء أخبار عبد الله ابن الزبير تفرق عنه أكثر من كان معه منهم ، فخرج إلى نيسابور ، وخاف بني تميم على ثقله بمرؤ ، فقال لابنه موسى : خذ ثقتي واقطع

(١) زيادة في الطبري .

(٢) العبارة في الكامل: فكتب إليه الحجاج أن أقدم ، فسار إليه ، فكان لا يمر...

(٣) في المرصد: الناس يختلفون في هذا الاسم والمعروف أنه بكسر التاء والميم. وأهل

المدينة متداول على لسانهم بفتح التاء وكسر الميم ، وبعضهم يقول بضمها ، وهي مدينة من أمهات المدن المشهورة رابطة على جيحون شرقيه .

(٤) في الطبري : بفرتي . وفي ياقوت : فرتي : قصر بمر والروز .

نَهَرَ بَلَخَ حَتَّى تَلْتَجَىء (١) إِلَى بَعْضِ الْمُلُوكِ أَوْ إِلَى حِصْنٍ تَكُونُ (٢) فِيهِ .

فرحل موسى عن مَرَوْ فى عشرين ومائتى فارس ، واجتمع إليه تنمة أربعمائة ، وانضوى (٣) إليه قوم من بنى سُليم (٤) ، فَأَتَى زُمَّ (٥) ، فقاتله أهلها ، فظفر بهم ، وأصاب مالا ، وقطع النهر . فَأَتَى بُخَارَى فساءل صاحبها أن يَلْجَأَ إليه ، فأبى وخافه . [وقال : رجل فاتك] (٦) فلا آمنه ، ووصله ، وسار فلم يأت ملكا يَلْجَأُ إليه إلا كره مقامه عنده .

فَأَتَى سمرقند ، فأكرمه ملكها طَرُخُون وأذن له فى المقام بها ، فأقام بها ما شاء الله . وكان لأهل الصغد مائدة تُوضع فى كل عام مرة ، عليها خبز ولحم ونخل وإبريق شراب ، يجعلون ذلك لفارس الصغد فلا يقرُّبه غيره ، فإن أكل منه بارزُهُ الفارس : فَأَيُّهُمَا قَتَلَ صاحبه كانت المائدة له ، وكان الفارس المشار إليه ، فرآها رجلٌ من أصحاب موسى ، فقال : ما هذه ؟ فأخبر ، فأكل ما عليها . وجاء الفارس مُغْضَبًا ، فقال : يا أعرابى ، بارزنى ، فبارزه فقتله صاحبُ موسى ، فقال ملك الصغد : أنزلتكم وأكرمتكم فقتلتهم

(١) فى الطبرى : تلجأ .

(٢) فى الطبرى والكمال : تقيم فيه .

(٣) فى انكامل : وانضم .

(٤) فى الطبرى : قوم من الصماليك .

(٥) زم - بضم أوله وتشديد ثانيه : قيل : هى بشر لبني سعد . وقيل : ماء

ابنى عجل فيما بين أذانى طريق الكوفة إلى مكة والبصرة (المرصد) .

(٦) ساقط فى ك .

فارسي ، فلولا أني أمنتك وأصحابك لقتلتك (١) ، اخرجوا عن بلدي .

فخرجوا ، فأتي موسى كئيباً ، فضمعت أصحابها عنه ، فاستنصر طرخون فأتاه ، فقاتله موسى وقد اجتمع معه سبعمائة فارس يوماً حتى أمسوا وتحاجزوا ، ثم اتفقوا أن يرتحل موسى عن كئيب ؛ فسار فأتى ترمذ وبها حصن يُشرف على جانب النهر ، فنزل موسى خارج الحصن وسأل ترمذ شاه (٢) أن يُدخله الحصن فأتى ، فأهدى له موسى ولأطفه حتى أنس به ، وصارت بينهما مودة ، وتصيّد معه ، وصنع صاحب ترمذ (٣) طعاماً ، وأحضر موسى لياً أكل معه ، وشرط ألا يحضر إلا في مائة من أصحابه ، فاختر موسى مائة منهم ، فدخلوا الحصن وأكلوا ، فلما فرغوا قال له ترمذ شاه : اخرج قال : لا أخرج حتى يكون الحصن بيّتي أو قبري ، وقاتلهم فقتل منهم عدّة وهرب الباقون ، واستولى موسى عليها ، وأخرج ترمذ شاه منها ، ولم يعرض له ، ولا لأصحابه .

فأتوا الترك يستنصرونهم على موسى ، فلم ينصروهم ، وقالوا : لا نقاتل هؤلاء .

وأقام موسى بترمذ ، وأتاه جمع من أصحاب أبيه فقوى بهم ، فكان يُغير على ما حوله .

(١) في د ، والطبري : لقتلتكم .

(٢) في الطبري : فنزل موسى على بعض دهاقين الترمذ .

(٣) في الطبري : صاحب الترمذ .

وولى بُكَيْر بن وَسَّاج^(١) خراسان فلم يعرض له ، ثم قدم أُمَيَّة^(٢) .
فسار يُرِيدُهُ ؛ فخالفه بُكَيْر ، فرجع على ما تقدم^(٣) ، ثم وجه
أُمَيَّة رجلاً من خُزَاعَةَ فى جَمْع كثير لِقِتَالِ موسى ، فجاء إلى
تِرْمِذٍ وحصره ، فعاد أهلُ تِرْمِذٍ إلى الترك ، واستنصروهم وأعلموهم
أنه قد غزاه قومٌ من العَرَبِ وحصروه ، فسارت التُّرْكُ فى جمعٍ
كثير^(٤) إلى الخزاعى فأطاف بموسى العَرَبُ^(٥) والترك :
فكان يقاتلُ الخزاعى أول النهار والتُّرْكُ آخر النهار ، فقاتلهم شهْرَيْنِ
أو ثلاثة .

ثم أراد أن يُبَيِّت الخزاعى ، فقال له عمرو بن خالد بن حُصَيْنِ
الكَلَابِى : بَيِّت العجم ، فإنَّ العرب أشدَّ حَذَرًا وأَجْرًا^(٦) على الليل .
فوافقته .

وأقام حتى ذهب ثلث الليل ، وخرج فى أربعمائة ، وقال لعمر
ابن خالد : اخرج بَعْدَنَا أنت ومن معك [منا]^(٧) قريبًا ، فإذا
سمعتمُ تكبيرنا فكبروا .

ثم سار حتى ارتفع فوقَ عسكر التُّرْكِ ورجع إليهم ، وجعل أصحابه
أرباعًا ، وأقبل إليهم ، فلما رأهم أصحابُ الأَرْصَادِ قالوا : مَنْ أنتم ؟
قالوا : عابِرو سبيل . فلما جاوزوا الرصد حملوا على التُّرْكِ وكبروا

(١) فى الطبرى : وشاح .

(٢) فى الكامل : ثم قدم أُمَيَّة فسار بنفسه يريد بخالفة بكير .

(٣) فى الطبرى : فرجع إلى مرو .

(٤) فى د : كبير .

(٥) فى الطبرى : التُّرْكُ والخزاعى .

(٦) فى د : وأجراء . (٧) من الطبرى .

فلم يشعُر الترك إِلَّا بِوَقْعِ السِّيفِ فِيهِمْ ، فَثَارُوا (١) يَقْتُلُ بَعْضُهُمْ
بَعْضًا وَوَلَّوْا . فَحَوَى مُوسَى وَمَنْ مَعَهُ عَسْكَرَهُمْ ، وَأَصَابُوا سِلَاحًا كَثِيرًا
وَمَا لَا ، وَأَصِيبَ مِنْ أَصْحَابِ مُوسَى سِتَّةَ عَشَرَ رَجُلًا ، وَأَصْبَحَ الْخُزَاعِيُّ
وَأَصْحَابُهُ وَقَدْ كَسَرَهُمْ ذَلِكَ ، وَخَافُوا مِثْلَهَا ، فَقَالَ عَمْرُو بْنُ خَالِدٍ
لِمُوسَى : إِنَّا لَا (٢) نَنْظُرُ إِلَّا بِمَكِيدَةٍ ، وَلِهَؤُلَاءِ أَمْدَادُ تَأْتِيهِمْ ، فَدَعْنِي
أَتِيهِ لَعَلِّي أُصِيبُ فُرْصَةً فَأَقْتُلَ الْخُزَاعِيَّ ، فَاضْرِبْنِي . فَقَالَ مُوسَى :
تَتَعَجَّلُ الضَّرْبَ ، وَتَتَعَرَّضُ لِلْقَتْلِ ؟ قَالَ : أَمَا التَّعَرُّضُ لِلْقَتْلِ فَأَنَا
كُلَّ يَوْمٍ مَتَعَرِّضٌ لَهُ ، وَأَمَا الضَّرْبُ فَمَا أَيْسَرُهُ فِي حُبِّ (٣) مَا أُرِيدُ .
فَضْرِبْهُ مُوسَى خَمْسِينَ سَوْطًا ، فَخَرَجَ حَتَّى أَتَى عَسْكَرَ الْخُزَاعِيِّ
مَسْتَأْمِنًا ، وَقَالَ : أَنَا رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْيَمَنِ كُنْتُ مَعَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ خَازِمٍ ،
فَلَمَّا قُتِلَ أُتَيْتُ ابْنَهُ فَكُنْتُ مَعَهُ ، وَإِنَّهُ أَتَمَنِي وَقَالَ : قَدْ تَعَصَّبْتَ
لَعَدُوِّنَا ، وَأَنْتَ عَيْنٌ لَهُ ، وَلَمْ آمَنْ الْقَتْلَ ، فَهَرَبْتُ مِنْهُ .

فَأَمَّنَهُ الْخُزَاعِيُّ ، وَأَقَامَ مَعَهُ ، فَدَخَلَ يَوْمًا فَلَمْ يَرَ عِنْدَهُ أَحَدًا وَلَا مَعَهُ
سِلَاحًا ، فَقَالَ لَهُ كَالنَّاصِحِ : أَصْلَحَ اللَّهُ الْأَمِيرَ ، إِنَّ مِثْلَكَ فِي مِثْلِ هَذَا
الْحَالِ لَا يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ بِغَيْرِ سِلَاحٍ . قَالَ : إِنْ مَعِيَ سِلَاحًا ، وَرَفَعَ
طَرَفَ فَرَاشِهِ ، فَإِذَا سَيْفٌ مُنْتَضِيٌّ ، فَأَخَذَهُ عَمْرُو فَضْرَبَ بِهِ الْخُزَاعِيَّ
حَتَّى قَتَلَهُ ، وَخَرَجَ فَرَكَبَ فَرَسَهُ وَأَتَى مُوسَى .

وَتَفَرَّقَ ذَلِكَ الْجَيْشُ ، وَأَتَى بَعْضُهُمْ مُوسَى مُسْتَأْمِنًا فَأَمَّنَهُ ، وَلَمْ
يُوجِّهْ إِلَيْهِ أَمِيَّةَ أَحَدًا .

(١) فِي الْكَامِلِ : فَسَارُوا .

(٢) فِي الطَّبْرِيِّ : إِنَّكَ لَا تَنْظُرُ .

(٣) فِي الطَّبْرِيِّ وَالْكَامِلِ : فِي جَنْبِ .

وعزل أمية ، وقدم المهلب [أميراً]^(١) ، فلم يعرض لموسى ، وقال
لبنيه : إياكم وموسى ، فإنكم لاتزالون ولآة خراسان مادام هذا الثبط^(٢)
بمكانه ، فإن قُتل فأول طالع عليكم أمير خراسان من قيس .

فلما مات المهلب وولى يزيد لم يعرض^(٣) إليه أيضاً ، وكان المهلب
قد ضرب حُرَيْث بن قُطبة الخزاعى ، فخرج هو وأخوه ثابت إلى
موسى ، فلما ولى يزيد بن المهلب أخذ أموالهما ، وقتل أخاهما لأمهما
الحارث بن مُتقذ ، فخرج ثابت إلى طرخون ، فشكا إليه ما صنع
به يزيد ، وكان ثابت محبوباً إلى الترك بعيد الصوت فيهم^(٤) ؛
فغضب له طرخون ، وجمع له نيزك والسبل وأهل بخارى والصغانيين ،
فقدموا مع ثابت إلى موسى ، واجتمع لموسى أيضاً فل عبد الرحمن
ابن العباس من هرة وقل عبد الرحمن بن الأشعث من العراق ،
ومن ناحية كابل ، [وقوم من بنى تميم ممن كان يقاتل ابن خازم
في الفتنة من أهل خراسان]^(٥) ، فاجتمع معه^(٦) ثمانية آلاف .

فقال له ثابت وحُرَيْث : سرّ بيننا حتى نقطع النهر ونُخرج يزيد
عن خراسان ونوليك .

فهم أن يفعل ، فقال له أصحابه : إن أخرجت يزيد عن

(١) زيادة من الطبرى والكامل .

(٢) الثبط : التقييل البطن . والقليل شمر اللحية والحاجبين . وفى الكامل : الثبط . وفى
القاموس : الثبط — ككتف : الأحقق فى عمله ، والضعيف والثقل .

(٣) فى الكامل : لم يتعرض أيضاً لموسى . وفى الطبرى : لم يتعرض له .

(٤) فى ك : منهم .

(٥) زيادة من الطبرى .

(٦) فى الطبرى : واجتمع إلى موسى .

خُرَاسَانِ تَوَلَّى ثَابِتٌ وَأَخُوهُ خُرَاسَانٌ وَغَلَبَهَا عَلَيْهَا ، فَامْتَنَعَ مِنَ الْمَسِيرِ ،
 وَقَالَ لثَابِتٍ وَحُرَيْثٍ : إِنَّ أَخْرَجْنَا يَزِيدَ قَدِيمَ عَامِلٍ لِعَبْدِ الْمَلِكِ ، وَلَكِنَّا
 نَخْرُجُ عُمَّالَ يَزِيدَ مِنْ وَرَاءِ النَّهْرِ ، وَتَكُونُ [هَذِهِ النَّاحِيَةُ] ^(١) لَنَا ؛
 فَأَخْرَجُوا عَمَالَهُ ، وَجَبَّوْا الْأَمْوَالَ ، وَقَوَّيْ أَمْرَهُمْ ، وَانصَرَفَ طَرْخُونُ
 وَمَنْ مَعَهُ ، وَاسْتَبَدَّ ثَابِتٌ وَحُرَيْثٌ بِتَدْبِيرِ الْأَمْرِ ، وَلَيْسَ لِمُوسَى إِلَّا اسْمُ
 الْإِمْرَةِ . فَقِيلَ لِمُوسَى : اقْتُلْ ثَابِتًا وَحُرَيْثًا ، وَاسْتَقْبِلْ بِالْأَمْرِ ، فَإِنَّهُ
 لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ . وَأَلْحَ أَصْحَابُهُ عَلَيْهِ فِي ذَلِكَ حَتَّى هَمَّ بِقَتْلِهِمَا .
 فَبَيْنَمَا هُمْ فِي ذَلِكَ إِذْ خَرَجَ عَلَيْهِمُ الْهَيْاطَلَةُ وَالتَّبِيتُ وَالتَّرْكُ فِي سَبْعِينَ
 أَلْفَ مَقَاتِلٍ غَيْرِ الْأَتْبَاعِ وَمَنْ لَيْسَ هُوَ كَامِلُ السَّلَاحِ .

فَخَرَجَ مُوسَى وَقَاتَلَهُمْ فِيمَنْ مَعَهُ ، وَوَقَفَ مَلِكُ التَّرْكِ عَلَى تَلٍّ فِي
 عَشْرَةِ آلَافٍ فِي أَكْمَلِ عُدَّةٍ ، وَقَدِ اشْتَدَّ الْقِتَالُ ، فَقَالَ مُوسَى لِأَصْحَابِهِ :
 إِنَّ أَرْزَلْتُمْ هَؤُلَاءِ فَلَيْسَ الْبَاقُونَ بِشَيْءٍ ، فَقَصَدَهُمْ ^(٢) حُرَيْثُ بْنُ قُطَيْبَةَ
 وَقَاتَلَهُمْ حَتَّى أَزَالَهُمْ عَنِ التَّلِّ ، وَرَمَى حُرَيْثٌ بِنَشَابِطِهِ فِي جَبْهَتِهِمْ ،
 وَتَحَاجَزُوا وَبَيَّتَهُمْ مُوسَى ، فَحَمَلَ أَخُوهُ خَازِمُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ خَازِمِ
 حَتَّى وَصَلَ إِلَى شَمْعَةٍ ^(٣) مَلِكِهِمْ ، فَوَجَّأَ رَجُلًا مِنْهُمْ بِقَبِيْعَةٍ ^(٤)
 سَيْفِهِ ، فَطَعَنَ فَرَسَهُ فَاحْتَمَلَهُ الْفَرَسُ فَأَلْقَاهُ فِي نَهْرِ بَلْخِ فَغَرِقَ وَقُتِلَ
 مِنَ التَّرْكِ خَلْقٌ كَثِيرٌ ، وَنَجَّاهُمْ نَجَا مِنْهُمْ بِشَرِّ ، وَمَاتَ حُرَيْثٌ بِيَوْمِئِذٍ ^(٥)

(١) من الطبري .

(٢) في الطبري : فقصدهم .

(٣) في ك : شمعة . والمثبت في الطبري والكامل أيضا .

(٤) قبعة السيف - كسفية : ماعلى طرف مقبضه من فضة أو حديد .

(٥) في الطبري والكامل : بعد يومين .

ورجع موسى وحمل معه الرعوس ، فبنى منها جَوْسَقَيْنِ ، وقال أصحاب موسى : قد كُفِينَا أمر حُرَيْثٍ فَاكْفِينَا أمر (١) ثابت ، فأبى ، وبلغ ثابتاً بغض ذلك فُدُسٌ (٢) محمد بن عبد الله الخَزَاعِي على موسى ، وقال : إياك أن تتكلم بالعربية ، فإن (٣) سألوك فقل : أنا من سبئ (٤) الباميان ، ففعل ذلك ، وتلطف حتى اتصل بموسى وصار يخدمه (٥) وينقل إلى ثابت خبرهم ، فحذير ثابت . وألح القوم على موسى ، فقال لهم ليلة : قد أكثرتم على ؛ وفيما تريدون هلاككم ، فعلى أى وجه تقتلونهم ولا أغدر به (٦) . فقال له أخوه نوح : إذا أتاك غداً عدلتنا به إلى بغض الدور فضربنا عنقه قبل أن يصل إليك . فقال : والله إنه لهلاككم ، وأنتم أعلم .

فخرج الغلام فأخبر ثابتاً فخرج من ليلىته في عشرين فارساً ومضى ، وأصبحوا فلم يجدوه ولا الغلام ، فعلموا أنه كان عيناً له ، ونزل ثابت بحشورا (٧) ، واجتمع إليه خلق كثير من العرب والعجم ، فأتاه موسى وقاتله فتحصن ثابت بالمدينة ، وأتى طرخون معيناً له ، فرجع موسى إلى ترمذ ، وأقبل ثابت وطرخون ومعهما أهل بخارى ، ونسف وكش (٨) ، فاجتمعوا في ثمانين ألفاً ، فحصبوا

(١) في الطبرى : فأرحنا من ثابت . (٢) في ك : فدمر - تحريف .

(٣) في د : وإن ..

(٤) في ك : بنى . والباميان : بكسر الميم وياء وألف وتون : بلدة وكورة في الجبال

بين بلخ وخرزنة (المراصد) .

(٥) في ك : يخدمه .

(٦) في الكامل : ولا أغدر به .

(٧) في ك : وترك ثابت محشورا . وفي الطبرى : حشورا . وفي الكامل : بحشورا .

(٨) في الطبرى : كس - بالسين المهملة . وقد تقدم تعليقتنا فيها .

موسى حتى جهد هو وأصحابه ، فقال يزيد بن (١) هذيل : والله لأقتلنَّ ثابتًا أو لأموتنَّ ، فخرج إلى ثابت فاستأمنه ، فقال له ظهير : أنا أعرفُ بهذا منك ، ما أتاك (٢) إلا بغدرة ، فاحذره . فأخذ ابنه : قدامة ، والضحاك رهنًا ، فكانا في يدِ ظهير ، وأقام يزيد يلتمس غيرةً ثابت ، فلم يقدر على ما يريد حتى مات ابنُ لزياد القصير الخزاعي ، فخرج ثابت إليه ليعزيه [ومعه ظهيرة ورهط من أصحابه ، وفيهم يزيد بن هذيل] (٣) وهو بغير سلاح ، وقد غابت الشمس ، فدنا يزيد من ثابت فضربه على رأسه [فعض السيف برأسه] (٤) ، فوصل إلى الدماغ وهرب ، فسليم . فأخذ طرخون قدامة والضحاك ابني يزيد فقتلها ، وعاش ثابت سبعة أيام ، ومات .

وقام بأمر العجم بعد موت ثابت طرخون ، وقام ظهير بأمر أصحاب ثابت [فقاما قياما ضعيفا] (٥) ، فانتشر أمرهم ، وأجمع موسى على بيّاتهم ، فأخبر طرخون بذلك فضحك ، وقال : موسى يعجز أن يدخل متوضأه فكيف يبيئتنا ، لا يحرس الليلة أحد .

فخرج موسى في ثمانمائة ، وجعلهم أرباعا ، وبيئتهم فكانوا لا يمرون بشيء إلا صرعوه (٦) من الرجال والدواب وغيرها ، فأرسل طرخون إلى موسى : أن كُف أصحابك ، فإننا نرخلُ إذا أصبحنا ، فرجع موسى وارتحل (٧) طرخون والعجم جميعا .

(١) في الطبرى : هذيل .

(٢) في الطبرى : إن هذا لم يأتك إلا بغدرة .

(٣) زيادة في الطبرى .

(٤) في د : إلا ضربه .

(٥) في ك : ورحل .

فلما عزل يزيد بن المهلب وولى المفضل أراد أن يحظى عند الحجاج
بقتال موسى ، فسير إليه عثمان بن مسعود فى جيش ، وكتب إلى أخيه
مدرك بن المهلب وهو ببليخ يأمره بالمسير معه ، فعبر النهر فى خمسة
عشر ألفاً ، وكتب إلى السبل وإلى طرخون فقدموا عليه ، فحاصروا
موسى وضيقوا عليه ، فمكث شهرين فى ضيق ، وقد خندق عثمان عليه ،
وحذر البيئات ، فقال موسى لأصحابه : اخرجوا بنا ، حتى منى نصير (١) ؟
فاجعلوا يومكم معهم إما ظفرتهم وإما قتلهم ، واقصدوا الترك .

فخرجوا وخلف النضر بن سليمان بن عبد الله بن خازم فى المدينة ،
وقال له : إن قتلت فلا تدفن المدينة إلى عثمان ، وادفعها إلى مدرك
ابن المهلب ، وخرج وجعل ثلث أصحابه بإزاء عثمان ، وقال : لاتقاتلوه (٢)
إلا إن قاتلكم ، وقصد طرخون وأصحابه فصدقوهم القتال ، فانهزم
طرخون ، واستولى موسى على عسكره ، وزحفت (٣) الترك والصغد ،
فحالوا بين موسى والحصن ، فقاتلهم ، فعقروا (٤) فرسه فسقط ،
فقال لمولى له : احملنى . فقال : الموت كبريه ، ولكن ارتدف ، فإن
نجونا نجونا جميعاً ، وإن هلكنا هلكنا جميعاً .

فارتدف ، فلما نظر إليه عثمان حين وتب قال : وثبة موسى ورب
الكعبة ، وقصده وعقرت فرسه ، فسقط هو ومولاه فقتلوه ، ونادى
منادى عثمان : من لقيتموه فخذوه أسيراً ، ولا تقتلوا أحداً ، فقتل ذلك

(١) فى ك : تصبروا .

(٢) فى الطبرى : لاتهاجموه إلا أن يقاتلكم .

(٣) فى ك : ورجعت . وفى الطبرى : وكسرت .

(٤) فى الطبرى : فعقره فرسه .

اليوم من الأسرى خَلَقًا كثيرًا من العرب خاصة ، فكان يقتل العربي ويضرب المولى وَيُطْلِقُهُ ، وكان الذي أجهز على موسى واصل ابن طَيْسَلَةَ (١) العَثْبَرِي ، وسَلِمَ النَضْرُ المَدِينَةَ إلى مُدْرِك فسلمها مُدْرِك إلى عثمان ، وكتب المفضل إلى الحجاج بقتل موسى فلم يَسْرَهُ ذلك ، لأنه من قَيْس .

وكان مقتل موسى في سنة [٨٨٥هـ] خمس وثمانين ، وكان مقام موسى بالحصن أربع عشرة سنة . وقيل خمس عشرة سنة .

ذكر وفاة عبد العزيز بن مروان

وولاية عبد الله بن عبد الملك مصر والبيعة للوليد وسليمان

ابن عبد الملك بولاية العهد

كانت وفاته بمصر في جمادى الأولى سنة [٨٨٥هـ] خمس وثمانين ، وكان عبدُ الملك أراد أن يخلعه من ولاية العهد ، ويبيع لابنه الوليد ، فنهاه قبيصة بن ذؤيب عن ذلك ، وقال : لا تفعل ، ولعل الموت يأتيه ، فكف عنه عبد الملك ونفسه تنازعه إلى خلعه ؛ فدخل عليه رُوْح بن زنباع ، وكان أجل الناس عند عبد الملك ، وقال : يا أمير المؤمنين ، لو خلعت ما انتطح فيها عنزان ؛ وأنا أول من يُجيبك إلى ذلك . قال : نصبح إن شاء الله ونفعل .

ونام رُوْح عنده ، فدخل عليهما قبيصة بن ذؤيب وهما نائمان ، وكان عبدُ الملك قد تقدم إلى حجابهِ ألا يحجبوا قبيصة عنه ، وكان

(١) الضبط من الطبرى ، والقاموس .

إليه الخاتم والسكّة، والأخبار تأتيه قبل عبد الملك ، فلما دخل سلم عليه ، وقال : آجرك الله فى عبد العزيز أخيك ! قال : هل توفى ؟ قال : نعم . فاسترجع ، ثم أقبل على رَوْح ، وقال : كفانا الله (١) ما نريد . وكان هذا مخالفاً لك يا قبيصة . وضّم عبد الملك عمّل عبد العزيز إلى ابنه عبد الله بن عبد الملك ، وأمر بالبيعة لابنتيه : الوليد ، وسليمان ، فبايعهما الناس ، وكتب بذلك إلى الأمصار ، وكان على المدينة هشام بن إسماعيل المخزومى ، فدعا الناس إلى البيعة ، فأجابوا لإسماعيل بن المسيّب ، فإنه أبى ، وقال : لا أبايع وعبد الملك حى ، فضربه هشام ضرباً مبرحاً ، وطاف به وهو فى تَبَانٍ (٢) شعر حتى بلغ رأس الثنية [التى يقتلون ويصلبون عندها] (٣) ، ثم رده وحبسّه .

فبلغ ذلك عبد الملك ، فقال : قَبِحَ اللهُ هشاماً ، إنما كان ينبغى له أن يدعو إلى البيعة ، فإن أبى أن يبايع يضرب عنقه أو يكف عنه . وكتب إليه يَلُومُهُ ويقول : إن سعيداً ليس عنده شقاق ولا خلاف ؛ وقد كان سعيد امتنع أيضاً من بيعة ابن الزبير ، وقال : لا أبايع حتى يجتمع الناس ، فضربه جابر بن الأسود عامل ابن الزبير مستين سَوَطاً .

فكتب ابن الزبير إلى جابر يَلُومُهُ ، وقال : مالنا ولسعيد ! دَعَهُ ، لا تَعْرِضْ لَهُ .

وحجّ بالناس فى هذه السنة هشام بن إسماعيل .

(١) فى الكامل والطبرى : ما كنا نريد .
 (٢) التبان - كرمان : سر اوبل صفر يستر العروة المغاظة .
 (٣) من الكامل .

سنة (٨٦ هـ) ست وثمانين :

ذكر وفاة عبد الملك بن مروان

كانت وفاته بدمشق في منتصف شوال سنة [٨٦هـ] ست وثمانين ، وكان يقول : أخاف الموت في شهر رمضان ، فيه ولدت ، وفيه فطمت ، وفيه جمعت القرآن ، وفيه بايع لي الناس ، فمات في شوال حين أمِن الموت في نفسه ، واختلف في عمره من ثلاث وستين سنة إلى سبع وخمسين .

وصلى عليه ابنه وليُّ عهده الوليد .

وكانت مدة خلافته إحدى وعشرين سنة وخمسة عشر يوماً ، خلص له الأمرُ منها بعد مقتل عبد الله بن الزبير ثلاث عشرة سنة وأربعة أشهر إلا سبع ليال ، ودُفِنَ بدمشق خارج باب الجابية .

قيل : ولما اشتدَّ مَرَضُهُ نهاه بَعْضُ الأطباء أن يشرب الماء ، وقال : إن شَرِبَ الماء مات ، فاشتدَّ عطشُهُ ، فقال : يا وليد ، اسقني ماء . قال : لا أعين عليك . فقال لابنته فاطمة : اسقيني ، فمنعها الوليد . فقال : لتدعني أو لأخلعنك . فقال : لم يَبْقَ بعد هذا شيء ، فسقته فمات .

ودخل عليه الوليد وابنته فاطمة عند رأسه تبكي ، فقال : كيف أمير المؤمنين ؟ قال : هو أصلح مما كان . فلما خرج قال عبد الملك (١) :
ومستخبر عنا يريد بنا (٢) الردى ومُستخبراتِ والدموعُ سواجم

(٢) في الكامل : يريد لنا .

(١) والكامل : ٤ - ١٠٣

ذكر وصيته بنيه عند موته .

قال (١) : وأوصى بنى بنيه عند موته ، فقال : أوصيكم بتقوى الله ، فإنه أزين حلية وأحصن كهف ، ليُعطف الكبيرُ منكم على الصغير ، وليعرف الصغير حقَّ الكبير . وانظروا مسلمة فاضدروا عن رأيه ، فإنه نأبكم الذى تفرون (٢) . ومجنكم الذى عنه ترمون ، وأكرموا الحجاج فإنه الذى وطألكم المنابر (٣) ودوخ لكم البلاد ، وأذل لكم الأعداء ، وكونوا بنى أم بررة . لا تدب بينكم العقارب ، وكونوا فى الحرب أحراراً ، فإن القتال لا يقرب ميتة ، وكونوا للمعروف مناراً ؛ فإن المعروف يبقى أجره وذخره وذكره ، وضعموا معروفكم عند ذوى الأحساب ، فإنهم أضون له وأشكر لما يؤتى إليهم منه ، وتغمّدوا (٤) ذنوب أهل الذنوب ، فإن استقالوا فأقبلوا ، وإن عادوا فانتقموا .

ذكر أولاده وأزواجه

كان له : الوليد ، وسليمان ، ومروان الأكبر - درج ، وعائشة ؛ أم هؤلاء ولادة بنت العباس بن جزء بن الحارث بن زهير بن جذيمة (٥) .
ويزيد ومروان (٦) ومعاوية [درج ، وأم كلثوم ، أمهم عائكة ابنة

(١) الكامل : ٤ - ١٠٣ ، ومروج الذهب : ٢ - ١٥٤

(٢) فى الطبرى : تفرون عنه . وفى الكامل : تفرون . وقر الدابة : كشف عن أسنانها لينظر ماسنها .

(٣) فى مروج الذهب : وطأ لكم هذا الأمر .

(٤) فى الكامل : وتغمّدوا . وتغمّد الشيء : ستره .

(٥) فى ك : خزيمة . والمثبت فى الطبرى والكامل .

(٦) لعله الأصغر كما فى العقد القرئى : ٤ - ٤٢٠

يزيد بن معاوية [(١)] ، وهشام أمه (٢) أم هشام بنت هشام ابن إسماعيل بن هشام بن الوليد (٣) بن المغيرة المخزومية ، واسمها عائشة ، وأبو بكر ، وهو بكار ، أمه عائشة بنت موسى بن طلحة ابن عبيد الله ، والحكم - درج ، أمه أم أيوب بنت عمرو بن عثمان بن عفان ، وفاطمة ، أمها أم المغيرة بنت المغيرة بن خالد بن العاص بن هشام ابن المغيرة ، وعبد الله (٤) ومسلمة والمنذر وعنيسة ومحمد وسعيد الخير [وقبيصة (٥)] لأمهات أولاد ، وكان له من النساء [سوى من ذكرناه] (٥) شقراء بنت حلبس الطائي ، وأم أبيها ابنة عبد الله بن جعفر بن أبي طالب .

ذكر شيء من أخباره وعماله

قالوا : كان عبدُ الملك بن مروان عاقلاً حازماً أديباً لبيباً عالماً . قال أبو الزناد : كان فقهاء المدينة أربعة : سعيد بن المسيب ، وعروة ابن الزبير ، وقبيصة بن ذؤيب ، وعبد الملك بن مروان . وقال الشعبي رحمه الله : ما ذاكرتُ أحداً إلا وجدتُ لي الفضل عليه ، إلا عبد الملك ، فإنني ما ذاكرته حديثاً إلا زادني فيه ، ولا شعراً إلا زادني فيه ، قالوا : وكان محباً للفخر والبذخ ، وكثرت الشعراء على أيامه ، وكان من فحول شعرائه جرير والفرزدق والأخطل وكثير .

وكان عبدُ الملك مُقديماً على سفك الدماء ، وكذلك كانتِ عماله : فكان الحجاج بالعراق ، والمهلب بن أبي صفرة بخراسان ، وهشام

(١) ساقط في ك (٢) في الطبري والكامل : وأمه .

(٣) في د : والمغيرة .

(٤) في الكامل : عبد الملك . والمثبت في الطبري أيضا .

(٥) ساقط في الطبري و الكامل .

ابن إسماعيل المخزومى بالمدينة ، وعبدُ الله ولده بمصر ، وموسى
ابن نُصير اللّخمى بالمغرب ، ومحمد بن يوسف أخو الحجاج باليمن ،
ومحمد بن مروان بالجزيرة ؛ وما منهم إلا من هو ظالم عُشوم جائر .
وكان نقش خاتمة : آمنت بالله مخلصاً .

وكتابه : رُوح بن زنباع ، ثم قبيصة بن ذؤيب ، وغيرهما .

قاضيهِ : أبو بشر الخولانى ، وعبد الله بن قيس .

حاجبه : يوسف مولاة .

الأمراء بمصر وقضاتها

أقرَّ عبدُ الملك أخاه عبد العزيز على إمارة مصر إلى أن مات ،
فولى ابنه عبد الله . وكان القاضى بمصر عابس إلى أن مات ، فولى
عبدُ العزيز بشير بن النضر بن بشير المزنى ، ثم مات فولأها عبد
الرحمن بن حجر الخولانى . ثم صرفه وولى يونس الحضرمى ،
ثم صرفه وولى عبدَ الرحمن بن معاوية بن خديج القضاء والشرطة ،
فلما ولى عبد الله بن عبد الملك أقرَّ عبد الرحمن على القضاء ثم صرفه
وولى عمران بن عبد الرحمن بن شرحبيل ابن حسنة ثم عزله ،
وولى عبد الواحد بن عبد الرحمن بن خديج .

قال : وعبد الملك أول من غدر فى الإسلام : حين قتل عمرو بن سعيد

الأشديق .

وهو أول من نقل الدواوين من الفارسية والرومية إلى العربية .

وأول من نهى عن الكلام بحضرة الخلفاء ، وكان الناس من قبله

يراجعونهم .

وهو أول من نهى عن الأمر بالمعروف ، فإنه قال فى خطبته بعد

قتل ابن الزبير : ولا يأمرني أحدٌ بتَقْوَى اللَّهِ تعالى بعد مقامى هذا
إِلَّا ضَرَبْتَ عُنُقَهُ .

ذِكْرُ بَيْعَةِ الْوَلِيدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ

هو أبو العباس الوليد بن عبد الملك بن مروان بن الحكم ، وأمه ولادة بنت العباس بن جزء ، وقد تقدم ذِكْرُ نسبها ، وهو السادس من ملوك بني أمية . بويع له بالخلافة بعد وفاة أبيه ، وذلك في يوم الخميس النصف من شوال سنة ست وثمانين . قال : ولما دُفِنَ أبوه عبد الملك انصرف عن قَبْرِهِ فدخل المسجد ورقى المنبر فخطب الناس ، وقال : إنا لله ، وإنا إليه راجعون ، والله المستعان على مُصِيبَتِنَا يَلْمُوتِ أمير المؤمنين ، والحمد لله على ما أَنْعَمَ علينا من الخلافة . قَوْمُوا فبَايَعُوا ، فكان أول مَنْ عَزَى نفسه وهنأها ، وكان أول من قام لبيعته عبد الله بن همام السلولى وهو يقول (١) :

اللَّهُ أَعْطَاكَ الَّتِي لَا فَوْقَهَا وَقَدْ أَرَادَ الْمُلْحِدُونَ عَوْقَهَا
عَنْكَ ، وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا سَوْقَهَا إِلَيْكَ حَتَّى قَلَدُوكَ طَوْقَهَا
وبايعه ، وقام (٢) الناس للبيعة (٣) .

وقد قيل : إِنَّ الْوَلِيدَ لَمَّا صَعِدَ الْمَنْبِرَ حَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ :
أَيُّهَا النَّاسُ ، لَا مُقَدِّمَ لِمَا أَحْرَأَ اللَّهُ ، وَلَا مُؤَخَّرَ لِمَا قَدَّمَ ، وَ [قَدْ] (٤)
كان من قضاء الله وسابقِ عِلْمِهِ ، وما كتب على أنبيائه وحملة عرشه

(١) والطبرى : ٦ - ٤٢٣ ، والكامل : ٤ - ١٠٥ .

(٢) فى الطبرى : ثم تتابع الناس على البيعة .

(٣) فى ك ، والكامل : لبيعته . .

(٤) ساقط فى ك .

الموت ، وقد صار إلى منازل الأبرار ولئى هذه الأمة بالذى يحق لله عليه فى الشدة على المذنب (١) واللين لأهل الحق والفضل ، وإقامة ما أقام الله من منار الإسلام وأعلامه (٢) ؛ من حج البيت ، وغزو الثغور ، وشن الغارة على أعداء الله ، فلم يكن عاجزاً ولا مفترطاً .

أيها الناس ، عليكم بالطاعة ولزوم الجماعة ، فإن الشيطان مع الفرد . أيها الناس ، من أبدى لنا ذات نفسه ضربنا الذى فيه عيناه ، ومن سكت مات بدائه ، ثم نزل .

ولنبداً من أخبار الوليد بالغزوات والفتوحات ، ثم نذكر الحوادث على حكم السنين :

ذكر الغزوات والفتوحات

التي اتفقت فى خلافة الوليد بن عبد الملك

ولنبداً من ذلك بأخبار قتيبة بن مسلم وما فتحه من البلاد :

ذكر ولاية قتيبة بن مسلم خراسان

وغزواته وفتوحاته

فتح قتيبة بن مسلم فى مدّة ولايته خراسان من بلاد ما وراء النهر : الصغانيان (٣) ، وآخرون ، وكاسان (٤) ، وأورشنت ، وهى من قرغانة

(١) فى الطبرى والكامل : المريب . وفى العقد الفريد : الذى كان عليه من الشدة على المريب ، والذين على أهل الفضل والدين .

(٢) فى ك : وإعلامه .

(٣) بالفتح وبعد الألف نون ثم ياء مثناة ، وآخره نون ، والمعجم يقولون : جفانيان : ولاية عظيمة بما وراء النهر (المرصد) .

(٤) كاسان — بالسین المهملة : مدينة كبيرة فى أول بلاد تركستان وراء نهر

سيحون وراء الشاش (ياقوت) .

وأخسيكت^(١)، وهي مدينة فرغانة القديمة، ويبيكند^(٢)، ويخارى،
والطالقان^(٣) والقارياب^(٤) والجوزجان، وشومان^(٥) وكش^(٦)،
ونسف، ورام جرد، وسمرقند، والشاش^(٧) وفرغانة، ومدينة كاشغر.
وكان أول ما بدأ به قتيبة أنه لما قدم خراسان أميراً للحجاج، وذلك
في سنة [٥٨٦هـ] ست وثمانين قدمها والمفضل بن المهلب يحرض الجند
للغزاة، فخطب قتيبة الناس، وحشهم على الجهاد، ثم عرضهم، وسار بهم.
فلما كان بالطالقان تلقاه دهاقين بلخ وساروا معه، وقطع النهر
فتلقاه ملك الصغانيين بهدايا ومفتاح^(٨) من ذهب، ودعاه
إلى بلاده، فمضى معه فسلمها إليه، لأن ملك أخرون وشومان
كان يسىء جواره، ثم سار قتيبة منها إلى أخرون وشومان وهما من

(١) بالفتح ثم السكون وكسر السين المهلبة وباء ساكنة وكاف وئاء مثلثة.

وبعضهم يقول: بالياء المثناة وهو أولى من المثلة: مدينة بما وراء النهر، قسبة فرغانة
(المراصد).

(٢) بيكند - بالكسر. وفتح الكاف وسكون النون: بلد بين بخارى وجيحون
(المراصد).

(٣) الطالقان - بلام مفتوحة: بلدتان إحداهما بخراسان، والأخرى كورة
وبلدة بين قزوین وأبهر (المراصد).

(٤) القارياب - بكسر الراء ثم باء مثناة من تحت وآخره باء: مدينة مشهورة
بخراسان قرب بلخ (ياقوت).

(٥) شومان - بالضم والسكون وآخره نون: بلدة بالصغانيين، بما وراء جيحون
(المراصد).

(٦) كش - بكسر أوله وتشديد ثانيه، قال ابن ماكولا: يقوله العراقيون
وغيرهم - كس - بفتح الكاف، وربما صحفه بعضهم وقاله بالشين المعجمة، وهو
خطأ، وهي مدينة كبيرة تقارب سمرقند (المراصد).

(٧) شاش: آخره شين معجمة: قرية بالمرى وبلدة بما وراء النهر، ثم وراء
سيحون (المراصد).
(٨) في الكامل: ومفاتيح.

طخَارِسْتَانَ ، فصالحه ملكها على فِدْيَةٍ أَدَاها إِلَيْه ، فقبِلها قُتَيْبَةَ . ثم انصرف إلى مَرُو ، واستخلف على الجُنْدِ أخاه صالح بن مسلم ففتح صالح بعد رجوع قُتَيْبَةَ كاشان وأورَشْت ، وهى من فرغانة ، وفتح أُخْسِيَكْت وهى مدينة فرغانة القديمة .

وقيل : إن قُتَيْبَةَ قَدِمَ خُرَاسَانَ فى سنة [٥٨٥هـ] خمس وثمانين . فعرض الجُنْدُ فغزَاَ آخرون وشُومان ، ثم رجع إلى مَرُو .
وقيل : لأنه لم يغزُأ فى هذه السنة ، ولم يقطع النهر بسبب بلخ : فإنَّ بعضها كان منتقِضاً عليه ، فحارمهم وسبى منهم ، ثم صالحوه فأمر بردَ السَّبْيِ .

ذکر قُتَيْبَةَ وَنَيْزَكَ

قال : لَمَّا صالح قُتَيْبَةَ ملك شُومان كتب إلى ^(١) نَيْزَكَ طرخان صاحب بادغيس فى إطلاق مَنْ عنده مِن أسرى المسلمين ، وكتب إليه يتهدُّدُه ، فخافه نَيْزَكَ ، فأطلقهم ، وبعث بهم إليه ، ثم كتب إليه قُتَيْبَةَ مع سليم الناصح مولى عبيد الله بن أبى بكرَةَ يدعوهُ إلى الصلح وإلى أن يؤمنه ، فصالحه ^(٢) نَيْزَكَ لأهل بادغيس على ألا يدخلها قُتَيْبَةَ .

ذکر غزوة بِيكَنْد وفتحها

وغزا قُتَيْبَةَ بِيكَنْد فى سنة [٥٨٧هـ] سبع وثمانين ، وهى أدنى مدائن بُخَارَى إلى النَّهْرِ ، فلما نزل بهم استنصروا الصُّغْدَ واستمدُّوا من حولهم . فأتوهم فى جَمْعٍ كثير ، وأخذوا الطرقَ على قُتَيْبَةَ فقاتلهم ^(٣)

(١) بفتح النون فى د، وكسرها فى الطبرى .

(٢) فى الطبرى والكامل : فصالحه أهل بادغيس .

(٣) فى الطبرى : فلم ينفذ لقُتَيْبَةَ رسول ، ولم يصل إليه رسول ، ولم يمر له خبر شهرين .

شهرين في كل يوم ، ثم انهزم الكفار إلى المدينة ، فتبعهم المسلمون يقتلون ويأسرون ، وتحصن من دخل المدينة منهم بها ، فأمر قتيبة بهدم سورها ، فسأله الصلح ، فصالحهم ، واستعمل عليهم عاملاً^(١) وارتحل عنهم . فلما سار خمس فراسخ نقضوا [الصلح]^(٢) وقتلوا العامل ومن معه . فرجع قتيبة فنقب السور فسقط ، فسأله الصلح فأبى ، ودخلها عنوة ، وقتل من كان بها من المقاتلة ، وكان فيمن أخذ من المدينة رجل أعور ، وهو الذي استجاش الترك على المسلمين : فقال لقتيبة : أنا أفدي نفسي بخمسة آلاف حريرة قيمتها ألف ألف ، فاستشار قتيبة الناس ، فقالوا : هذا^(٣) زيادة في الغنائم ؛ وما عسى أن يبلغ من كيد هذا؟ قال : والله لا يروغ بك مسلم^(٤) أبداً ، وأمر به فقتل ، وأصابوا فيها من الغنائم والسلاح وآنية الذهب والفضة . لا يأحصى ، ولا أصابوا بخراسان مثله .

ولما فرغ قتيبة من فتح بيكند رجع إلى مرو .

ذكر غزو نومشكت وراميشنة وصلح أهلها

وقتل الترك والصغد وأهل فرغانة

وفي سنة [٨٨٨هـ] ثمان وثمانين غزا قتيبة نومشكت^(٥) ، فتلقاه أهلها ، فصالحهم ، ثم سار إلى راميشنة^(٦) ، فصالحه أهلها ، وانصرف

(١) في الطبري : رجلا من بني قتيبة . (٢) زيادة في الكامل .

(٣) في الكامل : هذه . (٤) في الطبري : لا تروغ بك مسلحة .

(٥) الضبط في الطبري : د .

(٦) في الطبري : راميشنة . وفي المراصد وياقوت : راميشن : قرية ببخارى .

عنهم وزحف إليه التركُ ومعهم الصغد وأهل فرغانة في مائتي ألف .
 وملكهم كوريفانو (١) ابن أخت ملك الصين ، فاعترضوا المسلمين ؛
 فلحقوا عبد الرحمن بن مسلم أخا قتيبة وهو على الساقفة وبينه وبين
 قتيبة وأوائل العسكر ميل ، فقاتلهم عبدُ الرحمن ومن معه ، وأرسل
 إلى أخيه ، فرجع بالمسلمين ، وقد أشرف الترك على الظهور على
 عبدِ الرحمن ومن معه ، فلما رأى المسلمون قتيبة طابت نفوسهم ،
 وقويت ، وقاتلوا إلى الظهر ، فانهزم الترك ومن معهم وكان نيزك
 يومئذ مع قتيبة ، فأبلى بلاءً حسناً ، ورجع قتيبة بعد الهزيمة إلى مرو .

ذكر غزو بخارى وفتحها

كانت غزوة بخارى في سنة [٥٨٩هـ] تسع وثمانين ، والفتح
 في سنة [٥٩٠هـ] تسعين ؛ وذلك أن الحجاج بن يوسف كتب
 إلى قتيبة يأمره بقصدِ وردان خذاه (٢) ، فعبر النهر من زم (٣) ، فلقى
 الصغد وأهل كس ونسف في طريق المفازة ، فقاتلوه ، فظفر بهم .
 ومضى إلى بخارى ، فنزل خرقانة السفلى عن يمين وردان ، فلقوه في جمع
 كثير ، فقاتلهم يومين وليلتين ، فظفر بهم ، وغزا وردان (٢)
 خذاه ملك بخارى فلم يظفر منه بشيء ، فرجع إلى مرو . وكتب
 إلى الحجاج يخبره ؛ فكتب إليه الحجاج أن صورها . فبعث إليه

(١) في ك : كوريبابون . وفي الكامل : كور نابون . وفي الضري : كورمغابون

والثبت في د .

(٢) الضبط في د . والضري .

(٣) زم : موضع ببلاد بني ربيعة . وقيل ببلاد قيس بن ثعلبة .

بصورتها ، فكتب إليه أن تُب إلى الله جَلُّ ثناؤه مما كان منك وأنها
من مكان كذا وكذا .

[قيل^(١)] : وكتب إليه أن كَس بكِس ، وانسِف نَسفاً ، وردَ ورَدان ،
وإياك والتحويط ، ودغى من بُنيات^(٢) الطريق .

فخرج قتيبة إلى بُخارى في سنة [٥٩٠هـ] تسعين ، فاستجاش
ورَدان خُذاه الصغد والترك ومن حوله ، فأتوه^(٣) وقد سبق إليها قتيبة
وحصرها^(٤) . فلما جاءتهم أمداهم خرجوا إلى المسلمين يقاتلونهم ،
فقال الأزْد : اجعلونا ناجيةً ، واخلوا بيننا وبين قتالهم ، فقال
قتيبة : تقدموا ، فتقدموا ، وقاتلوا قتالاً شديداً ، ثم انهزم الأزْد ،
حتى دخلوا العسكر ، وركبهم المشركون حتى حطموهم ، وقاتلت
مُجَنَّبتا المسلمين الترك حتى ردوهم إلى مواقعهم ، فوقفت الترك على
نَشزٍ ، فقال قتيبة : مَنْ يُزيلهم عن هذا الموقف ! فلم يقم^(٥) لهم
أحدٌ من العرب ، فأبى بنى تميم ، فقال لهم : يوم^(٥) كأيامكم .
فأخذ وكيع اللواء ، وقال : يا بنى تميم ، أتسلموننى اليوم ؟
قالوا : لا ، يا أبا المطرف^(٦) ، وكان هُزيم^(٧) بن أبي طحمة^(٨)
على خيلى تميم ، وو كيع رأسهم . فقال : يا هُزيم^(٧) قدّم خيالك ، ورفع إليه

(١) من انطبرى . (٢) فى ك : ثنيات الطرىق .

(٣) فى الطبرى : فأتوهم ... محصرهم .

(٤) فى الطبرى : عليهم . (٥) فى الكامل : يوما .

(٦) فى الكامل والطبرى : مطرف .

(٧) بالزى فى ك . د : وفى الضبرى : هريم - بالراء - والمثبت فى تاج

العروس .

(٨) فى د ، ك : طاحه . والمثبت فى الطبرى والكامل . وتاج العروس - طحم .

الراية ، وتقدم هُزَيْمٌ ، وتقدم وكيع في الرجالة (١) ، وكان بينهما وبين الترك نهر ، فأمر وكيع هُزَيْمًا بقطعها إليهم ، فعبره في الخيل ، وانتهى وكيع إلى النهر ، فعمل عليه جسراً من خشب ، وقت لأصحابه : مَنْ وَطَّنَ نَفْسَهُ عَلَى الْمَوْتِ فَلْيَعْبِرْ وَإِلَّا فليثبت مكانه . فلم يعبر معه إلا ثمانمائة رجل (٢) . فلما عبر بهم قال لهُزَيْمٌ : إني مُطَاعَنُهُمْ فاشغلهم عَنَّا بِالْخَيْلِ ، وحمل عليهم حتى خالطهم ، وحمل هُزَيْمٌ في الخيل فطاعنهم (٣) ، وقاتلهم المسلمون حتى حذروهم عن التل : ثم عبر الناس إليهم بعد انهزام الترك ، ونادى قُتَيْبَةُ : مَنْ أَتَى بِرَأْسِ فِله مائة ، فَأَتَى بِرُءُوسٍ كَثِيرَةٍ ، وَجُرِحَ خَاقَانَ وَابْنَهُ ، وَفَتَحَ اللَّهُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ .

قال : ولما أوقع قُتَيْبَةُ بِأَهْلِ بَخَارَى هَابَهُ الصُّغْدُ ، فَرَجَعَ طَرْخُونُ مُلْكُهُمْ وَمَعَهُ فَارِسَانَ ، فَدَنَا مِنْ عَسْكَرِ قُتَيْبَةَ ، فَطَلَبَ رَجُلًا يَكَلِّمُهُ : فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ قُتَيْبَةُ حَيَّانَ (٤) النَّبِطِيَّ ، فَطَلَبَ الصَّلْحَ عَلَى فِدْيَةٍ يُؤَدِّيهِا إِلَيْهِمْ . فَأَجَابَهُ قُتَيْبَةُ إِلَى مَا طَلَبَ ، وَصَالَحَهُ ، وَرَجَعَ طَرْخُونُ إِلَى بِلَادِهِ . وَرَجَعَ قُتَيْبَةُ وَمَعَهُ نَيْزِكٌ .

(١) في الطبرى : الرجال .

(٢) في الطبرى : راجل .

(٣) في د : والكامل : فطاعنوهم .

(٤) في الكامل : حيان - بالخاء المهملة والياء المشددة تحتهما نقطتان : وآخره

ذكر غدر نيزك وفتح الطالقان

وما كان من خبير نيزك إلى أن قُتل

قال : ولما رجع قُتَيْبَةَ عن بُخارى ومعه نَيْزَك وقد خاف (١) لما رأى من الفتوح ، فقال لأصحابه : أنا مع هذا ولست آمنه ، فلو استأذنته ورجعت كان الرأى . قالوا : افعلى . فاستأذن قُتَيْبَةَ ، فَأَذِنَ له وهو بِآمِل ، فرجع يريد طَخَارِسْتَانَ ، وأسرع السَّيْرَ حتى أتى النُّوبَهَارَ (٢) ، وقال لأصحابه : لا شكَّ أن قُتَيْبَةَ قد ندم على إذنه لى ، وسيبعثُ إلى المغيرة بن عبد الله يأمره بحبسى ، فكان كما قال : ندم قُتَيْبَةَ ، وبعث إلى المغيرة يأمره بحبس نَيْزَك ، فتبعه المغيرة ، فوجده قد دخل شِعب خُلم (٣) ، فرجع المغيرة ، وأظهر نَيْزَك الخلع ، وكتب إلى أَصْبَهَنَد بَلخ وإلى بَادَانَ (٤) ملك مَرُو الرُّوذ وإلى ملك الطالقان وإلى ملك الفارياب (٥) وإلى ملك الجوزجان يدعوهم إلى خلع قُتَيْبَةَ ، فأجابوه ، وواعدهم الربيع أن يجتمعوا ويغزوا قُتَيْبَةَ .

وكتب إلى كابل شاه يستظهر به ، وبعث إليه بثقله وماله ، وسأله أن يأذن له إن اضطرَّ أن يأتيه ، فأجابه إلى ذلك ، وكان خبغويه (٦) ملك طخارستان ضعيفاً ، فأخذه نيزك ، فقيده بقييد من ذهب لثلا يخالف عليه ، وكان خبغويه (٦) هو الملك ونيزك عنده ، فاستوثق منه ،

(١) فى د، والكامل: وقد حاف لما يرى . وفى الطبرى: وقد ذعره ما قد رأى .
 (٢) بالضم ثم السكون ، وباء موحدة مفتوحة ، وهاء وألف وراء : فى موضعين أحدهما قرب الرى . ونوبهار أيضا ببلخ (المراد) .
 (٣) خلم : بلدة بنواحى بلخ (المراد) . (٤) فى الطبرى : باذام .
 (٥) فى ك : القاريات . وقد تقدم ضبطها .
 (٦) كتب فى دسرة خبغويه : ورة : خبغونه . وفى ك : جنغويه ، وفى الطبرى جينغويه .

وأخرج عامل قتيبة من بلاد جبعويه ، وبلغ قُتَيْبَةَ خلعه ، وقد تفرَّقَ الجندُ ، فبعث أخاه عبد الرحمن في اثني عشر ألفاً إلى البروقان (١) ، وقال : أقم بها ولا تُحدِث شيئاً ، فإذا انقضى الشتاء [فعسكرْ ، و] (٢) سر نحو طَخَارِستان ، فسار ، فلما كان آخر الشتاء كتب قُتَيْبَةَ إلى نَيْسابو ، وغيرها من البلاد لتقدم عليه الجنود ، فقدموا . فسار نحو الطالقان . وكان ملكها قد خلع وطابق نيزك على الخلع ، فأتاه قُتَيْبَةَ ، فأوقع بأهل الطالقان ، فقتل من أهلها مقتلة عظيمة ، وصلب منهم سِاطِينَ أربعة فراسخ في نظام واحد ، واستعمل أخاه عمرو (٣) بن مُسلم .

وقيل : إن ملك الطالقان لم يحارب قُتَيْبَةَ ، فكف عنه ، وكان بها لصوص ، فقتلهم قُتَيْبَةَ وصلبهم ، ثم سار قُتَيْبَةَ إلى الفارياب في سنة [١٨٩١] إحدى وتسعين ، فخرج إليه ملكها مُقِرّاً مُدْعِئاً ، فقبل منه ولم يقتل بها أحداً ، واستعمل عليها رجلاً من باهلة (٤) ، وبلغ ملك الجوزجان خبرهم ، فهرب إلى الجبال ، وسار قُتَيْبَةَ إلى الجوزجان ، فلقية أهلها (٥) سامعين مُطيعين ، فقبل منهم ولم يقتل بها أحداً ، واستعمل عليها عامر بن مالك الحماني ، ثم أتى بلخ فلقية أهلها ، فلم يُقم إلا يوماً واحداً ، وسار يتبع أخاه عبد الرحمن إلى شُعب

(١) قرية من نواحي بلخ (المراصد) .

(٢) زيادة في الطبرى .

(٣) في الكامل : عمر . والمنبث في الطبرى أيضا .

(٤) في الكامل : من أهله .

(٥) في الكامل : أهله .

خُلم ، ومضى نَيْرُكُ إلى بَغْلان^(١) ، وخَلَّفَ مقاتلته على فَمِ الشُّعْبِ
ومَضَائِقِهِ يَمْنَعُونَهُ ، ووضَّعَ مقاتلته في قَلْعَةٍ حَصِينَةٍ مِنْ وِراءِ الشُّعْبِ ،
فَأَقَامَ قُتَيْبَةَ أَيَّامًا لَا يَقْدِرُ على دُخُولِهِ ، وَلَا يَعْرِفُ طَرِيقًا يَسْلُكُهُ إلى
نَيْرُكُ إِلَّا الشُّعْبَ أو مَفَازَةَ لَا تَقْدِرُ العِساكِرُ على قَطْعِهَا ، فَاتَّاهُ إنْسَانٌ
فاسْتَأْمَنَهُ على أَنْ يَدُلَّهُ على مَدْخَلِ القَلْعَةِ الَّتِي مِنْ وِراءِ الشُّعْبِ ،
فَأَمَّنَهُ قُتَيْبَةَ ، وَبَعَثَ مَعَهُ رِجَالًا ، فَانْتَهَى بِهِمْ إلى القَلْعَةِ ، فَطَرَقُوهُمْ
وَهُمْ آمِنُونَ ، فَقَتَلُوا مِنْهُمْ ، وَهَرَبَ مِنْ بَقِيٍّ وَمَنْ كَانَ في الشُّعْبِ ،
فَدَخَلَ قُتَيْبَةَ الشُّعْبِ ، فَأَتَى القَلْعَةَ وَمَضَى إلى سَمِينْجان^(٢) ، فَأَقَامَ
بِهَا أَيَّامًا ثُمَّ سَارَ إلى نَيْرُكُ ، وَقَدَّمَ أَخَاهُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ فَارْتَحَلَ نَيْرُكُ
مِنْ مَنزِلِهِ فَقَطَعَ وادِي فَرُغَانَةَ ، وَوَجَّهَ ثِقْلَهُ وَأَمْوَالَهُ إلى كَابِلِ شَاهٍ ،
وَمَضَى حَتَّى نَزَلَ الكُرُزَ^(٣) ، وَعَبَدُ الرَّحْمَنِ يَتَّبِعُهُ ، وَنَزَلَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ
وَأَخَذَ بِمَضَائِقِ الكُرُزِ ، وَنَزَلَ قُتَيْبَةَ على فَرَسَخِينَ مِنْ أَخِيهِ ، وَتَحَصَّنَ
نَيْرُكُ بِالکُرُزِ ، وَلَيْسَ لَهُ^(٤) إِلَّا مَسَلِكٌ مِنْ وَجْهِ وَاحِدٍ ، وَهُوَ صَعْبٌ
لَا تُطْبِقُهُ الدَّوَابُّ ، فَحَصَرَهُ قُتَيْبَةَ شَهْرَيْنِ حَتَّى أَقْلَ مَا في يَدِهِ نَيْرُكُ
مِنَ الطَّعَامِ ، وَأَصَابَهُمُ الجُدْرَى . وَخَافَ قُتَيْبَةَ الشِّتَاءَ ، فَدَعَا سُلَيْمًا
النَّاصِحَ ، فَقَالَ : انْطَلِقْ إلى نَيْرُكُ ، وَاحْتَلِ لِتَأْتِيَنِي بِهِ بِغَيْرِ أَمَانٍ ،
فَإِنْ أَعْيَاكَ^(٥) وَأَبَى فَأَمَّنَهُ .

(١) بغلان - آخره نون : بلدة بنواحي بلخ . (المراصد) .

(٢) بكسرتين وتون ساكنة ثم جيم وآخره نون : بلدة من طخارستان وراء

بلخ . (المراصد) .

(٣) الذي في ياقوت : كرزبان : بلدة في الجبل قرب الطالمان . والمثبت في كل الأصول .

(٤) في د : والطبري : وليس إليه مسلك إلا من وجه واحد .

(٥) في الكامل : احتال .

فخرج إليه ، وأخذ معه أطعمةً وأخبِصةً كثيرةً ، وأتى نَيْزَكَ ، فقال له : إنك أسأتَ إلى نفسك^(١) وغدرت. قال نَيْزَكَ : فما رأى؟ قال : أرى أن تَأْتِيَه ، فإنه ليس ببارح ، وقد عزم على أن يشتو مكانه ، هلك أو سلم . قال نَيْزَكَ : فكيف آتية على غيرِ أمانٍ . قال : ما أظنه يُؤمِّنك لما فى نَفْسِه عليك ، لأنك قد ملأته غَيْظًا ، ولكنى أرى ألا يعلم حتى تضع يدك فى يده ، فإنى أرجو أن يستحى ويفتو . قال : إن نفسى تَأبى هذا . فقال سليم : ما أتيتك إلا لأشير عليك بهذا ، ولو فعلت لرجوتُ أن تَسَلَمَ ويعودَ حالكَ عنده ، فإذا أبيت فإنى منصرف . وقدم الطعام الذى معه ، ولا عهد لهم بمثله ، فانتبهه أصحابُ نَيْزَكَ ، فساء ذلك ، فقال له سليم : أنا لك من الناصحين ، أرى أصحابك قد جُهدوا ، وإن طال بهم الحصار لم آمنهم أن يستأمنوا بك . فأت قتيبة . فقال : لا آمنه على نفسى ، ولا آتية إلا بأمان . وإن ظننى أنه يقتلنى ، وإن أمنى ؛ ولكن الأمان أعذر لى . فقال سليم : قد أمنك ؛ أفتتهجنى ؟ قال : لا . وقال له أصحابه : أقبل قول سليم . فخرج معه ومعه خبْعويه^(٢) وُصول طرخان خليفة جَبْعويه ، وخبس^(٣) طرخان صاحب شرطته وُشقران^(٤) ابن أخى نَيْزَكَ ، فلما خرجوا من الشَّعب حالت خَيْلُ قُتَيْبَة بين أصحاب نَيْزَكَ وبين الخروج ، فقال نَيْزَكَ : هذا أولُ القدر . فقال سليم : تخلف هؤلاء عنك خيرٌ لك . وأقبل سليم ونيزك ومن معه حتى دخلوا على قُتَيْبَة ، فحبسهم .

(١) فى الكامل : إلى قتيبة .

(٢) انظر الهامش السابق رقم ٦ صفحة ٢٨٩

(٣) فى الكامل : وحبس . والمثبت فى الطبرى أيضا .

(٤) الضبط فى الطبرى .

وكتب إلى الحجاج يستأذنه في قتل نيزك ، واستخرج قتيبة مافى الكرز من متاع ، وأتاه كتاب الحجاج بعد أربعين يأمره بقتل نيزك ، فدعا قتيبة الناس ، واستشارهم ، فاختلفوا ، فقال ضرار ابن حصين : إني سمعتك تقول : أعطيت الله عهداً إن أمكنك منه أن تقتله ، فإن لم تفعل فلا ينصرك الله عليه أبداً . فدعا نيزك ، فضرب رقبتة بيده ، وأمر بقتل صول وابن أخى نيزك ، وقتل من أصحابه سبعمائة . وقيل اثني عشر ألفاً ، وصلب نيزك وابن أخيه ، وبعث برأسه إلى الحجاج ، وأخذ الزبير مولى عباس الباهلي خفاً لنيزك فيه جوهر ، فكان أكثر من في بلاده مالاً وعقاراً من ذلك الجوهر ، وأطلق قتيبة جبعويه (١) ومن عليه ، وبعث به إلى الوليد ، فلم يزل بالشام حتى مات .

ولما قتل نيزك رجع قتيبة إلى مرو ، وأرسل ملك الجوزجان يطلب الأمان ، فأمنه على أن يأتيه ، فطلب رهناً [يكونون في يده] (٢) ويعطى رهائن ، فأعطاه قتيبة حبيب بن عبد الله بن حبيب الباهلي ، وأعطى ملك الجوزجان رهائن من أهل بيته ، وقدم على قتيبة ، ثم رجع فمات بالطالقان ، فقال أهل الجوزجان : إنهم أسموه فقتلوا حبيباً . وقتل قتيبة الرهائن الذين كانوا عنده .

(١) انظر الهامش السابق ، صفحة ٢٨٩

(٢) من الطبرى .

ذكر غزوة شومان

وكشّ ونسّف وفتح ذلك

وفى سنة [٥٩١هـ] إحدى وتسعين سار قُتَيْبَةُ إلى شومان فحصرها ، وكان سبب ذلك أن ملكها طردَ عاملَ قُتَيْبَةَ من عنده ، فأرسل إليه قُتَيْبَةُ رسولَيْن : أحدهما من العرب اسمه عِيَّاش ، والآخر من أهل خراسان يدعُوانه^(١) إلى أن يؤدّى ما كان صالح عليه ، فقدمَا شومان ، فخرج أهلها إليهما ، فرموهما . فانصرف الخُراسانيُّ وقتلهم عِيَّاش فقتلوه ، ووجدُوا به ستين جراحةً ، وبلغ قُتَيْبَةُ قتلُه ، فسار إليهم بنفسه ، فلما أتاها أرسل صالحُ بن مسلم أخو قُتَيْبَةَ إلى ملكها ، وكان صديقًا له ، يأمره بالطاعة ، ويضمّنُ له رضا قُتَيْبَةَ إن رجع إلى الصلح ، فأبى وقال لرسول صالح : أتخوفُني من قُتَيْبَةَ وأنا أمتنعُ الملوك حِصْنًا ؟ فاتاه قُتَيْبَةَ وقد تحصّن ببلده فنصب^(٢) عليه المجانيقَ ، ورمى الحِصْنَ فهشمه ، فلما خاف الملك أن يظهر قُتَيْبَةُ عليه جمع ما كان بالحِصْن من مالٍ وجوهر ، ورمى به فى بشر فى القلعة لا يدرك قعرها ، ثم فتح القلعة ، وخرج ، فقاتل حتى قُتِل ، وأخذ قُتَيْبَةَ القلعة عنوةً ، فقتل المقاتلة وسبى الذرية ، ثم سار إلى كشّ ونسّف ، ثم سار إلى بُخارى .

وقيل : إنه سار إلى الصغد ، فلما رجع عنهم قالت الصغد لطرخون : إنك قد رَضِيتَ بالدُّل واستطبتَ الجزية ، وأنت شيخٌ كبيرٌ ، فلا حاجةَ لنا فيك . فحبسوه وولوا غورك^(٣) فقتل طرخون نفسه .

(١) فى الكامل : يدعوان ملك شومان .

(٢) الضبط فى الطبرى .

(٣) فى الكامل والطبرى : فوضع .

ذكر صلح خوارزم شاه وفتح خام جرد

وفي سنة [٥٩٣هـ] ثلاث وتسعين صالح قتيبة خوارزم شاه ،
وسبب ذلك أن [ملك] (١) خوارزم كان ضعيفاً ، فغلبه أخوه
خُرْزَاد علي أمره ، وكان أصغر منه ، فكان إذا بلغه أن عند أحد
ممن هو منقطع إلى الملك جارية أو مالا أو دابةً أو بيتاً أو أختاً أو امرأة
جميلة أرسل إليه ، وأخذه منه ، فلا يمتنع عليه أحد : ولا الملك (٢) ،
فإذا قيل للملك قال : لا أقوى عليه .

فلما طال عليه ذلك كتب إلى قتيبة يدعوه إلى أرضه ليسلمها
إليه ، واشترط عليه أن يدفع إليه أخاه وكل من يضاده ليحكم فيه (٣)
بما يرى ، ولم يطلع أحداً من مرآزبته على ذلك . فأجابته قتيبة إلى ما طلب ،
وتجهز للغزو ، وأظهر أنه يريد الصغد ، وسار من مرو وجمع خوارزم
شاه أجناده ودهاقنته (٤) . فقال : إن قتيبة يريد الصغد ، وليس
بغازيكم ، فاهلموا نتنعم في ربيعنا هذا ، فأقبلوا على الشرب والتنعم
فلم يشعروا حتى نزل قتيبة في هزارسب (٥) ، فقال خوارزم شاه
لأصحابه : ما ترون ؟ قالوا : نرى أن نُقاتله . قال : لكني لا أرى

(١) ساقط في الكامل .

(٢) في الطبري : ولا يمنعه الملك .

(٣) في الكامل : فيهم .

(٤) في الطبري : ودهاقينه . وكلاهما جمع دهقان (القاموس) .

(٥) قلعة حصينة ومدينة جيدة الماء محيط بها كالجذيرة ، وهي من نواحي خوارزم

ذلك ، لأنه قد عجز عنه من هو أقوى منا وأشد شوكةً ، ولكن أصرفه بشيء أخرجه (١) إليه .

فأجابوه إلى ذلك ، فسار خوارزم شاه إلى مدينة الفيل من وراء النهر ، وهى أحصن بلادها ، وقتيبة لم يعبر النهر ، فأرسل إليه خوارزم شاه ، فصالحه على عشرة آلاف رأس ، وعين ومتاعو [على] (٢) أن يعينه على خام جرد ، فقبل قتيبة ذلك .

وقيل : صالحه على مائة ألف رأس ، وبعث قتيبة أخاه عبد الرحمن إلى [ملك] (٣) خام جرد ، وكان يغازى (٤) خوارزم شاه ، فقاتله فقتله عبد الرحمن وغلب على أرضه ، وقدم بأربعة آلاف أسير ، فقتلهم ، وسلم قتيبة إلى خوارزم شاه أخاه ومن كان يخالفهم ، فقتلهم ، ودفع أموالهم إلى قتيبة . والله أعلم .

ذكر فتح سمرقند

قال : فلما قبض قتيبة صلح خوارزم قام إليه المُجشّر بن مزاحم السلمى فقال له : سر (٥) الآن إن أردت الصغد يوماً من الدهر ، فإنهم آمنون من أن تأتيهم عامك هذا ، وإنما بينك وبينهم عشرة أيام . قال : أشار عليك بهذا أحد ؟ قال : لا . قال : فسمعه منك أحد ؟ قال : لا . قال : والله لئن تكلم به أحد لأضربن عنقك .

(١) فى د ، والكامل : أؤديه إليه . وفى الطبرى : تؤديه .

(٢) من الطبرى والكامل .

(٣) من الطبرى .

(٤) فى الطبرى : وكان يعادى .

(٥) فى الكامل : سرا .

فلما كان الغد من يوم كلامه له أمر قتيبة أخاه عبد الرحمن فسار في الفرسان والرماة ، وقدم الأثقال إلى مرو ، فسار يومه ، فلما أمسى كتب إليه قتيبة : إذا أصبحت فوجه الأثقال إلى مرو ، ويسر في الفرسان والرماة نحو الصغد ، واكتبم الأخبار ، فإني بالأثر .

ف فعل عبد الرحمن ما أمره ، وخطب قتيبة الناس ، وقال لهم : إن الصغد شاغرة ^(١) يرجلها ، وقد نقضوا العهد الذي بيننا ، وصنعوا ما بلغكم ، وإني أرجو أن تكون خوارزم والصغد كقریظة والنضير .

ثم سار فأتى الصغد ، فبلغها بعبد الرحمن بثلاث أو أربع ، وقدم معه أهل خوارزم وبخارى ، فقاتلوا شهراً من وجه واحد وهم محصورون .

وخاف أهل الصغد طول الحصار ، فكتبوا إلى ملك الشاش وأخشاد ^(٢) وخاقان وفرغانة : إن العرب إن ظفروا بنا أتوكم بمثل ما أتونا [به] ^(٣) ، فانظروا لأنفسكم ، ومهما كان عندكم من قوة فابذلوا . فنظروا وقالوا : إنما نؤتى من سفلتنا وإنهم ^(٤) لا يجدون كوجدنا ، فانتخبوا من أبناء الملوك وأهل النجدة من أبناء المرازبة والأساورة والأبطال ، وأمروهم أن يأتوا عسكر قتيبة ، فبيئوه ، وولوا عليهم ابناً لخاقان ، فساروا .

(١) لم تمتنع من غارة أحد لحاوها (الفامرس) .

(٢) بالذال المعجمة في الطبرى ، والمثبت في الكامل أيضا .

(٣) ساقط من ك .

(٤) في الكامل : فإتهم .

وبلغ قُتَيْبَةَ الْخَبْرِ فانتخب من عَسْكَرِهِ مائَةً ، وقيل سَعْمَانَةَ
من أهل النَّجْدَةِ والشَّجَاعَةِ ، وأعلمهم الخبر ، وأمرهم بالمسير إليهم ،
فساروا ، وعليهم صالح بن مسلم ، فنزلوا على قَرْسَخَيْنِ من العسكر
على طريق القَوْمِ ، فجعل صالح له كَمِينَيْنِ (١) . فلما مضى نِصْفُ
الليل جاءهم عدوهم ، فلما رأوا صالحاً حملوا عليه ، واقتتلوا فشدَّ
الكمينان عن يمينٍ وشمالٍ ، فقتلهم المسلمون ، وأسروا منهم ، ولم
يُفْلِتْ منهم إلا الشريد ، واحتروا على سِلَاحِهِمْ وَأَسْلَاحِهِمْ . وسُئِلَ
بَعْضُ الْأَسْرَى عن القَتْلِ فقالوا : ما قتلتم إلا ابنَ مَلِكٍ أو عَظِيماً
أو بَطَلاً ، إن كان الرجل لِيُعَدَّ (٢) بمائة رجل .

ونصب قُتَيْبَةَ الْمَجَانِيقِ على سَمَرْقَنْدٍ ، ورماهم فثلمه ثُلْمَةً (٣) .
ثم أمر قُتَيْبَةَ النَّاسَ بِالْجَدِّ فِي الْقِتَالِ ، وَأَنْ يَبْلَغُوا ثُلْمَةَ الْمَدِينَةِ ،
ففعَلُوا ، وحملوا وقد تترسوا حتى بلغوا الثُّلْمَةَ ، ووقفوا عليها ، فرماه
الصُّغْدُ بِالنَّشَابِ ، فلم يبرحوا ، فأرسلوا إلى قُتَيْبَةَ أَنْ انصَرَفَ عَنَّا
اليوم حتى نصلحك غداً . فقال : لا نُصَالِحُهُمْ إِلَّا وَرِجَالُنَا عَلَى
الثُّلْمَةِ .

وقيل : بل قال : جَزَعِ الْعَبِيدُ ! انصرفوا على ظَفَرِكُمْ . فانصرفوا ،
فصالحهم من الغَدِ على ألفِ ألفٍ ومائتي ألفٍ مثقالٍ في كل عام ،
وَأَنْ يُعْطَوْهُ تِلْكَ السَّنَةَ ثَلَاثِينَ أَلْفَ رَأْسٍ (٤) ، وَأَنْ يُخْلُوا الْمَدِينَةَ

(١) في الطبرى : كينا في موضعين .

(٢) في الطبرى : ليعدل بمائة .

(٣) في د : فثلمت . وفي الطبرى : فثلم فيها ثلثة .

(٤) في الكامل : فارس .

لِقُتَيْبَةَ ، فلا يكون لهم فيها مقاتل ، فيبني فيها مسجداً فيصلى فيه
ويخطب ويتغذى ويخرج .

فلما تمَّ الصُّلْحُ بَنَى المسجد ودخلها قُتَيْبَةُ في أربعة آلاف انتخبهم .
فدخل المسجد ، فصلى فيه ، وخطب وأكل طعاماً ، ثم أرسل
إلى الصُّغْدِ يقول : من أراد منكم أن يأخذ متاعه فليأخذ ، فإني لستُ
خارجاً منها ، ولستُ آخذُ منكم إلا ما صالحتكم عليه ، غير أن الجُند
يقيمون فيها .

وقيل : إنه شَرَطَ عليهم في الصُّلْحِ مائة ألف رأس (١) وبيوت
النيران وحلية الأصنام . فقبض ذلك ، وأتى بالأصنام ، فأخذ ما عليها .
وأمر بها فأحرقت ، فوجد من بقايا مسامير الذهب خمسين ألف
مِثْقَال ، وأصاب بالصُّغْدِ جارية من ولد يزيد جرد ، فأرسلها إلى الحجاج .
فأرسلها الحجاج إلى الوليد ، فولدت له ابنة يزيد بن الوليد . ثم رجع
قُتَيْبَةُ إلى مرو ، واستعمل على سمرقند إياس بن عبد الله على الحرب .
وجعل على الخراج عبيد الله بن أبي عبيد الله مولى مسلم (٢) .

ذكر غزو الشاش وفرغانة

وفي سنة [٨٩٤] أربع وتسعين قطع قُتَيْبَةُ النَّهْرَ وفرض على أهل
بُخَارَى وكش ونسف عشرين ألف مقاتل ، فساروا معه .

(١) في ك : فارس .

(٢) في الطبري : مولى بنى مسلم .

فوجههم إلى الشاش ، وتوجه إلى فرغانة فأتى خُجندة^(١) فجمع له أهلها ،
ولقوه ، واقتتلوا مراراً ، كل ذلك يكون الظفر للمسلمين . ثم إن
قُتيبة أتى كاسان^(٢) مدينة فرغانة ، وأتاه الجنود الذين وجههم
إلى الشاش وقد فتحوها وأحرقوا أكثرها ، وانصرف إلى مرو .
وقال سحبان^(٣) يذكر قتالهم بخُجندة^(٤) :

وسل^(٥) الفوارس في خُجندة دة تحت مُرهفة العوالى
هل كنتُ أجمعهم إذا هزوا وأقدمُ في قتالى
أم كنتُ أضربُ هامةً ألى عانى^(٦) وأصبرُ للعوالى
هذا وأنت قريعُ قية س كلها ضخمُ النوالِ
وفضلتَ قيساً فى الندى وأبوك فى الحجاجِ الخوالى
ولقد تبينَ عدلُ حُك حِك فيهمو فى كلِّ مالِ^(٧)
تمت مروءتكم ونا غى^(٨) عزكم غلبَ الجبالِ

(١) با اضم ثم الفتح ونون ثم دال مهملة : بلدة مشهورة بما وراء النهر على نهر
سيحون (المراد) .

(٢) بانسين المهملة ، والشين المعجمة .

(٣) فى الطبرى : وقال سحبان وائل .

(٤) وانطبرى : ٦ - ٤٨٤

(٥) فى الكامل : فسل .

(٦) فى الكامل : العانى .

(٧) فى الكامل : حال .

(٨) فى ك : وباغى . والمثبت فى الطبرى أيضا .

ذكر فتح مدينة كاشغر (١)

وفي سنة [٨٩٦] ست وتسعين سار قتيبة من مرو وحمل مع الناس عيالاتهم ليضعهم بسمرقند ، ومضى إلى فرغانة وبعث جيشا مع كثير ابن فلان إلى كاشغر (١) ، فغنم وسبي سبيا ، فحتم أعناقهم ، وأوغل حتى بلغ قرب الصين ، فكتب إليه ملك الصين أن ابعث إلى رجلا شريفا يخبرني عنكم وعن دينكم ، فانتخب قتيبة عشرة لهم جمال والسنة وبأسى وعقل وصلاح (٢) ، فأمر لهم بعدة حسنة ومتاع حسن من الخبز والوشى وغير ذلك ، وخبول حسنة ، وكان عليهم (٣) هبيرة بن مشمرج (٤) الكلابي ، وقال لهم قتيبة : إذا دخلتم عليه فأعلموه أنني قد حلفت أنني لا أنصرف حتى أطأ بلادهم ، وأحتم ملوكهم ، وأجبري خراجهم .

فساروا [وعليهم هبيرة] (٥) ، فلما قدموا دعاهم ملك الصين فلبسوا ثيابا بيضا تحتها الغلائل ، وتطيبوا ، ولبسوا النعال والأردية ، ودخلوا عليه وعنده عظماء قومه ، فجلسوا فلم يكلمهم الملك ولا أحد ممن عنده ، فنهضوا .

فقال الملك لمن حضره : كيف رأيتم هؤلاء ؟ قالوا : رأينا قوما ماهم إلا نساء . ما بقى منا أحد إلا انتشر ما عنده .

(١) كاشغر : بانتقاء الساكنين والشين المعجمة والغين المعجمة أيضا ، وراء مدينة وقرى ورساتيق ، وهي في وسط بلاد الترك .

(٢) في ك : وسلاح .

(٣) في ك : منهم .

(٤) في الطبري : المشمرج .

(٥) من الكامل .

فلما كان الغد دعاهم فلبسوا الوشى وعمائم الخز والمطارف ، وغدوا عليه . فلما دخلوا قبيل لهم : ارجعوا . وقال لأصحابه : كيف رأيتم هذه الهيئة ؟ قالوا : هذه أشبه هيئة الرجال من تلك .

فلما كان اليوم الثالث دعاهم فلبسوا ^(١) سلاحهم ، ولبسوا البيض والمغافر ، وأخذوا السيوف والرماح والقيى ، وركبوا . فنظر إليهم ملك الصين ، فرأى مثل الخيل ^(٢) ؛ فلما دنوا ركزوا رماحهم ، وأقبلوا مشمريين . فقبيل لهم : ارجعوا ، فركبوا خيولهم [وأخذوا رماحهم] ^(٣) ، ودفعوا خيلهم ، كأنهم يتطاردون . فقال الملك لأصحابه : كيف ترونهم ؟ قالوا : ما رأينا مثل هؤلاء .

فلما أمسى بعث إليهم أن ابعثوا إلى زعيمكم ، فبعثوا إليه هبيرة ابن مشمرج ، فقال له : قد رأيتم عظم ملكى ، وأنه ليس أحد يمنعكم منى ، وأنتم فى يدى بمنزلة البيضة فى كفى . وإنى سائلكم عن أمر ، فإن لم تصدقونى قتلتمكم . قال : سل . قال : ليم صنعتم بزيكم الأول والثانى والثالث [ما صنعتم] ^(٣) ؟ قال : أما زينا الأول فليأسنا فى أهلنا . وأما الثانى فزينا إذا أتينا أمراءنا ، وأما الثالث فزينا لعدونا . قال : ما أحسن ما دبّرتم دهركم ، فقولوا لصاحبكم ينصرف ، فإنى قد عرفت قلة أصحابه ، وإلا بعثت إليكم من يهلككم . قال ^(٤) :

(١) فى الطبرى والكامل : فشدوا .

(٢) فى الطبرى ، والكامل : أمثال الجبال مقبلة .

(٣) ساقط من ك .

(٤) فى الكامل : قالوا .

وكيف يكون قليل الأصحاب من أول خياله في بلادك وآخرها في منابت الزيتون . وأما تخويفك إيانا بالقتل فإن لنا آجالاً إذا حضرت فأكرمها القتل ، ولسنا نكرهه ولا نخافه ، وقد حلف صاحبنا ألا ينصرف حتى يَطَّأ أرضكم ، ويختم ملوككم ، وتُعْطَى (١) الجزية . قال : فإننا نُخْرِجُه من يمينه ، ونبعث له بتراب من أرضنا ، فيطوؤه ، ونبعث إليه ببعض أبنائنا فيختمهم ، ونبعث إليه بجزية يرضاهما . فبعث إليه بهدية وأربعة غلمان من أبناء ملوكهم ، وبتراب من أرضه : وأعادهم (٢) وأحسن جوائزهم . فقدموا على قتيبة ، فقيل ذلك ، ووطيء التراب ، وختم الغلمان ، وردهم ، فقال سَوَادَةُ بن عبد الملك السملولي (٣) :

لَا عَيْبَ فِي الْوَفْدِ الَّذِينَ بَعَثْتَهُمْ لِلصَّيْنِ أَنْ سَلَكَوا طَرِيقَ الْمَنْهَجِ
كَسَرُوا الْجَفُونَ عَلَى الْقَدَى خَوْفَ الرَّدَى حَاشَا الْكَرِيمِ هُبَيْرَةَ بْنَ مُشَرَّجِ
أَدَّى رِسَالَتَكَ الَّتِي اسْتَرْعَيْتَهُ (٤) فَاتَّأَكَّ مِنْ حَنْثِ الْيَمِينِ بِمَخْرَجِ
هذه غزوات قتيبة وفتوحاته .

وكان قتيبة إذا رجع من غزاته كل سنة اشترى اثني عشر فرساً [من جباد الخيل] (٥) واثني عشر هجيناً ، فتتخدم إلى وقت الغزو ، فإذا تاهب للغزو ضمَّها ، وكان يحمل عليها الطلائع ، وكان لا يجعل الطلائع إلا فرسان الناس وأشرافهم ، ويجعل معه من

(١) في الكامل : وتطوا .

(٢) في الطبرى : ثم أجازهم فأحسن جوائزهم

(٣) والطبرى : ٦ - ٥٠٣

(٤) في الكامل : استدعيته . (٥) من الطبرى .

العجم مَنْ يستنصحه . وإذا بعث طليعةً أمر بلوح فُنقِشَ ثم شقَّهُ
نِصْفَيْنِ ، وجعل شِقَّةَ عنده ، وأعطى نِصْفَهُ للطليعة ، ويأمرهم
أَنْ يَذْفُونَهُ فى موضع يصفه لهم مِنْ شجرة أو مخاضة أو غيرها ،
ثم يبعث بعد الطليعة مَنْ يستخرجه ليَعْلَمَ أصدقتِ الطليعة أم لا .
ولنذكر من الغزوات والفتوحات فى أيام الوليد خلاف ما ذكرنا :

ذكر فتح السند وقتل ملكها

وما يتَّصِلُ بذلك من أخبار العمال عليها

وفى سنة [٥٨٩] تسمع وثمانين قتل محمد بن القاسم بن محمد
ابن الحكم بن أبى عقيل الثقفى داهر^(١) بن صصمة ملك السند ،
وملك بلاده ، وكان الحجاجُ قد استعمله على ذلك الثغر وسير معه
سنة آلاف مقاتل ، وجهزه بجميع ما يحتاجُ إليه حتى المسالَ والإبر
والخيوط ، فسار [محمد]^(٢) إلى مكران ، وأقام بها أياما . ثم
أتى قنزبُور ففتحها ثم سار إلى أرماثيل^(٣) فقدمها يوم الجمعة ،
ووافته سفنٌ كان حمل فيها السلاحَ والرجالَ والأداة : فأنزل
الناسَ منازلهم وخندقَ ونصب عليها منجنيقا يقال له العروس
كان يمدُّ به خمسمائة رجل ، وكان بالديبيل بُدُّ^(٤) عظيم عليه

(١) داهر - كهاجر : ملك للديبيل قتل محمد بن القاسم الثقفى (القاموس) .
وفى ك : داهر - تحريف .

(٢) من الكامل .

(٣) فى ك : ديبيل . وأرماثيل - بفتح أوله ثم السكون وهمزة مكسورة وباء
خالصة ساكنة ولام : مدينة كبيرة بين مكران والديبيل من أرض السند .

(٤) البد - بالضم . وفى فتوح البلدان (٥٣٥) : كل شيء أعظمه من
طريق العبادة فهو عندهم بد .

دَقْل عَظِيمٍ ، وَعَلَى الدَّقْل رَايَةٌ حَمْرَاءُ إِذَا هَبَّت الرِّيحُ أَطَافَتْ بِالْمَدِينَةِ ،
وَالْبُدُنُ صَنَمٌ فِي بِنَاءٍ عَظِيمٍ بِأَعْلَاهُ مَنَارَةٌ عَظِيمَةٌ مَرْتَفِعَةٌ ، وَالدَّقْلُ فِي رَأْسِ
الْمَنَارَةِ . فَرَمَى الدَّقْلُ بِحَجَرٍ ^(١) العُروسَ فَكَسَرَهُ فَتَطَيَّرَ الكُفَّارُ بِذَلِكَ
وَأَعْظَمُوهُ ، ثُمَّ فَتَحَهَا مُحَمَّدٌ عَنُودَةً بَعْدَ قِتَالٍ ، وَقَتَلَ فِيهَا ثَلَاثَةَ
أَيَّامٍ ، وَهَرَبَ عَامِلُ دَاهِرٍ عَنْهَا ، وَأَنْزَلَهَا مُحَمَّدٌ أَرْبَعَةَ آلَافٍ
مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، وَبَنَى جَامِعَهَا ، وَسَارَ إِلَى الْبَيْرُونَ ^(٢) ، وَكَانَ
أَهْلُهَا قَدْ بَعَثُوا إِلَى الْحِجَاجِ وَصَالِحُوهُ ، فَلَقُوا مُحَمَّدًا بِالْبَيْرَةِ ،
وَأَدْخَلُوهُ مَدِينَتَهُمْ ، ثُمَّ سَارَ عَنْهَا ، وَجَعَلَ لَا يَمُرُّ بِمَدِينَةٍ إِلَّا فَتَحَهَا
حَتَّى عَبَرَ نَهْرًا دُونَ مِهْرَانَ فَصَالِحَهُ أَهْلَ سَرِبِيدَسَ ^(٣) ، وَوُظِّفَ
عَلَيْهِمُ الْخِرَاجُ ، وَسَارَ إِلَى سَهْبَانَ ^(٤) فَفَتَحَهَا ، ثُمَّ أَتَى نَهْرَ مِهْرَانَ
فَنَزَلَ بِهِ ، وَبَلَغَ خَبْرَهُ دَاهِرًا فَاسْتَعَدَّ لِمُحَارَبَتِهِ . وَبِعَثَ مُحَمَّدٌ
جَيْشًا إِلَى سَدُوسَانَ ^(٥) ، فَطَلَبَ أَهْلُهَا الْأَمَانَ وَالصَّلْحَ فَأَمَّنَّهُمْ ،
وَوُظِّفَ عَلَيْهِمُ الْخِرَاجُ ، ثُمَّ عَبَرَ نَهْرَ مِهْرَانَ مِمَّا يَلِي بِلَادَ رَاسِلَ ^(٦)
الْمَلِكِ عَلَى جَسْرٍ عَقَدَهُ ، هَذَا وَدَاهِرٌ مَسْتَخْفٍ بِهِ ، فَلَقِيَهُ مُحَمَّدٌ
وَمَنْ مَعَهُ وَهُوَ عَلَى فَيْلٍ ، وَالْفَيْلَةُ حَوْلَهُ وَمَعَهُ الذِّكَاكِرَةُ ^(٧) ،

(١) في فتوح البلدان : ونصب منجنيقا تعرف بالعروس (٥٣٥).

(٢) في ك : النيروذ . والمثبت في الكامل ، وفتوح البلدان .

(٣) في د : سربندس . والمثبت في الكامل وفتوح البلدان (٥٣٦)

(٤) في ك : سهار . والمثبت في الكامل وفتوح البلدان (٥٣٦) .

(٥) في الكامل : سدوسان : والمثبت في الفتوح أيضا .

(٦) في الفتوح : مما يلي بلاد راسل ملك قصة من الهند .

(٧) في الكامل وفتوح البلدان : التكاكرة .

فاقتتلوا قتالاً شديداً ، وترجّل داهر ، وقاتل فقُتِل عند المساء ،
وانهزم الكفار وقاتلهم المسلمون كيف شاعوا ، وقال قائلهم (١) :

الخيْلُ تشهدُ يومَ داهرٍ وألقنَا ومحمدُ بنُ القاسمِ بنِ مُحَمَّدِ
أنتي فرجتُ الجمعَ غيرَ مُعَرِّدٍ (٢) حتى علوتُ عظيمهم بمهندٍ
فتركتُهُ تحتَ العجاجِ مُجندلاً (٣) متعفّرَ الخدينِ غيرَ مؤدِّد

قال : ولما قُتِلَ داهرٌ تغلّبَ محمدٌ على بلادِ السندِ وفتحَ راوَرَ (٤)
عنوةً ، وكان بها امرأةٌ للداهرِ ، فخافتُ أن تؤخذَ فأحرقتُ نفسها
وجواربها وجميعَ مالها . ثم سارَ إلى برهمنا بإذ (٥) العتيقة ،
وكان المنهزمون من الكفار قد لجئوا إليها ، ففتحها عنوةً بعد
قتال ، وقتلَ بها بشراً كثيراً ، وسارَ يريدُ الرورَ (٦) وبغرور ،
فلقبته أهلُ ساوندري (٧) ، فطلبوا الأمانَ فأمنهم واشترطَ عليهم
ضيافةً (٨) المسلمين ، ثم أسلمَ أهلها بعد ذلك ، ثم تقدم إلى
بسمد (٩) فصالحه أهلها ، وسارَ إلى الرورَ (٦) ، وهى من مدائن

(١) الأبيات في فتوح البلدان : ٥٣٧ ، والكامل : ٤ - ١١١

(٢) في ك : معدد .

(٣) في فتوح البلدان : مجدلا .

(٤) بتكرير الراء وفتح الواو : مدينة كبيرة بالسند (ياقوت) . وفي ك : زاوَر

تخريف

(٥) في ك : ترهمنا باد . والمثبت في الفتوح أيضاً .

(٦) في ك : الدور . والصواب في الكامل وياقوت . والرور - برامين مهملتين :

ناحية من نواحي الأهواز ، وناحية بالسند تقرب من المئاتن وهى على شاطئ نهر
مهران (ياقوت) .

(٧) هذا الضبط في الفتوح أيضاً .

(٨) في الفتوح : ضيافة المسلمين ودلائهم .

(٩) وفتح البلدان . وفي ك : تمد .

السند على جبلٍ ، فحاصرهم شهوراً فصالحوه ، وسار إلى السكة (١) [ففتحها ، ثم قطع نهر بيّاس (٢) إلى الملتان ، فقاتله أهلها وانهمزوا ، فحصرهم ، وجاء إنسان فدلّه على قطع الماء الذي يدخل المدينة ، فقطعه فعضشوا وألقوا بأيديهم ، ونزلوا على حكمه ، فقتل المقاتلة وسبي الذرية وسدنة البُد ، وهم ستة آلاف ، وأصابوا ذهباً كثيراً ، فجمع في بيتٍ طوله عشرة أذرع وعرضه ثمانية أذرع يُلقَى إليه من كوة في وسطه ، فسميت الملتان فرج بيت الذهب ، والفرج : الثغر ، وكان بُد الملتان تُهدى إليه الأموال من كل مكان ويُحج (٣) إليه من البلاد ، ويحلّقون عنده رعوَسهم وليحاهم ، ويزعمون أن صنمه هو أيوب النبي عليه الصلاة والسلام .

وعظمت فتوحاته ، فنظر الحجاج في النفقة على ذلك الثغر ، فكانت ستين ألف ألف درهم ، ونظر إلى (٤) الذي حُبل إليه منه فكان مائة ألف ألف وعشرين ألف ألف ، فقال : ربخنا ستين ألف ألف ، وأدر كنا ثأرتنا ورأس داهر .

قال : واستمر محمد بن القاسم بالهند إلى أن مات الحجاج في سنة [٥٩٥هـ] خمس وتسعين ، فأتاه الخبر وهو بالملتان فرجع إلى الرور والبغور (٥) ، فأعطى الناس ، ووجه إلى البيلمان (٦)

(١) في الفتوح : وهي مدينة دون بيّاس .

(٢) نهر عظيم بالهند مفضاه إلى المولتان (ياقوت) :

(٣) في الفتوح : ويحج إليه السند فيطوفون به (٥٣٨) .

(٤) في الكامل : : في . (٥) في فتوح البلدان : وبغور

(٦) البيلمان : من بلاد السند والهند تنسب إليها السيوف البيلمانية (ياقوت) .

جيشًا ، فأعطوا الطاعة من غير قتال ، وسأله أهل شرشمت (١) ،
ثم أتى محمد الكبيرج ، فخرج إليه دَوهر فقاتله فانهم دَوهر .
وقيل : بل قُتل ، فنزل أهلُ المدينة على حكم محمد ، فقتل المُقاتلة ،
وسبى الذرية ؛ فقال شاعرهم :

نحن قتلنا داهرا ودَوهرًا — والخيل تردى منسرا فمسنرا (٢)

قال : ولما مات الوليدُ بن عبد الملك ووئى سليمان عزل مُحَمَّد بنَ
القاسم عن السند ، واستعمل يزيد بن أبى كبشمة السكسى على السند ،
فأخذ محمداً وقيدهُ وحمله إلى العراق ، فقال متمثلاً (٣) :

أضاعُونى وأى فتنى أضاعُوا ليومِ كَريهةٍ وسدادِ ثَغَـر
فبكى أهلُ السند .

ولما وصل إلى العراق حبسه صالح بن عبد الرحمن بواسط
فقال (٤) :

فلئن ثَوَّبتُ بواسط وبأرضها رهن الحديد مُكبلاً مغلولا
فلرب قَيِّنة (٥) فارسٍ قد رُعْتُها ولرب قِرْنٍ قد تركتُ قَتِيلاً

قال : فعذَّبهُ صالح في رجالٍ من آل أبى عقيل حتى قتلهم ،
فقال حمزة بن بيض يرنى محمداً (٦) :

(١) فى الفتوح : سرست . وفى الكامل : سرشت .

(٢) فى ك : ميسرا فميسرا . والمثيت أيضاً فى الكامل وفتوح البلدان .

(٣) فى اللسان : وأشد العرجى .

(٤) الشعر فى فتوح البلدان : ٥٣٩ .

(٥) فى الفتوح : فتية .

(٦) والفتوح : ٥٤٠ ، والكامل : ٤ - ١٣٤ .

إن المروءة والساحة والنسبى
 لمحمد بن القاسم بن محمد
 ساس الجيوش لسبع عشرة حجة
 ياقرُب ذلك سُوددًا من مولد

قال : وأما يزيد بن أبي كَبْشَة فإنه مات بعد مقدمه إلى السند
 بثمانية عشر يومًا ، فاستعمل سليمان على السند حبيب بن المهلب ،
 فقدم السند وقد رجع الملوك إلى ممالكهم ، ورجع حيسبة ^(١) بن داهر
 إلى برهمنا باذ ، فنزل حبيب على شاطيء مهران ، وحارب قومًا
 فظفر بهم .

ثم مات سليمان ، وولى عمر بن عبد العزيز ، فكتب إلى الملوك يدعُوهم
 إلى الإسلام والطاعة على أن يملكهم ، ولَهُم ما للمساكين وعليهم
 ما عليهم ، فأسلم حيسبة ^(١) والملوك ، وتسموا بأسماء العرب ، وكان
 عمرو بن مسلم الباهلى عامل عمر على ذلك الثغر ، فغزا بعض الهند
 فظفر بهم ، ثم ولى الجنيد بن عبد الرحمن السند أيام هشام بن عبد
 الملك ، فأتى شط مهران فمنعه حيسبة بن داهر من العبور ، وأرسل
 إليه : إني قد أسلمت وولاني الرجل الصالح بلادى ، ولست
 أمكنك . فأعطاه رهنا ، وأخذ منه رهنا على خراج بلاده . ثم تراء
 الرهون وكفر حيسبة ، وحارب .

وقيل : لم يحارب ، وإنما الجنيد تجنى عليه ، فأتى الهند ، فجمع
 جموعًا وأعد السفن ، واستعد للحرب ، فسار إليه الجنيد فى السفن ،
 فالتقوا ، فأسر حيسبة فقتله الجنيد ، وهرب صصة بن داهر ، وهو

(١) المثبت فى د،ك. وفى الكامل: حيشبة. وفى الفتوح (صفحة ٥٤٠): حيشبة.

يريدُ أن يمضى إلى العراق فيشكو عَدْرَ الجُنَيْدِ ، فلم يزل الجُنَيْدُ يُؤنِّسه حتى وضع يده فى يده فقتله .

وغزا الجنيد الكيرج ؛ وكانوا قد نقضوا، فظفر ودخل المدينة فغتم وسبى ، ووجه العمال إلى المرمد^(١) والمندل ودهنج^(٢) ، ووجه جيشًا إلى أزين^(٣) فأغاروا عليها ، وحرَقوا ريضها، وفتح الجنيد البيلمان ، وحصل^(٤) عنده سوى ما حمله^(٥) أربعون ألف ألف ، وحمل مثلها .

وفى أيامه خرج المسلمون عن بلاد الهند . ثم ولى الحكم بن عوام^(٦) الكلبي ، وقد كفر أهل الهند إلا أهل قَصْمَةَ^(٧) ، فبنى مدينة سماها المحفوظة، وجعلها مأوى للمسلمين ، وكان معه عمرو بن محمد بن القاسم فأغزاه من المحفوظة ، فقدم عليه وقد ظهر أمره ، فبنى مدينة سماها المنصورة ، واسترجع^(٨) ما كان غلب عليه العدو . ثم قتل الحكم ، فكان العمال يقاتلون العدو ، ويفتتحون ما تيسر لهم لضعف الدولة الأموية ، ثم جاءت الدولة العباسية فكان من أمر السند ما نذكره إن شاء الله تعالى ، وإنما ذكرنا أخبار السند ههنا لتكون متسقة ، فلنرجع إلى تيممة الغزوات فى أيام الوليد بن عبد الملك :

- (١) فى فتوح البلدان : مرمد .
 (٢) مندل - بالفتح : بلد بالهند (ياقوت) . والدهنج - بفتح أوامه وإسكان تانيه بعده نون مفتوحة وجيم : من بلاد الهند (ياقوت) .
 (٣) فى ك : أرين . والمثبت فى الكامل ، وفتوح البلدان (٥٤١) .
 (٤) فى ك : وجعل .
 (٥) فى الفتوح : سوى ما أعطى زواره .
 (٦) فى فتوح البلدان : حوانة . والمثبت فى ك . والكامل .
 (٧) فى ك : قضة . والمثبت فى د ، والكامل ، وياقوت .
 (٨) فى الكامل : واستخلص .

ذكر الغزوات الى بلاد الروم وما فتح منها

وغزوات الصوائف على حُكم السنين

في سنة [٥٨٦هـ] ست وثمانين غزا مسلمة بن عبد الملك [أرض] (١) الروم . وغزا أيضاً في سنة [٥٨٧هـ] سبع وثمانين ، فقتل منهم عدداً كثيراً بِسُوسَنَة من ناحية المصبيصة (٢) وفتح حصوناً .
وقيل : إن الذي غزاه في هذه السنة هشام بن عبد الملك ، ففتح حصن بولق ، وحصن الأخرم ، وحصن بولس وقمقم ، وقتل من المستعربة نحواً من ألف مقاتل ، وسبى ذريتهم ونساءهم . والله أعلم .

ذكر فتح طوانة (٣) وغيرها من بلد الروم

وفي سنة [٥٨٨هـ] ثمان وثمانين غزا مسلمة بن عبد الملك والعباس ابن الوليد بلد الروم ، وكان الوليد قد كتب إلى صاحب أرمينية يأمره أن يكتب إلى ملك الروم يعرفه أن الخزر وغيرهم من ملوك جبال أرمينية قد أجمعوا على قُصْد بلادهم ففعلوا ذلك ، وقطع الوليدُ البعثَ على أهل الشام إلى أرمينية ، فتجهزوا ، وساروا نحو الجزيرة ، ثم عطفوا منها إلى بلاد الروم فاقتتلواهم والروم ، فانهزم الروم ، ثم رجعوا فانهزم المسلمون ، وبقي العباس في نفر ، فنادى : يا أهل القرآن ؛ فأقبلوا جميعاً ، فهزم الله الروم حتى دخلوا طوانة (٣) ، وحصرهم المسلمون وفتحوها في جمادى الأولى منها .

(١) زيادة في د .

(٢) المصبيصة - بالفتح ثم الكسر والتشديد وياء ساكنة وصاد أخرى . كذا ضبطه الأزهرى ، وغيره من اللغويين بتشديد الصاد الأولى . وتفرد الجوهري وشايد الفارابي بأن قالوا : المصبيصة بتخفيف الصادين . والأول أصح .

(٣) طوانة - يضم الطاء وبعد الألف نون : بلد بضم المصبيصة .

ثم غزا مسلمة [والعباس] ^(١) الروم في سنة [٥٨٩هـ] تسع وثمانين ، فافتح مسلمة حصن ^(٢) سورية ، وافتتح العباس أذربيجان ^(٣) ، ولقى من الروم جمعاً فهزمهم ^(٤) .

وقيل: إن مسلمة قصد عمورية ، فلحقها جمعاً كثيراً من الروم فهزمهم ^(٤) ، وافتتح هرقلية ^(٥) وقمولية ^(٦) . وغزا العباس الصائفة من ناحية البُدَنْدُون ^(٧) ، وغزا مسلمة الترك من ناحية أذربيجان ، ففتح حصوناً ومدائن هناك ، وذلك في سنة [٥٨٩هـ] تسع وثمانين أيضاً . وغزا مسلمة الروم في سنة [٥٩٠هـ] تسعين ، ففتح الحصون الخمسة التي بسورية .

وغزا العباس حتى بلغ أرزن ^(٨) وبلغ سورية .

وفي سنة [٥٩١هـ] إحدى وتسعين غزا عبد العزيز بن الوليد الصائفة ، وكان على ذلك الجيش مسلمة بن عبد الملك .

وغزا مسلمة الترك في هذه السنة من ناحية أذربيجان حتى بلغ الباب ، وفتح مدائن وحصوناً ، ونصب عليها المجانيق . وغزا مسلمة أرض الروم في سنة [٥٩٢هـ] اثنتين وتسعين ، ففتح حصوناً ثلاثة ، وجلاً أهل سُوسَنَةَ إلى بلاد الروم .

(١) ساقط من د .

(٢) في الكامل : عمورية . وفي البداية والنهاية : سورية وعمورية .

(٣) والكامل ، والطبرى . وفي ياقوت ، والبكرى ، وفتوح البلدان : درولية .

(٤) في ك : فهزمهم . (٥) في الطبرى : هرقلية .

(٦) في الطبرى : قمودية . وفي الكامل : قمونية .

(٧) الضبط في الطبرى . وفي الكامل : البزندون . وفي ك : انتد ندون .

(٨) أرزن : مدينة مشهورة قرب خلاط ، ولها قلعة حصينة . وكانت من أعر

نواحي أرمينية . وأرزن الروم : بلدة أخرى من بلاد أرمينية (ياقوت) .

وفيهما كان فتح الأندلس على يد طارق بن زياد مولى موسى بن نصير على ما نذكر ذلك إن شاء الله في أخبار المغرب ، وغزيت جزيرة سرذانية وسنذكر ذلك [أيضاً] (١) إن شاء الله .

وغزا العباس الروم في سنة [٩٣] ثلاث وتسعين ، ففتح سبسطية (٢) المرزبانيين .

وغزا مروان بن الوليد الروم فبلغ خنجرة (٣) ، وغزا مسلمة ففتح ماسية (٤) وحضن الحديد . وغزاة من ناحية ملطية .

وغزا العباس بن الوليد الروم ففتح أنطاكية في سنة [٨٩٤] أربع وتسعين . وغزا العباس في سنة [٨٩٥] خمس وتسعين ، ففتح هرقلة وغيرها ، وفيها قتل الرضاحي بأرض الروم ونحو ألف رجل معه .

انتهت الغزوات في أيام الوليد بن عبد الملك . فلنذكر خلاف ذلك من الحوادث على حكم السنين :

ذكر الحوادث الكائنة في أيام الوليد بن عبد الملك

خلاف ما قدمناه

سنة (٨٦ هـ) ست وثمانين :

في هذه السنة حبس الحجاج بن يوسف يزيد بن المهلب بن أبي صفرة ، وعزل حبيب بن المهلب عن كرمان وعبد الملك عن شرطته .

(١) زيادة في د .

(٢) هذا مع الضبط في ك . وفي ياقوت : هي مدينة قرب سميماط . وفي الطبري :

سبسطية .

(٣) خنجرة : ناحية من بلاد الروم (ياقوت) .

(٤) في الطبري : ماسة . وفي الكامل : ماسية .

وَحَجَّ بِالنَّاسِ هِشَامُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ الْمَخْزُومِيُّ .

سنة (٨٧ هـ) سبع وثمانين :

في هذه السنة عزل الوليدُ بنُ عبد الملك هشام بن إسماعيل عن المدينة لسبع ليالٍ خلونَ من شهر ربيع الأول ، واستعمل عمر بن عبد العزيز ، فقدمها في الشهر ، وثقله على ثلاثين بغيراً ، فنزل دار مروان ، وأحسنَ السيرة في الناس ، واستعان بفقهاء المدينة ، وحرّضهم على أن يبلغوه ما يبلغهم من أخبار عماله ، وأن يعيّنوه على الحق ، وقال : إني أريد ألا أقطع أمراً دونكم .

وحج عمر بالناس في هذه السنة ، وكان على قضاء المدينة أبو بكر ابن عمرو بن حزم ، وعلى قضاء البصرة عبد الله بن أذينة ، وعلى قضاء الكوفة أبو بكر بن أبي موسى الأشعري رضى الله عنهم .
سنة (٨٨ هـ) ثمان وثمانين :

ذكر عمارة مسجد النبي

صلى الله عليه وسلم والزيادة فيه

في هذه السنة كتب الوليدُ إلى عمر بن عبد العزيز في شهر ربيع الأول يأمره بإدخال حُجْر أزواج النبي صلى الله عليه وسلم في المسجد ، وأن يشتري ما في نواحيه حتى يكون مائتي^(١) ذراع ، ويقول له : قَدِمَ الْقَبِيلَةَ إِنْ قَدَرْتَ ، وَأَنْتَ تَقْدِرُ لِمَكَانِ أَخْوَالِكَ ، فَإِنَّهُمْ لَا يَخَالِفُونَكَ ، فَمَنْ أَبِي مِنْهُمْ فَقَوْمُوا مِلْكَهُ قِيَمَةَ عَدْلٍ ، وَاهْتَدِمْ عَلَيْهِمْ ، وَادْفَعِ الْأَثْمَانَ إِلَيْهِمْ ، فَإِنَّ لَكَ فِي عُمَرَ وَعُمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أُسُورَةً .

فأحضرهم عمر وأقرأهم الكتاب ، فأجابوا إلى أخذ الثمن ،

(١) في الكامل : في مائتي ذراع .

فَأَعطاهم إِياءه ، وَهَدَمَ الحُجْر ، وَأرسل الوليدَ الفَعْلَةَ من الشام ، وَبعث إلى ملكِ الروم يُعَلِّمه أَنه قد هدمَ مَسْجِدَ النَّبِي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِيَعْمُرَهُ ، فَبِعَثَ إِلَيْهِ الروم مائةَ أَلْفٍ مِثقالٍ من ذَهَبٍ ومائةَ عامِلٍ ، وَبعثَ إِلَيْهِ من الفُسَيْفِساءِ بِأَرْبَعِينَ جَمالًا . فَبِعَثَ الوليدُ بِذلكَ إلى عُمَرَ بنِ عَبْدِ العَزِيزِ ، وَحَضَرَ عُمَرُ وَمعه الناسُ ، فَوَضَعُوا أَساسَه .

وكتب الوليد إلى عمر بن عبد العزيز في تسهيل البناء وحقن الآبار ، وأمره أن يعمل الفوارة بالمدينة ، فعملها وأجرى ماءها ، وكتب إلى البلدان جميعها بإصلاح الطرق وعمل الآبار .

وفيها منع الوليد المُجذِّمين من الخروج على الناس ، وأجرى لهم الأرزاق .

وحجَّ بالناس عمر بن عبد العزيز ، ووصل جماعةً من قريش ، وساق معه بُدْنًا ، وأحرم من ذِي الحُلَيْفَةِ ، فلما كان بالتَّعْنِيمِ أُخْبِرَ أَنَّ مَكَّةَ قَلِيلَةُ المَاءِ ، وَأَنَّهُمْ يَخافُونَ على الحَاجِّ العَطْشَ . فقال عُمَرُ : تَعالوا نَدْعُوا اللهُ تَعالَى ، فدعا ودعا معه الناس ، فما وصلوا إلى البيتِ إِلَّا مع المَطَرِ ، وسالَ الوادِي ، فخافَ أَهْلُ مَكَّةَ مِنْ شِدَّتِهِ ، ومُطِرَتْ عَرَفَةَ ومَكَّةَ ، وكثُرَ الخَضْبُ . وقيل : إِنما حَجَّ هذه السنة عمر بن الوليد . [والله أعلم (١)] .

سنة (٨٩ هـ) تسع وثمانين :

ذكر ولاية خالد بن عبد الله القسرى مكة

وما خطب الناس [به] (١) وقاله

وفى هذه السنة ولى خالد بن عبد الله القسرى ، فخطب أهلها فقال :
أيها الناس ، أيهما أعظمُ ، أخليفة الرجل على أهله أو رسوله إليهم؟ والله
لو لم تعلموا من فضل الخليفة إلا أن إبراهيم خليل الرحمن عليه الصلاة
والسلام استسقاها فسقاها ملحا أجاجا ، واستسقاها الخليفة فسقاها عذبا
فأراتا ، يعنى بالملح زمزم ، وبالماء الفرات بشرأ حفرها الوليد بثنية طوى
فى ثنية الحجون ، فكان ماؤها عذبا ، وكان ينقل ماءها ويضعه فى حوض
إلى جنب زمزم ليُعرف فضله على زمزم ، فغارت البشر وذهب ماؤها .
وقيل : كانت ولاية خالد فى سنة [٨٩١هـ] إحدى وتسعين . وقيل
سنة أربع .

وحج بالناس فى هذه السنة عمر بن عبد العزيز .

سنة (٩٠ هـ) تسعين :

ذكر هرب يزيد بن المهلب واخوته

من يسجن الحجاج

فى هذه السنة هرب يزيد بن المهلب وإخوته ، وكان الحجاج
قد خرج إلى رُسْتَقْبَاز (٢) للبيعت ، لأن الأكراد كانوا قد غلبوا
على فارس ، وأخرج معه يزيد بن المهلب وإخوته ، وجعل عليهم مثل
الخنْدَق ، وجعلهم فى فُسْطَاطٍ قريب منه ، وجعل عليهم الحرس من أهل

(١) زيادة فى د .

(٢) الضبط فى ياقوت . وهى موضع من أرض دستوا : بلدة فى فارس .

وقيل : بالأهواز .

الشام ، وطلب منهم ستة آلاف ألف ، وعذبهم ، فكان يزيد يَضِيرُ صَبْرًا حسنًا ، فكان ذلك مما يَغِيظُ الحجاج ، ف قيل له : إنه رُمِيَ في ساقه بِشُمَابَةِ فَنَبِتَ نَضَلُهَا فِيهِ فَهُوَ لَا يَمْسُهَا شَيْءٌ إِلَّا صَاحَ ، فَأَمَرَ أَنْ يُعَذَّبَ فِي سَاقِهِ ، فَعَذَّبَ ، فَصَاحَ ، فَسَمِعَتْهُ أُخْتُهُ هِنْدُ ، وَكَانَتْ عِنْدَ الْحِجَاكِ فَصَاحَتْ ، فَطَلَقَهَا الْحِجَاكِ ، ثُمَّ كَفَّ عَنْهُمْ وَجَعَلَ يَسْتَأْذِي (١) مِنْهُمْ الْمَالَ ، فَصَنَعَ يَزِيدٌ لِلْحَرَسِ طَعَامًا كَثِيرًا وَأَمَرَ لَهُمْ بِشَرَابٍ ، فَسُقُوا ، وَاشْتَغَلُوا (٢) ، فَلَبَسَ يَزِيدٌ ثِيَابَ طَبَاخِهِ وَخَرَجَ ، وَقَدْ جَعَلَ لَهُ لِحْيَةً بِيضَاءَ ، فَرَأَاهُ بَعْضُ الْحَرَسِ ، فَقَالَ : كَأَنَّ هَذِهِ مَشِيَّةٌ يَزِيدَ ، فَلَحِقَهُ فَرَأَى لِحْيَتَهُ بِيضَاءَ ، فَتَرَكَهُ ، وَعَادَ وَخَرَجَ الْمَفْضَلُ وَلَمْ يُفْطَنَ لَهُ ، وَكَذَلِكَ عَبْدُ الْمَلِكِ ، فَجَاءُوا إِلَى سَفِينِ مُعَدَّةٍ فَرَكِبُوهَا ، وَسَارُوا لِيَلْتَهُمْ .

ولما أصبح الحجاجُ وَعَلِمَ بِهِمُ الْحَرَسُ رَفَعُوا أَمْرَهُمْ إِلَيْهِ فَفَزِعَ ، وَظَنَّ أَنَّهُمْ قَصَدُوا (٣) خِرَاسَانَ لِقِتْنَةِ . فَبَعَثَ إِلَى قُتَيْبَةَ بِأَمْرِهِ بِالْجَدِّ وَالْإِحْتِيَاظِ .

ولما دنا يزيدُ وإخوته من البطانح استقبلتَهُمْ خَيْلٌ قَدْ ضَمُرَتْ وَأُعِدَّتْ لَهُمْ ، فَرَكِبُوهَا وَمَعَهُمْ دَلِيلٌ مِنْ كَلْبٍ ، فَأَخَذُوا عَلَى السَّمَاءِ إِلَى الشَّامِ ، فَأَتَى الْحِجَاكِ الْخَبِيرُ ، فَكَتَبَ إِلَى الْوَلِيدِ يُعَلِّمُهُ . وَسَارَ يَزِيدٌ حَتَّى قَدِمَ فِلَسْطِينَ ، فَنَزَلَ عَلَى وَهَيْبِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْأَزْدِيِّ ، وَكَانَ كَرِيمًا عَلَى سَلْيَانَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ ، فَجَاءَ وَهَيْبٌ إِلَى سَلْيَانَ فَأَعْلَمَهُ بِحَالِ يَزِيدَ وَإِخْوَتِهِ ، وَأَنَّهُمْ قَدْ اسْتَعَاذُوا بِهِ مِنَ الْحِجَاكِ . قَالَ : فَأَتَنِي

(١) فِي الطَّبْرِى : يَسْتَأْذِيهِمْ .

(٢) فِي الطَّبْرِى : فَكَانُوا مَتَشَاغِلِينَ .

(٣) فِي د : يَقْصِدُونَ . وَفِي الْكَامِلِ : يَقْصِدُونَ .

هم ، فإنهم آمنون لا يوصل (١) إليهم وأنا حتى . فجاء بهم إليه
فكانوا عنده فى مكان آمن .

وكتب الحجاج إلى الوليد : إن آل المهلب خانوا مال (٢) الله
وهربوا منى ، ولحقوا بسليمان .

فلما علم أنهم عند أخيه سكن بعض ما به ، وكتب إليه سليمان :
إن يزيد عندى وقد أمنتته ، وإنما عليه ثلاثة آلاف ألف ، لأن الحجاج
أغرمه ثلاثة آلاف ألف ، والذى بقى عليه أنا أوديه .

فكتب الوليد : والله لا أؤمنه حتى تبعث به إلى . . .

فكتب سليمان : لئن بعثت به إليك لأجيشن معه .

فكتب إليه : والله لئن جئتنى لا أؤمنه . فقال يزيد بن المهلب :
أرسلنى إليه ، فوالله ما أحب أن أوقع بينك وبينه عداوة ، واكتب
معى بالطف ما قدرت عليه . فأرسله ، وأرسل معه ابنة أيوب .
وكان الوليد قد أمره أن يبعث به مقيداً . فقال سليمان لابنه : إذا
دخلت على أمير المؤمنين فادخل أنت ويزيد فى سلسلة . ففعل ذلك ،
فلما رأى الوليد ابن أخيه فى سلسلة قال : لقد بلغنا من سليمان .

ودفع أيوب كتاب أبيه إلى عمه ، وقال : يا أمير المؤمنين ،
لا تخفير ذمة أبى ، وأنت أحق من منعها ، ولا تقطع منارجاء من رجا
السلامة فى جوارنا لمكاننا منك ، ولا تمذل من رجا العز فى الانقطاع
إلينا لعزنا بك .

(١) فى الكامل : لا يتوصل .

(٢) فى الكامل : أمان الله .

فقرأ الوليدُ كتابَ سليمان فإذا هو يستعطفُه ويشفع فيه ، ويضمنُ إيصالَ المال .

فقال : لقد شققنا على سليمان .

وتكلم يزيد واعتذر ، فأمنه الوليدُ ، وردّه إلى سليمان ، وكتب إلى الحجاج : إني لم أصِلْ إلى يزيد وأهله لمكانهم من سليمان ، فاكفُف عنهم ، وكان أبو عبيّنة بن المهلب عند الحجاج عليه ألف ألف ، فتركها له ، وكفّ عن حبيب بن المهلب ، وكان يُعذّبُ بالبصرة ، وأقام يزيد عند سليمان في أرغدِ عيش ، وكان لا تصلُ إليه هديةٌ إلّا بعث بنصفها إلى يزيد ، ولا تعجبه جارية إلّا بعث بها إليه ، وكان يزيدُ إذا أتته هدية بعث بها إلى سليمان .

وفي هذه السنة استعمل الوليدُ قُرّةَ بنَ شريك على مِصر ، وعزل أخاه عبدَ الله عنها .

وفيهما أسرت الروم خالد بن كيسان صاحب البحر ، فأهداه ملكهم إلى الوليد .

وحج بالناس عمر بن عبد العزيز .

وفيهما مات أنس بن مالك رضي الله عنه الأنصاري . وقيل : سنة [٥٩٢هـ] اثنتين وتسعين ، وكان عمره ستاً وتسعين سنة ، وقيل مائة وست سنين .

سنة (٩١ هـ) احلى وتسعين :

في هذه السنة حجّ الوليدُ بن عبد الملك بالناس ، فلما قدم المدينة دخل المسجد ينظر إلى بنائه ، فأخرج الناس منه ، ولم يبق

غَيْرُ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ ، لَمْ يَجْسُرْ (١) أَحَدٌ مِنَ الْحَرَسِ أَنْ يَخْرِجَهُ ،
فَقِيلَ لَهُ [رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ] (٢) : لَوْ قُتِمْتَ . فَقَالَ : لَا أَقُومُ حَتَّى يَأْتِيَ
الْوَقْتُ الَّذِي كُنْتُ أَقُومُ فِيهِ . قِيلَ لَهُ : فَلَوْ سَلَّمْتَ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ .
قَالَ : لَا ، وَاللَّهِ لَا أَقُومُ إِلَيْهِ . قَالَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ : فَجَعَلْتَ
أَعْدِلُ بِالْوَلِيدِ فِي نَاحِيَةِ الْمَسْجِدِ لثَلَاثَ يَرَاهُ ، فَالْتَفَتَ الْوَلِيدُ إِلَى الْقَبِيلَةِ .
فَقَالَ : مَنْ ذَلِكَ الشَّيْخِ : أَهْوُ سَعِيدٌ ؟ قُلْتُ : نَعَمْ . وَمِنْ حَالِهِ كَذَا
وَكَذَا ، وَلَوْ عَلِمَ بِمَكَانِكَ لَقَامَ فَسَلَّمَ عَلَيْكَ .

فَقَالَ الْوَلِيدُ : قَدْ عَلِمْتَ حَالَهُ ، نَحْنُ (٣) نَأْتِيهِ ، فَأَتَاهُ فَقَالَ : كَيْفَ
! أَنْتِ أَيُّهَا الشَّيْخُ ؟ فَوَاللَّهِ مَا تَحْرُكُ سَعِيدٌ . فَقَالَ : بِخَيْرٍ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ ،
فَكَيْفَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ؟ وَكَيْفَ حَالُهُ ؟ فَانصَرَفَ وَهُوَ يَقُولُ : هَذَا
بَقِيَّةُ النَّاسِ . وَقَسَمَ الْوَلِيدُ بِالْمَدِينَةِ رَقِيقًا (٤) كَثِيرًا وَأَنِيَّةً مِنْ ذَهَبٍ
وَفِضَّةً وَأَمْوَالًا ، وَصَلَّى بِالْمَدِينَةِ الْجُمُعَةَ ، وَخَطَبَ الْخُطْبَةَ الْأُولَى
جَالِسًا وَالثَّانِيَةَ قَائِمًا .

وفيهما عزل الوليد عامله محمد بن مروان عن الجزيرة وأرمينية .
واستعمل عليها أخاه مسلمة بن عبد الملك ، فغزاه الترك كما تقدم .

سنة (٩٢ هـ) اثنتين وتسعين :

في هذه السنة حجَّ بالناس عمر بن عبد العزيز وهو على المدينة
وكان من الغزوات والفتوحات ما تقدم ذكره .

(١) في نظيرى : ما يجترىء .

(٢) ليس في د .

(٣) في د : ونحن .

(٤) في الكامل : دقيقا . والمثبت في الطبرى أيضا .

سنة (٩٣ هـ) ثلاث وتسعين :

ذكر عزل عمر بن عبد العزيز

في هذه السنة عزل الوليدُ عُمرَ بن عبد العزيز عن الحجاز والمدينة ، وكان سببُ ذلك أنَّ عُمر كتب إلى الوليد يُخبره بعسفٍ لحجاج وظلمه ، فبلغ ذلك الحجاج ، فكتب إلى الوليد : إن من عندي من المراق (١) وأهل الشقاق قد جَلَوْا عن العِراقِ ولحقوا بالمدينة ومكة ، وإن ذلك وهن .

فكتب إليه الوليدُ يستشيرهُ فيمن يُولِّيهِ المدينة ومكة ، فأشار به خالد بن عبد الله القسري وعثمان بن حيان ، فولى خالدًا مكة وعثمان المدينة ، فلما قدم خالد مكة أخرج من بها من أهل العراق كرهًا ، وتهدد من أنزل عراقيًا أو أجره دارًا . وقيل : كان ذلك قبل هذا التاريخ . والله أعلم .

وفيها كتب الوليد إلى عمر قبل عزله يأمره أن يضرب خبيب (٢) ابن عبد الله بن الزبير ، ويصب على رأسه ماء باردًا ، فضربه خمسين سوطًا . وصب على رأسه ماء باردًا في يوم شاتٍ ، ووقفه على باب المسجد ، فمات من يومه .

وحج بالناس عبد العزيز بن الوليد .

(١) في الطبري : من مراق أهل المدينة .

(٢) بضم الخاء المعجمة وباءين موحدتين بينهما ياء محمها نقطتان (انكامل :

سنة (٩٤ هـ) اربع وتسعين :

ذكر مقتل سعيد بن جبير

[رضى الله عنه] (١)

في هذه السنة قتلَ الحجاجُ بن يوسف سَعِيدَ بن جُبَيْر ، وهو أبو عبد الله سعيد بن جُبَيْر بن هشام الأسدى مولى بنى والبة : بَطْنٌ من بنى أسد بن خزيمه .

وكان سببَ قتلِهِ خروجهُ مع عبد الرحمن بن [محمد بن] (٢) الأشعث ، وكان الحجاجُ قد جعله على عطاء الجُنْدِ حين وجَّهَ عبدَ الرحمن لقتالِ رُثَيْبِيل ، فلما خلع عبد الرحمن الحجاج وعبد الملك كان سَعِيدٌ ممن خلع ؛ فلما هُزِمَ عبد الرحمن هرب سَعِيدٌ إلى أصبهبان . فكتب الحجاجُ إلى عاملها بأمره بإرساله ، فتحرَّج العاملُ من ذلك ، وأرسل إلى سَعِيدٍ يُعَرِّفُهُ أن يفارقَ البلد ، فخرج إلى أذربيجان . ثم خرج إلى مكة ، فكان بها حتى قدم خالدُ بن عبدِ الله مكة ، وأخرج أهلَ العراق إلى الحجاج ، فأخذ سَعِيدَ فيمن أخذ ، وسيره إلى الحجاج مع حرسيين ، فانطلق أحدهما لحاجته في بعض الطريق وبقي الآخر فنام واستيقظ . فقال لسعيد : إني أبرأ إلى الله من دَمِك ، إني رأيتُ في منامى قاتلاً يقول لى : ويملك ! تبرأ إلى الله من دَمِ سَعِيدِ بن جُبَيْر ، فاذهب حيث شئت ، فإني لا أطلبك ، فأبى سَعِيدُ ذلك ، ورأى الحرَّيبىُّ ذلك ثلاث مرات وهو يكرِّر القول على سَعِيدِ فى الذهاب فلا يفعل . ثم قدم الكوفة فأدخل على الحجاج ، فلما رآه قال : لعنَ اللهُ ابْنَ النصرانية - يعنى خالد بن عبدِ الله ،

(١) ساقط فى د . (٢) من الكامل والطبرى .

أما كنت أعرف مكانه ، بلى والله والبيت الذي كان فيه بمكة . ثم أقبل عليه وقال : يا سعيد ، ألم أشركك في أمانتي ^(١) ؟ ألم أستعملك ؟ قال : بلى . قال : فما أخرجك عليّ ؟ قال : إنما أنا امرؤ من المسلمين يُخطيء مرةً ويصيب مرةً . فطابت نفس الحجاج ^(٢) ، ثم عاوده في شيء ، فقال : إنما كانت بيعة ^(٣) في عنقي . فغضب الحجاج وانفخ . وقال : يا سعيد ، ألم أقدم مكة فقتلت ابن الزبير وأخذت بيعة أهلها ، وأخذت بيعة أمير المؤمنين [عبد الملك] ^(٤) ؟ قال : بلى . قال : ثم قدمت الكوفة واليا فجددت البيعة فأخذت بيعة ثانياً ؟ قال : بلى . قال : فنكشت بيعتين لأمير المؤمنين ، وتوفى بواحدة للحائك ابن الحائك ، والله لأقتلك . قال : إني إذا لسعيد كما صممتي أمي ، فأمر به فضربت رقبتة . فلما سقط رأسه هلل ثلاثاً ؛ أفصح بحرّة ^(٥) ولم يُفصح بمرتين ، والتبس عقل الحجاج فجعل يقول : قيودنا قيودنا ، فظنوا أنه يريد القيود ، فمظفوا ^(٥) رجلى سعيد من أنصاف ساقيه وأخلوا القيود . وكان الحجاج إذا نام يراه في منامه يأخذ بمجامع ثوبه ، فيقول : يا عدو الله ، فم قتلتني ، فيقول : مالي ولسعيد بن جبير ! مالي ولسعيد بن جبير ! يكررها .

(١) في الكامل : إمانتي .

(٢) في د ، والكامل : بيعة .

(٣) زيادة في د .

(٤) في ك : مرة .

(٥) في د : قطعوا .

وفيهما كانت الزلازلُ بالشام فدامتْ أربعين يوماً ، فخربت البلادُ ، وكان معظم (١) ذلك بأنطاكية .

ذكر وفاة زين العابدين على بن الحسين

ابن على بن أبى طالب رضى الله عنهم ونبذة من أخباره

كانت وفاته بالمدينة فى أول سنة [٥٩٤هـ] أربع وتسعين . وقيل فى سنة اثنتين . وقيل سنة ثلاث . وقيل سنة تسع وتسعين . وقيل سنة مائة . حكى هذا الاختلاف أبو القاسم بن عساكر فى تاريخ دمشق ، واقتصر ابن الأثير الجزرى على سنة أربع وتسعين دون غيرها . وكان رَجَمَهُ اللهُ يُكْتَبَى أبَا عبد الله ، ويقال أبو محمد ، ويقال أبو الحسن ، ويقال أبو الحسين زين العابدين . ومولده سنة [٥٣٣هـ] ثلاث وثلاثين ، وأمه أم ولد اسمها غزالة [خلف عليها بعد الحسين زيندمولى الحسين ، فولدت له عبد الله بن زبيد . وقال إسماعيل بن موسى السدى : عبد الرحمن بن حبيب أخو على ابن الحسين لأبيه] (٢) ، وكان رحمه الله ثقة ورعاً مأموناً كثير الحديث من أفضل أهل بيته وأحسنهم طاعة .

حكى أبو القاسم بن عساكر فى تاريخه عن الزهرى ، قال : شهدتُ على بن الحسين يوم حملهُ عَبْدُ الملك بن مروان من المدينة إلى الشام ، فأوثقه حديدًا ، ووكل به حُفَاظًا فاستأذنتهم (٣) فى التسليم عليه والتوديع له فأذِنُوا لى فدخلتُ عليه ، وهو فى قُبَّة

(٢) من د .

(١) فى الكامل : عظم .

(٣) فى ك : فاستأذنتهم .

والقيودُ في رجليه والغُلُّ في يديه ، فسكنت^(١) وقلت : وَدِدْتُ أَنِي
مَكَانَكَ وَأَنْتَ سَلِيمٌ . فقال : يَا زُهْرِي ، أَوْ تَظُنُّ هَذَا مَا تَرَى عَلَيَّ
وَفِي عُنُقِي . أَمَا إِنِّي لَوْ شِئْتُ مَا كَانَ . ثُمَّ أَخْرَجَ يَدَيْهِ مِنَ الْغُلِّ
وَرَجَلَيْهِ مِنَ الْقَيْدِ .

ثم قال : يَا زُهْرِي ، جُرْتُ مَعَهُمْ عَلَى هَذَا مَنزَلَتَيْنِ مِنَ الْمَدِينَةِ .
فَمَا لَبِثْنَا إِلَّا أَرْبَعَ لَيَالٍ حَتَّى قَدِمَ الْمُوَكَّلُونَ بِهِ بِطَلْبُونَهُ بِالْمَدِينَةِ ،
فَمَا وَجَدُوهُ ، فَكُنْتُ فِيمَنْ سَأَلَهُمْ عَنْهُ ، فَقَالَ لِي بَعْضُهُمْ : إِنَّا نَرَاهُ
مَتَّبِعُوعًا ، إِنَّهُ لِنَازِلٌ - وَنَحْنُ حَوْلَهُ لَا نَنَامُ نَرْصُدُهُ - إِذَا أَصْبَحْنَا ،
فَمَا وَجَدْنَا إِلَّا حَدِيدَهُ .

قال الزهري : فَقَدِمْتُ بَعْدَ ذَلِكَ عَلَى عَبْدِ الْمَلِكِ ، سَأَلَنِي عَنْ عَلِيٍّ
ابْنِ الْحُسَيْنِ ، فَأَخْبَرْتُهُ ، فَقَالَ لِي : إِنَّهُ قَدْ جَاءَ نِي فِي يَوْمٍ فَقَدَهُ
الْأَعْوَانُ ، فَدَخَلَ عَلَيَّ ، فَقَالَ : أَنَا وَأَنْتَ ! فَقُلْتُ : أَقِمَّ عِنْدِي .
فَقَالَ : لَا أَحَبُّ ، فَخَرَجَ ، فَوَاللَّهِ لَقَدْ امْتَلَأْتُ نَوْبِي مِنْهُ خَيْفَةً .
قال الزهري : فَقُلْتُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، لَيْسَ عَلِيٌّ بِنُ
الْحُسَيْنِ حَيْثُ تَظُنُّ ، إِنَّهُ لَمُشْغُولٌ بِنَفْسِهِ . فَقَالَ : نَعَمْ .

وقيل : وَقَعَ حَرِيقٌ بِالْمَدِينَةِ فِي بَيْتِ فِيهِ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ ، فَجَعَلُوا
يَقُولُونَ : يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ ، النَّارُ ! فَمَا رَفَعَ رَأْسَهُ حَتَّى أَطْفَأَتْ
فَقِيلَ لَهُ : مَا الَّذِي أَلْهَاكَ عَنْهَا ؟ قَالَ : أَلْهَانِي عَنْهَا النَّارُ الْآخَرَى . .
وقيل : كَانَ إِذَا مَشَى لَا تَجَاوِزُ يَدُهُ فِخْلِيهِ ، وَلَا يَخْطُرُ بِيَدِهِ .
وَكَانَ إِذَا قَامَ إِلَى الصَّلَاةِ أَخَذَتْهُ رَعْدَةٌ ، فَقِيلَ لَهُ : مَا لَكَ ؟ فَقَالَ :
مَا تَدْرُونَ بَيْنَ يَدَيَّ مَنْ أَقُومُ وَمَنْ أَنَا جِي .

(١) في د : فيكيت .

قيل : وكان إذا تَوَضَّأَ اصْفَرَ فيقول له أهله : ما هذا الذى يَمْتَدُّكَ عند الوضوء ؟ فيقول : تَدْرُونَ بَيْنَ يَدَى مَنْ أُرِيدُ أَقَوْمَ ؟ وعن سُفْيَانَ بْنِ عُيَيْنَةَ قَالَ : حَجَّ عَلَى بْنِ الْحُسَيْنِ ، فَلَمَّا أَحْرَمَ وَاسْتَوَتْ بِهِ رَاحِلَتُهُ اصْفَرَ لَوْنُهُ وَانْتَفَضَ ، وَوَقَعَ عَلَيْهِ الرِّغْدَةُ ، وَلَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يُلَبِّى . فَقِيلَ لَهُ : مَا لَكَ لَا تُلَبِّى ؟ فَقَالَ : أَخْشَى أَنْ أَقُولَ لَبِّىكَ ، فَيَقُولُ لِي : لَا لَبِّىكَ . فَقِيلَ لَهُ : لَا بُدَّ مِنْ هَذَا . فَلَمَّا لَبَّى غُشِيَ عَلَيْهِ ، وَسَقَطَ مِنْ رَاحِلَتِهِ ، فَلَمْ يَزَلْ يَعْتَرِيهِ ذَلِكَ حَتَّى قَضَى حَاجَةَ .

وقيل : كَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يُصَلِّي فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ أَلْفَ رَكْعَةٍ إِلَى أَنْ مَاتَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

وكان يُسَمَّى بِالْمَدِينَةِ زَيْنَ الْعَابِدِينَ لِعِبَادَتِهِ . وَقِيلَ : إِنَّهُ قَاسَمَ اللَّهُ مَالَهُ مَرَّتَيْنِ ، وَكَانَ يَحْمَلُ الْخُبْزَ بِاللَّيْلِ عَلَى ظَهْرِهِ يَتَّبِعُ بِهِ الْمَسَاكِينَ فِي ظُلْمَةِ اللَّيْلِ ، وَيَقُولُ : إِنَّ الصَّدَقَةَ فِي ظُلْمَةِ اللَّيْلِ تَطْفِئُ غَضَبَ الرَّبِّ .

وَأَعْتَقَ غَلَامًا أَعْطَاهُ بِهِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَعْفَرٍ عَشْرَةَ آلَافِ دَرَاهِمٍ وَأَلْفَ دِينَارٍ . قِيلَ : وَسَكَبَتْ جَارِيَةٌ عَلَيْهِ الْمَاءَ لِيَتَهَيَّأَ لِلصَّلَاةِ ، فَسَقَطَ الْإِبْرِيْقُ مِنْ يَدَيْهَا عَلَى وَجْهِهِ ، فَشَجَّهُ ، فَرَفَعَ رَأْسَهُ إِلَيْهَا ، فَقَالَتْ : إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ (١) : « وَالكَاطِمِينَ الْغَيْظَ » . قَالَ : قَدْ كَظَمْتُ غَيْظِي . قَالَتْ (١) : « وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ » . قَالَ : قَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْكَ . قَالَتْ (١) : وَاللَّهِ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ » . قَالَ : أَذْهَبِي فَأَنْتِ حُرَّةٌ .

قيل^(١): وأذنب له غلام ذنباً استحق منه العقوبة، فأخذ السوطَ .
فقال الغلام : « قُلْ لِلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ » ،
وما أنا كذلك ، إني لأرجو رحمةَ الله ، وأخاف عذابه ، فألقى
السوطَ ، وقال : أنتَ عتيق .

رقييل : حَجَّ هشامُ بن عبد الملك في زمنِ عبد الملك أوفى زمن
الوليد ، فلما طاف جهداً أن يستلم الحجرَ فلم يُطِقْ لزحامِ الناسِ عليه ،
فُنصِبَ له منبرٌ ، وجلس ينظرُ إلى الناس ، إذ أقبل عليُّ بن الحسين
رضي الله عنه من أحسن الناس وجهاً وأطيبهم ريحاً ، فطاف بالبيت ،
فكان كلما بلغ الحجرَ تنحى الناسُ له حتى يستلمه . فقال رجلٌ
من أهل الشام : مَنْ هذا الذي قد هابه الناسُ هذه المهابة ؟ فقال هشامُ :
لا أعرفه - مخافةً أن يرعبَ الناسَ فيه ، وكان حوله وجوهُ أهل
الشام ، والفرزدقُ الشاعر ، فقال الفرزدقُ : لكنني أنا أعرفه ،
فقال أهل الشام : مَنْ هذا يا أبا فراس ؟ فزبره هشامُ ، وقال :
لا أعرفه . فقال الفرزدقُ : بل تعرفه ، ثم أنشد مشيراً إليه^(١) :

[هذا سليلُ حسينَ وابنُ فاطمة

بنت الرسول الذي انجابت به الظلم]^(٢)

هذا الذي تعرفُ البطحاءَ وطأته

والبيتُ يعرفُه والحِجُّ والحرمُ

هذا ابنُ خيرِ عبادِ الله كلُّهم

هذا النقيُّ النقيُّ الطاهرُ العلمُ

(١) و الأغاني : ١٤ - ٧٥ ، والمخامن والمساويء : ٢٣١

(٢) زيادة في د .

إذا رآته قريشٌ قال قائلها —————
 إلى مكارمِ هذا ينتهى الكـــــــرمُ
 يرقى^(١) إلى ذروة العزِّ الذى قصرت
 عن نيلها عربُ الإسلام^(٢) والعجمُ
 يكاد يُمسِكُهُ عرفانَ راحته —————
 رُكنُ الحطيمِ إذا ما جاء يستتـــــــلِمُ
 يُغضى حياءً ويُغضى من مهابتـــــــه
 فلا يُكَلِّمُ إلا حين يبتـــــــمُ
 بكفِّهِ خيزران ريحها عبقُ
 من كفِّ أزوعٍ فى عرنيته ————— شممُ
 من جدِّه دانَ فضل الأنبياء لـــــــه
 وفضل أُمَّته دانته له^(٣) الأُممُ
 ينشقُّ نورُ الهدى عن نور غرته —————
 كالشمس تنجأبُ عن إشراقها الظلم^(٤)
 مشتقة من رسول الله نبعته —————
 طابت عناصرها والخيمُ والشيمُ
 هذا ابنُ فاطمة إن كنتَ جاهلـــــــه
 بجدِّه أنبياء الله قد حتموا

(١) فى د : بنى .

(٢) فى د : الأقوام .

(٣) فى ك : لها .

(٤) فى هامش د : نسخة : القم .

اللَّهُ شَرَفُهُ قَدِمًا وَفَضْلُهُ
 جرى بذاك له في لَوْحِ الْقَلَمِ
 [فليس قولك مَنْ هذا بَضَائِرُهُ
 العرب تعرف من أَنْكَرَتْ والعجم (١)
 كلنا يديه غِيَاثٌ عَمَّ نفعُهُمَا
 يستنُو كِفَانٌ وَلَا يَغْرُوهَا عَدَمُ (٢)
 حَمَالٌ أَثْقَالٌ أَقْوَامٌ إِذَا فُلِدِحُوا
 حَلُوُ الشَّمَائِلِ تَحَلُّوْا عِنْدَهُ نَعَمٌ
 لَا يَخْلِفُ الْوَعْدَ مَيْمُونٌ نَقِيْبَتُهُ
 رَحْبُ الْفِنَاءِ أَرِيْبٌ حِيْنَ يَغْتَرِمُ
 مِنْ مَعْشَرِ حُبِهِمْ دِيْنَ وَيَغْضُهُمْ
 كُفْرٌ وَقَرْبُهُمْ مَنْجَى وَمُعْتَصِمٌ
 إِنْ عُدَّ أَهْلُ التَّقَى كَانُوا أَمْتَهُمْ
 أَوْ قِيْلَ مَنْ خَيْرَ أَهْلِ الْأَرْضِ قِيْلَ هُمُو
 لَا يَسْتَطِيْعُ جَوَادٌ بَعْدَ غَايَتِهِمْ
 وَلَا يَدَانِيَهُمْ قَوْمٌ وَإِنْ كَرُمُوا
 هُمُ الْغِيُوْثُ إِذَا مَا أَزْمَمَتْ أَزْمَمَتْ
 وَالْأَسَدُ أَسَدُ الشَّرِّ وَالْبَأْسُ مُحْتَلِمٌ

(١) زيادة في د .

(٢) في هامش د : حاشية :

م البرية بالإحسان فانقضت عنه الغيابة والإملاق والعدم
 سهل الخليفة لا تخشى بـ وادره يزينه اثنان : حسن الخلق والكرم

لا ينقص العُسْرُ بَسْطًا مِنْ أَكْفِهِمْ
 سِيَّانَ ذَلِكَ إِنْ أَثَرُوا وَإِنْ عَدِمُوا
 يُسْتَدْفَعُ السُّوءُ وَالْبَلْوَى بِحَبِّهِمْ
 وَيُسْتَرَدُّ بِهِ الْإِحْسَانُ وَالنَّعْمُ
 مُتَقَدِّمٌ بَعْدَ ذِكْرِ اللَّهِ ذِكْرُهُمْ
 فِي كُلِّ أَمْرٍ وَمَخْتَوْمٌ بِهِ الْكَلِمُ
 يُبْنَى لَهُمْ أَنْ يَحُلُّ الذُّلَّ (١) سَاحَتَهُمْ
 حَيْمٌ كَرِيمٌ وَأَزِيدٌ بِاللَّيْذِ هُضْمٌ

أَيُّ الْخَلَائِقِ لَيْسَتْ فِي رِقَابِهِمْ
 لِأَوْلِيَّيَةِ هَذَا أَوْ لَهُ نِعَمٌ
 مَنْ يَشْكُرُ اللَّهَ يَشْكُرْ أَوْلِيَّةَ ذَا
 فَالذَّيْنِ مِنْ بَيْتِ هَذَا بِأَبِيهِ الْأُمَمِ

قال : ففضب هشام لذلك وتنغص عليه يومه ، وأمر بحبس
 الفرزدق بعسفان بين مكة والمدينة ، وبلغ ذلك على بن الحسين
 رضى الله عنه ، فبعث إليه بائني عشر ألف درهم ، وقال : اعذر
 أبا فراس ، لو كان عندنا أكثر من هذا لو صلناك بها ، فردها
 الفرزدق ، وقال : ما قلتُ الذى قلتُ إلا غضباً لله ولرسوله :
 وما كنتُ لأرزأ عليها شيئاً ، فردها عليه ، وقال : بحقنى عليك
 إلا قبلتها ، فقد علمت أننا أهل بيت إذا أنفذنا أمراً لا نرجع فيه ،

وقد رأى الله مكانك ، وعلم نيتك ، والجزء عليه تعالى . فقبلها .

وجعل الفرزدق يَهْجُو هِشَامًا ، فكان مما هجاه به (١) :

أَتْحَسِنِي (٢) بَيْنَ الْمَدِينَةِ وَالَّتِي إِلَيْهَا قُلُوبُ النَّاسِ يَهْوَى مُنِيبَهَا

يُقَلِّبُ رَأْسًا لَمْ يَكُنْ رَأْسَ سَيْدٍ وَعَيْنِينَ حَوْلًا وَيَنْبَادُ عِيُوبُهُمَا

وكان على بن الحسين يقول : لقد استرقك بالود من سببك

بالشكر .

ولما حضرته الوفاة أوصى ألا يُؤذِنُوا به أحدًا ، وأن يكفن

في قطن ، ولا يجعلوا في حنوطه مسكًا ، ودُفِنَ بالبقيع رحمه الله

ورضى عنه .

ومات أيضًا في هذه السنة عُرْوَةُ بن الزبير رضى الله عنهما .

وسَعِيدُ بن المُسَيَّبِ ، وأبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث

ابن هشام .

وحجَّ بالناس مسلمة بن عبد الملك . وقيل عبد العزيز بن الوليد .

وفيهما استقضى الوليدُ على الشام سليمان بن حبيب .

سنة (٩٥ هـ) خمس وتسعين :

ذكر وفاة الحجاج بن يوسف الثقفي

وشيء من أخباره

هو أبو محمد الحجاج بن يوسف بن الحكم بن أبي عقيل

ابن عامر بن مسعود بن مالك بن كعب بن عمرو بن سعد بن عوف

ابن ثقيف ، كانت وفاته في شوال سنة [٥٩٥ هـ] خمس وتسعين ،

(٢) في الديوان : ترددني .

(١) ديوانه : ١٦

وقيل لخمسين بقين من شهر رمضان من السنة ، وله من العمر أربع وخمسون ، وقيل ثلاث وخمسون .

روى أن عمر بن عبد العزيز ذكر عنده ظلم الحجاج وغيره من ولاة الأمصار في أيام الوليد بن عبد الملك ، فقال عمر بن العزيز : الحجاج بالعراق ، والوليد بالشام ، وقرّة بن شريك بمصر ، وعثمان بالمدينة ، وخالد بمكة ؛ اللهم قد امتلأت ظلماً وجوراً ، فأرح الناس . فلم يمحض غير قليل حتى توفى الحجاج وقرّة في شهر واحد . ثم تبعهم الوليد ، وعزل عثمان بن حيان ، وخالد بن عبد الله القسرى . واستجاب الله لعمر .

وما أشبه هذه القصة بقصة عبد الله بن عمر رضى الله عنهما لما بلغه أن زياد ابن أبيه كتب إلى معاوية يقول : إني قد ضبطت العراق بشمالي ويميني فارغة . فقال ابن عمر : اللهم أرحنا من يمين زياد ، وأرح أهل العراق من شماله . فاستجاب الله له .

وكان من خبر وفاة زياد ما ذكرناه .

وكانت ولاية الحجاج العراق عشرين سنة ، ولما حضرته الوفاة استخلف على الصلاة ابنه عبد الله ، وعلى حرب الكوفة والبصرة يزيد بن أبي كبشة ، وعلى الخراج يزيد بن أبي مسلم ، فأقرهما الوليد بعده .

وكان الحجاج من أفصح الناس . قال أبو عمرو بن العلاء : ما رأيت أفصح من الحجاج ومن الحسن ، وقد ذكرنا من كلامه عند مقدمه الكوفة ما يدل على فصاحته .

ومن أخباره أن عبد الملك كتب إليه يأمره بقتل أسلم بن عبد الله
البكرى لشيء بلغه عنه ، فأحضره الحجاج ، فقال : أمير المؤمنين
غائب وأنت حاضر ، والله تعالى يقول (١) : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا
إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبِيٍّ فَبَيِّنُوا ... » الآية . والذي بلغه عن فباطل (٢) .
فاكتب إلى أمير المؤمنين أني أعول أربعة وعشرين امرأة ، وهن
بالباب ؛ فأحضرهن ، وكان في آخرهن جارية قاربت عشرينين .
فقال لها : مَنْ أَنْتِ مِنْهُ ؟ قالت : ابنته ، أصلح الله الأمير ، ثم
أنشأت (٣) :

أحجاجُ لو^(٤) تشهد مقام بناته وعماته يَنْدُبُنَّهُ الليلَ أجمعاً
أحجاج لا^(٤) تقتل به إن قتلتَه ثماناً وعشراً واثنتين وأربعاً
أحجاج مَنْ هذا يقوم مقامه علينا فمهلاً أَنْ تَزِدُنَا تَضَعُضُماً
أحجاج إما أَنْ تَجُودَ بِنِعْمَةٍ علينا وإما أَنْ تُقْتَلَنَا مَعاً
فبكى الحجاج ، وقال : والله لا أعنت الدهر عليكن ولا زدُتكن
تَضَعُضُماً .

وكتب إلى عبد الملك بعخبره وخبر الجارية ، فكتب إليه :
إذا كان الأمر كما ذكرت فأخسن صلته وتفقد (٥) الجارية :
ف فعل .

(١) سورة الحجرات ، آية ٦

(٢) في الكامل : باطل

(٣) الشعر في الكامل : ٤ - ٣٣

(٤) في الكامل : لم .

(٥) في ك : ونفذ .

قال عاصم بن بهدلة : سمعتُ الحجاج يقول : اتَّقُوا اللَّهَ ما استطعتم ، هذا والله مثنوية ، واسمعوا وأطيعوا وأنفقوا خيراً لأنفسكم ليس فيه مثنوية ، والله لو أمرتكم أن تخرجوا من هنا الباب فخرجتم من هذا لحللت لى دماؤكم ، ولا أجد أحداً يقرأ على قراءة ابن أمّ عبد - يعنى ابن مسعود - إلا ضربت عنقه ، ولأحكنها من المصحف ولو بضلع خنزير .

قال الأوزاعى : قال عمر بن عبد العزيز : لو جاءت كل أمة بخبيثها وجفتنا بالحجاج لغلبناهم .

قال الحسن : سمعتُ علياً يقول على المنبر : اللهم ائتمنتهم فخانوا ، ونصحتهم فغشوني ، اللهم فسلط عليهم غلاماً ثقيف يحكم فى دماهم وأموالهم بحكم الجاهلية ، فوصفه . قال الحسن . هذه والله صفة الحجاج .

قال حبيب بن أبى ثابت : قال على رضى الله عنه لرجل : لآتموت حتى تدرِك فتى ثقيف . قيل : يا أمير المؤمنين ؛ ما فتى ثقيف ؟ قال : ليُقَالَنَّ لَهُ يوم القيامة : اكفينا زاوية من زوايا جهنم ، رجل يملك عشرين سنة أو بضعا وعشرين ، فلا يدع لله معصية إلا ارتكبها ، حتى لو لم يبق إلا معصية واحدة وبينها وبينه باب مُغلق لكسره حتى يرتكبها ، يقتل ^(١) من أطاعه بمن عصاه .

وقيل : أحصى من قتلته الحجاج صبيرا فكانوا مائة ألف وعشرين

ألفا .

(١) فى الكامل : يقتل بمن أطاعه من عصاه .

وقيل : إن الحجاج مرَّ بخالد بن يزيد بن معاوية وهو يخطر في شيبته ، فقال رجل لخالد : مَنْ هذا ؟ فقال خالد : بخ بخ ! هذا عمرو ابن العاص . فسمِعها الحجاجُ فرجع ، وقال : والله ما يسرُّني أن العاص والدي (١) ، ولكنني ابنُ الأشياخ من ثقيف ، والعقائل من قريش ، وأنا الذي ضربت (٢) بسيفي هذا مائة ألف كلهم يشهدُ أن أباك كان يشربُ الخمر ويُضْمِر الكفر . ثم ولى ، وهو يقول : بَخ بخ عمرو بن العاص ! فقد أقرَّ على نفسه مائة ألف قتيل على ذنْبٍ واحد . وحجَّ بالناس في هذه السنة بشر بن الوليد بن عبد الملك .

سنة (٩٦ هـ) ست وتسعين :

ذكر وفاة الوليد بن عبد الملك

وشيء من أخباره وسيرته وأولاده وعماله

كانت وفاته بدير (٣) مُرَّان في النصف من جمادى الآخرة من هذه السنة . ودير مُرَّان كان بجبَل قاسيون بظاهر دمشق ، وهو الآن مدرسةٌ وترتبهُ منسوبة إلى الملك المعظم شرف الدين عيسى ابن العادل ابن أيوب . كانت مدة خلافته تسع سنين وثمانية أشهر . ودُفن خارج الباب الصغير بدمشق . وقيل في مقابر الفراديس (٤) . وصلى عليه عمر بن عبد العزيز . ولما دُئِيَ في حُفْرته جُمِعَت ركبته إلى عنقه ، فقال ابنه : عَاشَ أبي ؟ فقال له عمر بن عبد العزيز - وكان فيمن

(١) في الكامل : و ل د ن .

(٢) في ك : يضرب .

(٣) دير مران - بضم الميم . ثنية المر : بالقرب من دمشق (يا قوت) .

(٤) الفراديس : موضع بقرب دمشق (يا قوت) .

دفنه : عُوْجِلَ والله أبوك . وكانَ عمره اثنتين وأربعين سنة وستة أشهر . وقيل سبعا وأربعين . وقيل ثمانياً وأربعين . والله أعلم .

وكانَ أَسْمَرَ اللَّوْنِ ، جميل الوجه ، أْفطس الأنف . وقيل . كان سائل الأنف جِداً وبوجهه آثار جُدْرَى .

وكانَ نَقَشَ خاتمه : يا وليد ، إنك ميت .

وكان له من الأولاد تسعة عشر ذكراً ، وعدّهم بغض المؤرخين عشرين ، وهم : يزيد ، وإبراهيم - وليا الخلافة ، والعباس فارس بنى مروان ، وعمر فحل بنى مروان ، وعبد العزيز ، وبشر ، وصدقة ، ومحمد ، وتمام ، وخالد ، وعبد الرحمن ، ومبشر ، ومسرور ، وأبو عبيدة ، ومنصور ، ومروان ، وعَنْبَسَة ، وعمرو ، وروح ، ويحيى ، هؤلاء الذكور ، سوى البنات .

كُتِبَ : قرّة بن شريك ، ثم قَبِيصَة بن ذؤيب ، ثم الضحّاك ابن يزيد ، ثم يزيد بن أبى كَبِشَة ، ثم عبد الله بن بلال . قُضِيَتْ : عبد الله بن بلال ، وسليمان بن حبيب .

حُجِّبَ : خالد ، وسعيد مولىاه .

الأمرء بمصر : أخوه عبدُ الله ، ثم قرّة بن شريك .

قاضيتها : عبد الله بن عبد الرحمن بن حجيرة (١) ، ثم صرفه قرّة وولّى عياض بن عبد الله ، ثم وليها عبد الملك بن رِفاعة بعد وفاة قرّة .

وكانَ عَمّالَه على الأمصار من ذَكَرناهم .

قال : وكان الوليد بن عبد الملك عند أهل الشام من أفضل

(١) هذا بالأصول .

خلفائهم (١) ، وله آثارٌ حسنة ومبان عظيمة ، وفتح في أيامه بلاد الأندلس وما وراء النهر وبلاد الهند .

[قال] (٢) : وكان الوليد يمرُّ بالبَقَال فيقف عليه ، ويأخذ منه حُزْمَةً بَقَلٍ ، فيقول : بكم هذه ؟ فيقول : بفلس . فيقول الوليد : زد فيها .

وبنى جامع دمشق في سنة [٥٨٦هـ] ست وثمانين ، وهدم كنيسة النصرارى التي كانت إلى جانبه ، وتُعرف بماريو حنا ، وزادها فيه .

وقيل : كان في الجامع وهو يُبْتَنى اثنا عشر ألف مرخم . وتوفى الوليد ولم يتم بناؤه ، وكان الفراغ منه في أيام سليمان أخيه .

وقيل : إن جُمْلَةً ما أنفق عليه أربعمائة صندوق ، في كل صندوق أربعة عشر ألف دينار ، وكان فيه سبائة سلسلة من الذهب للقناديل ، ولم تطق الناس الصلاة فيه لكثرة شعاعه ، فدخنت حتى اسودت ، فلما ولي عمر بن عبد العزيز جعلها في بيت المال ، وعوضها بالحديد .

وأمر الوليد ببناء جامع البيت المقدس في سنة [٥٨٨هـ] ثمان وثمانين . قيل : وحجَّ الوليد بالناس ثلاث (٣) حجج : سنة ثمان وثمانين ، وسنة إحدى وتسعين ، وسنة أربع وتسعين .

قال : وكان الوليد أراد أن يخلع أخاه سليمان ، ويبايع لوكده عبد العزيز ، فأبى سليمان ، فكتب إلى عماله ، ودعا الناس إلى خلعِهِ ، فلم يُجِبْهُ إلى ذلك إلا الحجاج وقتيبة وخواص من الناس .

(١) في الطبرى : خلائقهم .

(٢) من ك .

(٣) في ك : ثمانى .

فكتب الوليدُ إلى سليمان يأمره بالقدوم عليه ، فأبْطَأَ ، فعزَمَ على المسير إليه ليَخْلَعَهُ ، وأخرج خيمةً فمات قبل أن يَسِيرَ إليه .

قال : وكان الوليدُ لِحَانًا لا يُحْسِنُ العربية ، فعاتبه أبوه ، وقال : إنه لا يلى العَرَبَ إِلَّا مَنْ يُحْسِنُ كَلَامَهُمْ ؛ فجمع النُّحَاةَ ، ودخل بيتًا فلم يخرج منه ستة أشهر ، ثم خرج وهو أَجْهَلُ منه يَوْمَ دَخَلَ ، فقال عبد الملك : قد أعذر . والله سبحانه وتعالى أعلم .

ذكر بيعة سليمان بن عبد الملك

هو أبو أيوب سليمان بن عبد الملك بن مروان بن الحكم ، وأمه ولادة أم أخيه الوليد ، وهو السابع من ملوك بني أمية . بُويع له يوم السبت للنصف من جمادى الآخرة ، وهو يوم وفاة أخيه الوليد ، وكان إذ ذاك بالرَّمْلَةَ ، وكان الوليد قد أراد خَلْعَهُ مِنْ وِلَايَةِ الْعَهْدِ ، فمات قبل أن يُتِمَّ له ما أراد من ذلك .

ولنذكر الحوادث الكائنة في أيامه على حكم السنين :

ذكر قتل ^(١) قتيبة بن مسلم

وفي هذه السنة قُتِلَ قَتَيْبَةُ بن مسلم الباهلى بخراسان ، وكان سبب ذلك أنه أجاب الوليدَ إلى خَلْعِ سليمان كما ذكرنا ، فلما أفضت الخلافة إلى سليمان خشي قَتَيْبَةُ أن سليمان يستعمل يزيد بن المهلب على خراسان ، فكتب قَتَيْبَةُ إلى سليمان كتابًا بهنئه بالخلافة ويذكر

(١) في د : مقتل .

بلاغه وطاعته لعبد الملك والوليد ، وأنه له على مثل ذلك إن لم يغرله
عن خراسان .

وكتب إليه كتاباً آخر يُعَلِّمُه فيه بفتوحه ومكانته ، وعِظَمَ قَدْرُه
عند ملوك العجم ، وهَيَّبَتْه في صدورهم ، ويزم آل المهلب ، وَيَحْلِفُ
بالله لئن استعمل يزيد على خراسان ليخلعنه .

وكتب كتاباً ثالثاً فيه خلعه ، وبعث الكتب مع رجل من أهله ،
وقال له : ادفع الكتاب الأول إليه ، فإن كان يزيد حاضراً فقرأه
ثم ألقاه إليه فاذقعه إليه هذا الثاني . فإن قرأه ودفعه إلى يزيد فاذقعه
إليه الثالث ، وإن قرأ الأول ولم يدفعه إلى يزيد فاحبس الكتابين عنه .

فقدم رسول قتيبة ، فدخل على سليمان وعنده يزيد بن المهلب ،
فدفع إليه الكتاب الأول ، فقرأه وألقاه إلى يزيد ، فدفع إليه الثاني ،
فقرأه وألقاه إليه ، فأعطاه الثالث ، فقرأه وتغير^(١) لونه وختمه
وأمسكه بيده^(٢) . فقيل^(٣) : كان فيه : لو لم^(٤) تقرني على ما كنت
عليه وتؤمنني لأخلعنك ، ولأملأنها عليك خيلاً ورجلاً^(٥) .

ثم أمر سليمان بإنزال رسول قتيبة ، ثم أحضره ليلاً وأعطاه دنانير
وعهد قتيبة على خراسان وسير معه رسولا ، فلما كانا^(٥) يحلوان
بلغهما خلع قتيبة ، فرجع رسول سليمان ، وكان قتيبة لما هم بخلع
سليمان استشار إخوته فقال عبد الرحمن : اقطع بعثاً [فوجه]^(٦)

(١) في د : وتمعر . وفي الطبري : فتمعر . وتمعر وجهه : تغير .

(٢) في د : قبيل . وفي ك : وقيل .

(٣) في الكامل ، والطبري : لئن لم .

(٤) في الكامل : رجلاً وخيلاً .

(٥) في ك : كان .

(٦) من الطبري .

فيه كلٌّ من تخافه ، ووجهٌ قومًا إلى مرو ، وميسرٌ حتى تنزوا
سمرقند ، وقل لمن معك : من أحب المقام فله المواساة ، ومن
أراد الانصراف فغير مستكره ، فإنه لا يُقيم عندك إلا مناصح . وقال له
أخوه عبد الله : اخلعه مكانك فلا يختلف عليك رجُلان . فوافقه وخلع
سليمان ، ودعا الناس إلى خَلعه فلم يُجبه أحد ، فغضب ، وقال :
لا أعز الله من نصرته ، والله لو اجتمعتم على عزى ما كسرتم قرننا ،
وسبهم طائفة طائفةً وقبيلةً قبيلةً ، وذكر مساوئهم ومعائبهم ، ونزل ،
فغضب الناس واجتمعوا على خلع قتيبة وخلافه ، وكان أول من تكلم
في ذلك الأزدي ، فأتوا حُصَيْن (١) بن المنذر ، فقالوا : إن هذا قد خلع
الخليفة ، وفيه فسادُ الدِّينِ والدنيا ، وقد شتمنا فما ترى ؟ فأشار عليهم
أن يأتوا وكيع بن أبي سُود التميمي ، ويقدموه لربا سته في قومه ،
فأتوه وسألوه أن يلبى أمرهم ، ففعل .

وكان بخراسان يومئذ من أهل البصرة والعالية من المقاتلة
تسعة آلاف ، ومن بكر سبعة (٢) آلاف ، ورئيسهم حُصَيْن
ابن المنذر ، ومن تميم عشرة آلاف وعليهم ضرار بن حُصَيْن ،
ومن عبد القيس أربعة آلاف وعليهم عبد الله بن حوذان (٣) .
ومن أهل الكوفة سبعة آلاف وعليهم جهم بن زحر . ومن الموالى
سبعة آلاف وعليهم حيان النبطى مولى بنى شيبان ، وهو من الدَّيْلَمِ
وقيل من خراسان ، وإنما قيل له النبطى للكنته .

(١) بضاد معجمة (الكامل : ٤ - ١٤٠) ،

(٢) في ك : ستة آلاف . والمثبت في د ، والكامل ، والطبرى .

(٣) في الكامل ، والطبرى : علوان .

فأرسل حَيَّانَ إِلَى وَكَيْعٍ يَقُولُ: إِنَّ أَنَا كَفَفْتُ عَنْكَ وَأَعْنَتُكَ تَجْعَلُ لِي الْجَانِبَ الشَّرْقِيَّ مِنْ نَهْرِ بَلَخٍ آخِذَ خَرَّاجِهِ مَا دُمْتَ حَيًّا ، وَمَا دُمْتَ أَمِيرًا !
قال : نعم . فقال حيان للعجم : هؤلاء يقَاتِلُونَ عَلَى غَيْرِ دِينٍ ، فَدَعُوهُمْ
يَقْتُلُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا . ففعلوا .

وقيل لقتيبة : إن وَكَيْعًا يَبَايِعُ النَّاسَ ، فَدَسَّ عَلَيْهِ ضِرَارُ بْنُ سَنَانَ
الضَّبِّيَّ ، فَبَايَعَهُ سِرًّا ، فَظَهَرَ أَمْرُهُ لِقَتَيْبَةَ ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ يَدْعُوهُ ، فَوَجَدَهُ
قَدْ طَلَى رِجْلَيْهِ بِمَغْرَةٍ (١) ، وَعَلَّقَ عَلَى سَاقِهِ (٢) خَرَزًا ، وَعِنْدَهُ رِجْلَانِ
يَرْقِيَانِ رِجْلَهُ . فقال للرسول : قد ترى ما يبرجلى . فرجع إليه فأخبر
قتيبة ، فأعادته إليه يقول : لَتَأْتِيَنِي بِهِ مَحْمُولًا ، فَأَتَاهُ فَقَالَ :
لَا أَسْتَطِيعُ . فقال قتيبة لِصَاحِبِ شَرْطَتِهِ : انْطَلِقْ إِلَى وَكَيْعٍ فَأَتِنِي بِهِ ،
فَإِنَّ أَبِي فَاضْرِبُ عُنُقَهُ ، وَوَجْهَهُ مَعَهُ خَيْلًا .

وقيل : أَرْسَلَ إِلَيْهِ شُعْبَةُ (٣) بِنَ ظَهِيرِ التَّمِيمِيِّ . فقال له وَكَيْعٌ :
يَا ابْنَ ظَهِيرٍ ، لَبِثْتُ قَلِيلًا تَلْحَقُ الْكُتَائِبَ . وَلَبِيسُ سِلَاحِهِ ، وَنَادَى فِي
النَّاسِ ، فَأَتَوْهُ ، وَرَكِبَ فَرَسَهُ ، وَخَرَجَ ، فَأَتَاهُ النَّاسُ أَرْسَالًا ،
وَاجْتَمَعَ إِلَى قَتَيْبَةَ أَهْلُ بَيْتِهِ وَخَوَاصُّ أَصْحَابِهِ وَثِقَاتِهِ ، مِنْهُمْ إِيَّاسُ
ابْنُ بِيْهَسِ بْنِ عَمْرٍو ، وَهُوَ ابْنُ عَمِّ قَتَيْبَةَ ، وَدَعَا قَتَيْبَةَ بِبِرْدُونَ لَهُ
مَدْرَبٌ لِيَرْكَبَهُ ، فَاسْتَعْصَبَ عَلَيْهِ حَتَّى أَعْيَاهُ ، فَجَلَسَ عَلَى سَرِيرِهِ
وَقَالَ : دَعُوهُ ، فَإِنَّ هَذَا أَمْرٌ يَرَادُ .

وجاء حيان في العجم وقتيبة واجدًا عليه ، فقال عبد الله أخو

(١) المغرة - و تحرك : طين أحمر .

(٢) في الكامل : على رأسه . والمثبت في ك ، والطبرى .

(٣) ك : سعيد . والمثبت في د ، والكامل ، والطبرى .

قتيبة : احمِلْ عليهم . فقال حيان : لم يأتِ بَعْدُ . وقال حيان لابنه :
 إذا رأيتنى قد حولت قلنسوتى ومِلت نحو عسكر وكيع فمِلْ بمن
 معك من العجم إلى . فلما حول حيان قلنسوته مالت الأعاجمُ إلى عسكر
 وكيع فكبروا وهاجوا ، فقتل عبد الرحمن أخو قتيبة ، وجاء الناس
 حتى بلغوا فسقاط قتيبة ، فقطعوا أطنابه ، وجرح قتيبة جراحات
 كثيرة ، فقال جهنم بن^(١) زحر بن قيس لسعد : انزل فجز رأسه ،
 فنزل وشمق الفسقاط ، واحتز رأسه ، وقتل معه من أهله وإخوته :
 عبد الرحمن ، وعبد الله ، وصالح ، وحُضَيْن ، وعبد الكريم : بنو مسلم^(٢) .
 وقتل كثير ابنه ، وكان عِدَّة مَنْ قتل مع قتيبة من أهله أحد عشر
 رجلا ، فأرسل وكيع إلى سليمان برأيسه ورؤوس أهله .

ولما قتل قال رجل من خراسان : يامعشر العرب ، قتلتم قتيبة ،
 والله لو كان منّا فمات لجعلناه في تابوت ، فكنا نستفتح به إذا غزونا .
 وقال عبد الرحمن بن جُمَانَة الباهلي يرثي قتيبة^(٣) :

كأن أبا حفصٍ قتيبةً لم يسرْ	بجيشٍ إلى جيشٍ ولم يغلُ منبراً
ولم تخفق الرايات والجيشُ حوله	وقوفٌ ولم تشهد له الناس عسكراً
دعته المنايا فاستجاب لربِّه	وراح إلى الجنات عفاً ^(٤) مطهراً
فما رزى الإسلامُ بعدَ محمد	بمثل أبي حفصٍ فبكيه ^(٥) عبهراً
وعبهر : أمٌ ولد له .	

(١) في د : زحر بن قيس . والمثبت في الكامل ، والطبرى . وقد ضبطت الزاى
 في د بالضم .

(٢) في ك : ومسلم . والمثبت في الكامل ، والطبرى .

(٣) والطبرى : ٦ - ٥٢١ ، والكامل : ٤ - ١٤٢ .

(٤) في الكامل : عفواً .

(٥) في ك : فبكيه . والمثبت في الكامل والطبرى .

ووصل خَبْرُ مَقْتَلِهِ إِلَى الشَّامِ فِي الْيَوْمِ الثَّانِي مِنْ مَقْتَلِهِ .
 قَالَ شَيْوْخٌ مِنْ غَسَّانَ : كُنَّا بِثَنِيَّةِ الْعُقَابِ ^(١) إِذَا نَحْنُ بِرَجُلٍ مَعَهُ عَصَا
 وَجِرَابٌ ، فَمَلْنَا : مَنْ أَيْنَ أَقْبَلْتَ ؟ قَالَ : مِنْ خِرَاسَانَ . قُلْنَا ؟ هَلْ كَانَ بِهَا مِنْ
 خَبْرٍ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، قُتِلَ بِهَا قَتَيْبَةُ بْنُ مُسْلِمِ بْنِ أَمِيْرِ ، فَعَجَبْنَا مِنْ قَوْلِهِ . فَلَمَّا رَأَى
 إِنْكَارَنَا قَالَ : أَيْنَ تَرَوْنِي اللَّيْلَةَ مِنْ إِفْرِيقِيَّةِ ^(٢) ؟ وَتَرَكْنَا وَمَضَى ،
 فَاتَّبَعْنَاهُ عَلَى خَيْوَلَانَا فِإِذَا بِهِ يَسْبِقُ الطَّرْفَ . وَثَنِيَّةُ ^(١) الْعُقَابِ فِي مَرْجِ
 دِمَشْقَ عَلَى نِصْفِ مَرْحَلَةٍ مِنْهَا .

• • •

وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ عَزَلَ سُلَيْمَانَ بْنَ عَبْدِ الْمَلِكِ عُمَانَ بْنَ حَيَّانَ عَنِ الْمَدِينَةِ
 لِسَبْعِ بَقِيَيْنَ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ ، وَاسْتَعْمَلَ عَلَيْهَا أَبَا بَكْرَ بْنَ مُحَمَّدِ
 ابْنِ عَمْرٍو بْنِ حَزْمٍ ، وَكَانَ عُمَانُ قَدْ عَزَمَ عَلَى أَنْ يُجَلِّدَ أَبَا بَكْرٍ هَذَا
 وَيُحَلِّقَ لِحَيْتِهِ مِنَ الْغَدِ ، فَلَمَّا كَانَ الْيَلَّ جَاءَ الْبَرِيدُ إِلَى أَبِي بَكْرٍ يُتَأْمِرُهُ
 وَعَزَلَ عُمَانَ وَحَدَهُ وَتَقَيَّيْدَهُ .

وَعَزَلَ سُلَيْمَانَ أَيْضًا يَزِيدَ بْنَ أَبِي مُسْلِمٍ عَنِ الْعِرَاقِ ، وَاسْتَعْمَلَ
 يَزِيدَ بْنَ الْمُهَلَّبِ ، وَجَعَلَ صَالِحَ بْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَلَى الْخَرَاجِ ، وَأَمْرَهُ
 بِبَسْطِ الْعَذَابِ عَلَى آلِ أَبِي عَقِيلٍ ، وَهُمْ أَهْلُ الْحِجَاجِ ، فَكَانَ يَغْلِبُهُمْ ،
 وَيَلِي غَدَابَتَهُمْ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنَ الْمُهَلَّبِ .

وَحَجَّ بِالنَّاسِ أَبُو بَكْرٍ بْنُ مُحَمَّدٍ وَهُوَ أَمِيرُ الْمَدِينَةِ ، وَكَانَ حَلَّى
 مَكَّةَ عَبْدَ الْعَزِيزِ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ خَالِدِ بْنِ أَمِيْدٍ ^(٣) وَعَلَى حَرْبِ الْعِرَاقِ .

(١) ثنية العقاب - بالضم : هي ثنية مشرقة على غوطة دمشق . وثنية العقاب :
 بالفتور الشامية قرب المصبية (المرصد) .

(٢) هذا في ك : د .

(٣) بفتح الهمزة وكسر السين (الكامل : ٤ - ١٤٣) .

وصلاتها يزيد بن المهلب ، وعلى خراجها صالح بن عبد الرحمن .
وعلى البصرة سفیان بن عبد الله الكِنْدِي من قبل يزيد ، وعلى قضائها
عبد الرحمن بن أُذَيْنَةَ ، وعلى قضاء الكوفة أبو بكر بن أبى موسى ،
وعلى حرب خراسان وكيع بن أبى سُود (١) .

وفيهما مات شريح القاضى ، وقيل سنة [٨٩٧] سبع وتسعين .
وله مائة وعشرون سنة ، ومحمود بن لبيد الأنصارى وله صُخْبَةٌ .
سنة (٩٧ هـ) سبع وتسعين :

ذکر ولاية يزيد بن المهلب خراسان

فى هذه السنة استعمل سليمان بن عبد الملك يزيد بن المهلب
على خراسان مضافةً إلى العراق ، وكان سبب ذلك أن سليمان لما ولى
يزيد بن المهلب العراق فوُضَّ إليه الحربَ والخراج والصلاة بها ،
فنظر يزيد لنفسه ، فرأى أن الحجاج قد أخرب العراق ، وأنه إن
أخذ الناس بالخراج وعذبهم عليه صار عندهم مثل الحجاج ، وأنه متى
لم يفعل ذلك ويأت سليمان بمثل ما كان الحجاج يأتى به لم يقبل منه ،
فأشار على سليمان أن يوَلِّ صالح بن عبد الرحمن مولى تميم الخراج ،
فولاه الخراج وسيِّره قَبْلَ يزيد ، فنزل واسطا . ولما قدم يزيد خرج
الناس يتلقونه ، ولم يخرج صالح حتى قَرَّبَ يزيد ، فخرج وبين
يديه أربعمائة من أهل الشام ، فلقى يزيد وسائره ، ولم يمكنه من
شيء ، وضميق عليه ، فضجر يزيد من ذلك ، فدعا عبد الله بن الأَهمس ،
وقال له : إني أريدك لأمرٍ أهمنى ، وأحبُّ أن تكفينيه . قال : أفعل .

(١) فى ك : أسود - محريف .

قال : أنا فيما ترى من الضيقتي ، وقد ضجرت منه ، وخراسان شاعرة
فهل من حيلة ؟ قال : نعم ، سرّختي إلى أمير المؤمنين .

فكتب يزيد إلى سليمان وأعلمه بحال العراق ، وأثنى على ابن الأَهم
وذكر علمه بها ، وسيره على البريد ، فأثنى ابن الأَهم سليمان فقال له :
إن يزيد كتب إليّ يذكر علمك بالعراق ، فكيف ^(١) علمك بخراسان ؟
قال : أنا أعلم الناس بها ، ولذت بها ونشأت ، ولى بها وبأهلها خير .
قال : فأثّر على برجل أوليه خراسان . قال : أمير المؤمنين أعلم بمن
يريد ، فإن ذكر منهم أحداً أخبرته برأى فيه ، فسمى رجلاً من
قريش ، فقال : ليس من رجال خراسان . قال : فعبد الملك بن المهلب .
فقال : لا يصح ، فإنه يضيق عن هذا ، وليس له مكر أبيه
ولا شجاعته ^(٢) ، حتى ذكر رجالا ، وكان آخر من ذكر وكيع
ابن أبي سؤد ، فقال : يا أمير المؤمنين ، وكيع رجل شجاع صارم
رئيس مقدم ، وما أحد أوجب شكرا ولا أعظم عندي يداً من وكيع ،
لقد أدرك بشارى وشفانى من عدوى ، ولكن أمير المؤمنين أعظم حقا ،
والنصيحة له تلزمنى ، إن وكيعاً لم يجتمع له مائة عنان قط إلا حدث
نفسه بغدرة ، خامل في الجماعة ، نابه ^(٣) في الفتنه .

قال : فمن لها ويحك ! قال : رجل أعلمه لم يسّمه أمير المؤمنين .
قال : فمن هو ؟ قال : لا أذكره حتى يضمّن لي أمير المؤمنين ستر
ذلك ، وأن يجيرني منه إن علم . قال : نعم ، قال : يزيد بن المهلب .

(١) في د : وكيف .

(٢) في الكامل : ولا شجاعة أخيه .

(٣) في الكامل : نابت .

قال : العراق أحبُّ إليه من خراسان ؟ قال : قد علمت يا أمير المؤمنين ، ولكن تُكرِّهُهُ فيستَخْلِفُ على العراق [رجلا] ^(١) ويسير هو إلى خراسان . قال : أصبَتْ الرأى .

فكتب عهدَ يزيد على خراسان ، وسيِّره مع ابن الأَهم ، فأتى يزيد ، فأمر بالجهاز للمسير من ساعته ، وقدم ابنه مخلداً إلى خراسان من يومه ؛ ثم سار يزيد بعده ، واستخلف على واسط الجراح بن عبد الله الحكيمى ، وعلى البصرة عبد الله بن هلال الكلابى ، وجعل أخاه مروان بن المهلب على حوائجه وأموره بالبصرة ، واستخلف على الكوفة حرمة بن عمير اللخمي أشهراً ، ثم عزله ، وولى بشير بن حيان النهدي ، وكانت قيس تزعم أن قتيبة لم يُخلع ، فأمر سليمان يزيداً أن يسأل عن ذلك . فإن أقامت قيس البيئة أن قتيبة لم يُخلع فنقيد وكيما به ، فلما وصل مخلد بن يزيد مرواً أخذهُ وكيح ^(٢) فحبسه وعذبه ، وعذب أصحابه قبل قدوم أبيه ، فكانت ولاية وكيح خراسان تسعة أشهر أو عشرة أشهر ، ثم قدم يزيد خراسان فأدى ^(٣) أهل الشام وقوماً من أهل خراسان ، فقال نهار ابن تويصة رحمه الله ^(٤) :

وما كنا نؤمل من أميرٍ كما كنا نؤمل من يزيدٍ
فأخطأ ظننا فيه - وقدمنا زهدنا في معاشرته - الزهيد
إذا لم يُعطينا نصفاً أميرٍ مشيناً نحوه مشى الأسود

(١) من الطبرى .

(٢) ك : أخذ وكيما . والمثبت فى الكامل .

(٣) فى الطبرى : فأدى .

(٤) والطبرى : ٦ - ٥٢٨ ، والكامل : ٤ - ١٤٦ .

فمَهلاً يابيزيد أنبَ إلينسا ودَعْنَا مِن مُعَاشِرَةِ الْعَبِيدِ
 نَجِيءٌ^(١) وَلَا^(٢) نَرَى إِلَّا صُدُودًا عَلَى أَنَا نَسَلُمُ مِن بَعِيدِ
 وَتَرْجِعُ خَائِبِينَ بِلَا نَوَالٍ فَمَا بَالُ التَّجَهُمِ وَالصُّدُودِ



وفي هذه السنة جَهَّزَ سُلَيْمَانَ الْجِيُوشَ إِلَى الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ ، وَاسْتَعْمَلَ
 ابْنَهُ دَاوُدَ عَلَى الصَّائِفَةِ ، فَافْتَتَحَ حِصْنَ الْمَرْأَةِ .

وَفِيهَا غَزَا مُسْلِمَةُ أَرْضَ الْوَصَّاحِيَّةِ ، وَفَتَحَ الْحِصْنَ الَّذِي فَتَحَهُ
 الْوَصَّاحُ .

وَعَزَا عُمَرَ بْنَ هُبَيْرَةَ الرُّومِ فِي الْبَحْرِ فَشَتَّابَهَا . وَحَجَّ سُلَيْمَانُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ
 بِالنَّاسِ .

وَفِيهَا عَزَلَ دَاوُدُ بْنُ طَلْحَةَ^(٣) الْحَضْرَمِيَّ عَنِ مَكَّةَ ، فَكَانَ عَمَلُهُ عَلَيْهَا
 سِتَّةَ أَشْهُرٍ ، وَوَلِيَ عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ خَالِدٍ .

سنة (٩٨ هـ) ثمان وتسعين :

ذِكْرُ مَحَاصِرِ الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ

فِي هَذِهِ السَّنَةِ بَعَثَ سُلَيْمَانُ الْجِيُوشَ إِلَى الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ مَعَ أَخِيهِ
 مَسْلَمَةَ بَعْدَ أَنْ سَارَ سُلَيْمَانُ إِلَى دَابِقَ^(٤) ، وَكَانَ مَلِكُ الرُّومِ قَدِ امْتَدَّ ،
 فَجَاءَ أَلْيُونُ مِنْ أَدْرِبِيْجَانَ إِلَى سُلَيْمَانَ ، وَأَخْبَرَهُ بِوَفَاتِهِ ، وَضَمَّنَ لَهُ
 فَتَحَ الرُّومِ ، فَبِعِثَ مَعَهُ مُسْلِمَةَ ، فَسَارَ هُوَ وَأَلْيُونُ ، فَلَمَّا دَنَا مِنْ أَرْضِ
 الرُّومِ أَمَرَ كُلَّ فَارِسٍ أَنْ يَحْمَلَ مَعَهُ مَدِينِينَ مِنْ طَعَامٍ ، فَلَمَّا أَتَاهَا أَمَرَ

(١) فِي الْكَامِلِ : نَجِيبٌ .

(٢) فِي الطَّبْرِيِّ : فَلَا تَرَى .

(٣) فِي الطَّبْرِيِّ : عَزَلَ سُلَيْمَانَ طَلْحَةَ بْنَ دَاوُدَ .

(٤) دَابِقُ : مَدِينَةٌ فِي أَقْصَى فَارِسِ (الْبَكْرِيِّ) .

بالقاء ذلك ، فصار مثل الجبال ، وقال مسلمة لمن معه : لا تأكلوا منه شيئاً وأغبروا^(١) فى أرضهم وازرعوا ، وعمل بيوتا من خشب فشتا فيها وصاف وزرع الناس ، فلما^(٢) كثر عندهم الطعام أقام مسلمة قاهرا للروم معه أعيان الناس ، فأرسل الروم إلى مسلمة يُعطونه عن كل رأس دينارا فلم يقبل : فقالت الروم لأليون : إن صرفت عنا المسلمين ملكناك ، فاستوثق منهم ، وأتى مسلمة فقال له : إن الروم قد علموا أنك لا تصدقهم القتال ، وأنتك تطاولهم ما دام الطعام عندك ، فلو أحرقتة أعطوا ما بأيديهم ، فأمر مسلمة بالطعام فحرق ، فقوى الروم وضاق المسلمون حتى كادوا يهلكون ، ودأبوا على ذلك حتى مات سليمان .

وقيل : إن أليون إنما خدع مسلمة بأن سأله أن يدخل من الطعام إلى الروم ما يعيشون به ليلة [واحدة]^(٣) ، ليصدقوا أن أمره وأمر مسلمة واحد ، وأنهم فى أمان من السبى والخروج من بلادهم ، فأذن له فى ذلك . وكان أليون قد أعد السفن والرجال فنقلوا تلك الليلة الطعام كله ، وأصبح أليون محاربا ، ولقى الجند ما لم يلقه أحد^(٤) ، حتى أن كان الرجل ليخاف أن يخرج من العسكر وخده ، وأكلوا الدواب والجلود وأصول الشجر والورق ، وسليمان مقيم بدابق ووقع^(٥) الشتاء فلم يقدر أن يمدهم حتى مات .

(١) فى د : واعبروا .

(٢) فى د : ولما .

(٣) زيادة فى د .

(٤) فى الكامل : ما لم يلقه جيش آخر .

(٥) فى الكامل : ودخل .

وفي هذه السنة بايع سُليمان لابنَه أيوب بولاية العهد .

وفيها فتحت مدينة الصقالبة .

وفيها غزا الوليد بن هشام وعمرو بن قيس ، فأصيب ناسٌ من أهل أنطاكية ، وأصاب الوليدُ ناساً من ضواحي الروم ، وأسر بشراً كثيراً .

ذكر فتح قهستان^(١) وجرجان وطبرستان

في هذه السنة غزا يزيدُ بن المهلبُ جُرجان وطبرستان .

وكان سبب اهتمامه بها أن يزيد لما كان عند سليمان بالشام في حياة الوليد ، فكان كلما فتح قتيبة فتحةً يقول سليمان ليزيد : ألا ترى إلى ما يفتحُ الله على قتيبة ! فيقول يزيد : ما فعلتُ جُرجان التي قطعتِ الطريقَ ، وأفسدت قومس ونيسابور ، ويقول : هذه الفتوح ليست بشيء ، الشأن في^(٢) جرجان .

وكان سعيد بن العاص قد صالح أهلَ جُرجان ، فكانوا يعجبون أحياناً مائة ألف ، وأحياناً مائتي ألف ، وأحياناً ثلاثمائة ألف ، وربما منعوا ذلك ، ثم أظهروا الامتناع وكفروا فلم يُعطوا خراجاً ، ولم يأت جُرجان بعد سعيد أحد ، و [قد]^(٣) منعوا ذلك الطريق فلم يكن يسلك أحدُ طريق

(١) هذا بالأصول . وفي الطبري : دهستان . وفي ياقوت : قوهستان - بضم أوله ثم السكون ثم كسر الهاء وسين مهملة وتاء مثناة من فوق وآخره نون . والمتهور بهذا الاسم أحد أطراف بلاد العجم متصل بنو احى هراة ثم يمتد من الجبال طوبلا حتى يتصل بقرب نهاوند وهمذان وبروجرد ، وهذه الجبال كلها تسمى بهذا الاسم .

(٢) في الكامل : هي . والمثبت في الطبري أيضاً .

(٣) ليس في د .

خراسان إلا على فارس وكِزَّمان .

فلما ولى سليمان يزيد خراسان لم يكن له هِمةٌ غير جُرْجان ، فسار إليها في مائة ألفِ سوى الموالى والمتطوعة ، ولم تكن جرجان يومئذ مدينة ، إنما هى جبال ومخارم وأبواب يقومُ الرجلُ على بابٍ منها فلا يقدر عليه أحدٌ ، فابتدأ بقمهستان^(١) فحاصرها ، وكان أهلها طائفة من الترك ، فقاتلهم قتالاً شديداً ، واشتدت الحربُ ، وقطع عنهم الميرة ، فبعث دَهقانها ، واسمه صَوول^(٢) يطلبُ من يزيد الأمانَ لنفسه وأهله وماله ، ويُسلمُ إليه المدينةَ بما فيها ، فأمنه ووفى له ، ودخل المدينةَ فقتلَ بها أربعة عشر ألفَ تركى صَبِراً ، وأخذ ما فيها من الكنوز والسبى وغير ذلك ، ثم خرج حتى أتى جُرْجانَ فهابه أهلها ، وأتوه وصالحوه ، فأجابهم إلى ذلك ، وصالحهم ، فطمع في طَبْرِسْتان ، فسار إليها فصالحه اصبيهدما^(٣) على سبعمائة ألف^(٤) ، وقيل خمسمائة ألف وأربعمائة وقرزَعفران ، أو قيمته من العَيْن ، وأربعمائة رجل على كل رجل منهم ترس وطيلسان ، ومع كل رجل جِامٌ من فضة وسرقة حرير وكسوة ، فأرسل من يقبضُ ذلك وانصرف إلى جُرْجان . [والله أعلم^(٥)].

(١) فى الطبرى : دهستان ، وانظر الخامس السابق رقم ١ صفحة ٣٤٩

(٢) الضبط فى د .

(٣) اصبيهدما فى الطبرى ، وقد تقدم كما أثبتناه .

(٤) فى الطبرى : حتى صالحه على سبعمائة ألف درهم وأربعمائة ألف نقداً وماتى ألف وأربعمائة حمار . وقررة زعفرانا وأربعمائة رجل على رأس كل رجل برنس ، على البرنس طيلسان وجام من فضة وسرقة حرير (٦-٥٣٦) .

(٥) ساقط فى د .

ذكر فتح جرجان الفتح الثاني وانشاء مدينتها

قال^(١): ولما سار يزيدُ إلى طبرستانِ غدر أهلُ جرجانِ ، فعاد إليهم وعاهد الله إن ظفر بهم لا يرفع عنهم السيف حتى يطحن بدماهم ويأكل من ذلك الطحين ، فحصرهم سبعة أشهر وهم يخرجون إليه يقاتلونه^(٢) ويرجعون ، فبينما هم على ذلك إذ خرج رجلٌ من عجمِ خراسان يتصيدُ ، وقيل من طيبُ ، فأبصر وغلاً في الجبل فتبعه فلم يشعر حتى هجم على عسكريهم ، فرجع يُريدُ أصحابه ، وجعل يُخرقُ قباءه ويعقدُ على الشجر علاماتٍ ، فأتى يزيدُ فأخبره فضمن له يزيدُ ديةً إن دلتهم على الحصنِ ؛ فانتخب معه ثلاثمائة رجل ، واستعمل عليهم ابنه خالدًا ، وقال له : إن غلبت على الحياة فلا تغلبن على الموت ، وإياك أن أراك عندي مهزومًا ، وضم إليه جهم بن زحر ، وقال للرجل : متى تصل^(٣) ؟ قال : غدًا العصر . قال يزيدُ : سأجهد على مناصحتهم^(٤) عند الظهر .

فساروا ، فلما كان الغد وقت الظهر أحرق يزيدُ كلَّ حطبٍ كان عندهم ، فصار مثل الجبال من النيران ، فنظر العدو إلى النار ، فها لهم ذلك ، فخرجوا إليهم ؛ وتقدم يزيدُ إليهم ، ودهمهم ابنه بمن معه قبيل العصر وهم آمنون من ذلك الوجه ، ويزيدُ يقاتلهم من هذا الوجه ، فما شعروا إلا والتكبير^(٥) من ورائهم ، فانقطعوا جميعا إلى حصنهم ، وركبهم المسلمون ؛ فأعطوا بأيديهم ، ونزلوا على حكم يزيد ، فسبى

(٢) في الكامل : فيقاتلونه .

(٤) في الطبرى : مناصحتهم .

(١) والكامل : ٤ - ١٤٩

(٣) في الكامل : تصلون .

(٥) في الكامل : بالتكبير .

ذرارهم ، وَقَتَلَ مَقَاتِلَتَهُمْ ، وَصَلِبَهُمْ فَرَسَخَيْنِ عَنِ يَمِينِ الطَّرِيقِ
وَيَسَارِهِ ، وَقَادَ مِنْهُمْ اثْنَيْ عَشَرَ أَلْفًا إِلَى وَادِي جُرْجَانَ فَقَتَلَهُمْ ، وَأَجْرَى
الْمَاءَ عَلَى الدَّمِ ، وَعَلَيْهِ أَرْحَاءٌ ، لِيَطْحَنَ بِدَمَاهُمْ لِيَبْرَّ يَمِينَهُ ، فَطَحَنَ
وَحَبَزَ وَأَكَلَ .

وقيل : قتل منهم أربعين ألفاً ، وبنى مدينة جُرْجَانَ ، ولم تكن
بُنِيَتْ قَبْلَ ذَلِكَ مَدِينَةً ، وَرَجَعَ إِلَى خِرَاسَانَ ، وَاسْتَعْمَلَ عَلَى جِرْجَانَ
جَهْمَ بْنَ زَخْرَ الْجَعْفَى ، وَكَتَبَ إِلَى سَلْيَانَ بِالْفَتْحِ وَعَظَّمَهُ (١) عِنْدَهُ ،
وَأَخْبَرَهُ أَنَّهُ قَدْ حَصَلَ عِنْدَهُ مِنَ الْخُمْسِ سِتْمِائَةَ أَلْفِ أَلْفٍ ، فَقَالَ لَهُ
كَاتِبُهُ - الْمَغِيرَةَ بْنَ أَبِي قُرَّةَ مَوْلَى بَنِي تَمِيمٍ (٢) : لَا تَكْتُبْ بِتَسْمِيَةِ
الْمَالِ ، فَإِنَّكَ مِنْ ذَلِكَ بَيْنَ أَمْرَيْنِ : إِمَّا اسْتَكْتَرَهُ فَأَمْرَكَ بِحَمَلِهِ ، وَإِمَّا سَخَتْ
بِهِ نَفْسُهُ فَأَعْطَاكَه فَتَكَلَّفْتَ الْهَدِيَّةَ ؛ فَلَا يَأْتِيهِ مِنْ قِبَلِكَ شَيْءٌ إِلَّا اسْتَقَلَّهُ ،
فَكَأَنِّي بِكَ قَدْ اسْتَعْرَقْتَ مَا سَمَيْتَ وَلَمْ يَقَعْ مِنْهُ مَوْقَعًا ، وَيَبْقَى الْمَالُ
الَّذِي سَمَيْتَ مُخَلَّدًا فِي دَوَاوِينِهِمْ ، فَإِنْ وُلِيَ وَالٌ بَعْدَهُ أَخَذَكَ بِهِ ،
وَإِنْ وُلِيَ مَنْ يَتَحَامَلُ عَلَيْكَ لَمْ يَرْضَ بِأَضْعَافِهِ ، وَلَكِنْ اكْتُبْ سَلْمَهُ (٣)
الْقُدُومَ وَشَافِيَهُ بِمَا أَصَبْتَ فَهُوَ أَسْلَمٌ .

فلم يقبل منه ، وكتب (٤) ، فكان من أمره في ذلك ما نذكره
في أخبار عمر بن عبد العزيز .

(١) في الكامل : يعظمه ... ويخبره .

(٢) في الكامل : مولى بنى سدوس .

(٣) في الكامل : فسله القدوم . وفي الطبرى : وسله .

(٤) في الكامل والطبرى : وأمضى الكتاب .

وقيل : كان المبلغ أربعة آلاف ألف ، والله تعالى أعلم .



وفيهما توفي أيوب بن سليمان بن عبد الملك ، وهو ولي العهد .

وفيهما غزاً داوود بن سليمان أرض الروم ؛ ففتح حصن المرأة مما يلي

ملطية .

وفيهما كانت الزلازل في الدنيا كثيرة ، ودامت ستة أشهر .

وحج بالناس عبد العزيز بن عبد الله أمير مكة .

سنة (٩٩ هـ) تسع وتسعين :

ذكر وفاة سليمان بن عبد الملك

وشيء من أخباره وعمانه

كانت وفاته يوم الجمعة لعشر مضيئ من صفر من السنة بدابق^(١) من أرض قنشرين بذات الجنب ، وله خمس وأربعون سنة . وكانت مدة خلافته سنتين وثمانية أشهر إلا خمسة أيام ، وصلى عليه عمر بن عبد العزيز ؛ وكان طويلاً أبيض ، جميل الوجه ، فصيح اللسان ، متعجباً بنفسه ، يتوقى سفك الدماء . وكان أكولاً نكاحاً ، وكان حسن السيرة ، وكان الناس يقولون : سليمان مفتاح الخير ؛ ذهب عنهم الحجاج ، وولى سليمان ، فأطلق الأسارى ، وأخلى السجون ، وأحسن إلى الناس ، واستخلف عمر بن عبد العزيز . ويقال : إنه فعل في يوم واحد أكثر مما فعل عمر بن عبد العزيز جميع عمره ، وذلك أنه أعتق سبعين ألف مملوك ومملوكة ، وكساهم .

ومن أعظم بركاته أنه جعل عمر بن عبد العزيز ولي عهده . وحكى

(١) بكسر الباء ، وقلروى بفتحها ، وآخره قاف : قرية قرب حلب ، (ياقوت) .

أنه لبس يوماً حُلَّةً خضراء وعمامةً خضراء ، ونظر في المرأة ، فقال :
أنا الملك الفتى ، فما عاش جمعة .

وقيل : كانت له جارئة معها امرأة ، فدعاها يوماً فجاءته بها ، فنظر
وجهه ، ونظرت الجارية إليه ، فقال لها : ما تَنظُرِينَ ؟ قالت (١) :

أَنْتَ نِعمَ (٢) الْمَتَاعُ لو كُنْتَ تَبْقَى غيرَ أَنْ لَابْقَاءَ لِلإِنْسَانِ
ليس فيما بدا لنا منك عيبٌ عابَهُ النَّاسُ غيرَ أَنْكَ فَأِنِّى (٣)

وانصرفت ، فاستدعاها فجاءت بالمرأة (٤) فسألها عن البيتين ،

فقالت : والله ما جئتك اليوم ؛ فعلم أنه نعى .

وقيل : إنه شهد جنازةً بدابِقٍ فدُفِنَتْ في حَقْلِ ، فجعل سليمان
يأخذ من تلك التُّرْبَةِ ، ويقول : ما أحسن هذه وأطيبها ! فما أتى عليه
جمعة حتى دُفِنَ إلى جَنَبِ ذلك القَبْرِ .

وقيل : إنه كان له من الأولاد الذكور أربعة عشر .

وكان نقشُ خاتمه : آمَنْتُ بِاللَّهِ مُخْلِصًا .

وكتابه : يزيد بن المهلب ، ثم المفضل (٥) بن المهلب عم عبد العزيز

ابن الحارث بن الحكم .

قاضيهِ : محمد بن حزم .

حاجبه : أبو عبيدة (٦) مولاة .

الأمير بمصر : عبد الله بن رفاعة .

(١) والطبرى : ٦ - ٥٤٧ . والكامل : ٤ - ١٥١

(٢) في الطبرى : خير المتاع . (٣) في الطبرى ، والكامل :

ليس فيما علمته فيك عيب كان في الناس

(٤) في ك : المرأة . (٥) في ك : المفضل .

(٦) في ك : أبو عبيد .

قاضيها من قبله :عبد الله بن عبد الرحمن ،وهو متولّي بيت المال ،
ثم رد القضاء إلى عياض بن عبد الله من قبل سليمان بن عبد الملك .

ذكر بيعة عمر بن عبد العزيز

هو أبو حفص عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم ، وأمه
أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، وهو الثامن
من ملوك بني أمية ، بويع له بدائِقَ يوم الجمعة بَعْدَ وفاة سليمان لعَشْرِ
خَلَوْنَ من صفر سنة [٩٩هـ] تسع وتسعين .

قال : وكان سليمان لما مرض بدائِقَ عهد في كتاب كتبه لبعض
بنيه وهو غلام لم يبلغ الحلم ، فدخل عليه رجاء بن حيوة ، فقال له :
يا أمير المؤمنين ؛ إنه ^(١) مما يحفظ الخليفة في قبره أن يستخلف
على الناس ^(٢) الرجل الصالح . فقال سليمان : أنا أستخير الله ،
وأنظر . ومكث يوماً أو يومين ثم حرق ^(٣) الكتاب ، ودعا رجاء ،
فقال : ما ترى في ولدي داود ؟ فقال رجاء : هو غائب بالقسطنطينية ،
ولم يُدر ^(٤) أحي هو أم لا ؟ قال : فما ترى في عمر بن عبد العزيز ؟
قال رجاء : أعلمه والله خيراً فاضلاً مسلماً . قال سليمان : هو على
ذلك ، ولئن وليته ولم أول أحداً سواه لتكونن فتنة ولا يتركونه أبداً
عليهم إلا أن أجعل أحدهم بعده .

(١) في الكامل : إن ...

(٢) في الطبرى : على المسلمين .

(٣) في الكامل والطبرى : وخرق .

(٤) في د : ندر . وفي الكامل : ولا تدرى . وفي الطبرى : وأنت لا تدرى .

أحي هو أوميت .

فَأَمْرُ سُلَيْمَانَ أَنْ يُجْعَلَ يَزِيدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ بَعْدَ عُمَرَ . وَكَانَ يَزِيدُ غَائِبًا فِي الْمَوْسَمِ .

فَكَتَبَ سُلَيْمَانُ : بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، هَذَا كِتَابٌ مِنْ عَبْدِ اللَّهِ سُلَيْمَانَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ لِعَمْرِ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ ، إِنِّي قَدْ وَلَّيْتُكَ الْخِلَافَةَ مِنْ بَعْدِي ، وَمِنْ بَعْدِكَ يَزِيدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ ، فَاسْمَعُوا لَهُ وَأَطِيعُوا ، وَاتَّقُوا اللَّهَ ، وَلَا تَخْتَلَفُوا ، فَيَطْمَعُ فِيكُمْ .

وَحَتَمَ الْكِتَابَ وَأَرْسَلَ إِلَى كَعْبِ بْنِ جَابِرٍ ^(١) صَاحِبِ شَرْطَتِهِ ، فَقَالَ : اذْعُ أَهْلَ بَيْتِي ، فَجَمَعَهُمْ كَعْبٌ ، ثُمَّ قَالَ سُلَيْمَانُ لِرَجَاءِ بَعْدَ اجْتِمَاعِهِمْ : اذْهَبْ بِكِتَابِي هَذَا إِلَيْهِمْ ، وَمُرِّمْ أَنْ يُبَايَعُوا مَنْ وَلَّيْتُ فِيهِ ، فَفَعَلَ ، وَبَايَعُوا رَجُلًا رَجُلًا ، وَلَمْ يَعْلَمُوا مَنْ فِي الْكِتَابِ .

قَالَ رَجَاءٌ : فَاتَانِي عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ فَقَالَ : أَخَشِي أَنْ يَكُونَ هَذَا أَسْنَدًا إِلَيَّ مِنْ هَذَا الْأَمْرِ شَيْئًا ، فَانْشُدْكَ اللَّهُ إِلَّا أَعْلَمْتَنِي . إِنْ كَانَ قَدْ وَقَعَ حَتَّى اسْتَعْفَى قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَ حَالًا لَا أَقْدِرُ عَلَى ذَلِكَ فِيهَا . قَالَ رَجَاءٌ : فَقُلْتُ : مَا أَنَا مَخْبِرُكَ ^(٢) . فَذَهَبَ عَنِّي غَضَبَانِ .

وَلَقِينِي هِشَامُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ فَقَالَ : إِنْ لِي حَرَمَةٌ وَمَوَدَّةٌ قَدِيمَةٌ فَأَعْلَمْنِي بِهَذَا الْأَمْرِ ، فَإِنْ كَانَ إِلَى غَيْرِي تَكَلَّمْتُ ، وَاللَّهِ عَلَى الْأَلَا أذْكَرُكَ . قَالَ : فَأَبَيْتُ أَنْ أَخْبِرَهُ . قَالَ ^(٣) : وَدَخَلْتُ عَلَى سُلَيْمَانَ عِنْدَ مَوْتِهِ فَنَمَضْتُهُ وَسَجَّيْتُهُ ، وَأَغْلَقْتُ الْبَابَ ، وَأَرْسَلْتُ إِلَى كَعْبِ بْنِ جَابِرٍ ^(٤) : فَجَمَعَ أَهْلَ بَيْتِ سُلَيْمَانَ فِي مَسْجِدِ دَابِقَ ، فَقُلْتُ : بَايَعُوا ! فَقَالُوا :

(١) فِي الطَّبْرِيِّ : حَامِدٌ . وَالْمَثْبُوتُ فِي الْكَامِلِ ، د ، ك .

(٢) فِي د : بِمَخْبِرِكَ . (٣) قَالَ : أَيْ رَجَاءٌ .

(٤) فِي الطَّبْرِيِّ : حَامِدٌ .

قد با يعنًا مرة . قلت : وأخرى ، هذا عهدٌ من أمير المؤمنين ، فبايعوا الثانية . قال رجاء : فلما بايعوا بعد موته رأيت أتي قد أحكمت الأمر فقلت : قوموا إلى صاحبكم فقد مات ، فاسترجعوا ، وقرأت الكتاب ، فلما انتهيت إلى ذكر عمر بن عبد العزيز قال هشام : لا نبايعه والله أبداً . قلت : أضرب والله عنقك . قم وبايع . فقام يجر أرجليه .

قال رجاء : وأجلست عمر على المنبر وهو يسترجع لما وقع فيه ، وهشام يسترجع لما أخطأه ، فبايعوه .

قال : ولما دُفِنَ سليمان أتى عمر بمراكب الخلافة ، فقال : دأبني أرفق^(١) لي ، وركب دأبته ؛ ثم أقبل سائراً ، فقيل له : منازل^(٢) الخلافة ؟ فقال : فيها عيال سليمان ، وفي فسطاطي كفاية حتى يتحولوا . قال : وبلغ عبد العزيز بن الوليد وكان غائباً وفاة سليمان ولم يشعر بعمر^(٣) ، فدعا لنفسه ، فبلغه بيعة عمر ، فأقبل حتى دخل عليه ، فقال له عمر : بلغني أنك بايعت من قبلك ، وأردت دخول دمشق . قال : نعم ، وذلك أنه بلغني أن سليمان ما عقد لأحد فخفت على الأموال أن تنتهب . فقال [له]^(٤) عمر : لو بايعت وقمت بالأمر لم أنازعك فيه . فبايعه عبد العزيز .

قال : ولما استقرت البيعة لعمر قال لامرأته فاطمة بنت عبد الملك : إن أردتني^(٥) فرُدِّي ما معك من مالٍ وحليٍّ وجوهرٍ إلى بيت المال ،

(١) في الطبري والكمال : أوفق لي .

(٢) في الكامل : منزل الخلافة . وفي الطبري : منزل الخلافة .

(٣) في الكامل : ولم يعلم بيعة عمر .

(٤) ليس في د .

(٥) في الكامل : إن أردت صحبتي .

فإنه للمسلمين ، وإنى لا أجتمع أنا وأنت وهو فى بيت واحد ،
فردته جميعه . فلما توفى عمر ووئى أخوها يزيد رده عليها فلم تأخذه ،
وقالت : ما كنت لأطيعه حياً وأعصيه ميتاً ، ففرقه يزيد على أهله .

قال : وكان [من] (١) أول ما ابتدأ به عمر بن عبد العزيز
أن ترك سب على بن أبى طالب رضى الله عنه على المنابر ، وكان يُسبُّ
فى أيام بنى أمية إلى أن ولى عمر فترك ذلك ، وأبند له بقول الله عز وجل (٢) :
« إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء
والْمُنْكَرِ والْبغى يعظكم لعلكم تذكرون » . فحل ذلك عند الناس محلاً
حسناً ، وأكثروا مدح عمر بسببه ، فكان ممن مدحه كثير عزة بقوله (٣) :

وليت فلم تشتم علياً ولم تخف برياً ولم تتبع مقالة مجرم
تكلمت بالحق المبين وإنما تبين آيات الهدى بالتكلم
فصدقت (٤) معروف الذى قلت بالذى فعلت فأضحى راضياً كل مسلم
ألا إنما يكفى الفتى بعد زيغهِ من الأود البادى (٥) ثقاف المقوم

وفيهما وجه عمر بن عبد العزيز إلى مسلمة وهو بأرض الروم يأمره
بالقول منها بمن معه من المسلمين ، ووجه لهم خيلاً عتاقاً وطعاماً كثيراً .

وفيهما أغارت الترك على أذربيجان . فقتلوا من المسلمين جماعة ،

(١) زيادة من د .

(٢) سورة النحل ، آية ٩٠

(٣) الشعر والشعراء : ٤٨٣ ، والكامل : ٤ - ١٥٤

(٤) فى الكامل : وصدقت . وفى الشعر والشعراء : وصدقت بالفعل المقال مع

الذى أنيت ...

(٥) فى ك : النادى .

فوجه عمر حاتم بن النعمان الباهلي فقتل أولئك الترك ، ولم يُفْلِتْ منهم إلا اليسير ، وقدم على عمر منهم بخمسين أسيراً .

وفيهما عزل عمر يزيد بن المهلب عن أعماله ، ووجه إلى البصرة عدى بن أرطاة الفزاري ، وجعل على الكوفة عبد الحميد بن عبد الرحمن ابن زيد بن الخطاب العدوي ، وضم إليه أبا الزناد ، واستعمل على خراسان الجراح بن عبد الله الحكيم .

وحج بالناس أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم ، وكان عامل المدينة ، وكان العامل على مكة عبد العزيز بن [عبد الله بن خالد ، وعلى الكوفة عبد الحميد] ^(١) ، وعلى القضاء بها [عامر الشعبي ، وكان على البصرة عدى من أرطاة ، وعلى القضاء ^(٢) الحسن بن أبي الحسن البصري ، ثم استعفى علياً فأعفاه ، واستقضى إياس بن معاوية .

سنة مائة للهجرة :

ذكر خروج شوذب الخارجي

في هذه السنة خرج شوذب واسمه بسطام من بني يشكر في جُوخَى وكان في ثمانين رجلاً ، فكتب عمر بن عبد العزيز إلى عبد الحميد عامله بالكوفة ألا يحركهم حتى يسفكوا الدماء أو يُفسدوا في الأرض ، فإن فعلوا وجه إليهم رجلاً صليبا حازماً في جُند .

فبعث عبد الحميد محمد بن جرير بن عبد الله البجلي في ألفين ، وأمره أن يفعل ما كتب ^(٣) به عمر ، وكتب عمر إلى بسطام

(١) في ك : عبد العزيز بن أرطاة . وازيادة في الكامل ، والطبرى .

(٢) الزيادة من الكامل والطبرى .

(٣) في الكامل : وأمره بما كتب به عمر . وفي الطبرى : وأمره بما أمره به عمر .

يسأل^(١) عن مخرجه ، فقدم كتاب عمر عليه ، وقد قدم [عليه]^(٢) محمد ، فكان في كتاب عمر : بلغنى أنك خرجت غَضَبًا لله ولرسوله ، ولست بذلك أولى منى ، فهلم إلى أناظرك ، فإن كان الحق بأيدينا دخلت فيما دخل فيه الناس ، وإن كان في يدك نظرنا في أمرك .

فكتب إليه^(٣) بسطام : قد أنصفت ، وقد بعثت إليك برجلين يُدارسانك ويناظرانك . وأرسل إليه موثى حبشياً لبني شيبان اسمه عاصم ، ورجلاً من بني يشكر ، فقَدِمَا على عمر بخصاصة^(٤) ، فقال لهما : ما أخرجكما هذا المخرج ؟ وما الذى نقمتم ؟ قال عاصم : ما نقمنا سيرتك ، إنك لتتحرى العدل والإحسان ، فأخبرنا عن قيامك بهذا الأمر ؛ عن رضامن الناس ومشورة ، أم ابتزتم^(٥) أمرهم ؟ فقال عمر : ما سألتهم الولاية عليهم ، ولا غلبتهم عليها ، وعهد إلى رجل كان قبلى ، فقمتم ، ولم يُنكر على أحد ، ولم يكرهه غيركم ، وأنتم تروون^(٦) الرضا بكل من عدل وأنصف من كان من الناس ، فأنزولوني^(٧) ذلك الرجل ، فإن خالفت الحق وزغت^(٨) عنه فلا طاعة لى عليكم . قالاً : بيننا وبينك أمرٌ واحدٌ . قال : ما هو ؟ قالاً : رأيناك خالفت أعمال أهل بيتك وسميتها مظالم ، فإن كنت على هدى وهم على

(١) فى د ، والطبرى : يسأله .

(٢) ريادة فى الكامل والطبرى .

(٣) فى ك : فقال له . والمثبت فى د ، والكامل . وفى الطبرى : وكتب .

(٤) خصاصة : بليدة من أعمال حلب تحاذى قنسرين (ياقوت) .

(٥) فى ك : ابتلرتم .

(٦) فى ك : ترجون .

(٧) فى الكامل : فاتركونى .

(٨) فى الكامل : وورغبت .

ضلالة فَأَعْتَنَهُمْ وَاِبرَأُ مِنْهُمْ . فقال عمر : قد علمت أنكم لم تخرجوا طلباً للدنيا ، ولكنكم أردتم الآخرة فَأَخْطَأْتُمْ طَرِيقَهَا ، إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لم يبعث رسوله لَعَنَانًا . وقال إبراهيم الخليل صلوات الله عليه وسلامه (١) : « فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ » . وقال الله عز وجل (٢) : « أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهُمُ اقْتَدِيهِ » . وقد سميت أعمالهم ظلمًا ، وكفى بذلك ذمًا ونقصًا ، وليس لعن أهل الذنوب فريضةً لأبد منها ، فإن قلتم إنها فريضةٌ فَأَخْبِرْنِي مَتَى لَعْنَتْ فِرْعَوْنَ ؟ قال : ما أذكر متى لعنته . قال : أَقْبَسُكَ أَلَّا تلعن فرعون وهو أَخْبَثُ الخلقِ وَشَرُّهُمْ ، ولا يسعني أَلَّا ألعنَ أهلَ بيتي وهم مُصلِّونَ صامعون ؟

قال عاصم : أَمَا هُمْ كَفَّارٌ بظلمهم ؟ قال : لا ، لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا الناس إلى الإيمان ، فكان من أقربيه وبشرائعه قبل منه ، فإن أحدث حدثًا أقيم عليه الحد . فقال عاصم : إن رسول الله دعا الناس إلى توحيد الله تعالى والإقرار بما أنزل من عنده . قال عمر : فليس أحدٌ منهم يقول : لا أعلم بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولكن القوم أسرفوا على أنفسهم على علمهم (٣) أنه محرّمٌ عليهم ، ولكن غلب عليهم الشُّمَاءُ .

قال عاصم : فابراً مما خالف عملك ورُدُّ أحكامهم .

قال عمر : أخبراني (٤) عن أبي بكرٍ وعمر رضي الله عنهما ، أليسا على الحق ؟ قالا : بلى . قال : أتعلمان أن أبا بكرٍ حين قاتل أهل

(١) سورة إبراهيم ، آية ٣٦ . (٢) سورة الأنعام ، آية ٩٠ .

(٣) في الكامل : على علم منهم .

(٤) في ك : أخبرني .

الرَّذَّةِ سَفَكَ دِمَاءَهُمْ ، وَسَبَى النَّرَارِي ، وَأَخَذَ الْأَمْوَالَ ؟ قَالَا : نَعَمْ .
 قَالَ : أَفَتَعْلَمَانِ أَنَّ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ رَدَّ السَّبَايَا بَعْدَهُ إِلَى عَشَائِرِهِمْ
 بِفِدْيَةٍ ؟ قَالَا : نَعَمْ . قَالَ : فَهَلْ بَرِئُ عُمَرَ مِنْ أَبِي بَكْرٍ ؟ قَالَا : لَا .
 قَالَ : أَفَتَتَبَرَّعُونَ أَنْتُمْ مِنْ وَاحِدٍ مِنْهُمَا ؟ قَالَا : لَا . قَالَ : فَأَخْبِرَانِي
 عَنْ أَهْلِ النَّهْرَوَانِ وَهُمْ أَسْلَافُكُمْ ، هَلْ تَعْلَمَانِ (١) أَنَّ أَهْلَ الْكُوفَةِ
 خَرَجُوا فَلَمْ يَسْفِكُوا دَمًا ، وَلَمْ يَأْخُذُوا مَالًا ، وَأَنْ مِنْ خَرَجَ إِلَيْهِمْ مِنْ
 أَهْلِ الْبَصْرَةِ قَتَلُوا عَبْدَ اللَّهِ بْنَ خُبَّابٍ وَجَارِيَتَهُ وَهِيَ حَامِلٌ ؟ قَالَا : نَعَمْ .
 قَالَ : فَهَلْ بَرِئُ مَنْ لَمْ يَقْتُلْ مِمَّنْ قَتَلَ ؟ قَالَا : لَا . قَالَ : أَفَتَتَبَرَّعُونَ
 أَنْتُمْ مِنْ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ ؟ قَالَا : لَا . قَالَ : أَقِيْسُكُمْ أَنْ تَتَوَلَّوْا
 أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ وَأَهْلَ الْكُوفَةِ وَأَهْلَ الْبَصْرَةِ وَقَدْ عَلِمْتُمْ اخْتِلَافَ أَعْمَالِهِمْ ،
 وَلَا يَسْمَعُنِي إِلَّا الْبَرَاءَةَ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي ، وَالذِّينَ وَاحِدٌ ؟ فَاتَّقُوا اللَّهَ ، فَإِنَّكُمْ
 جُهَّالٌ تَقْبَلُونَ مِنَ النَّاسِ مَارِدًا عَلَيْهِمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ،
 وَتَرْتَدُونَ عَلَيْهِمْ مَا قَبِلَ ، وَيَأْمَنُ عِنْدَكُمْ مَنْ خَافَ عِنْدَهُ ، وَيَخَافُ
 عِنْدَكُمْ مَنْ أَمِنَ عِنْدَهُ ، فَإِنَّكُمْ يَخَافُ عِنْدَكُمْ مَنْ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ
 إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، وَكَانَ مِنْ فَعَلِ ذَلِكَ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ
 صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمِنَ وَحَقَّنَ دَمَهُ وَمَالَهُ ، وَأَنْتُمْ تَقْتُلُونَهُ وَيَأْمَنُ عِنْدَكُمْ
 سَائِرُ أَهْلِ الْأَدْيَانِ ، فَتَحْرِمُونَ دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ .

قال البشكري : أَرَأَيْتَ رَجُلًا وَلِيَ قَوْمًا وَأَمْوَالَهُمْ فَعَدَلَ فِيهَا ثُمَّ
 صَبَّرَهَا بَعْدَهُ إِلَى رَجُلٍ غَيْرِ مُأْمُونٍ ، أَتَرَاهُ أَدَّى الْحَقَّ الَّذِي يَلْزُمُهُ اللَّهُ
 عِزًّا وَجَلًّا ، وَتَرَاهُ قَدْ سَلِمَ ؟ قَالَ عُمَرُ : لَا . قَالَ : أَفَتُسَلِّمُ هَذَا الْأَمْرَ
 إِلَى يَزِيدٍ مِنْ بَعْدِكَ وَأَنْتَ تَعْلَمُ أَنَّهُ لَا يَقُومُ فِيهِ بِالْحَقِّ . قَالَ : إِنَّمَا وُلِّاهُ

(١) فِي ك : تَعْلَمُونَ .

غيرى ، والمسلمون أولى بما يكون منهم^(١) فيه بَعْدِي . قال : أفترى ذلك من صُنع من ولأه حَقًّا ؟ فبكى عمر ، وقال : أنظراني ثلاثًا^(٢) .

فخرجوا مِنْ عِنْدِهِ ثُمَّ عادوا إِلَيْهِ ، فقال عاصم : أشهد أنك على حق . فقال عمر للشكركى : ما تقول أنت ؟ قال : ما أحسن ما وصفت ، ولكنى لا أفقت على المسلمين بأمرٍ ، أعرض عليهم ما قلت وأعلم حاجتهم . فأما عاصم فأقام عند عُمَرَ ، فأمر له بالعطاء فتوفي بعد خمسة عشر يومًا ، فكان عمر يقول : أهلكنى أمرُ يزيد ، وخصمت فيه ، فاستغفر الله . فخاف بنو أمية أن يخرج ما بأيديهم وأن يُخلع يزيد من ولاية العهد ؛ فوضعوا على عمر من سقاه سُمًّا . فلم يلبث بعد ذلك إلا ثلاثًا حتى مرض ومات ، رحمه الله تعالى .

هذا ومحمد بن جرير مقابل الخوارج لا يتعرض إليهم ولا يتعرضون إليه ، فلما مات عمر ووُئِيَ يزيد كان ما نذكره في أخبار يزيد .



وفي هذه السنة عزل عُمَرُ يزيد بن المهلب عن خراسان وأحضره وطالبه بالمال الذى كان كتب به إلى سليمان واعتقله بحِصْنِ حَلَبِ ، واستعمل على خراسان الجراح بن عبد الله الحكيمى ، ثم عزله ؛ واستعمل عبد الرحمن بن نعيم القشبرى .

وفيهما كان ابتداء خروج شيعة بنى العباس على ما نذكره في أخبار الدولة العباسية إن شاء الله تعالى .

وفيهما أمر عُمَرُ بن عبد العزيز أهل طُرُنْدَةَ^(٢) بالقفول عنها إلى مَلْطِيَّةَ ، وطُرُنْدَةَ^(٢) أوغُلُ^(٣) في البلاد الرومية بثلاث

(١) أى طلب تأخير الأمر في المناظرة لضيقه بالأمر (بين السطور في نسخة د) .

(٢) طرندة : من ملطية على ثلاث مراحل داخلية في بلاد الروم (ياقوت) .

وفى ك : طريدة - محريف . (٣) فى الكامل : واغلة .

مراحل ، وكان عَبْدُ اللَّهِ بن عبد الملك قد أسكنها المسلمين بعد أن غزاها سنة [٨٨٣هـ] ثلاث وثمانين وملطية يومئذ خراب ، وكان يأتيهم جند من الجزيرة يقيمون عندهم إلى أن ينزل الثلج ويعودون إلى بلادهم ، فلم يزلوا كذلك إلى أن ولى عمر ، فأمرهم بالعود إلى ملطية وأخلى طرندة خوفاً على المسلمين من العدو ، وأخرب طرندة ، واه تعمل على ملطية جفونة بن الحارث أحد بنى عامر بن صعصعة .

وفيهما كتب عمر إلى ملوك السند يدعُوهم إلى الإسلام ، فأسلم من ذكرنا منهم على ما سبق ذكر ذلك .

وفيهما استعمل عمر بن عبد العزيز عمر بن هبيرة الفزاري على الجزيرة .

وفيهما مات أبو الطفيل عامر بن وائلة الليثي بمكة ، وهو آخر من مات من الصحابة ، ومولده عام أحد .

وحج بالناس أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم .

• • •

سنة (١٠١ هـ) احدى ومائة :

في هذه السنة هرب يزيد بن المهلب من جنبس عمر بن عبد العزيز ، وذلك أنه لما اشتد مرض عمر بن عبد العزيز عمل يزيد في الهرب مخافة يزيد بن عبد الملك لإسامة [كانت] (١) ص درت منه في حقه أيام سليمان ، فأرسل ابن المهلب إلى مواليه فأعتوا له خيلاً وإيلاً ، وواعدتهم مكاناً يأتيهم فيه ، وأرسل إلى عامل حلب وإلى الحراس مالا ، وقال : إن أمير المؤمنين قد ثقل في مرضه ، وليس يُرجى ،

(١) زيادة في د .

وإن ولي يزيد سفك دمي ، فأخرجوه ، فهرب وقصد البصرة ، وكتب إلى عمر كتاباً يقول : إني والله لو وثقت بحياتك لم أخرج من محبتك ولكنني خفت أن يلي يزيد فيقتلني شراً قتله .

فورد الكتاب وبه رمق ، فقال رضى الله عنه : اللهم إن كان يزيد يريد (١) بالله لمين ، وعا فألحقه به وهضه فقد هاضني ، ثم كان من أمر ابن المهلب ما تذكره إن شاء الله تعالى .

ذكر وفاة عمر بن عبد العزيز

رضى الله عنه وشيء من أخباره وسيرته رحمه الله تعالى

كانت وفاته رحمه الله بختاصرة لست بقين من شهر رجب سنة [٥١٠١هـ] إحدى ومائة ، وكانت شكواه عشرين يوماً ، وقيل له [في مرضه] (٢) : لو تداويت ! فقال (٣) : لو كان دواي في مسح أذني ماسختها ، نعم المذهب إليه ربّي . ودفن (٤) بدير سمعان من أرض حمص .

وقيل : به توفي ، وكان عمره تسعا وثلاثين سنة وأشهرًا [وقيل أربعين سنة وأشهرًا] (٥) .

وكانت خلافته سنتين وخمسة أشهر وأربعة عشر يوماً . وكان أبيض نحيفاً حسن الوجه ، وهو أشج بني أمية ، رمحنه

(١) في الطبري : إن كان يزيد يريد بهذه الأمة شراً ...

(٢) من د .

(٣) في د : قال .

(٤) بفتح الدال وكسرهما (ياقوت) .

دابة فشحجته ، وهو غلام ، فدخل على أمه فضمته إليها ولامت أباه
حيث لم يجعل معه حاضنا (١) . فقال لها عبد العزيز : اسكنى
يا أم عاصم ، فطوبى له إن كان أشج بنى أمية .

وكان عبد الله بن عمر بن الخطاب رضى الله عنهما يقول : ياليت
شعرى ، من هذا الذى من ولد عمر فى وجهه علامة بملا الدنيا عدلاً ؛
فكان عمر بن عبد العزيز ؛ لأن أمه ابنة عاصم بن عمر بن الخطاب
رضى الله تعالى عنهم أجمعين .

ذكر نبذة من سيرته رضى الله عنه

كان رحمه الله ورضى عنه قد بث العدل ونشره فى الدنيا واقتصر
من دنياه على سد الخلة (٢) حتى إن مسلمة بن الملك عاده فى مرض
موتيه ، فرأى عليه قميصاً دنساً (٣) ، فقال لأخته فاطمة ، وهى زوجة
عمر : اغسلوا ثياب أمير المؤمنين . فقالت : نفعل . ثم عاده فرأى
الثوب بحاله ، فقال : ألم أمركم أن تغسلوا قميصه . فقالت : والله
الله غيره ، وكانت نفقته فى كل يوم درهمين .

قال : ولما ولى الخلافة أتاه أصحاب مراكب الخلافة يطلبون
علفها ، فأمر بها فبيعت ، وجعل ثمنها فى بيت المال ، وقال : بغلتي
هذه تكفينى .

قال : ولما ولى سعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أيها الناس ،

(١) فى انطربى : خادما ولا خاضنا .

(٢) الخلة : الحاجة .

(٣) فى الكامل : وسخا .

من صحبنا فليصحبنا لخمس^(١) ، وإلا فلا يقربنا : يَرْفَعُ إلينا حاجة مَنْ لا يستطيع رَفْعَهَا ، وَيُعِيننا على الخير بجهدِهِ ، ويدلُّنا على ما لا نَهْتَدِي إليه مِنَ الْخَيْرِ ، ولا يَغْتَابُنَّ أَحَدًا ، ولا يعترض فيما لا يَغْنِيهِ .

فانقشع الشعراء والخُطباءُ ، وثبت عنده الفقهاء والزُهَّادُ ، وقالوا : ما يَسْعُنَا أن نَفَارِقَ هذا الرجلَ حتى يخالفَ قوله فِعْلُهُ .

ولما ولى أحضر قريشًا ووجوهَ الناس فقال : إِنْ فَدَكَ^(٢) كانت بيدِ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم [فكان]^(٣) يَضَعُهَا حيث أراه الله ، ثم وليها أبو بكر كذلك ، وعُمِر كذلك ، ثم أقطعها مروان . ثم إنها صارت لى ، ولم يكن مِنْ مَالٍ أَعُوذُ عَلَيْهَا ، وإني أشهدكم أنى قدر دَذَنَّا على ما كانت عليه فى عهدِ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم . قال : فَيَبْسُ النَّاسُ مِنَ الظُّلْمِ .

وَأَخَذَ مِنْ أَهْلِهِ ما بأيديهم ، وسمى ذلك مَظَالِمَ ، ففَزِعَ بنو أمية إلى عمِّهِ فاطمة بنت مروان فأتته ، فقالت [له]^(٤) : تَكَلَّمْ أَنْتَ يا أمير المؤمنين . قال : إن الله بعث محمدًا صلى الله عليه وسلم إلى الناس كافة^(٥) ، ثم اختار له ما عنده ، وترك للناس نَهْرًا شرَّيْهُم سِوَاهُ ، ثم ولى أبو بكر فترك النهر على حاله ، ثم ولى عمر فعمل عملَهُمَا ، ثم لم يَزَلِ النهر يستقى منه يزيد

(١) فى الكامل : بخمس .

(٢) فدك : قرية بالحجاز ، بينها وبين المدينة يومان ، وقيل ثلاثة ، أفادها الله على رسوله فى سنة سبع صلحا (ياقوت) .

(٣) من الكامل .

(٤) من د .

(٥) فى الكامل : لى الناس رحمة ولم يبعثه عذابا .

ومروان ، وعبد الملك ابنه ، والوليد وسليان ابناً عبد الملك ، حتى أفضى الأمر إلى ، وقد يبس النهار الأعظم ، فلن يروى (١) أصحابه حتى يعود إلى ما كان عليه .

فقلت : حسبك [قد أردت كلامك (٢)] ، فأما إذا كانت مقاتلك هذه فلا أذكر شيئاً أبداً ، ورجعت إليهم فأخبرتهم بكلامه .
وقد قيل : إنها قالت له : إن بنى أمية كذا وكذا - ذكرت إنكارهم لفعليه بهم - فلما تكلم بهذا قالت له : إنهم يحكرونك يوماً من أيامهم ، فغضب وقال : كل يوم أخافه غير يوم القيامة ، فلا أمتنى (٣) الله شره .

فرجعت إليهم فأخبرتهم وقالت : أنتم فعلتم هذا بأنفسكم ، تزوجتم بأولاد عمر بن الخطاب ، فجاء يشبه جده ، فسكنوا .

قالت فاطمة امرأة عمر : دخلت عليه في مصلاة ودموعه تجري على لحيته ، فقلت : أحدث شيء ؟ قال : إني تقلدت امرأمة محمد صلى الله عليه وسلم ، فتفكرت في الفقير الجائع ، والمريض الضائع والعارى (٤) والمظلوم والمقهور (٥) ، والغريب والأسير ، والشيوخ الكبير وذو العيال الكثير والمال القليل وأشباهم في أقطار الأرض ، فعلمت أن ربى سيسألنى عنهم يوم القيامة ، وأن خصمى دونهم محمد صلى الله

(١) فى الكامل : فلم يرو .

(٢) من الكامل .

(٣) فى الكامل : فلا أمنت شره .

(٤) فى الكامل : والغازى .

(٥) فى الكامل : والمظلوم المقهور .

عليه وسلم ، فخشيتُ ألا تثبت حُجَّتِي عند الخصومة ، فرحمت نفسي فبكِيتُ .

وكتب إلى عماله نسخة واحدة : أما بعد فإنَّ الله عزَّ وجلَّ أكرمَ بالإسلام أهله ، وشرفهم وأعزهم ، وضرب الذلَّة والصغار على مَنْ خالفهم ، وجعلهم خَيْرَ أمةٍ أُخْرِجَتْ للناس ، فلا تُؤَلِّينَ أمرَ^(١) المسلمين أحدًا من أهل ذمتهم وخراجهم ، فتنبسط عليهم أيديهم وألسنتهم فتذلهم بعد أن أعزهم الله ، وتهينهم بعد أن أكرمهم الله ، وتعرضهم لكيدهم والاستطالة عليهم ، ومع هذا فلا يؤمن غشهم إياهم ، فإنَّ الله عز وجل يقول^(٢) : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بَطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ » . وقال تعالى^(٣) : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ » . والسلام .

وكتب لما ولى الخلافة إلى يزيد بن المهلب بن أبي صُفرة ، وهو

إذ ذاك يلى العراق وخراسان :

أما بعدُ فإنَّ سليمان كان عبدًا من عبيد الله ، أنعم الله عليه ثم قبضه ، واستخلفني ويزيدُ بنُ عبد الملك من بَعْدِي إن كان ، وإن الذى ولأنى الله من ذلك وقدر لى ليس على بهيِّن ، ولو كانت رَغْبَتِي فى اتخاذ أزواج واعتقاد^(٤) أموال لكان فى الذى أعطانى الله من ذلك ما قد بلغ فى أفضل ما بلغ بأحدٍ من خلقه ، وأنا أخافُ فيما ابتليتُ به حسابًا شديدًا

(١) فى الكامل : أمور .

(٢) سورة آل عمران ، آية ١١٨

(٣) سورة المائدة ، آية ٥١

(٤) فى الكامل : أو اعتقال . والمنبت فى الطبرى أيضاً .

ومسألة غليظة إلا ما عانى^(١) الله ورحم ، وقد بايع من قبَلنا فبايع
من قبَلك .

فلما قرأ الكتاب قيل له : لستَ من عُمَّاله ، لأن كلامه ليس ككلام
من مَضَى من أهله .

وكتب إلى عبد الرحمن بن نعيم :

أما بعد فاعمل عَمَل مَنْ يَعْلَم أَنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ .

وكتب إلى سليمان بن أبي السرى : أن اعْمَلْ خانات ، فَمَنْ مَرَّ بِكَ
من المسلمين فاقرؤهم يوماً وليلة ، وتعهدوا دوابهم . ومن كانت به علةٌ
فاقرؤهم يومين وليلتين ، وإن كان منقطعا [به]^(٢) فأبْلِغْهُ بِلَدِهِ .

فلما أتاه كتاب عمر قال له أهل سمرقند : إن قُتَيْبَةَ ظَلَمْنَا
وَعَدَّرْنَا ، وَأَخَذَ بِلَادِنَا ، وَقَدْ أَظْهَرَ اللَّهُ الْعَدْلَ وَالْإِنصَافَ فَأَذَنْ لَنَا
فَلْيَقْدَمْ مَنَا وَقَدْ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، فَأَذِنْ لَهُمْ ، فَوَجَّهُوا وَقَدْ إِلَى عَمْرٍ ،
فَكَتَبَ إِلَى سُلَيْمَانَ : إِنَّ أَهْلَ سَمَرْقَنْدٍ شَكَّوْا ظُلْمًا وَتَحَاءُلًا مِنْ قُتَيْبَةَ
عَلَيْهِمْ حَتَّى أَخْرَجَهُمْ مِنْ أَرْضِهِمْ ، فَإِذَا أَتَاكَ كِتَابِي فَأَجْلِسْ لَهُمْ
الْقَاضِي فَلْيَنْظُرْ فِي أَمْرِهِمْ ، فَإِنْ قَضَى لَهُمْ فَأَخْرِجِ الْعَرَبَ إِلَى مَعْسِكِهِمْ
كَمَا كَانُوا قَبْلَ أَنْ يَظْهَرَ عَلَيْهِمْ قُتَيْبَةَ .

فَأَجْلَسَ لَهُمْ سُلَيْمَانُ جَمِيعَ بَنِي حَاضِرِ الْقَاضِي ، فَقَضَى أَنْ تَخْرُجَ
الْعَرَبُ إِلَى مَعْسِكِهِمْ وَيُنَابِئُوهُمْ عَلَى سِوَاءِ ، فَيَكُونُ صِلْحًا جَدِيدًا

(١) في الكامل : ما عفا .

(٢) زيادة في د .

أَوْ ظَفَرًا عَنُودَةً . فَقَالَ أَهْلُ الصُّغْدِ : نَرَضَى بِمَا كَانَ وَلَا نَحْدُثُ شَيْئًا^(١) .
وتواصوا بذلك .

وكتب إلى عبد الحميد : أما بعد فإن أهل الكوفة أصابهم بلاءٌ
وشدةٌ وجورٌ في أحكام الله ؛ وسُنَّةٌ خبيثةٌ سنّها عليهم عمالُ السوء ،
وإن قوامَ الدينِ العَدْلُ والإحسان ، فلا يكونن [شيء] ،^(٢) أَهْمٌ إِلَيْكَ
مِنْ نَفْسِكَ ؛ فإنه لا قليلٌ من الإثم^(٣) ، ولا تحمِلُ خراباً على عامر ،
وخذُ منه ما أطاق ؛ وأصلِحه حتى يعمر ، ولا يؤخذن من العامر إلا وظيفة
الخِراجِ في رِفْقٍ وتسكينٍ لأهل الأرض ، ولا تأخذن أجورَ الضرابين
ولا هديةَ النوروز والمهرجان ؛ ولا ثمنَ الصحف ولا أجورَ الفيوج^(٤)
ولا أجورَ البيوت ؛ ولا دَرَاهِمَ النكاح ؛ ولا خِراجَ علي بنِ أسلمٍ من أهل
الأرض ، فاتبع في ذلك أمرى ، فإنى قد وليتكَ من ذلك ما ولانى الله ،
ولا نمجّل دُونى بقطْعٍ ولا صلْبٍ حتى تراجعنى فيه ، وانظرْ مَنْ أَرَادَ
من الذرية أن يحجّ فعجّل له مائة ليحجّ بها . والسلام .

قال محمد بن [علي] ^(٥) الباقر : إن لكل قومٍ نجيةً ، وإن
نجيةَ بنى أمية عمر بن عبد العزيز رحمه الله ، فإنه يُبعث يومَ القيامة
أمةً وحده .

وقال مجاهد : أتينا عمر نعلمه ؛ فلم نبرح حتى تعلمنا منه ^(٦) .

(١) في د : حدنا وتراضوا . وفي الطبرى . ولا نجد حرباً وتراضوا بذلك .
وفي الكامل : ولا نحدث حرباً وتراضوا ...

(٢) من د ، والكامل .

(٣) في الكامل : فلا تحملها قليلاً من الإثم .

(٤) الفيوج : الفيح : المظمن من الأرض (القاموس) .

(٥) زيادة في د .

(٦) في ك : به .

وقيل لعمر بن عبد العزيز رضى الله عنه : ما كان بدءُ إنابتك ؟
قال : أردتُ ضَرْبَ غلامٍ لى ، فقال لى : اذكر ليلةً صبيحتها يوم القيامة .
وقال عمر : ما كنتُ منذ علمتُ أن الكذب يضرُّ أهله .

وأخبره رضى الله عنه فى الخير والعدلِ كثيرة لو استقصيناها
أو أوردنا ما طالعناه منها لطلال ولخرج عن قاعدة هذا التأليف ، وناهيك
بها سيرةٌ ضُربَ بها المثلُ فى العدلِ والإحسان منذ كانت إلى يومنا هذا .

وكان له من الأولاد الذكور أربعة عشر وخمس بنات .

كُتبه : رجاء بن حيوة الكندى ؛ وابن أبى رقة (١)

قاضيه : عبد الله بن سعد الأبلج .

حجابه : جيش ، ومزاحم ، مواليه .

الأمير بمصر : أيوب بن شرحبيل .

وأقر على القضاء عياض بن عبد الله ، ثم صرفه بأبى مسعود عبد الله بن
خُذافة .

وكان نقش خاتمه رضى الله عنه : « عمر بن عبد العزيز يؤمن بالله » .

ذكر بيعة يزيد بن عبد الملك

هو أبو خالد يزيد بن عبد الملك بن مروان بن الحكم ، وأمه عاتكة بنت يزيد بن معاوية ، وهو التاسع من ملوك بنى أمية ، بويج له يوم الجمعة لخمس بقين من شهر رجب سنة [١٠١هـ] إحدى ومائة بعد وفاة

(١) الضبط فى د .

عُمَرُ بن عبد العزيز ؛ وذلك بَعْدَ من أخيه سليمان بن عبد الملك على ماتقدم ذكر ذلك .

قيل : ولما احتضر عُمَرُ رضى الله عنه قيل له : اكتبْ إلى يزيد فأوصيه بالأمة . قال : بماذا أوصيه ؟ إنه من بنى عبد الملك .

ثم كتب إليه : أما بعد فاتق يا يزيد الصرعة بعد الغفلة ، حين لا تُقالُ العثرة ، ولا تُقدِرُ على الرجعة ، إنك تترك ما تترك لمن لا يحمدك ، وتصير إلى من لا يعذك . والسلام .

فلما ولي يزيد نزع أبا بكر محمد بن عمرو بن حزم [عن المدينة ، واستعمل عبد الرحمن بن الضحاك بن قيس الفهري عابها ؛ فأراد معارضة ابن حزم] ^(١) فلم يجد عليه سبيلا حتى شكى عثمان بن حيان إلى يزيد ابن عبد الملك من ابن حزم ، وأنه ضربه حدتين ، وطلب منه أن يُقيده منه .

فكتب يزيد إلى عبد الرحمن كتابا : أما بعد فانظر فيم ضرب ابن حزم ابن حيان ، فإن كان ضربه في أمر بين أو أمر مختلف فيه فلا تلتفت إليه .

فأرسل ابن الضحاك إلى ابن حزم فأحضره ؛ وضربه حدتين في مقام واحد ، ولم يسأله عن شيء ، وعمد يزيد إلى كل ما فعله عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه مما لم يوافق هواه ، فرده ، ولم يخف شناعة عاجلة ولا إنما آجلا .

(١) ساقط في ك .

ذكر مقتل شوذب الخارجى

وهزيمته بجيوش يزيد قبل ذلك

واسم شوذب بسطام .

قد ذكرنا خروجه فى أيام عمر بن عبد العزيز رحمه الله ووصول رُسُلِهِ إلى عمر ، وما كان بينهما من المناظرة ، وخروج محمد بن جرير ابن عبد الله البجلي إليهم فى ألفين وموادعتهم إلى أن يعود رسولا شوذب من عند عمر ؛ فلما مات عمر بن عبد العزيز أحبَّ عبد الحميد ابن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب ، وهو الأميرُ على الكوفة ، أن يحظى عند يزيد بن عبد الملك ؛ فكتب إلى محمد بن جرير بأمره بمناجزة^(١) شوذب ، فلما رآه يستعدُّ للحرب أرسل إليه يقول : ما أعجلكم قبل انقضاء المدَّة .

فأرسل إليه محمد : إنه لا يسعنا ترككم على هذه الحال .

فقال الخوارج : ما فعل هؤلاء هذا إلا وقد مات الرجلُ الصالح ، فاقتلوا ، فأصيب من الخوارج نفرٌ ، وقتل أكثر^(٢) أهل الكوفة ، وانهمز من بقى منهم نحو الكوفة ، وتبعهم الخوارج حتى بلغوا الكوفة ، ثم رجعوا إلى مكانهم .

ثم وجه يزيد بن عبد الملك نعيم بن الحباب فى ألفين فقاتلوه ، فقتل^(٣) ، وقتل أكثر أصحابه ، ولجأ من بقى منهم إلى الكوفة ، والتحق بعضهم بيزيد ، فأرسل إليهم يزيد نجدة بن الحكم الأزدي فى جمع ، فقتلوه وهزموا أصحابه .

(١) فى الطبرى : بمحاربة . (٢) فى الكامل : الكثير .

(٣) فى الكامل : فقتلوه وقتلوا أصحابه .

وأقام شوذب بمكانه ^(١) حتى دخل مسلمة بن عبد الملك الكوفة ، فشكا إليه أهل الكوفة مكان شوذب وحلبوه أمره ، فأرسل إليه مسلمة سعيد بن عمرو الحرثي . في عشرة آلاف ، فقال شوذب لأصحابه : من كان منكم يريد الشهادة فقد جاءتة ، ومن كان يريد الدنيا فقد ذهبت . فكسروا أغماد سيوفهم وحملوا فكشفوا سعيداً وأصحابه مراراً حتى خاف سعيد رحمه الله الفضيحة ، وكان فارساً شجاعاً ، فوبخ ^(٢) أصحابه ، وقبّح عليهم الفرار ، فحملوا فقتلوا بسطاماً ومن معه من الخوارج .

ذكر الغزوات والفتوحات

في خلافة يزيد بن عبد الملك بن مروان

ذكر غزوة الترك

وفي سنة [١٠٢ هـ] اثنتين ومائة كانت الحرب بين المسلمين

والترك عند قصر الباهلي .

وقيل : كان سبب ذلك أن عظيماً من عظماء الدهاقين أراد أن يتزوج امرأة من باهلة كانت في ذلك القصر ، فأبى فاستجاش الترك ، فجمعهم خاقان ووجههم إلى الصغد ، فساروا وعليهم كورصول حتى نزلوا بقصر الباهلي ، ورجوا أن يسبوا من فيه ، وكان فيه مائة أهل بيت بلتراريهم ، وكان على سمرقند يومذاك عثمان بن عبد الله بن مطرف بن الشخير من قبل سعيد بن عبد العزيز عامل خراسان ، فكتب أهل القصر إليه ، وخافوا أن يبطيء عنهم المدد ، فصالحوا الترك على أربعين ألفاً وأعطوهم سبعة عشر رجلاً رهينة ؛ وانتدب ^(٣) عثمان الناس ؛ فانتدب المسيب

(١) في الكامل : وأقام الخوارج مكانهم .

(٢) في الطبري : قتمر . (٣) في الكامل : وندب .

ابن بشر الرياحى ، وانتدب معه أربعة آلاف من جميع القبائل ، وعليهم
شُعْبَةُ بن ظهير ، وكان على سمرقند قَبْلَ عُمَانَ ، فلما عَسَكَرُوا قال لهم
المسيب : إنكم تُقَدِّمُونَ على حَلْبَةِ التُّرْكِ عليهم خاقان ، والِعِوَضُ إن
صَبَرْتُمْ الجنة ، والِعِقَابُ إن فَرَرْتُمْ النارُ ؛ فمن أراد الغزو والصبر
فليُقَدِّم .

فرجع عنه ألفٌ وثلاثمائة ، فلما سار فرسخًا [آخر] (١) ، فقال
مثل ذلك ؛ فاعتزله ألفٌ ، ثم سار فرسخًا آخر فقال مثل ذلك ، فاعتزله
ألفٌ ، وبقى فى سبعمائة ؛ فسار حتى بقى على فرسخين من التُّرْكِ .
فأتاه الخَبِيرُ أن أهل القَصْرِ قد صالحوا التُّرْكَ على أربعين ألفًا ، وأعطوهم
سبعة عشر رجلا رهينة ، وأنه لما بلغهم مَسِيرُ المسلمين قتلوا الرهائن
وأهم اتعدوا القتالَ غدا .

فبعث المسيبُ رجلين إلى أهل القصر يُعلمهم بقربه ، ويستملهم
يوما وليلة ، فاتيا القَصْرَ فى ليلة مظلمة وقد أجرت (٢) التُّرْكُ الماءَ فى
نواحي القصر ، فليس يصلُ إليه أحدٌ . فلما دنوا من القصر صاح بهم
الرَبِيْثَةُ فاستنصتاه ، وقال له : اذعُ لنا عبدَ الملكِ بنِ دِنَارٍ ، فدعاه .
فأعلماه قُربَ المسيبِ ، [وأمره بالصَّبْرِ غدا ، ورجعا إلى المُسَيَّبِ] ، (٣)
فبايع أصحابه على الموت ، فبايعوه ، وسار حتى بقى (٤) بينه وبين
القَصْرِ نِصْفُ فرسخ ، فلما أمسى أمر أصحابه بالصَّبْرِ ، وقال : ليكن

(١) ليس فى د .

(٢) فى الكامل : أخذت .

(٣) ليس فى ك .

(٤) فى د . صار .

شِعَارُكُمْ : يا محمد ، ولا تتبعوا مُؤَلِّيَا ، وعليكم بالدوابِّ فاعقروها فإنها إذا عُقِرَتْ كانت أُمِّدَّ عليهم منكم ، وسار بهم ليلاً فَوَافَى عَسْكَرَ التُّرْكِ وَوَقْتَ السُّحْرِ ، فخالطهم المسلمون ، وعَقَرُوا الدُّوَابَّ ، فانهزمت التُّرْكَ ، ونادى مَنَادِي المَسِيَّبِ : لا تتبعوهم ، فإنهم لا يَدْرُونَ مِنَ الرُّعْبِ أَتَبِعْتَهُمْ أَمْ لَا .

وأمر أصحابه أن يَقْصِدُوا القَصْرَ وَيَحْمِلُوا ما فيه من المَالِ وَمَنْ بالقصر ، مَنْ يَعْجِزُ عن المشى ، ففعلوا ، ورجع إلى سَمَرْقَنْدَ ، ورجع التُّرْكَ مِنَ العَدِّ ، فلم يروا بالقصر أحداً ، ورأوا قَتْلَاهُمْ ، فقالوا : لم يكن الذين آتَوْنَا مِنَ الإنْسِ . والله أعلم .

ذِكْرُ غَزْوِ الصُّغْدِ

وفى سنة [١٠٢هـ] اثنتين ومائة أيضاً عبر سعيد النهر ، وغزا الصُّغْدَ ، وكانوا نقضوا العهد ، وأعانوا التُّرْكَ على المسلمين ، فلقيه التُّرْكَ وطائفة من الصُّغْدِ ، فهزمهم المسلمون وساروا حتى انتهوا إلى وادٍ بينهم وبين المَرَجِ ، فقطعه بعضهم وقد أكن^(١) لهم التُّرْكَ ، فلما جازهم المسلمون خرجوا عليهم ، فانهزم المسلمون حتى انتهوا إلى الوَادِي ، ثم جاء الأمير وبقية الجيش فانهزم العدو .

وفيهَا غَزَا عُمَرُ بن هُبَيْرَةَ الروم من ناحية أرمينية ، وهو على الجزيرة قَبْلَ أن يَلِيَ العِراقَ ، فهزمهم ، وأسر منهم خَلْقًا كثيرًا . وقيل^(٢) سبعمائة أسير .

(١) فى ك : كمن .

(٢) فى الكامل : وقتل . وفى الطبرى : قتل .

وغزا عباس بن الوليد بن عبد الملك الروم ، فافتتح دلسة (١) ،
وغزا أيضًا فى سنة ثلاث ومائة ، ففتح مدينة يقال لها رسالة (٢) .

ذكر الواقعة بين سعيد الحرشى (٣)

أمير خراسان وبين الصغد

وفى سنة [١٠٤هـ] أربع ومائة غزا سعيد الحرشى ، فقطع النهر
وسار فنزل قصر الرّيح على قرسخين من الدبوسية (٤) ، وكان الصغد
لما بلغهم عزّل سعيد بن عبد العزيز عن خراسان واستعمال الحرشى
خافوه على أنفسهم ، فأجمع عظاموهم على الخروج من بلادهم ، فقال لهم
ملكهم : أقيموا واحملوا له خراج ما مضى ، واضمنوا له خراج ما يأتى ،
وعمارة الأرض ، والغزو معه إن أراد ذلك ، واعتذروا بما كان منكم ،
وأعطوه رهائن . قالوا : نخاف ألا يقبل ذلك منا ، ولكننا نأتى خجندة (٥)
فنستجير بملكها ، ونرسل إلى الأمير فنسأله الصّفح عما كان منا .
فوافقهم .

فخرجوا إلى خجندة ، وأرسلوا إلى ملك قرغانة يسألونه أن يمتنعهم ،
ويُنزلهم مدينته ، فأراد أن يفعل فنهته أمه ، وقالت له : قرغ لهم
رُستاقا يكونون فيه ، فأرسل إليهم : سموا رُستاقا تكونون فيه حتى نُفرغه
لكم ، وأجلوني أربعين يوماً .

(١) هذا فى ك ، د .

(٢) والطبرى : ٦ - ٦١٩ .

(٣) بالحاء المهملة المفتوحة والشين المعجمة (اللباب) .

(٤) بليدة من أعمال الصغد مما وراء النهر (ياقوت) .

(٥) بضم أوله وفتح ثانيه ونون ثم دال مهملة : بلدة مشهورة مما وراء النهر

على شاطئ سيحون (ياقوت) .

فاختاروا شُعْبَ عَصَامِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْبَاهِلِيَّ ، فقال : نعم ،
وليس على عقد ولا جوار حتى تدخلوه ، وإن أتكم العربُ قبل دخولِهِ
لم أمنعكم . فرضوا ، وفرغ لهم الشُّعْبُ .

فلما انتهى الحرثي إلى قَصْرِ الرِّيحِ أتاه ابنُ عمِ ملكِ فَرْعَانَ فقال
له : إنَّ أهلَ الصُّغْدِ بِخُجَنْدَةَ ، وأخبره خبرهم ، وقال : عاجِلْهُمْ قَبْلَ
أَنْ يَصِلُوا إِلَى الشُّعْبِ ، فليس لهم علينا جوار حتى يمضي الأجل .

فوجه معه عبد الرحمن القُشَيْرِيُّ أو زياد^(١) بن عبد الرحمن في جماعة ،
ثم ندم^(٢) بعدما فصلوا ، وقال : جاعني عِلْجٌ لا أعلمُ صدقُ أم كذبُ ،
ففررتُ بخند من المسلمين .

فارتحل في أثرهم حتى نزل أُشْرُو سَنَةَ^(٣) ، فصالحهم بشيء
يسير ، ثم سار مُسْرِعًا حتى لحق القُشَيْرِيَّ ، وساروا حتى انتهوا إلى
خُجَنْدَةَ ، فنزل عليهم وأخذ في التَّأَهُبِ . وكان الذين بخُجَنْدَةَ قد حَفَرُوا
خَنْدَقًا في رِيبِهِمْ وراءَ البابِ ، وغطَّوه بقصب وتُرابٍ ، وأرادوا إذا
التقوا إن انهزموا دخلوا من الطريق^(٤) ، ويُشكل على المسلمين فيسقطون
في الخَنْدَقِ . فلما خرجوا قاتلوهم فانهزموا وأخطثوا^(٥) هم الطريقَ
فسقطوا في الخَنْدَقِ ، فأخرج منهم المسلمون أربعين رجلا ، وحصرهم
الحرثيُّ ، ونصب عليهم المجانيق .

فأرسلوا إلى ملكِ فَرْعَانَ : إنك قد غدرتَ [بنا] ^(٦) ، وسألوه

(١) في الكامل : وزياد . (٢) في الطبري : ثم ندم على ما فعل .

(٣) بالضم ثم السكون وضم الراء وواو ساكنة وسين مهملة مفتوحة ونون وهاء :
بلدة كبيرة بما وراء النهر بين سيحون وسمرقند (ياقوت) .

(٤) في الطبري : إن انهزموا أن يكونوا عرفوا الطريق

(٥) في الكامل : وأخطأهم . وفي الطبري : وأخطئوهم .

(٦) من الكامل والطبري .

أن ينصرهم ، فقال : قد أتوكم قبل انقضاء الأجل ، ولستم في جوارى ، فطلبوا الصلح ، وسألوا الحرثى أن يؤمنهم ويردهم إلى الصغد ، فاشترط عليهم أن يردوا ما في أيديهم من نساء العرب وذرائعهم ، وأن يودوا ما كسروا من الخراج ، ولا يغتالوا أحداً ، ولا يتخلف منهم بخجندة أحد ، فإن أحدثوا حدثاً حلت دماؤهم .

فخرج إليهم الملوك والتجار من الصغد ، ونزل عظماء الصغد على الجند الذين يعرفونهم ، ونزل كارزنج على أيوب بن حسان (١) ، وبلغ الحرثى أنهم قتلوا امرأة من كان في أيديهم ، فقال [لهم] (٢) : بلغنى أن ثابتاً الإشتيخينى قتل امرأة ، فجددوا . فسأل حتى استصح الخبر ، فأحضر ثابتاً وقتله ، فلما بلغ (٣) كارزنج ذلك خاف أن يقتل فأرسل إلى ابن أخيه ليأتيه بسرأويل ، وكان قد قال لابن أخيه : إذا طلبت سراويل فاعلم أنه القتل . فبعث به إليه ، وخرج واعترض الناس فقتل ناساً ، وانتهى إلى ثابت بن عثمان بن مسعود فقتله ثابت ، وقتل الصغد مائة وخمسين رجلاً كانوا عندهم من أسرى المسلمين ، فأمر الحرثى بقتل الصغد بعد عزل التجار عنهم ، فقاتلهم الصغد بالخشب ، ولم يكن لهم سلاح ، فقتلوا عن آخرهم ، وكانوا ثلاثة آلاف ، وقيل سبعة آلاف ، واصطفى الحرثى أموال الصغد وذرائعهم ، وأخذ من ذلك ما أعجبه ، وقسم ما بقى ، وفتح المسلمون حصناً يُطيف به وادى الصغد من ثلاث جهات صلحاً على ألا يتعرض لنسائهم وذرائعهم ، ففعلوا .

(١) فى الطبرى والكامل : أيوب بن أبى حسان . والثبت فى ك ، د .

(٢) من الطبرى .

(٣) فى الكامل : سمع .

وسار الحرثي إلى كَس (١) ، فصالحوه على عشرة آلاف رأس . وقيل :
 ستة آلاف رأس ، وولى الحرثي نصر بن سيار قبض صلح كَس (١) ،
 واستعمل سليمان بن أبي السري على كَس ، ونسف - حربها وخراجها .
 وكانت خَزَار (٢) منيعة ، فأرسل الحرثي إليها المُسربَل بن الخريت
 الناجي ، وكان صديقا للمكها ، واسم ملكها سُبغري (٣) ، فأخبر
 الناجي الملك بما صنع الحرثي بأهل خُجندة ، وخوفه . قال : فما ترى ؟
 قال : أرى أن تزدل بأمان ، فصالحهم فأمنوه وبلادهم ، ورجع الحرثي
 إلى مرو ومعه سُبغري (٣) فقتله وصلبه ومعه أمانه .

ذكر ظفر الخزر بالمسلمين

وفي سنة [١٠٤هـ] أربع ومائة دخل جيش المسلمين إلى بلاد الخزر
 من أرمينية ، وعليهم ثبيت النهراي (٤) ، فاجتمعت الخزر في جمع
 كثيف ، وأعانهم قفجلق وغيرهم من الترك ، فلقوا المسلمين بمكان يُعرف
 بمرج الحجارة ، فاقتتلوا قتالاً شديداً ، فقُتل من المسلمين خلقٌ
 كثير ، واحتوت الخزر على عسكرهم ، وغنموا مافيهم ، وأقبل المنهزمون
 [إلى الشام] (٥) ، فقد موا على يزيد ، فوبخهم على الهزيمة ، فقال
 ثبيت : يا أمير المؤمنين ، ماجئنت ولا نكبت عن لقاء العدو ، ولقد لصقت
 الخيل بالخيل والرجل بالرجل ، ولقد طاعنت حتى انقصف رُمحي ،
 وضاربت حتى انقطع سيفي ، غير أن الله تبارك وتعالى يفعل ما يشاء .

(١) سبق أنها بالشين أيضاً .

(٢) موضع بقرب نسف ذكره ياقوت بضم أوأه وآخره راء مهملة . وفي ك :

خزائن .

(٣) في الطبري : سبغري ، والضبط في د .

(٤) والكامل : ٤ - ١٨٦

(٥) زيادة في الكامل .

ذكر فتح بلنجر وغيرها (١)

قال : لما تمت الهزيمة المذكورة على المسلمين طمِع الخَزَرُ في البلاد . فجمعوا وحشدوا ، فاستعمل يزيدُ بن عبد الملك الجراح بن عبد الله الحكيمى على أرمينية ، وأمدّه بجيش كثيف ، وأمره بغزو الخَزَر وغيرهم من الأعداء وقصد بلادهم ، فسار الجراحُ وتسامعت به الخَزَرُ فعادوا حتى نزلوا بالبابِ والأبواب ، ووصل الجراحُ إلى بردعة (٢) ، فأقام بها حتى استراح هو ومن معه ، وسار نحو الخَزَر فعبّر (٣) نهر الكُر : فبلاغه أن بعض من معه كتب إلى ملك الخَزَر يُخبره بمسير الجراح إليه ، فأمر الجراحُ منادياً فنادى في الناس : إن الأمير مقيم ها هنا عدة أيام ، فاستكشروا من المييرة .

فكتب ذلك الرجل إلى ملك الخَزَر يُخبره أن الجراح مقيم ، ويُشير عليه بترك الحركة لئلا يطمع المسلمون فيه ، ثم أمر الجراح بالرحيل ليلاً ، وسار مُجداً حتى انتهى إلى مدينة الباب [والأبواب (٤)] ، فلم ير الخَزَر ، فدخل البلد ، وبت سراياهُ للنهب والغارة ، فغنموا وعادوا ، وسار الخَزَرُ إليه ، وعليهم ابنُ ملكهم فالتقوا عند نهر الران (٥) ، واقتتلوا قتلاً شديداً ، فهزمهم المسلمون وتبعوهم يقتلون ويأسرون ، فقتل منهم خلق كثير ،

(١) بفتحين وسكون وجيم مفتوحة ، وراء مدينة بلاد الخزر خلف باب الأبواب (ياقوت) .

(٢) في الكامل : بردعة . وفي ياقوت . بردعة ، وقد رواه أبو سعد بالدال المهملة والعين مهملة عند الجميع : بلد في أقصى أذربيجان .

(٣) في الكامل : فعبّر بهم نهر الكر . (٤) من الكامل .

(٥) الران : مدينة بين مراغة وزنجان ، قال ياقوت . وفي المدينة نهر من شرب منه أمن الحصاة أبداً . ثم قال : وعندى أن الران وأران واحدة ، وهي ولاية واسعة من نواحي أرمينية .

وغنم المسلمون جميع ما معهم ، وساروا حتى نزلوا على حصن يعرف بالحُصين ، فنزل أهله بالأمان على مالٍ يحملونه ، فأجابهم ونقلهم عنه ، ثم سار إلى مدينة بُرْغَر (١) فأقام عليها ستة أيام ، وجدَّ في قتال أهلها ، فسألوا الأمان فأمَنهم وتسلَّم حِصْنَهُمْ ونَقَلَهُمْ منه .

ثم سار إلى بَلَنْجَر وهو حصنٌ مشهورٌ مِن أَحْصُونِهِمْ ، فنزله ، وقاتل عليه قتالاً شديداً ، وملك الحِصْنَ عتوة ، وغنم المسلمون ما فيه ، فأصاب الفارس ثلاثمائة دينار ، وكانوا بضعة وثلاثين ألفاً ، وأخذ الجراح أولاد صاحب بَلَنْجَر وأهله ، وأرسل إليه فأحضره وردَّ إليه أمواله وأهله وحصنه ، وجعله عَيْناً للمسلمين ؛ ثم سارعن بَلَنْجَر فنزل على حصن الوبندر (٢) ، وبه نحو أربعين ألف بيت من الترك ، فصالحوا الجراح على مالٍ يؤدونه ، ثم نجَّع أهل تلك البلاد ، وأخذوا الطرق على المسلمين ، فكتب صاحب بَلَنْجَر إلى الجراح يُخْبِرُهُ بذلك ، فعاد مُجِداً حتى وصل إلى رُستاق سِلي (٣) ، وأدركهم الشتاء ، فاقام المسلمون به ، وكتب الجراح إلى يزيد بن عبد الملك يخبره بما فتح الله عليه وبجموع الكفار ، ويسأله المدد ، فوعده بانفاذ العساكر ، فمات قبل ذلك ، فأقر هشام الجراح على عمله ، ووعدته المدد .

هذا ما كان من الغزوات والفتوحات في أيام يزيد بن عبد الملك ،

فلنذكر حوادث السنين في أيامه .

(١) بالغين المعجمة المفتوحة والراء : على ساحل بحر متصل بجليج القسطنطينية

(ياقوت) ، وفي د : برغو . وفي : الكامل : يرغو .

(٢) هذا في د ، والكامل .

(٣) سلي - بكسر أوله وفتح اللام وتشديدها وقصر الألف . وعن محمد بن موسى :

سلي - بالضم وفتح اللام : جبل بمناذر من أعمال الأهواز . (ياقوت) . وفي الكامل : ملي .

تمة سنة (١٠١ هـ) احدى ومائة :

ذكر استيلاء يزيد بن المهلب بن أبى صفرة

على البصرة وخلعه يزيد بن عبد الملك

قد ذكرنا هرب يزيد بن المهلب من حبس عمر بن عبد العزيز رحمه الله ، وأنه إنما هرب خوفاً من يزيد بن عبد الملك لمنافرة كانت بينهما .

وقيل : كان السبب الذى أوجب كراهة يزيد بن عبد الملك فى يزيد بن المهلب أن ابن المهلب خرج يوماً من الحمام فى أيام سليمان وقد تضمخ بالغالية ، فاجتاز بيزيد بن عبد الملك وهو إلى جانب عمر ابن عبد العزيز ، فقال يزيد بن عبد الملك : قبح الله الدنيا لو ددت أن مثقال الغالية بألف دينار ، فلا يناله إلا كل شريف ، فقال ابن المهلب : بل وددت أن الغالية فى جبهة الأسد فلا ينالها إلا لى . فقال له يزيد بن عبد الملك : والله لئن وليت يوماً لأقتلنك . فقال ابن المهلب : والله لئن وليت هذا الأمر وأنا حى لأضربن وجهك بمائة ألف سيف .

وقيل : كان السبب أن يزيد بن المهلب كان قد عذب أصحاب يزيد بن عبد الملك ، وكان سليمان بن عبد الملك لما ولى الخلافة طلب آل عقيل فأخذهم وسلمهم إلى ابن المهلب ليخلص الأموال منهم ، فبعث ابن المهلب إلى البلقاء من أعمال دمشق وبها خزائن الحجاج ابن يوسف وعياله ، فنقلهم وما معهم إليه ، وكان فيمن أتى به أم الحجاج زوجة يزيد بن عبد الملك .

وقيل : بل أخت لها - فعذبها ، فأتى يزيد بن عبد الملك إلى ابن المهلب فى منزله ، فشفع فيها ، فلم يشفعه ، فقال : الذى قررتهم عليها أنا أحمله ،

فلم يقبل منه ، فقال لابن المهلب : أما والله لئن وليتُ من الأمر شيئاً لأقطعن منك عضواً . فقال ابن المهلب : وأنا والله لئن كان ذلك لأرمينك بمائة ألف سيف .

فحمل يزيد بن عبد الملك المال ^(١) عنها ، وكان مائة ألف دينار ، وقيل أكثر من ذلك . والله أعلم .

قال : فلما ولي يزيد بن عبد الملك كتب إلى عبد الحميد بن عبد الرحمن ، وإلى عدى بن أرطاة ، يُعرفهما هرب يزيد ، ويأمرهما بالتحرز منه ، وأمر عديا أن يأخذ من بالبصرة من آل المهلب ويحبسهم ، فقبض عليهم وفيهم المفضل وحبيب ومروان بنو المهلب ، وأقبل يزيد بن المهلب نحو البصرة ، وقد جمع عدى بن أرطاة الجموع ، وخذت على البصرة ، وندب الناس ، وجاء يزيد في أصحابه ^(٢) والذين معه ، فالتقاه ^(٣) أخوه محمد بن المهلب فيمن اجتمع إليه من أهله وقومه ومواليه ، فمرّ بجموع عدى ، فجعل لا يمر بخيل من خيل عدى إلا تنحوا عن طريقه ، وأقبل حتى نزل داره ، واختلف الناس إليه ، فبعث إلى عدى أن ابعث إلى إخواني وأنا أصالحك على البصرة وأخليك وإياها حتى آخذ لنفسى من يزيد ما أحب . فلم يقبل منه ، وأخذ يزيد بن المهلب يُعطي من أتاه قطع الذهب والفضة ، فقال الناس إليه ؛ وكان عدى لا يُعطي إلا درهمين درهمين ، ويقول : لا يحل أن أعطيكم من بيت المال درهما إلا بأمر يزيد بن عبد الملك ، ولكن تبأوا هذه حتى يأتي الأمر ، فقال الفرزدق ^(٤) :

(١) في الكامل : ما كان عليها .

(٢) في د ، والكامل : في أصحابه الذين معه .

(٣) هذا في د ، ك .

(٤) والطبري : ٦ - ٥٨١ ، وديوانه : ١٥٦

أَظُنُّ رِجَالَ الدَّرَهْمِيِّينَ تَقَوُّدُهُمْ (١) إِلَى المَوْتِ آجَالُ لَهُمْ وَمَصَارِعُ
وَأَكْبَسَهُمْ مَنْ قَرَّ فِي قَعْرِ بَيْتِهِ (٢)

وخرج يزيد حين اجتمع الناس له حتى نزل جبانة بنى يشكر وهو المنصف (٣) فيما بينه وبين القصر ، فلقبه قيس و تميم وأهل الشام ، فاقتتلوا هنيهة وانهمزوا ، فتبعهم يزيد وأصحابه حتى دنا من القصر ، وخرج إليهم عدى بنفسه فقتل من أصحابه وانهمز هو (٤) ، وقصد قتل آل المهلب الذين في حبسه ، فأغلقوا الباب ومنعوا عن أنفسهم حتى أدركهم يزيد ، ونزل في دار سالم (٥) ابن زياد بن أبيه ، وهى إلى جنب القصر ، ونصب السلايم ، وفتح القصر ، وأتى يعدى بن أرطاة فحبسه ، وقال : لولا حبسك إخوتى لما حبستك ، وأخرج إخوته وهرب بوجوه أهل البصرة ، فلحقوا بالكوفة ، وكان يزيد قد بعث حميد بن عبد الملك بن المهلب إلى يزيد ابن عبد الملك فى طلب الأمان ، فعاد بما طلب ومعه خالد القسرى وعمرو ابن يزيد الحكيمى ، فوجد المغيرة بن زياد وقد قر من يزيد ابن المهلب ، فأخبرهم الخبر ، فعادوا إلى يزيد بن عبد الملك ومعهم حميد ، وأرسل يزيد بن عبد الملك إلى أهل الكوفة يثنى عليهم ويعدوهم

(١) فى الطبرى : يسوقهم .

(٢) فى الطبرى : فأخزمهم من كان .

(٣) فى الكامل : النصف .

(٤) فى الكامل : وانهمز أصحاب عدى .

(٥) فى الكامل : سليمان . والمثبت فى الطبرى أيضاً

الزيادة ، وأرسل^(١) أخاه مسلمة وابن أخيه العباس بن الوليد ، في سبعين ألف مقاتل من أهل الشام والجزيرة .

وقيل : كانوا ثمانين ألفا ، فساروا إلى العراق حتى بلغوا الكوفة فنزلوا بالنخيلة^(٢) ، واستوثق أمر البصرة لابن المهلب ، وبعث عماله على الأهواز وفارس وكرمان ، ثم سار يزيد من البصرة ، واستعمل عليها أخاه مروان ، وأتى واسطا ، وأقام عليها أياما يسيرة إلى أن دخلت سنة [١٠٢هـ] اثنتين ومائة ، فسار عنها .

واستخلف عليها ابنه معاوية ، ونزل^(٣) عنده بيت المال ، وقدم أخاه عبد الملك نحو الكوفة ، فاستقبله العباس بن الوليد واقتتلوا ، فظفر عبد الملك أولا ، ثم كانت الهزيمة عليه ، فعاد بمن معه إلى أخيه ، وأقبل مسلمة يسيير على شاطئ الفرات إلى الأنبار ، وعقد عليها جسرا فعبر وسار حتى نزل على ابن المهلب ، والتحق بابن المهلب^(٤) ناس كثير من الكوفة والثغور ، وأحصى ديوانه مائة ألف وعشرين ألفا ، فقال : لو ددت أن لي بهم من بخراسان من قومي .

ثم قام في أصحابه وحرّضهم على القتال ، وكان اجتماع ابن المهلب ومسلمة ثمانية أيام ، فلما كان يوم الجمعة لأربع عشرة ليلة مضت من صفر سنة [١٠٢هـ] اثنتين ومائة خرج مسلمة في جنوده حتى قرب من ابن المهلب ، والتقوا واقتتلوا ، فانهزم أصحاب ابن المهلب ،

(١) في د . وجهاز .

(٢) موضع قرب الكوفة على ست الشام (ياقوت) .

(٣) في الكامل : وجعل .

(٤) في الكامل : وأتى إلى ابن المهلب .

فترجلُ وبقى في جماعةٍ من أصحابه وقد استَقْتَل وهو يتقدمُ ؛
فكلُّما مرَّ بِخَيْلِ كَشَفَهَا أو جماعةٍ من أهل الشام عدلوا عنه ؛ وأقبل
نحو مسلمة لا يريدُ غيره ، فلما دنا منه أذنتى فرسه ليركب ، فعطف
عليه أهلُ الشام ، فقتل يزيد والسَّمِيدُ (١) ومحمد بن المهلب ،
وكان رجلٌ من كلب يقال له القَحْلُ (٢) بن عِيَّاش لما نظر إلى يزيد قال :
هذا والله يزيدُ ، والله لأقتلنه أو ليقتلني ، فمَن يحمل معي يكفيني
أصحابه حتى أصِلَ إليه ، فحمل معه ناسٌ ، فاقتتلوا ساعةً ، وانفرج
الفريقان عن يزيد قتيلاً وعن القَحْلُ (٢) بآخر رمقٍ ، فأوماً إلى
أصحابه يُريهم مكانَ يزيد وأنه هو الذي قتله ، وأن يزيد قتله ، وأتى مؤلى
لبنى مرةً برأس يزيد إلى مسلمة ، فقيل له : أنت قتلتَه ؟ قال : لا ،
فبعث مسلمة بالرأس إلى يزيد بن عبد الملك مع خالد بن الوليد
ابن عَقْبَةَ بن أبي مُعَيْط .

وقيل : بل قتله الهذيل بن زفر بن الحارث الكلابي ، ولم ينزل
لأخذ رأسه أنفةً .

قال : ولما قُتِلَ يزيد كان المفضل بن المهلب يقاتلُ أهلَ الشام
دهو لا يدري بقتل أخيه ولا بهزيمة الناس ، فأتاه آتٍ وقال له : ما تصنع
وقد قُتِلَ يزيد وحبيب ومحمد ، وانهمز الناس منذ طويل ؟ فتفرق
الناس عنه ، ومضى المفضل إلى واسط .

وقيل : بل أتاه أخوه عبدُ الملك ، وكرة أن يُخبره بقتل يزيد

(١) السَّمِيدُ الكندي : من بنى مالك من ربيعة (الطبرى) . وفي القاموس
بالمثال المعجمة ، وقد ضبطه بالحروف .

(٢) بالفاء في القاموس وفتح البلدان . وفي الأصول ، والإكمال بالقاف :

فيسقتل ، فقال له : إنَّ الأَمِيرَ قد انحدر إلى واسط ، فأنحدرَ المفضَّلُ
بمَنْ بقى مِنْ وُلْدِ المهلب إليها ، فلما علم بقتل يزيد حلف أنه لا يُكَلِّمُ
عبدَ الملك أبداً ، فما كلَّمه حتى قتل بقنْدَابِيل (١) .

قال : ولما أتت هزيمة ابنُ المهلب إلى واسط أخرج ابنُه معاوية
اثنتين وثلاثين إنساناً (٢) كانوا عنده ، فضرب أعناقهم منهم عدى
ابن أَرْطَاة ، وابنه محمد ، ومالك ، وعبد الملك ابنا مِسْمَع وغيرهم ، ثم
أقبل حتى أتى البَصْرَةَ بالمال والخزائن ، وجاء المفضل بن المهلب
 واجتمع إلى المهلب بالبصرة ، وأعدوا السفن وتجهَّزوا للركوب .
في البحر إلى جبال كَرْمَانَ ، وحملوا عيالهم (٣) وأموالهم في السفن
البحريَّة ، ولجَّجوا حتى أتوا جبالِ كَرْمَانَ ، فخرجوا مِنْ سَفِينِهِمْ ،
وحملوا ما معهم على الدواب .

وكان المقدم عليهم المفضل ، وكان بكرمَانَ فلولٌ كثيرة ، فاجتمعوا
إلى المفضل ، وبعث مسلمة مُذْرِك بن ضَب الكَلْبِيِّ في طلبهم وفي أثر
الفل ، فأدرك المفضل ومن اجتمع إليه ، فقاتلوه قتالاً شديداً ، فقتل
من أصحاب المفضل جماعة ، وطلب بعض مَنْ معه الأمان ، ومضى آلُ
المهلب إلى قنْدَابِيل ، وبعث مسلمة إلى مدرك بن ضَب ، فردَّه ؛
وسير في أثرهم هلال بن أخوَز التميمي فلحقهم بقنْدَابِيل ، فأراد آلُ المهلب
دخولها فمنعهم أميرها وادعُ بن حُميد ، وكان يزيد بن المهلب قد
استعمله عليها ، وأخذ عليه العهودَ والمواثيق أنه إن قتل في حربِه
يلجأُ أهلُه إليها ويتحصَّنوا بها حتى يأخُلوا أمانَ يزيد بن عبد الملك .

(١) بالفتح ثم السكون والداد مهملة وبعد الالف موحدة مكسورة ثم
ياء بفتحة من تحتها ولام : مدينة بالسند (ياقوت) .

(٢) في الكامل : أسيراء (٣) في الكامل : عيالهم .

وقال له : قد اخترتُك لهم من بين قومي فكُنْ عند حُسْن ظنِّي ؛
وعاهده لِيُنَاصِحَنَّ أهل بيته إن هم لَجَبُوا إليه .

فلما أتوه ^(١) منعهم من الدخول ، وكتب إلى هلال بن أخوز ،
فلما التقوا نَصَب هلالُ رايةَ أمان ، فتفرَّقَ الناسُ عن آل المهلب ،
وتقدمواهم بأسيافهم ، فقاتلوا حتى قتلوا من عند آخرهم ، وهم المفضل ،
وعبد الملك ، وزِياد ، ومرؤان بنو المهلب ، ومعاوية بن يزيد بن المهلب ،
والمِنْهال بن أبي عُيَيْنَةَ بن المهلب ، وعمرو والمغيرة ابنا قبيصة
ابن المهلب ، وحملت رعوُسهم ؛ وفي أُذُنِ كلِّ واحد رُقْعَةٌ فيها اسمه ،
ولحق منهم يَرْتُبيل أبو عُيَيْنَةَ بن المهلب ، وعمرو ^(٢) بن يزيد ،
وعثمان بن المفضل ؛ وبعث هلال بالرعوس والنساء الأسرى من آل
المهلب إلى مسلمة بن عبد الملك وهو بالحيرة ، فبعثهم إلى يزيد
ابن عبد الملك ، فبعثهم ^(٣) يزيدُ إلى العباس بن الوليد وهو على
حَلَب ، فنصب الرعوس ، وأراد مسلمةُ أن يبيع الذرية ، فاشتراهم
منه الجراح بن عبد الله الحكمي بمائة ألف ، وخطى سبيلهم ،
ولم يأخذ مسلمة بن الجراح شيئاً ، وكانت الأسرى من آل المهلب
ثلاثة عشر رجلاً ، فلما جرى بهم إلى يزيد بن عبد الملك كان ^(٤)
عنده كثير عزة فقال ^(٥) :

(١) في ك : أتوا .

(٢) في الكامل : وعمرو .

(٣) في الكامل ، يسيروهم .

(٤) في الكامل : وكان .

(٥) الكامل : ٤ - ١٧٥

حليم إذا ما نال عاقب مُجْمِلًا . أشدَّ العقاب أو عَقًا لم يُثْرَب
 فغفواً أميرَ المؤمنين وحسبتهً . فما تأتته من صالح لك يكتب
 أساعوا فإن تصفح فإنك قادر . وأفضل حلم حِسْبَةً حلم مُغْضَب
 فقال يزيد : هيهات يا أبا صخر ، أظت^(١) بك الرِّحِم ،
 لا سبيل إلى ذلك ، إن الله أقاد منهم بأعمالهم الخبيثة ، ثم أمر بهم
 فقتلوا ، وبقي غلام صغير . فقال : اقتلوني ، فما أنا بصغير . فقال :
 انظروا ، أنيت ؟ فقال : أنا أعلمُ بنفسى ، قد احتلمت ووطئت النساء ،
 فأمر به فقتل .

والذين قتلوا من آل المهلب بين يدي يزيد بن عبد الملك المَعَارِك
 وعبد الله ، والمُعيرة ، والمفضل ، ومنجاب أولاد يزيد بن المهلب ودوية^(٢)
 والحجاج ، وغسان ، وشبيب ، والمفضل أولاد المفضل بن المهلب ، والمفضل
 ابن قبيصة بن المهلب .

قال : وأما أبو عُيَينة بن المهلب فأرسلت هند بنت المهلب إلى يزيد
 ابن عبد الملك في أمانه فأمنه ، وبقي عمرو^(٣) وعثمان حتى ولى أسد
 ابن عبد الله القسري خراسان ، فكتب إليهما بأمانهما فقدمَا خراسان .

* * *

وحج بالناس في هذه السنة عبد الرحمن بن الضحاك بن قيس ،
 وهو عامل المدينة ، وكان على مكة عبد العزيز بن عبد الله بن خالد
 ابن أسيد ، وعلى الكوفة عبد الحميد ، وعلى قضائها الشَّعْبِي ، وعلى
 خراسان عبد الرحمن بن نعيم .

(١) في الكامل : طف . وأظت به رحمي : رقت .

(٢) هذا في ك . والضبط في د . وفي الكامل : ودريد .

(٣) في الكامل : عمر .

سنة الثنتين ومائة :

ذكر ولاية مسلمة بن عبد الملك العراق وخراسان

وعزله وولاية عمر بن هُبَيْرَة

قال : ولما فرغ مسلمة بن عبد الملك من حرب ابن المهلب جمع له أخوه يزيد ولاية الكوفة والبصرة وخراسان ، فأقر محمد بن عمرو ابن الوليد على الكوفة ، وبعث إلى البصرة عبد الرحمن بن سليم^(١) الكلبي ، وعلى شرطتها عمرو بن يزيد التميمي ، فأراد عبد الرحمن أن يستعرض أهل البصرة ويقتلهم ، فنهاه عمرو واستمهله عشرة أيام ، وكتب إلى مسلمة بالخبر فعزله ، واستعمل على البصرة عبد الملك بن بشر بن مروان ، واستعمل على خراسان سعيد بن عبد العزيز ابن الحارث بن الحكم بن أبي العاص بن أمية ، وهو الذى يُقال له سعيد خدينة^(٢) ، وإنما لُقِّبَ بذلك لأنه كان رجلاً ليناً متنعماً ، فدخل عليه بعض ملوك العجم وسعيد في ثياب مصبغة وحوله مرافق مصبغة ، فلما خرج من عنده قالوا له : كيف رأيت الأمير . قال : خدينة^(٢) . فلُقِّبَ خدينة^(٢) ، وهى الدهقانة ربة البيت .

وكان سعيد زوج^(٣) ابنة مسلمة ، فلذلك استعمله ، فقزاً سعيد الصغد كما تقدم .

قال : ولما ولى مسلمة العراق وخراسان لم يرفع من الخراج شيئاً ، فأراد يزيد عزله فاستحى من ذلك ، فكتب إليه أن استخلف على عمك ، وأقبل . فلما قدم لقيه عمر بن هُبَيْرَة الفزاري بالطريق

(١) فى الكامل : سليمان . والمثبت فى الطبرى أيضاً .

(٢) هذا فى ك ، د . وفى الطبرى والكامل : خدينة - بالذال المعجمة .

(٣) فى الكامل : تزوج .

على قِوَابِ البريد ، فسأله عن مقدمه ، فقال : وَجَّهْنِي أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ فِي حِيَاظَةِ أَمْوَالِ بَنِي الْمُهَلَّبِ . ولم يكن الأمرُ كذلك ، وإنما كان يزيد قد استعمله ، فلم يلبث حتى أتاه عزلُ ابنِ هُبَيْرَةَ عُمَالَهُ وَالغِلْظَةَ عَلَيْهِمْ ، وكان ابنُ هُبَيْرَةَ قَبْلَ ذَلِكَ يَلِي الْجَزِيرَةَ .

ذِكْرُ الْبَيْعَةِ لِهَشَامِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ

والوليد بن يزيد بولاية العهد

وفي هذه السنة أراد يزيد أن يأخذَ الْبَيْعَةَ لابْنِهِ الْوَالِيدِ ، فقال [له] (١) مسلمة بن عبد الملك : إِنَّ ابْنَكَ لَمْ يَبْلُغِ الْحُمَامَ ، وَأَشَارَ عَلَيْهِ بِالْبَيْعَةِ لِهَشَامِ ، فَفَعَلَ ، وَبَايَعَ لِهَشَامِ بِلَايَةِ الْعَهْدِ ، ثُمَّ مِنْ بَعْدِهِ لَابْنَهُ الْوَالِيدِ بْنِ يَزِيدَ ، وَعُمُرُهُ يَوْمَئِذٍ إِحْدَى عَشْرَةَ سَنَةً . ثُمَّ عَاشَ يَزِيدُ حَتَّى بَلَغَ ابْنُهُ الْوَالِيدُ الْحُلُمَ ، فَكَانَ يَزِيدُ إِذَا رَأَاهُ يَقُولُ : اللَّهُ بَيْنِي وَبَيْنَ مَنْ جَعَلَ هَشَامًا بَيْنِي وَبَيْنَكَ .

ذِكْرُ مَقْتَلِ يَزِيدَ بْنِ أَبِي مُسْلِمٍ

كان يزيدُ بنُ عبدِ الملكِ قد استعمل يزيدَ بنَ أبي مُسْلِمٍ عَلَى إِفْرِيقِيَّةٍ فِي سَنَةِ [٥١٠ هـ] إِحْدَى وَمِائَةٍ ، فَقُتِلَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ .

وكان سبب قتله أنه أراد أن يسير في أهل إفريقية بسيرة الحجاج في أهل الإسلام الذين سَكَنُوا الْأَمْصَارَ مِنْ [كان] (٢) أصله من السَّوَادِ مِنْ أَهْلِ الذَّمَّةِ ، فَإِنَّهُ رَدَّهُمْ إِلَى قُرَاهِمَ ، وَوَضَعَ عَلَيْهِمُ الْجَزِيَّةَ عَلَى مَا كَانُوا (٣) عَلَيْهِ قَبْلَ الْإِسْلَامِ . فَلَمَّا عَزَمَ يَزِيدُ بْنُ مُسْلِمٍ عَلَى ذَلِكَ

(١) ليس في ك . (٢) زيادة من الطبري والكمال .

(٣) في الطبري : ووضع الجزية على رقابهم على نحو ما كانت تؤخذ منهم

وهم على كفرهم .

اجتمع رأى أهل إفريقية على قتله ، فقتلوه وولوا عليهم الوالى الذى كان قبله ، وهو محمد بن يزيد مولى الأنصار ، وكتبوا إلى يزيد ابن عبد الملك : إنا لم نخلع أيدينا من طاعة ، ولكن يزيد بن أبى مسلم سائماً مالا يرضاه الله والمسلمون ، فقتلناه ، وأعدنا عاملك . فكتب إليهم : إنه لم يرض بما صنع . وأقر محمد بن يزيد على عمله . وحج بالناس فى هذه السنة عبد الرحمن بن الضحاك ، وهو عامل المدينة .

سنة (١٠٣ هـ) ثلاث ومائة :

ذكر استعمال سعيده الحرشى على خراسان

وعزل سعيده خدينة^(١) عنها

فى هذه السنة عزل عمر بن هبيرة سعيده خدينة^(١) عن خراسان بشكوى المجرى بن مزاحم السلمى ، وعبد الله بن عمير الليثى ، واستعمل سعيده بن عمرو الحرشى ، من بنى الحرشى بن كعب بن ربيعة ابن عامر بن صعصعة ، وكان خدينة^(١) بباب سمرقند ، فبلغه عزله فرجع وقدم الحرشى خراسان فلم يعرض لعمال خدينة^(١) . وقرأ رجل عهده فلحن فيه ، فقال : صه ؛ مهما سمعتم فهو من الكاتب ، والأمير منه برىء .

وخطب الناس وحثهم على الجهاد ، وقال : إنكم لا تقاتلون بكثرة [ولا بعدة]^(٢) ، ولكن بنصر الله وعز الإسلام ، فقولوا : لا حول ولا قوة إلا بالله .

(١) فى الكامل والطبرى : خدينة .

(٢) من الطبرى والكامل .

وقال (١) :

فلمست لعامِرٍ إن لم تـرَوْنِي أمام الخيل أظعنُ (٢) بالعوالي
وأضرب (٣) هامةَ الجبارِ منهم بعِضْبِ الحدِّ حُوْدِثَ بالصِّقالِ (٤)
فما أنا في الحروبِ بمسْتَكِينٍ ولا أَخْشَى مُصاوِلَةَ الرَّجَالِ
أبى لى والدى من كُـلِّ ذَمٍّ وخَالِي في الحوادثِ غيرُ خَالِي

فهابه الصُّغد ، وكان من قتاله إياهم وقتلهم ما ذكرناه .

ولما ظفر بهم كتب إلى يزيد بن عبد الملك ولم يكتب إلى ابن هُبَيْرَةَ

فوجد عليه .

وفيهما جُمِعَت مكة والمدينة لعبد الرحمن بن الضحاك ، وولى عبد الواحد

ابن عبد الله النَّضْرِي الطائف .

سنة (١٠٤ هـ) أربع ومائة :

ذكر عزل عبد الرحمن بن الضحاك عن مكة والمدينة

وولاية عبد الواحد

وفي هذه السنة عزل يزيدُ بنُ عبد الملكَ عبدَ الرحمن بن الضحاك

عن مكة والمدينة .

وسبب ذلك أن عبدَ الرحمن خطب فاطمة بنت الحسين بن علي

رضي الله عنهما ، فقالت : ما أريدُ النكاح ، ولقد قعدتُ على بني

هؤلاء ، فألحَّ عليها ، وقال : لئن لم تفعلي لأجلدن أكبرَ بنيك في

(١) الكامل : ٤ - ١٨٣ ، والطبرى : ٦ -- ٦٢١

(٢) في ك : يظمن . وفي الكامل : نظمن . والمثبت في الطبرى أيضاً .

(٣) في الطبرى : فأضرب .

(٤) في ك : بانصقال . والمثبت في الكامل والطبرى .

الخمير ، يعنى عَبْدُ اللَّهِ بن الحسن بن الحسن بن علي ، وكان علي الديوان بالمدينة ابْنُ هرمز رجل من [أهل] (١) الشام ، وقد رفع حسابه ، وهو يريد أن يسير إلى يزيد ، فدخل على فاطمة يودعها ، فقالت : تُخَيِّرُ أميرَ المؤمنين بما ألقى من الضحاك .

وبعثت رسولا بكتابٍ إلى يزيد يُخبره بذلك . فقدم ابن هُرْمَزٍ [على يزيد] (١) ، فاستخبره عن المدينة ، وقال : هل من مُغْرِبَةٍ خَيْرٍ؟ فلم يذكر شَأْنَ فاطمة ، فقال الحاجب ليزيد : بالباب رسول من فاطمة بنت الحسين . فقال ابن هُرْمَزٍ : إنها حملتني رسالةً ، وأخبره الخبر ، فنزل عن فراشه ، وقال : لا أمُّ لك ! عندك هذا وما تخبرني به ! فاعتذر بالنسيان ، فأذِنَ (٢) لرسولها ، فأدخل ، وقرأ كتابها ، وجعل يضرب بخيْزُرَانٍ في يده ، ويقول : لقد اجترأ ابْنُ الضحاك ، هل من رجل يُسمِعُنِي صَوْتَهُ في العذاب ؟ قيل له : عبد الواحد بن عبد الله النَّضْرِيُّ . فكتب إليه بيده :

قد وليتكَ المدينة ، فاهبط إليها ، واعزل عنها ابْنَ الضحاك ، وأغرمه أربعين ألف دينار ، وعذبته حتى أسمع صوته ، وأنا على فراشي .
وسار البريدُ بالكتاب ، ولم يدخل على ابْنِ الضحاك ، فأحس وأحضر البريد ، وأعطاه ألف دينار ليُخبره الخبر ، فأخبره ، فسار ابْنُ الضحاك مُجِدًّا فنزل على مسلمة بن عبد الملك ، فاستجابه ، فحضر مسلمة عند يزيد ، فطلب إليه حاجةً جاء لها ، فقال : كلُّ

(١) من الكامل والطبرى .

(٢) في د : وأذن .

حاجة هي لك إلا ابن الضحاك . فقال : هي والله ابن الضحاك . فقال :
والله لا أعفّيه أبداً .

ورده إلى عبد الواحد بالمدينة فعذّبه ، ولبس جبّة صوف ، فسأل
الناس :

وكان قدوم النضرى في شوال سنة [١٠٤هـ] أربع ومائة ، فأحسن
السيرة في الناس ، وكان ابن الضحاك قد آذى ^(١) الأنصار طراً ،
فأعفاهم الله منه .

وفيها عزل عمر بن هبيرة سعيدا الحرشي عن خراسان وولّاهما
مسلم بن سعيد بن أسلم بن زُرعة الكلّابي ، وسبب ذلك أن الحرشي
كان يستخفُّ بابن هبيرة فعزّله وعذّبه حتى أدّى الأموال .
وحج بالناس في هذه السنة عبد الواحد النضرى .

سنة (١٠٥ هـ) خمس ومائة :

ذكر أخبار الخوارج في أيام يزيد بن عبد الملك

وهؤلاء الخوارج الذين نذكرهم ذكرهم ابن الأثير ^(٢) في حوادث
هذه السنة ، ولم يذكر أنهم خرجوا فيها ، فقال ^(٢) :

وفي أيام يزيد خرج حروري اسمه عَقْفَان في ثلاثين رجلاً ،
فأراد يزيد أن يرسل إليه جنداً يقاتلونه ، فقيل له : إن قُتِل بهذه
البلاد اتخذها الخوارجُ دار هجرة ، والرأي أن تبعث إلى كل رجل
من أصحابه رجلاً من قومه يكلمه ويردّه . ففعل ذلك ، فرجعوا وبقي

(١) في الطبري : قد عادى الأنصار .

(٢) صفحة ١٨٩ جزء رابع .

عُقْفَانِ وَحَدَه ، فَبِعَثَ إِليهِ يَزِيدُ أَخَاهُ فَاسْتَعَطَفَهُ وَرَدَّهُ (١) .

فَلَمَّا ولى هِشَامُ بِنَ عَبْدِ الْمَلِكِ وَوَلَاهُ أَمْرَ الْعُصَاةِ ، فَقَدِمَ ابْنُهُ مِنْ خِرَاسَانَ عَاصِيًا ، فَشَدَّهُ وَثَاقًا ، وَبِعَثَ بِهِ إِلى هِشَامِ ، فَأَطْلَقَهُ لِأَبِيهِ ، وَقَالَ : لَوْ خَاطَنَّا عُقْفَانَ لَكُمُ أَمْرُ ابْنِهِ ، وَاسْتَعْمَلَ عُقْفَانَ عَلَى الصَّدَقَةِ فَبَقِيَ إِلى أَنْ تُوفِّيَ هِشَامُ .

وَخَرَجَ مَسْعُودُ بِنُ أَبِي زَيْنَبٍ (٢) الْعَبْدِيُّ بِالْبَحْرَيْنِ عَلَى الْأَشْعَثِ ابْنِ عَبْدِ اللَّهِ بِنِ الْجَارُودِ ، فَفَارَقَ الْأَشْعَثُ الْبَحْرَيْنِ ، وَسَارَ مَسْعُودٌ إِلى الْيَامَةِ وَعَلَيْهَا سُفْيَانُ بِنُ عَمْرِو الْعُقَيْلِيِّ مِنْ قِبَلِ ابْنِ هُبَيْرَةَ ، فَخَرَجَ إِليهِ سُفْيَانٌ فَاقْتَتَلُوا بِالْخِضْرِمَةِ (٣) قِتَالًا شَدِيدًا ، فَقَتَلَ مَسْعُودٌ ، وَقَامَ بِأَمْرِ الْخَوَارِجِ بَعْدَهُ هَلَالُ بِنُ مُذَلِجٍ ، فَقاتَلَهُمْ يَوْمَهُ كُلَّهُ ، فَلَمَّا أَمْسَى تَفَرَّقَ عَنْهُ أَصْحَابُهُ ، وَبَقِيَ فِي نَفَرٍ يَسِيرٍ ، فَدَخَلَ قَصْرًا فَتَحَصَّنَ بِهِ ، فَنَصَبُوا عَلَيْهِ السَّلَالِيمَ ، وَصَعَدُوا إِليهِ فَقَتَلُوهُ .

وَقِيلَ : إِنَّ (٤) مَسْعُودًا غَلَبَ عَلَى الْبَحْرَيْنِ وَالْيَامَةَ تِسْعَ عَشْرَةَ سَنَةً حَتَّى قَتَلَهُ سُفْيَانُ بِنُ عَمْرِو . [وَاللَّهُ أَعْلَمُ] (٥) .

وَخَرَجَ مَصْعَبُ بِنُ مُحَمَّدِ الْوَالِجِيِّ ، وَكَانَ مِنْ رُؤَسَاءِ الْخَوَارِجِ ، فَطَلَبَهُ عُمَرُ بِنُ هُبَيْرَةَ ، وَطَلَبَ مَعَهُ مَالِكُ بِنُ الصَّعْبِ وَجَابِرُ بِنُ سَعْدٍ ، فَخَرَجُوا وَاجْتَمَعُوا بِالْخَوَزَنْقِ ، وَأَمَرُوا عَلَيْهِمْ مَصْعَبًا ، فَاسْتَمَرَّ

(١) فِي الطَّبْرِيِّ : فَرَدَّهُ .

(٢) فِي كَ : بِنُ أَبِي زَيْدٍ . وَالمُتَّبِعُ فِي دَ ، وَالكَامِلُ .

(٣) الْخِضْرِمَةُ - بِكسْرِ الْخَاءِ ، وَسُكُونِ الضَّادِ الْمَعْجَمَةُ وَكسْرِ الرَّاءِ (الْكَامِلُ :

٤ - ٦٩٠) . وَفِي كَ : بِالْخِضْرِمِيَّةِ .

(٤) فِي كَ : إِنَّ ابْنَ مَسْعُودٍ - تَحْرِيفٌ .

(٥) زِيَادَةُ فِي دَ .

إلى أن ولي خالد القسري العراق في أيام هشام ، فبعث إليهم جيشاً ، وكانوا قد صاروا بحزة^(١) من أعمال الموصل ، فالتقوا واقتتلوا ، فقتل الخوارج .

وقيل : كان قتلهم في أيام يزيد . والله أعلم .

ذكر وفاة يزيد بن عبد الملك

وشيء من أخباره

كانت وفاته بحوران^(٢) لخمس بقين من شعبان سنة [١٠٥] خمس ومائة ، وله أربعون سنة .

وقيل خمس وثلاثون . وقيل : غير ذلك ..

وكانت خلافته أربع سنين وشهراً . وكان جميلاً أبيض جسيماً مدوراً الوجه شديد الكبر عاجز الرأى ، وكان صاحب لهو ، وهو أول من اتخذ القيان من بنى أمية ، وكان يهوى جاريتين ، وهما حبابة وسلامة ، وهى سلامة القس ، وقال يوماً - وقد طرب : دعونى أظير . فقالت حبابة : على^(٣) من تدع الأمة ؟ فقال : عليك . وغنت يوماً^(٤) :

بين التراقي واللهاة حرارة ماتطمئن وما تسوغ فتبرد
فأهوى ليظير ، فقالت : يا أمير المؤمنين ، إن لنا فيك حاجة .

(١) حزة : موضع بين نصيبين ورأس عين على الخابور وبليدة قرب لارب من أرض الموصل (ياقوت) .

(٢) حوران - بالفتح : كورة واسعة من أعمال دمشق ، وفي الطبرى . كانت وفاته ببلقاء من أرض دمشق .

(٣) في الطبرى : لى من تدع ... (٤) الطبرى : ٧ - ٢٣

فقال : والله لأطيرنَّ . فقالت : فعلى من تخلف الأمة والمُلك ؟ فقال ^(١) : عليك والله . وقبِّل يدها .

وخرجت معه إلى ناحية الأردنَّ للتنزه فرماها بحجةٍ عَنب فدخلت حلقها فشرقت ومرضت وماتت ، فتركها ثلاثة أيام لا يدفنُها حتى أتت ، وهو يقبِّلُها ويشمُّها وينظر إليها ويبكى ، فكلم في أمرها فدفنها .

وقيل : إنه نبشها بعد دفنِها ، وبقي سبعة أيام لا يظهر للناس ، وأشار ^(٢) عليه مسلمة بذلك لثلاث يَظَهَر منه ما يسفُّه عندهم .

قال : وكان يزيد قد حجَّ أيام أخيه سليمان ، فاشتري حياية بأربعة آلاف دينار ، وكان اسمها الغالية ^(٣) ، فقال سليمان : لقد هممتُ أن أحجر على يزيد . فردَّها يزيدُ فاشتراها رجلٌ من أهل مصره فلما أفضت الخلافةُ إلى يزيد قالت له امرأته مُعذة يومًا : هل بقى من الدنيا شيء تتمناه ؟ قال : نعم ، حياية ، فأرسلت فاشتريتها ، وأتت بها فأجلستها من وراء الستر ، وأعادت عليه القول الأول . فقال : قد أعلمتُك ، فرفعت الستر ، وقالت : هذه حياية ، وقامت وتركتها ، فحظيت مُعذة عنده ، وأكرمها .

وهي مُعذة بنت عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان .

قال : وإنما قيل لسلامة القسِّ ، لأن عبد الرحمن بن عبد الله [ابن] ^(٤)

(١) في د : قال .

(٢) في د : أشار .

(٣) في الطبرى والكامل : المالىة . وفى ك : الغالية . والابت في د أيضاً .

(٤) ليسي في ك .

أبي عمار أحد بنى جُشم بن معاوية بن بكر كان فقيهاً عابداً مجتهداً في العبادة ، وكان يسمى القَسَّسَ لعبادته . مرَّ يوماً بمنزل مولاها ، فسمع غناءها ، فوقف يسمعهُ فرآه مولاها ، فقال له : هل لك أن تنظرَ وتسمع ! فأبى ، فقال : أنا أفعلها بمكان لا تراها وتسمع غناها . فدخل معه فغنت (١) ، فأعجبه غناؤها . ثم أخرجها مولاها إليه فشغفَ بها وأحبها وأحبته . فقالت له يوماً على خطوة : أنا والله أحبك . قال : وأنا والله . قالت : وأحبُّ أن أقبلك . قال : وأنا والله . قالت : وأحب أن أضع بطنى على بطنك . قال : وأنا والله . قالت : فما يمنعك ؟ قال : قوله تعالى (٢) : « الإخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدوٌ إلا المتقين » . وأنا أكره أن تموت (٣) خلَّتنا (٤) إلى عداوة ، ثم قام وانصرف عنها وعاد إلى عبادته . وله فيها أشعار كثيرة منها قوله :

ألم ترها لا يُبعدُ اللهُ دارها إذا طربت في صوتها كيف تصنع
تمدُّ نظام القول ثم تترده إلى صلصلٍ من صوتها يترجع

وله فيها غير ذلك .

وأما يزيد فأخباره مع سلامة وحبابة كثيرة مشهورة أضربنا عن ذكر كثير منها .

(١) في د ، والكامل : ففته .

(٢) سورة الزخرف ، آية ٦٧ .

(٣) في ك : أن تكون .

(٤) الخلة - بالضم : الصداقة المختصة لا خلل فيها .

فلنذكر خلاف ذلك من أخباره :

وكان له من الأولاد الذكور ثمانية ، [منهم ^(١) عبد الله ، والوليد .

كُتِبَ : عمر بن هُبَيْرَة ، ثم إبراهيم بن جبلة ، ثم أسامة بن زيد السليحي .

قاضييه : عبد الرحمن بن الحشحاس وغيره .

حُجَّابُه : سعيد وخالد مولياه .

نقش خاتمه : قِنِي السيثاتِ يا عَزِيْز .

الأمير بمصر : بشر بن صفوان .

وأقرَّ أبا مسعود على القضاء ، ثم ولى إمارة مصر حَنْظَلَةَ بن صفوان

أخا بشر ، وسار بشر إلى إفريقية . وولى مصر أيضاً في خلافته أسامة ابن زيد ، والله أعلم .

ذكر بيعة هشام بن عبد الملك

هو أبو الوليد هشام بن عبد الملك بن مروان بن الحكم ، وأمه

أم هشام فاطمة ، وقيل : عائشة بنت هشام المخزومي ، وهو العاشر من ملوك بني أمية .

بويع له لخمس بقين من شعبان سنة [١٠٥هـ] خمس ومائة

بعد وفاة أخيه . أتته الخلافة وهو بالرصافة ^(٢) ، [فجاءه البريد بالخاتم

(١) ليس في ك .

(٢) في الطبري : ذكر محمد بن عمر عن حدثه أن الخلافة أتت هشاما وهو بالزيتونة

في منزله في دويرة هناك .

والقُضَيْبِ وسلم عليه بالخلافة [(١)] ، فركب منها ، حتى أتى دِمَشقَ ، وكان من أول ما ابتدأ به أَنْ عَزَلَ عُمَرَ بنَ هُبَيْرَةَ عن العِرَاقِ ، واستعمل خالد بن عَبْدِ اللَّهِ القَسْرِي ، وذلك في شوال من السنة . ولنبدأ بِذِكْرِ الغزواتِ والفتوحاتِ في أيامه :

ذِكْرُ الغزواتِ والفتوحاتِ

في أيامِ هشامِ بنِ عبدِ الملكِ على حُكْمِ السنينِ
في سنة [٥١٠٥ هـ] خمس ومائة غزا الجراح الحَكَمِيُّ اللان (٢)
حتى جازَ ذلك إلى مدائن وحصون وراء بَلَنْجَرَ ، ففتح بَعْضَ ذلك
وأصاب غنائم كثيرة .
وغزا سَعِيدُ بنِ عَبْدِ الملكِ أَرْضَ الرُّومِ ، فبعث سَيْدَةَ في نحو ألف
مقاتل فأصيبوا جميعاً .
وغزَا مُسْلِمُ بنِ سَعِيدِ الكِلَابِيِّ أميرُ خُرَاسانِ التُّركِ بما وراء النهر فلم
يفتح شيئاً ، وقفل فاتبعه التُّركُ فلحقوه ، والناس يَعْبرُونَ جِيحُونَ ،
وعلى الساقة عُبَيْدُ اللَّهِ بنُ زهيرِ بنِ حَيَّانِ على خيل (٣) تميم ، فحاثوا حتى
عبر الناس .
وغزَا مُسْلِمُ أفشِينَ (٤) ، فصالح أهلها على ستة آلاف رأس ، ودفع
إليه القلعة .

وغزَا مَرْوَانَ بنِ مُحَمَّدِ الصائفةِ اليُمَنِيِّ ، فافتتح قُونِيَةَ من أرضِ
الرومِ ، وكمخ (٥) . والله سبحانه وتعالى أعلم .

(١) ليس في ك .

(٢) اللان: بلاد واسعة في طرف إفريقية بقرب باب الأبواب (فتوح البلدان) .

(٣) في ك : جبل .

(٤) هذا في الكامل . وفي الطبري: أفشينة ، وقال: هي مدينة من مدائن السغد .

(٥) في د ، ك : الروكخ . والمثبت في الكامل ، وياقوت .

ذكر غزوة مسلم الترك

وفي سنة [١٠٦هـ] ست ومائة غزاً مسلم بن سعيد بن أسلم بن زُرْعَةَ الترك ، فقطع النهر ، فلما بلغ بُخَارَى أتاه كتاب خالد القَسْرَى بولايته العراق ، ويأمره بإتمام غزاته ، فسار إلى قَرْغَانَةَ (١) ، فلما وصلها بلغه أن خاقان قد أقبل إليه ، فارتحل ، فسار ثلاثَ مراحل في يومٍ ، وأقبل إليهم خاقان ، فلقى طائفةً من المسلمين ، فقتل جماعةً منهم ، وأصاب دوابَّ لمسلم ، ورحل مُسلم بالناس ، فسار ثمانيةَ أيامٍ والترك يُطِيفُونَ (٢) بهم ، وأحرقَ النَّاسُ ما ثَقُلَ عليهم من أثقالهم ، فحرقوا ما قيمتهُ ألفُ ألفٍ ، ونزل مسلم في الليلة التاسعة ، وأصبح فسار فوراً النَّهْرَ وأقام (٣) يوماً ثم قطعه من الغدِ ، واتبعهم ابنُ لَخَاقَانَ ، فعطف حُمَيْدُ ابن عبد الله وهو على السَّاقَةِ على طائفةٍ من الترك نحو المائتين فقاتلهم ، فأسرَ أهلَ الصُّغْدِ وقائدهم وقائد الترك في سبعة ، ومضى البقية . ورجع حُمَيْدُ فَرُمِيَّ بِنَشَابَةَ في ركبته فمات .

وعطش الناس في هذه الغزوة عطشاً شديداً وأتوا خُجَنْدَةَ وقد أصابتهم مَجَاعَةٌ وَجَهْدٌ ، فانتشر النَّاسُ . وجاء عَبْدُ الرَّحْمَنِ بن نَعِيمٍ عهدُهُ على خراسان من قبل أسد بن عبد الله أخى خالد القَسْرَى ، فأقرأه عَبْدُ الرَّحْمَنِ مسلماً ، فقال : سَمِعَا وطاعة .

قال بعض من شهد هذه الغزوة ، قاتلنا الترك فأحاطوا بنا حتى

(١) فرغانة: مدينة وكورة واسعة بما وراء النهر متاخمة ابلاد تركستان (ياقوت).

(٢) في د : مطيفون .

(٣) في د : فأقام .

أيقننا بالمهلاك ، فحمل حوثره بن يزيد بن الحر بن الحنيف على الترك في أربعة آلاف ، فقاتلهم ساعة . ثم رجع ، وأقبل نصر بن سيار في ثلاثين فارسا فقاتلهم حتى أزالهم عن مواقعهم ، وحمل عليهم الناس ، فانهزم الترك ، وقفل عبد الرحمن بالناس ومعه مسلم .

وغزا سعيد بن عبد الملك الصائفة في هذه السنة .

وغزا الجراح بن عبد الله اللان (١) ، فصالح أهلها وأدوا الجزية .

ذكر غزاة عنبسة الفرنج بالاندلس

وفي سنة [١٠٧هـ] سبع ومائة غزا عنبسة بن سُحيم الكَلبي عاملُ الأندلس بلدَ الفرنج في جمعٍ كثير ، فنازل (٢) مدينةَ برشلونة ، وحصر أهلها ، فصالحوه على نصف أعمالها ، وعلى جميع ما في المدينة من أسرى المسلمين وأَسْلَابِهِمْ ، وأن يعطوا الجزية ويلتزموا بأحكام الذمة .

وفيها غزا أسد بن عبد الله أمير خراسان الغور ، وهي جبال هراة ، فعمد أهلها إلى أثقالهم فصيروها في كهفٍ ليس إليه طريق ، فأمر أسد باتخاذِ توأبيت ، ووضع فيها الرجال ، ودلأها بالسلاسل فاستخرجوا ما قدروا عليه .

وفيها غزا الحارث بن عمرو الطائي الترك من جهة أرمينية فافتتح رُستاقا من بلادِ الترك وقرى كثيرة وأثر أثرًا حسنًا .

وفي سنة [١٠٨ هـ] ثمان ومائة قطع أسد بن عبد الله النهر ،

(١) اللان : بلاد واسعة في طرف أرمينية (ياقوت ، والفتوح) .

(٢) في الكامل : ونازل .

وأناه خاقان ، فلم يكن بينهما قتال ، ثم مضى أسد إلى غوريان^(١) ،
فقاتلهم يوماً ، ثم اقتتلوا من الغد فانهمز المشركون ، وحوى المسلمون
عسكرهم ، وظهروا على البلاد ، وأسروا وسبوا وغنموا .
وفيها غزاً مسلمة^(٢) بن عبد الملك الروم مما يلي الجزيرة ففتح
قيسارية ، وهى مدينة مشهورة .

وغزا إبراهيم بن هشام ففتح حصناً من حصون الروم .
وفيها سار ابن خاقان ملك الترك إلى أذربيجان ، فحصر بعض
مُدنها ، فسار إليه الحارث بن عمرو الطائى ، فالتقوا واقتتلوا فانهمز
الترك وتبعهم الحارث حتى عبر نهر رُوس^(٣) ، فعاد إليه ابن خاقان
فعاودوا^(٤) الحرب أيضاً ، فانهمز ابن خاقان ، وقُتل من الترك خلق
كثير .

وغزا معاوية بن هشام بن عبد الملك ومعه ميمون بن مهران على
أهل الشام فقطعوا البحر إلى قبرس .

وغزا البر مسلمة بن عبد الملك بن مروان .
وفى سنة تسع ومائة غزا عبد الله بن عقبة الفهرى فى البحر ،
وغزا معاوية بن هشام أرض الروم ، ففتح حصناً يقال له^(٥) طيبة ،

(١) فى ك ، د ، غورين . وفى الكامل : الغورين . وفى ياقوت : غوريان -
بالضم ثم السكون ، ثم راء مكسورة وياء مثناة من تحت وآخره نون : من قرى مرو .

(٢) فى ك : معاوية . والمثبت فى الكامل والطبرى .

(٣) هذا فى ك ، د .

(٤) فى الكامل : فعاود .

(٥) فى النجوم الزاهرة : الطينة . والمثبت فى الكامل أيضاً .

وغزا مسلمة بن عبد الملك الترك من ناحية أذربيجان فنعم وسبى وعاد.
وغزا بشر بن صفوان عامل إفريقية جزيرة صقلية ، فغم شيئا
كثيرا ، ثم رجع إلى القيروان فتوفى من سنته . واستعمل هشام
عبيدة^(١) بن عبد الرحمن بن أبي الأغر السلمي .

ذكر خبر أشرس بن عبد الله السلمي أمير خراسان

وأهل سمرقند وغيرها بما وراء النهر وما يتصل بذلك من الحروب
في سنة [١١٠] عشرة ومائة أرسل أشرس إلى أهل سمرقند
وغیرها بما وراء النهر يدعُوهم إلى الإسلام ، على أن توضع عنهم
الجزية ، وأرسل في ذلك أبا الصيداء^(٢) صالح بن طريف^(٣)
مولي بني ضبة والربيع بن عمران التميمي ، فقال أبو الصيداء :
إنما أخرج على شريطة أنه^(٤) من أسلم لا يؤخذ منه الجزية ، وإنما
خراج خراسان على رؤوس الرجال . فقال أشرس : نعم . فشخص
إلى سمرقند وعليها الحسن بن أبي العمرطة^(٥) الكندي ، فدعا
أبو الصيداء أهل سمرقند ومن حولها إلى الإسلام ، على أن توضع
عنهم الجزية ، فسارع الناس إلى الإسلام ، فكتب إلى أشرس :
إن الخراج قد انكسر . فكتب أشرس إلى ابن أبي العمرطة^(٥) :
إن في الخراج قوة للمسلمين ، وقد بلغني أن أهل الصغد وأشباههم

(١) في ك : عبدة . والمثبت في الكامل أيضاً .

(٢) في ك : أبا الصيداء و صالح . والمثبت في الكامل والطبرى .

(٣) في ك : طريف .

(٤) في د ، والطبرى : أن .

(٥) في ك ، د : الحسن بن العمرطة . والمثبت في الكامل والطبرى وفنوح البلدان .

إنما أسلموا تَعَوُّدًا من الجزية ، فانظر من اختتن وأقام الفرائض ،
 وقرأ سورة من القرآن فارتفع خراجُه ، ثم عزل أشرس ابن أبي
 العمرطة عن الخراج ، وصيره إلى هانيء بن هانيء ، فمنعهم أبو الصيداء
 من أخذ الجزية عن تلفظ. بالإسلام ، وكتب هانيء إلى أشرس :
 إنَّ الناس قد أسلمُوا وبنوا المساجد .

فكتب أشرس إليه وإلى العمال : خذوا الخراج ممن كنتم
 تأخذونه عنه ، فأعادوا الجزية على من أسلم ، فامتنعوا ، واعتزلوا
 في سبعة آلاف على عِدَّة فراسخ من سمرقند ، وخرج إليهم
 أبو الصيداء وربيع بن عمران ، والهيثم^(١) الشيباني ، وأبو فاطمة
 الأزدي ، وعامر بن قشير ، وبشير الخجندی^(٢) ، وبيان العنبري ،
 وإسماعيل بن عتبة لينصروهم ، فعزل أشرس ابن أبي العمرطة
 عن الحرب ، واستعمل مكانه المجرى بن مزاحم السلمى ؛
 فكتب المجرى إلى أبي الصيداء في القُدوم عليه هو وأصحابه ،
 فقدم أبو الصيداء وثابت قُتنة فحبسهما ، واجتمع أصحابُ
 أبي الصيداء وولَّوا أمرهم أبا فاطمة ليقاتلوا هانثا ، فقال لهم :
 كفوا حتى نكتب إلى أشرس .

فكتبوا إليه ، فكتب أشرس : ضَعُوا عنهم الخراج . فرجع
 أصحابُ أبي الصيداء وضمَّعَ أمرهم ، فتتبع الروساء فأخذوا وحملوا
 إلى مرو . وألح هانيء في الخراج ، واستخفوا بعظماء العجم والدهاقين ،
 وأخذوا الجزية ممن أسلم ، فكفرت الصغد وبخارى ، واستجاشوا

(١) في الطبرى : والقاسم . والثبت في الكامل أيضاً .

(٢) في ك : الحجدرى ، والثبت في الكامل والطبرى .

الترك، وخرج أشرس غازياً ، فنزل آمل ، فأقام ثلاثة أشهر .
وقدِم قطن بن قتيبة بن مسلم ، فعبر النهر في عشرة آلاف ،
وأقبل أهل الصغد وبخارى معهم خاقان والترك ، فحاصروا قطناه
في خندقه ، وأرسل خاقان من أغار على سرح الناس ، فأخرج
أشرس ثابت قطنة بكفالة عبد الله بن بسطام بن مسعود ، فوجهه
مع عبد الله بن بسطام في خييل^(١) ، فقاتلوا الترك بآمل حتى استنقلوا
ما كان بأيديهم ، ورجع الترك .

ثم عبر أشرس بالناس إلى قطن ، وبعث سرية مع مسعود أحد
بنى حيان ، فلقبهم العدو فقاتلهم ، فقتل رجالاً من المسلمين ،
وهزم مسعود . فرجع إلى أشرس .

وأقبل العدو ، فلقبهم المسلمون ، فجالوا جولة ، فقتل رجالاً من
المسلمين .

ثم رجع^(٢) المسلمون فصبروا ، فهزم الله المشركين ،
وسار أشرس بالناس حتى نزل بينكند^(٣) ، فقطع عنهم العدو الماء ،
وأقام المسلمون يوماً وليلة ، وعطشوا ، فرحلوا إلى المدينة التي قطع
العدو بها الماء ، وعلى المقدمة قطن بن قتيبة ، فلقبهم العدو ، فقاتلهم ،
فجهنوا من العطش ، فمات منهم سبعمائة ، وعجز الناس عن القتال ،
فقال الحارث بن سريح^(٤) للناس : القتل بالسيف أكرم

(١) في الطبرى : في الخيل . (٢) في الطبرى : كر .

(٣) بينكند - بالكسر وفتح الكاف وسكون النون . بلدة بين بخارى وجيخون

على مرحلة من بخارى (ياقوت) .

(٤) في ك : شريح . والمثبت في الطبرى والكامل . وضبطه ابن الأثير :

بالسين المهملة ، والجيم (٤ - ٢٠٣) .

فى الدنيا وأعظم أجراً عند الله من الموت عطشا ، وتقدم هو وقطن فى فوارس من تميم فقاتلوا حتى أزالوا الترك عن الماء ، فشرب الناس واستقوا ، ثم قاتلوا الترك قتالا شديدا ، فقتل ثابت قطنه فى جماعة من المسلمين بعد أن أبلوا أعظم بلاء وأحسنه .

ثم اجتمع رجال من المسلمين تبايعوا على الموت مع قطن بن قتيبة ، وحملوا على العدو فقاتلهم فكشفوهم ، وركبهم المسلمون يقتلونهم حتى حجز بينهم الليل ، وتفرق العدو ، وأتى أشرس بخارى ، فحصر أهلها فعزل وهو يحاصرها بالجنيدي بن عبد الرحمن على ما نذكره إن شاء الله تعالى .

ذكر وقعة كمرجة

قال : ثم إن خاقان حصر كمرجة^(١) ، وهى من أعظم بلدان خراسان ، وبها جمع من المسلمين ، ومع خاقان أهل قرغانه وأفشينة^(٢) ، ونسف ، وطوائف من أهل بخارى ، فأغلق المسلمون الباب ، وقطعوا القنطرة التى على الخندق ، فاتاهم ابن خسرو بن يزدجرد ، فقال : يا معشر العرب ، ليم تقتلون أنفسكم ؟ أنا الذى جئت بخاقان ليرد على ملكى ، وأنا آخذ لكم الأمان ، فشموه ، وأتاهم بازغرى ، فقال : إن خاقان يقول لكم : إني أجعل من عطاؤه منكم ستمائة ألفا ، ومن عطاؤه ثلاثمائة ستمائة ، ويحسن^(٣)

(١) كمرجة - بفتح أوله وتانيه وسكون الراء والجيم : قرية من قرى الصفد . (ياقوت) . وفى ك ، د : شددت الراء المفتوحة .

(٢) والطبرى . وفى فتوح البلدان : أفشين .

(٣) فى الكامل : وهو يحسن .

إليكم وتكونون معه ، فأبوا ذلك ، فأمر خاقانُ بجمع الحطب^(١) الرطب ، وأن يُلقَى في الخندقِ ليغبروا عليه . فجمع في سبعة أيام ، فكانوا يلقون الحطب الرطب ، ويلقى المسلمون الحطب اليابس حتى سوَّى الخندقُ بالأرض ؛ فأشعل المسلمون فيه النيران ، وهاجت ريحٌ شديدةٌ ، فاحترق الحطبُ الذي جمع في سبعة أيام في ساعة واحدة ، ثم فرَّق خاقانُ على الترك أغناما ، وأمرهم أن يأكلوها ويحشوا جلودها تراباً ، ويلقوها في الخندقِ ، ففعلوا ذلك ، فأرسل الله تعالى مطراً شديداً ، فاحتمل السيلُ ما في الخندقِ ، وألقاه في النهرِ الأعظم .

ورماهم المسلمون بالسهمِ فقتل بازغرى وكان داهيةً ، وكان خاقان لا يخالفه ؛ ففرح المسلمون بقتله ، وكان عند المشركين مائة من أسرى المسلمين فيهم أبو الحوجاء^(٢) العتكى والحجاج ابن حميد النضرى ، وكان عند المسلمين مائتان من أولاد المشركين رهائن فقتلوهم ، واستماتوا واشتد القتال .

ثم وقع الاتفاقُ بينهم وبين الترك على أن خاقان يرحل عن كمرجة ، ويرحلوا هم عنها أيضا إلى سمرقند والدبوسية^(٣) ، فأجاب أهل كمرجة إلى ذلك ، وأخذ كلُّ منهم من الطائفتين رهائن من الأخرى على الوفاء ، وارتحل خاقانُ ، ثم رحلوا بعده ، وسيّر معه كور صول التركي ليمنعهم ممن يتعرض إليهم من الترك ، فلما

(١) في الطبرى : بقطع الشجر ، فجعلوا يلقون الحطب الرطب .

(٢) في ك : العرجاء . والمثبت في الكامل والطبرى .

(٣) الدبوسية : بليدة من أعمال الصغد مما وراء النهر (ياقوت) .

انتهبوا إلى اللبوسية ، وكان بها عشرة آلاف مقاتل من المسلمين ،
 أمنوا وأطلق كل من الطائفتين ما بيدهم من الرهائن ، وكانت مدة
 حصار كمرجة ثمانية وخمسين يوماً ، فيقال : إنهم لم يسقوا إليهم
 خمسة وثلاثين يوماً .

وفي هذه السنة ارتد أهل كركر^(١) ، فأرسل إليهم أشرس
 جنداً فظفروا بهم .

وغزا مسلمة الترك من نحو باب الأنان ، فلقى خاقان في جموعه ،
 فاقتتلوا قريباً من شهر ، وأصابهم مطر شديد ، فانهزم خاقان ورجع
 مسلمة .

وغزا معاوية الروم ففتح صلماً^(٢) .

وغزا الصائفة عبد الله بن عقبة الفهري .

ذكر عزل أشرس عن خراسان

واستعمال الجنيد بن عبد الرحمن ، وقتاله الترك

وفي سنة [١١١ هـ] إحدى عشرة ومائة عزل هشام بن عبد الملك
 أشرس بن عبد الله عن خراسان ، واستعمل الجنيد بن عبد الرحمن
 ابن عمرو بن الحارث بن خارجة بن سنان بن أبي حارثة المري ،
 وحمله على ثمانية من البريد ، فقدم خراسان في خمسمائة ، وسار

(١) بفتح أوله وسكون ثانيه ودال مفتوحة وآخره راء : ناحية من نواحي

خوارزم وما يتاخمها من نواحي الترك (ياقوت) .

(٢) هذا في د . وفي الكامل : صملة . وفي الطبري : صالة . ولم أقف على ضبطها .

إلى ما وراء النهر ، وسار معه الخطاب بن مُحرز السلمي خليفته
أشروس بخراسان ، فقطعاً النهر ، وأرسل الجُنَيْدُ إلى أشروس ،
وهو يقاتل أهل بُخارى والصغد : أن أمِدَّتني بِخَيْلٍ .

وخاف أن يُقَطَّعَ (١) دونه ، فوجه إليه أشروس عامر بن مالك
الحماني ، فلما كان عامرٌ يبعُضُ الطريق عرض له الترك والصغد ،
فدخل حائطا حصينا ، وقاتلهم على الثلثة ، وكان معه وزد بن
زياد بن أذم بن كلثوم وواصل بن عمرو القيسبي (٢) ، فخرج
واصل وعاصم بن عمير السمرقندي وغيرهما ، فاستداروا خلف
الترك فلم يشعروا خاقان إلا والتكبير من ورائه ، وحمل المسلمون
على الترك ، فقاتلوهم ، وقتلوا عظيما من عظماء الترك ، فانهزم الترك ،
وسار عامر حتى لقي الجُنَيْدَ ، وأقبل معه وعلى مقدمة الجُنَيْدِ عمارة
ابن خريم (٣) ، فلما صار على فرسخين من بيكند تلقته خيلُ الترك ،
فقاتلوهم ، فكاد الجُنَيْدُ يهلك هو ومن معه ، ثم أظهره الله ، وسار
حتى قدم العسكر ، وظفر الجُنَيْدُ ، وقتل من الترك ، ثم زحف
إليه خاقان ، فالتقوا دون زرمان (٤) من بلاد سمرقند ، وقطن بن
قُتَيْبَةَ على ساقَةِ الجُنَيْدِ ، فأسر الجُنَيْدُ ابنَ أخي خاقان ، فبعث
به إلى هشام ، ورجع الجُنَيْدُ بالظفر إلى مرو .

(١) في د : يقطع .

(٢) في د : الليثي . والمثبت في الكامل والطبرى .

(٣) في د : خزيم . والمثبت في الكامل والطبرى .

(٤) زرمان - بفتح أوله وسكون ثانيه وآخره نون : من قرى صغد سمرقند

(ياقوت) . وفي ك : زرميان . وفي الكامل : رزمان .

وفيها غزا معاويةُ بن هشام الصائفة اليسرى ، وغزاً سعيد بن هشام الصائفة اليمنى ، حتى أتى قيسارية .

وغزا عبدُ الله بن أبي مرزيم البحرَ .

وفيها سارت التُّركُ إلى أذربيجان ، فلقبهم الحارثُ بن عمرو ، فهزموهم .

وفيها استعمل هشام الجراحُ بن عبد الله الحكيمى على أزمينية ، وعزل أخاه مسلمة ، فدخل بلاد الخزر من ناحية تفليس^(١) ، ففتح مدينتهم البيضاء ، وانصرف سالماً .

ذكر مقتل الجراح بن عبد الله الحكيمى

وولاية سعيد الحرشى وحروبه مع الخزر والتُّرك ،

وما افتتحه من البلاد

وفى سنة [١١٢ هـ] ثنى عشرة ومائة قُتل الجراحُ بن عبد الله الحكيمى . وسببُ ذلك أنه لما هزم الخزر اجتمعوا هم والتُّرك من ناحية الأمان ، فلقبهم الجراحُ فيمنَّ معه من أهل الشام ، فاقتتلوا أشدَّ قتالٍ رآه الناسُ ، وتكاثر الخزر والتُّرك على المسلمين ، فاستشهد الجراحُ ومنَّ معه بمرج أزدبيل^(٢) ، فلما قتل طمع الخزر وأوغلوا في البلاد حتى قاربوا الموصل ، وعظم الخطبُ على المسلمين .

فبلغ الخبرُ هشامَ بن عبد الملك ، فاستشار سعيداً الحرشى ،

(١) تفليس - بفتح أوله ويكسر : بلد بأرمينية الأولى (ياقوت) .

(٢) أزدبيل - بانفتح ثم السكون ، وفتح الدال وكسر الباء وياء ساكنة ولام :

من أشهر مدن أذربيجان (ياقوت) .

فقال : أرى أن تبعثنى على أربعين دابةً من دوابّ البريد ، ثم تبعث إلى كل يوم بأربعين [رجلاً] (١) ، واكتب إلى أمراء الأجناد أن يوافوني (٢) . ففعل ذلك ، وسار الحرثي وهو لا يمرُّ بمدينة إلا استنهض (٣) أهلها ، فيجيبه من يريد الجهاد .

ولم يزل كذلك حتى وصل إلى مدينة أرزن (٤) ، فلقية جماعة من أصحاب الجراح ، فردّم معه ، وسار فبلغ خلّاط (٥) ، فحاصرها أياماً وفتحها ، وقسم غنائمها في أصحابه ، ثم سار عنها وفتح الحصون والقلاع شيئاً بعد شيء حتى أتى بردعة ، وكان ابن خاقان يومئذ بأذربيجان يُغير وينهب وينسب ويقتل ، وهو يُحاصر مدينة ورتان (٦) ، فأرسل الحرثي رجلاً من أصحابه إلى أهلها يُعرفهم وصوله ، ويأمرهم بالصبر ، فسار ولقيه بعض الخزر ، فأخذوه وسألوه عن الخبر ، فأخبرهم وصدقهم ، فقالوا له : إن فعلتَ ما نأمرُك به أحسنًا إليك ، وأطلقناك ، وإلا قتلناك . قال : فما الذي تريدون ؟ قالوا (٧) : تقول لأهل ورتان : إنكم ليس لكم مدد ، ولا من يكشف ما بكم ، وتأمرهم بتسليم البلد إلينا . فأجابهم إلى ذلك . فلما قارب المدينة وقف بحيث يسمع أهلها كلامه ، فقال لهم :

(١) من الكامل ، والطبرى . (٢) في ك : بواسون .

(٣) في ك : أشخص . وفي الكامل : إلا ويستنهض .

(٤) أرزن - بفتح الهمزة ثم السكون ، وفتح الراء ، والنون : مدينة مشهورة قبل خلّاط . وأرزن انروم : بلدة أخرى من بلاد أرمينية أيضاً (باقوت) .

(٥) خلّاط - بكسر أوله ، وآخره طاء مهملة : قصبة أرمينية الوسطى (المراصد) .

(٦) ورتان - بالفتح ثم السكون ، وآخره نون ، والسفلى يرك الراء : بلد

هو آخر حدود أذربيجان بينه وبين الرس فرسخان (باقوت) .

(٧) في ك : قال - تحريف -

أتعرفونى؟ قالوا : نعم ، أنتَ فلانُ . قال : فإنَّ الحرشى قدَّ وصل إلى مكان كذا فى عساكرَ كثيرة ، وهو يأمركم بحفظِ البلد ، والصَّبْر ، ففى هذين اليومين يصلُ إليكم .

فرقعوا أصواتهم بالتهليل والتكبير ، وقتلت الخَزْر ذلك الرجل ، ورحلوا عن مدينة ورثان ، ووصلها الحرشى ، وقد ارتحل الخَزْر إلى أزدبيل ، فسبقهم (١) إليها ، فساروا عنها ، ونزل سعيد باجرؤان (٢) ، فاتاه فارس على فرس أبيض ، فقال له : أيها الأمير ، هل لك فى الجهاد والغنيمة ؟ قال : وكيف لى بذلك ؟ قال : هذا عسكرُ الخَزْر فى عشرة آلاف ، ومعهم خمسةُ آلاف بنت من المسلمين أسارى وسبأيا ، وهم على أربعة فراسخ .

فسار الحرشى إليهم ليلاً ، فوافاهم آخر الليل ، وهم نيام ، فكبسهم مع الفجر ، ووضع المسلمون فيهم السيف ، فما بزغت الشمس حتى قتلوا عن آخرهم غير (٣) رجل واحد .

ثم أتاه ذلك الفارس الذى أتاه أولاً وقال له : هذا جيشُ الخَزْر ومعهم أموال المسلمين وأولادهم ، وحرَّم الجراح وأولاده ، وهم بمكان كذا ، فسار الحرشى إليهم ، فما شعروا إلا والمسلمون معهم ، فوضعوا فيهم السيف فقتلواهم كيف شاءوا ، ولم يُفقت من الخَزْر إلا الشريد ، واستنقلوا من معهم ، وغنموا أموال الخَزْر ، وحمل الأسارى إلى باجرؤان .

(١) فى د : فبهم .

(٢) فى ك : باجرؤان . والمثبت فى الكامل أيضاً . وفى ياقوت : باجرؤان - آخره نون : قرية من ديار مصر بالجزيرة من أعمال البلخ . و باجرؤان أيضاً مدينة من نواحي باب الأبواب قرب شروان (ياقوت) .

(٣) فى ك : عن .

وبلغ الخبير ابن ملك الخزر ، فجمع أصحابه من نواحي
 أذربيجان ، فاجتمع له عساكر كثيرة ، فحرّضهم ، وسار نحو
 الحرشي ، وسار الحرشي إليه ، فالتقيا بزرند^(١) ، واقتتلوا أشدّ
 قتال ، فانحاز المسلمون يسيراً ثم عادوا إلى القتال ، فاشتدت
 نكايتهم في العدو ، فهزموهم ، وتبعهم المسلمون حتى بلغوا بهم نهر
 أوس^(٢) ، وعادوا عنهم وحوّوا ما في عسكرهم من الأموال والغنائم ،
 وأطلقوا الأسارى والسبائيا ، وحملوا الجميع إلى باجروان ، ثم جمع
 ابن ملك الخزر من لحق به من عساكره ، وعاد بهم نحو الحرشي ،
 فنزل على نهر البيلقان^(٣) ، فسار الحرشي نحوه ؛ فوافقهم
 هناك ، والتقوا ، فكانت الهزيمة على الخزر ، فكان من غرق منهم
 أكثر ممن قتل ، وجمع الحرشي الغنائم ، وعاد إلى باجروان
 وكتب إلى هشام بالفتح ، وأرسل إليه الخمس . فكتب إليه هشام
 يشكره ، ويثني عليه ، ويأمره بالمسير إليه ، واستعمل هشام
 أخاه مسلمة على أرمينية وأذربيجان ، فوصل إلى البلاد ، وسار
 إلى الترك حتى جاز البلاد [في آثارهم]^(٤) .

ذكر وقعة الجند بالشعب

- وفي سنة [١١٢ هـ] ثنتي عشرة ومائة أيضا خرج الجند
 أمير خراسان غازياً يريد طخارستان ؛ فوجه عمارة بن خريم
 (١) زرند - بفتح أوله وثانيه ونون ساكنة ودال مهملة : بلدة بين أصبهان
 وساة (ياقوت) .
 (٢) في د: أرس . والمثبت في ك أيضاً . وفي ياقوت : أوس : اسم موضع ، أو رجل .
 (٣) بيلقان - بالفتح ثم السكون وفتح القاف وألف ونون : مدينة قرب الدرند
 الذي يقال له باب الأبواب تعد في أرمينية الكبرى قرية من شروان .
 (٤) من الكامل .

إلى طخارستان فى ثمانية عشر ألفا ، ووجه إبراهيم بن بسام الليثى فى عشرة آلاف إلى وجه آخر ، وجاشت الترك فأتوا سمرقند ، وعليها سورة بن الحر ، فكتب إلى الجنيذ أن خاقان جاش بالترك ، فخرجت إليهم ، فلم أطلق أن أمنع حائط سمرقند ، فالغوث الغوث .

فعبّر الجنيذ النهر ، وقد فرق عساكره ، فسار بمن معه حتى نزل ككش^(١) ، وتأهب للمسير ، وبلغ ذلك الترك ، فغوروا الآبار التى فى طريق ككش^(١) ، وسار الجنيذ يريد سمرقند ، فأخذ طريق العقبة ، وارتقى فى الجبل ، ثم سار حتى صار بينه وبين سمرقند أربعة فراسخ ، ودخل الشعب فصبحه خاقان فى جمع عظيم ، فكانت بينهم وقعة عظيمة صبر الناس فيها وقتلوا حتى كانت السيوف لا تقطع شيئا ، فقطع عبيدهم الخشب يقاتلون به ، ثم كانت المعانقة ، ثم تحاجزوا ، فاستشهد من المسلمين جماعة .

فبينما الناس كذلك إذ أقبل رهج^(٢) ، وطلعت الفرسان^(٣) ، فنادى منادى الجنيذ : الأرض الأرض ! وترجل ، وترجل الناس ، ثم أمر أن يخندق كل قائد على حياله ، فخذقوا وتحاجزوا وقد أصيب من الأزديومئذ مائة وتسعون رجلا ، وكان قتالهم يوم الجمعة ، فلما كان يوم السبت قصدهم خاقان وقت الظهر ، فلم ير موضعا للقتال أسهل من موضع بكر بن وائل ، وعليهم زياد

(١) سبق أنها بالسين والشين .

(٢) الرهج : الغبار .

(٣) فى د : فرسان .

ابن الحارث ، فقصدهم ، فلما قَرَّبُوا حملت بَكْرٌ عليهم فَأَفْرَجُوا لهم ، واشتد القتالُ بينهم .

فلما رأى الجُنَيْدُ شِدَّةَ الأَمْرِ استشار أصحابه ، فقال له عُبيدُ الله بن حبيب : اختر إما أَنْ تَهْلِكَ أَنْتَ أو سَوْرَةَ بن الحرِّ . فقال : هَلَاكَ سَوْرَةَ أَهْوَنُ عَلَيَّ . قال : فاكتب إليه فليأتك في أهل سمرقند ، فإنه إذا بلغ الترك إقباله توجَّهوا إليه فقاتلوه .

فكتب إليه الجُنَيْدُ يأمره بالقلوم ، فسار في اثني عشر ألفاً ، فأصبح على رأس جبلٍ ، فتلقاهُ خاقان ، وقد بقى بيَّنه وبين الجُنَيْدِ نحو فرسخ فقاتلهم فاشتدَّ^(١) القتال ، وسقط سَوْرَةَ بن الحرِّ ، فاندقتُ فخذُه ، وقُتِلَ وتفرَّقَ الناس ، وقتلهم النركُ ، ولم ينج منهم غيرُ ألفين . ويقال : ألف .

ولما استقلَّ خاقان بقتالِ سَوْرَةَ خرج الجُنَيْدُ مبادراً يُريد سمرقند ، فلقىه الترك قبلَ وصولِهِ إليها ، فقاتلهم قتالاً شديداً . وقال الجُنَيْدُ : أيُّ عبدقاتلٍ فهو حرٌّ . فقاتل العبيدُ قتالاً عجيبتُ منه الناسُ ، وهزم الله الترك .

ومضى الجُنَيْدُ إلى سمرقند ، وكتب إلى هشام بن عبد الملك بالخبر . فكتب إليه هشام : قد وجَّهْتُ إليك عشرة آلاف من أهل البصرة ، وعشرة آلاف من أهل الكوفة ، ومن السلاح ثلاثين ألف رُمح ، ومثلها ترسة^(٢) ، فافرض فلا غاية لك في الفريضة لخمسة^(٣) عشر ألفاً .

(١) في الكامل : واشتد . (٢) جمع ترس . وفي ك : أترسة .

(٣) في الكامل : بخمسة عشر ألفاً .

قال (١) : وأقام الجُنَيْدُ بِسَمَرْقَنْدَ ، وتوجّه خاقان إلى بُخَارَى ، وعليها قَطَنُ بن قُتَيْبَةَ ، فسار الجُنَيْدُ إليه ، وخلف بِسَمَرْقَنْدَ عثمان بن عبد الله ابن الشَّخِيرِ في أربعمائة [فارس وأربعمائة] (٢) راجل .

ولما انتهى الجُنَيْدُ إلى كَرْمِينِيَّةِ (٣) أتاه خاقانٌ وذلك في مستهلِّ رمضان من السنة ، فاقتتلوا يومهم ؛ ثم ارتحل الجُنَيْدُ وقد قَوِيَ الساقَةُ بالرجال ، فجاءت التركُ فمألوا على الساقَةِ فاقتتلوا فاشتدَّ القتالُ بينهم ، فقتلَ مسلمُ بنُ أَحْوَزَ عَظِيماً من عَظَمَاءِ التركِ ، فتطيرُوا من ذلك ، وانصرفوا . وسار المسلمون فدخلوا بُخَارَى ، ثم قدمت الجنودُ من الكوفة والبصرة فسرحَ الجُنَيْدُ معهم حوْثرة ابن زيد العَنْبَرِيَّ فيمن انتدب معه .

وقيل : إنَّ وقعة الشُّعْبِ كانت في سنة [١١٣ هـ] ثلاث عشرة ومائة . [والله أعلم] (٤) .

وفيها غزا معاوية بن هشام الصائفة ، فافتتح خرَّشنة (٥) [والله أعلم] (٤) .

(١) في الطبرى : ٨ - ٢١٢ .

(٢) ليس في ك .

(٣) كرمينية : بالفتح ثم السكون وكسر الميم وياء مثناة من تحت ساكنة ونون مكسورة وياء أخرى مفتوحة خفيفة : بلدة من نواحي الصغد (المرصد) .

(٤) ساقط في د .

(٥) خرشنة - بفتح أوله وتسكين ثانيه وشين معجمة ونون : بلد قرب ملطية من بلاد الروم .

ذكر غزو مسلمة وعوده

في هذه السنة فرّق مسلمة الجيوش ببلاد خاقان ففتحت مدائن وحصوناً على يديه ، وقتل منهم وسبى وأسّر وأحرق ، ودان له من وراء جبال بلنجر ، وأقبل ابن خاقان وقد اجتمعت عليه الخزر وغيرهم من تلك الأمم ، وصار في جموع عظيمة . فلما بلغ مسلمة الخبر أمر أصحابه فأوقدوا النيران ، ثم ترك خيامهم وأثقالهم ، وعاد بعسكره جريداً ، وقدم الضعفة ^(١) وأخر الشجعان ، وطوى المراحل كلّ مرحلتين في مرحلة حتى وصل الباب والأبواب [في آخر رمق] ^(٢) .

وفيها غزاً معاوية بن هشام أرض الروم فرابط . من ناحية مرعش ^(٣) ثم رجع . والله أعلم .

ذكر غزو مروان بن محمد بلاد الترك

ودخوله إلى بلاد ملك السريير وغيرها من بلادهم

وما افتتحه وقرره وصالح عليه الملوك

وفي سنة [١١٤] أربع عشرة استعمل هشام بن عبد الملك مروان بن محمد بن مروان على الجزيرة وأذربيجان وأرمينية . وسبب ذلك أنه كان في عسكر مسلمة بن عبد الملك حين غزاه الخزر ، فلما عاد مسلمة - كما تقدّم - سار مروان إلى هشام فلم يشعر به

(١) ك : الضعفاء .

(٢) ساقط في د ، وهو في ك أيضاً .

(٣) مرعش : من ثغور أرمينية (البكرى) .

حنى دخل عليه ، فسأله عن سببِ قدومه ، فقال : ضِقتُ ذَرْعًا بما أذكره ، ولم أرَ مَنْ يَحْمِلُهُ غيرى . قال : وما هو ؟ قال : يا أمير المؤمنين ؛ إنه كان مِنْ دُخُولِ الْخَزَرِّ إلى بلادِ الإسلامِ وقتلِ الجراح وغيره ما دخل به الوهنُ على المسلمين . ثم رأى أميرُ المؤمنين أن يوجّه أخاه مسلمة إليهم ، فوالله ما وطىء مِنْ بلادهم إِلَّا أدناها ، ثم إنه لما رأى كثرةَ جمعِهِ أعجبه ذلك ، فكتب إلى الخَزَرِّ يُؤذِنُهُم بالحرب ، وأقام بعد ذلك ثلاثةَ أشهر ، فاستعدَّ القومُ وحشدوا ، فلما دخل بلادهم لم يكن له فيهم نكايَةٌ ، فكان قُصاراهُ السَّلَامَةَ ، وقد أردتُ أن تُأذِنَ لى قى غزوةَ أذهبُ بها عَنَّا العارَ ، وأنتقمِ من العدو . قال : قد أذنتُ لك . قال : وتُمدنى بمائة ألفٍ وعشرين ألفٍ مقاتلٍ ؟

قال : قد فعلتُ . قال : وتكتُم هذا الأمرَ عن كلِّ أحدٍ ؟ قال : قد فعلتُ . وقد استعملتُك على إزمينية .

فودَّعه وسار إلى إزمينية والياً عليها وسيرَ إليه هشامُ الجنود [من الشام والعراق والجزيرة ، فاجتمع عنده من الجنود] (١) والمتطوعة مائة ألفٍ وعشرون ألفاً ، فأظهر أنه يُريد غزوَ اللان ، وأرسل إلى ملكِ الخَزَرِّ يطلبُ منه المُهادنةَ ، فأجابهُ إلى ذلك ، وأرسل (٢) إليه مَنْ يقرر الصلحَ ، فأمسك الرسولَ عنده إلى أن فرغ من جهّازه ، وأحضره ، ثم أغلظ. لهم فى القولِ وأذنتُهُم بالحرب ، وسيرَ الرسولَ إلى صاحبه بذلك ، ووكل به من يسيرُ به

(١) ساقط من ك .

(٢) ك : فأرسل .

على طريق فيه بُعِد ، وسار هو في أقرب الطُّرُق ، فما وصل الرسولُ إلى صاحبه إلا ومرَّوان قد وافاهم بالجنود ، فاستشار ملك الخَزَر أصحابه ، فقالوا: إنَّ هذا قد جمع ودخل بلادك ، فإنَّ أَقَمْتَ إلى أن تجمع لم يجتمع جُنُودك إلى مدَّة ، فيبلغ منك مايريد ، وإنَّ أنت لقيتَه على حالك هذه هزمك وظفَّير بك ، والرأى أن تتأخَّر إلى أقصى بلادك ، وتدَّعه وما يُريد .

فقبل رأيهم وسار ودخل مروان البلاد ، وأوغل فيها ، وأخربها ، بوغَّيمٍ وسبى ، وانتهى إلى آخرها ، وأقام فيها عدَّة أيام أذْلَهْمُ ، ودخل بلادَ ملك السَّرِير ، فأوقع بأهلها ، وفتح قِلاعًا ، ودان لهُ الملك ، وصالحه على ألف رأس : خمسمائة غلام ، وخمسمائة جارية سود الشعور^(١) ، ومائة ألف مَدِي تُحْمَل إلى الباب ، وصالح أهل ثومان^(٢) على مائة رأس نصفين وعشرين ألف مَدِي^(٣) ، ثم دخل أرض زديكران^(٤) ، فصالحه ملكها ، ثم أتى أرض حمزين ، فأبى حمزين أن يصالحه ، فحصرهم ، وافتتح حصنهم ، ثم أتى سُغْدان^(٥) ، فافتتحها صلحًا ، ووظف على طَبْر سَرانِشاه^(٦) عشرة آلاف مَدِي كلَّ سنة تحمل إلى الباب ؛ ثم

(١) في ك : الشعر .

(٢) في ك : ثومان ، وهي بالناء أيضاً في فتوح البلدان : ٣٤٥

(٣) في الكامل : مدبر .

(٤) في ك : زنكران . وفي الكامل : زريكران . والمثبت في فتوح البلدان أيضاً .

(٥) سُغْدان — بضم أوله : قرية من نواحي بخارى (ياقوت) . وفي فتوح البلدان :

سندان : والمثبت في الكامل أيضاً .

(٦) في الكامل : طيرشانشاه . والمثبت في فتوح البلدان أيضاً .

نزل على قلعة صاحب اللكز^(١) وقد امتنع من أداء الوظيفة ، فخرج ملك اللكز يريد ملك الخزر ، فقتله راعٍ يسهم وهو لا يعرفه ، فصالح أهل اللكز مروان ، واستعمل عليهم عاملاً وسار إلى قلعة شروان^(٢) وهى على البحر ، فأذعن له بالطاعة ، وسار إلى الدوادانية ، فأوقع بهم ، ثم عاد .

وغزا معاوية بن هشام الصائفة اليسرى ، فأصاب ربحاً أقرن .

وفىها التقى عبد الله البطل هو وقسطنطين فى جموعٍ ، فهزموهم البطل وأسر قسطنطين .

وغزا سليمان بن هشام الصائفة اليمنى ، فبلغ قيسارية .

وفى سنة [١١٥ هـ] خمس عشرة ومائة غزا معاوية بن هشام أرض الروم .

وغزا أيضا الصائفة فى سنة [١١٦ هـ] ست عشرة . وفى سنة

[١١٧ هـ] سبع عشرة غزا معاوية^(٣) بن هشام الصائفة اليسرى ، وسليمان بن هشام الصائفة اليمنى من نحو الجزيرة ، وفرق سزايته فى أرض الروم .

وبعث مروان بن محمد ، وهو على إزمينية بعثين ؛ فافتتح أحدهما

(١) اللكز - بالفتح ثم السكون وزاى : بلدة خلف الدربند تتاخم خزران (ياقوت) .

(٢) شروان : مدينة من نواحي باب الأبواب (ياقوت) . وفى الأصول :

شروان - بالسین المهملة . وفى ياقوت : شروان : مدينة صغيرة من أعمال سجستان .

(٣) فى د : سليمان . والمثبت فى الطبرى والكامل .

حصوننا ثلاثة من اللان ، ونزل الآخر على تومان شاه ، فنزل أهلها على الصلح .

وفي سنة [١١٨ هـ] ثمان عشرة [ومائة] (١) غزا معاوية وسليمان ابنا هشام بن عبد الملك أرض الروم .

وغزا مروان بن محمد من إرمينية ، ودخل أرض ورتيس (٢) من ثلاثة أبواب ، فهرب ورتيس (٢) إلى الخزر ، وترك حصنه ، فحصره مروان ، ونصب عليه المجانيق ، واتفق قتل ورتيس (٢) ، قتله بغض من اجتاز به ، وأرسل رأسه إلى مروان ، فنصبه لأهل حصنه ، فنزلوا على حكمه ، فقتل المقاتلة وسبى الذرية ...

ذكر ظفر المسلمين بالترك

وقتل خاقان ملك الترك

وفي سنة [١١٩ هـ] تسع عشرة ومائة كانت الحرب بين أسد ابن عبد الله القسري أمير خراسان وبين خاقان ملك الترك .

وسبب ذلك أن الحارث بن مريح كان قد خلع بخراسان على ما نذكره إن شاء الله تعالى في حوادث السنين ، وولى أسد خراسان على ما نذكره إن شاء الله ، فكتب الحارث إلى خاقان يعلمه بضعف أسد وقلة أصحابه ، ويستدعيه لحربه .

فأقبل خاقان ، وقطع النهر إلى بلخ ، فلقية أسد ، فاقتنلوا قتالا شديداً ، فظفر المسلمون بالترك ، وهزموهم أقبح هزيمة ، وغنموا

(١) زيادة في د بين السطور .

(٢) في الكامل : ورتيس : والمثبت في ك ، د .

أموالهم وخيولهم وأثقالهم ، وقتلوا منهم مقتلة عظيمة ، وأراد خصي لخاقان حمل امرأة خاقان فأعجلوه فقتلها ، ومضى خاقان إلى طخارستان ثم إلى بلاده . وحمل الحارث وأصحابه على خمسة آلاف بردون ، واستعد لغزو المسلمين ، فلاعَب خاقان يوما كور صول بالنرد على خطر ، فتنازعا ، فضرب كور صول يد خاقان فكسرها وتنحى عنه ، وجمع جمعا ، وبلغه أن خاقان قد حلف ليكسرن يده ؛ فبيت خاقان فقتله ، وتفرقت الترك واشتغلوا بأنفسهم ، وأرسل أسد إلى هشام بن عبد الملك يُخبره بالفتح وبقتل خاقان ، فلم يصدق ذلك . وأرسل^(١) مُبشرا آخر فوقف على باب هشام وكبر ، فأجابه هشام بالتكبير . فلما انتهى إليه أخبره بالفتح ، فسجد شكرا لله تعالى .

وفيهما غزا أسد بن عبد الله أمير خراسان الخُتَل^(٢) ، فقتل بدر طرخان [ملك الخُتَل]^(٣) ، وغلب على القلعة العظمى ، وفرق عساكره في أودية الخُتَل ، فملاشوا أيديهم من الغنائم والسبي . وهرب أهلها إلى الصين .

وغزا الوليد بن القَعَقَاع أرض الروم .

وغزا مروان بن محمد من إرمينية فدخل بلاد اللان ، وسار فيها

(١) في د : ثم أرسل .

(٢) الختل - بضم أوله وتشد يد ثانيه وفتحه : كورة واسعة كثيرة المدن :

وهى على تخوم السند (ياقوت) .

(٣) من الطبرى .

حتى خرج منها إلى بلاد الخَزَر ، فمرَّ ببلنجر وسمندر (١) ، وانتهى إلى البيضا التي يكون فيها خاقان ، فهرب خاقان منه .
 وفي سنة [١٢٠ هـ] عشرين ومائة غزا سليمان بن هشام بن عبد الملك الصائفة وافتتح سندرة .
 وغزا إسحاق بن مسلم العقيلي تومان شاه وافتتح قِلاعه وخرب أرضه .

ذكر غزوات نصر بن سيار ما وراء النهر

وفي سنة [١٢١ هـ] إحدى وعشرين ومائة غزا نصر بن سيار ما وراء النهر مرتين : إحداهما من نحو الباب الجديد ، فسار (٢) من بلخ ، ثم رجع إلى مرو ، فخطب الناس ، وأخبرهم أنه قد أقام منصور بن عمر بن أبي الخرقاء على كشف المظالم ، وأنه قد وضع الجزية عن أسلم ، وجعلها على من كان يخفف عنه من المشركين ، فلم تمض جمعة (٣) حتى أتاه ثلاثون ألف مسلم كانوا يؤدون الجزية عن رؤوسهم ، وثمانون (٤) ألفا من المشركين كانت الجزية قد وضعت عنهم ، فحول ما كان على المسلمين عليهم ، ثم صنّف الخراج ووضعه مواضعه .

ثم غزا الثانية إلى ورغسر (٥) وسمرقند .

(١) في د : سمند . والمثبت في فتوح البلدان . وفي ياقوت : سمندر - بفتح أوله وثانيه ثم سكون ودال مفتوحة وآخره راء : مدينة خلف باب الأبواب من أرض الخزر .
 (٢) في ك : سار .

(٣) في الطبري : فما كانت الجمعة الثانية .

(٤) في ك : وثلاثون . والمثبت في الطبري والكمال .

(٥) في د : ارزغسر ، والمثبت في الطبري والكمال . وهي من قرى سمرقند عندها مقام مياه الصفد وغيره (ياقوت) .

ثم غزا الثالثة إلى شاش من مرو ، فحال بينه وبين عبور نهر الشاش كورصول في خمسة عشر ألفا ، وكان معهم البحارث بن سرنج^(١) ، وعبر كورصول في أربعين رجلا فبيت العسكر في ليلة مظلمة ، ومع نصر بخارى خذاه في أهل بخارى ، ومعه أهل سمرقند وكش ونسف ، وهم عشرون ألفا ، فنادى نصر : ألا لا يخرجن أحد ، واثبتوا على مواضعكم .

فخرج لعاصم بن عمير - وهو على جنود سمرقند - فمرت به خيل الترك ، فحمل على رجل في آخرهم فأسره ، فإذا هو ملك من ملوكهم صاحب أربعة آلاف قبة ، فأتى به إلى نصر ، فقال له نصر : من أنت ؟ قال : كورصول . قال : الحمد لله الذى أمكن منك يا عدو الله . قال : ما ترجو من قتل شيخ ، وأنا أعطيك أربعة آلاف بغير من إبل الترك وألف برذون تقوى به جنك ، وتطلق سبيلى .

فاستشار نصر الناس ، فأشاروا بإطلاقه ، فسأله عن عمره قال : لا أدرى . قال : كم غزوت ؟ قال : ثنتين وسبعين غزاة . قال : أشهدت يوم العطش ؟ قال : نعم . قال : لو أعطيتنى ما طلعت عليه الشمس ما أفلت من يدي بعد ما ذكرت من مشاهدك .

وقال لعاصم بن عمير السغدى^(٢) : قم إلى سلبه فخذنه . فقال : من أسرنى ؟ قال : نصر - وهو يضحك - أسرك يزيد بن قران^(٣) الحنظلى ، وأشار إليه . قال : هذا لا يستطيع أن يغسل استه ، أو لا يستطيع أن يتم بوله ، فكيف يأسرنى ؟ أخبرنى من أسرنى ؟ قال :

(١) فى ك : شريح . والمثبت فى الطبرى والكامل .

(٢) فى الكامل : السعدى .

(٣) الضبط فى د . وفى الطبرى بضم القاف .

أسرك عاصم بن عمير. قال : لست أجد ألم^(١) القتل إذا أسرني فارس من فرسان العرب .

فقتله وصلبه على شاطئ النهر ، فلما قتل أحرقت الترك أبييته ، وقطعوا آذانهم وشعورهم وأذنان خيولهم .

فلما أراد نصر الرجوع أحرقه لثلا يحملوا عظامه ، فكان ذلك أشد عليهم من قتله .

وارتفع إلى قرغانة فسبى منها ألف رأس . وكتب يوسف ابن عمر الثقفى عاهل العراقين إلى نصر بن سيار يأمره بالمسير إلى الشاش^(٢) لقتال الحارث بن سريج ، فاستعمل نصر يحيى بن حصين على مقدمته ، فسار إلى الشاش ، فاتاهم الحارث ، وأغار الأخرم ، وهو فارس الترك ، على المسلمين فقتلوه ، وألقوا رأسه إلى الترك ، فصاحوا وانهمزوا ، وسار نصر إلى الشاش فتلقاه ملكها بالصلح والهدية والرهن ، فاشترط عليه لإخراج الحارث بن سريج من بلده ، فأخرجه إلى فاراب^(٣) ، واستعمل على الشاش نيزك بن صالح مولى عمرو بن العاص ، ثم سار حتى نزل قباء من أرض قرغانة ، وكانوا قد علموا بمجيئته ، فأحرقوا الحشيش ، وقطعوا الميرة ، فوجه نصر إلى ولى عهد صاحب قرغانة فحاصره فى حصن ، فخرج وقد غفل المسلمون فغنم دوابهم ، فوجه إليهم نصر رجالا من تميم ، ومعهم محمد بن المنى ، فكأيدهم

(١) فى الطبرى : لست أجد مس القتل .

(٢) الشاش : من بلاد الترك (البكرى) .

(٣) فاراب : ولاية وراء نهر سيحون فى تخوم بلاد الترك (باقوت) .

المسلمون وأهملوا دوابهم وكمنوا لهم ، فخرجوا فاستأقوا بعضهما ،
وخرج عليهم المسلمون فهزموهم ، وقتلوا الدهقان وأسروا منهم ،
فكان فيمن أسر ابن الدهقان ، فقتله نصرٌ .

وأرسل نصرٌ سليمان بن صول بكتاب الصلح إلى صاحب قرغانة ، فأمر به
فأدخل الخزانة ليراها ، ثم رجع إليه ، فقال : كيف رأيت الطريق
فيا بيننا وبينكم؟ قال : سهلاً كثير الماء والمرعى ، فكره ذلك ،
وقال : ما أعلمك؟ فقال سليمان : قد غزوت غرستان^(١) وغور
والختل وطبرستان ، فكيف لا أعلم؟ قال : فكيف رأيت ما أعددنا؟
قال : عُدَّة حسنة ، ولكن أما علمت أن المحصور لا يسلم من
خصال؟ [قال : وما هن؟ قال :]^(٢) لا يأمن أقرب الناس إليه ،
وأوثقهم في نفسه ، أو يفتنى ما جمع ، فيسلم برمته ، أو يصيبه داء
فيموت .

فكره ما قاله له ، وأمره فأحضر كتاب الصلح ، فأجاب إليه ،
وسير أمه معه ، وكانت صاحبة أمره ، فقدمت على
نصر فكلّمها فكلّمته ، وكان فيما قالت [له]^(٣) : كل ملك
لا تكون عنده ستة أشياء فليس بملك : وزير يبت إليه ما في نفسه ،
ويشاوره ويثقُ بنصيحته . وطباخ إذا لم يشته الطعام اتخذ له
ما يشتهى ، وزوجة إذا دخل عليها مُغتماً فنظر إلى وجهها زال غمّه ،

(١) غرستان - بالفتح ثم السكون وشين معجمة مكسورة وسين مهمله وتاء
مثناة من فوق ، وآخره نون. ويقال غرستان : ناحية واسعة كثيرة القرى (ياقوت) ،
وفي الطبرى : غرستان .

(٢) زيادة في الطبرى .

(٣) ايس في ك .

وحصن إذا فزع أناه فأنجاه - تعنى البردئون - وسيف إذا قاتل
لم يخش خيانتة . وذخيرة إذا حملها عاش بها أين كان من
الأرض .

ودخل تميم بن نصر في جماعة ، فقالت : من هذا ؟ قالوا :
هذا فتى خراسان تميم بن نصر . قالت : ماله نبل الكبير ، ولا حلاوة
الصغير .

ثم دخل الحجاج بن قتيبة ، فقالت : من هذا ؟ قالوا :
الحجاج بن قتيبة ، فحيته ، وسألت عنه ، وقالت : يامعشر العرب ،
ما لكم وفاء ، ولا يصلح بعضكم لبعض ، قتيبة الذي ذلل لكم
ما أرى ، وهذا ابنه تقعه دونك ، فحقه (١) أن تجلسه أنت هذا
المجلس وتجلس أنت مجلسه .

ذكر غزو مروان بن محمد بن مروان

وفي سنة [١٢١ هـ] إحدى وعشرين أيضا غزا مروان بن محمد
من إزمينية وهو واليها ، فأنى قلعة بيت السرير فقتل وسبى ، ثم أنى
قلعة ثانية (٢) فقتل وسبى ، ودخل غر مسك (٣) ، وهو حصن فيه
بيت الملك وسريره ، فهرب الملك منه إلى حصن خيزج (٤) ،
وهو الذى فيه السرير الذهب ، فسار إليه مروان ونازله صيفته
وشتوة (٥) ، فصالحه الملك على ألف رأس في كل سنة ، ومائة ألف

(١) في ك : بحقه ..

(٢) في ك : بانيه . والمثبت في الكامل أيضا .

(٣) في الطبرى : غوميك . وفي الفتوح : غوميل . والمثبت في الكامل ، د

(٤) خيزج : من رساتيق الجبل (البكرى) .

(٥) في الكامل : صيفته وشتوته .

مُدَى ، وسار مروان فدخل أرض أرزو بطران^(١) ، فصالحه ملكها . ثم سار فى أرض تومان فصالحه وسار حتى أتى حمزين ، فأخرب بلاده ، وحصر حصناً له شهراً فصالحه .

ثم أتى مروان أرض مسدار^(٢) ، فافتتحها على صلح ، ثم نزل كيران^(٣) فصالحه طبرسران^(٤) وفيلان ، وكل هذه الولايات على شاطئ البحر من أرمينية إلى طبرستان .

وفىها غزا مسلمة بن هشام الروم فافتتح بها مطامير .

وفى سنة [١٢٤ هـ] أربع وعشرين غزا سليمان بن هشام الصائفة فلقى أليون ملك الروم فغتم .

هذا ما أمكن إيراده من الغزوات والفتوحات فى أيام هشام فلنذكر حوادث السنين فى أيامه .

سنة (١٠٦ هـ) ست ومائة :

ذكر ولاية أسد خراسان

فى هذه السنة استعمل خالد بن عبد الله القسرى أخاه أسداً على خراسان ، فقدمها ومسلم بن سعيد بقرغانة ، فلما أتى أسد النهر ليقطعه منعه الأشهب بن عبيد التميمى ؛ وكان على السفن

(١) أرز - بالفتح ثم السكون وراء : بليدة من أول طبرستان من ناحية الدين وبها قلعة حصينة (ياقوت) .

(٢) فى الكامل : مسدارة . وفى النجوم الزاهرة : مسدار .

(٣) كيران : مدينة بأذربيجان ، بين تبريز وبيلقان (المراصد) .

(٤) فى فتوح البلدان : طبر سراف . والمثبت فى ك ، د ، والكامل .

بأمل ، وقال : قد نُهيت عن ذلك ، فأعطاه ولاطفه ، فأبى . قال : فإني أمير ، فأذن له ، فقال أسد : اعرّفوا هذا حتى نشركه في أمانتنا .
 وأتى الصغد فنزل بالمرج ، وعلى سمرقند هانيء بن هانيء ، فخرج في الناس للقاء أسد ، فرآه على حجر ، فقال (١) الناس : ما عند هذا خير ، أمرد على حجر ، ودخل سمرقند وعزل هانيئا عنها ، واستعمل عليها الحسن بن أبي العمرطة (٢) الكندي ، ثم كان من عزل أسد ما نذكره إن شاء الله .

وفيهما استعمل هشام الحر بن يوسف بن يحيى بن الحكم ابن أبي العاص بن أمية على الموصل ، وهو الذي عمل النهر الذي كان بالموصل .

وسبب ذلك أنه رأى امرأة تحمل جرة فيها ماء ، وهي تحملها ساعة ثم تستريح قليلا لبعد الماء ، فكتب بذلك إلى هشام ، فأمره أن يحضر نهرا إلى البلد ، فحضره ، وبقي العمل فيه عدة (٣) سنين ومات الحر سنة (١١٣ هـ) ثلاث عشرة ومائة .

وفي سنة ست أيضا عزل هشام عبد الواحد النضرى عن مكة والمدينة والطائف ، وولى ذلك كله (٤) إبراهيم بن هشام بن إسماعيل ، فقدم المدينة في جمادى الآخرة .

وكانت ولاية النضرى سنة وثمانية أشهر .

(١) في الكامل : فتفاهل الناس وقالوا ...

(٢) انظر هامش رقم ٥ صفحة ٤٠٧

(٣) في ك : مدة .

(٤) في الكامل ، والطبرى : خاله .

[وفيها] (١) استقضى إبراهيمُ بنُ هشامٍ على المدينة محمد بن صفوان الجمحى (٢) ، ثم عزله ، واستقضى الصلّمت الكندى ، وكان العاملُ على العراق وخراسان خالد بن عبد الله القسرى البجلى ، وكان عاملَ خالد على البصرة عقبةُ بن عبد الأعلى على الصلاة . وعلى الشرطة مالك بن المنذر بن الجارود ، وعلى القضاء ثمامة بن عبد الله بن أنس .

وحجّ بالناس في هذه السنة هشام بن عبد الملك .

سنة (١٠٧ هـ) سبع ومائة :

في هذه السنة كان من خبرِ دُعاةِ بنى العباس ما نذكره إن شاء الله في أخبار الدولة العباسية .

وفيها عزل هشام الجراح بن عبد الله الحكمى عن إرمينية وأذربيجان ، واستعمل عليها أخاه مسلمة بن عبد الملك ، فاستعمل عليها الحارث بن عمرو الطائى ، فافتتح من بلاد الترك رُستاقاً وقرى كثيرة ، وأدّر أثرًا حسنًا .

وفيها نقل أسد من كان بالبروقان (٣) إلى بلخ من الجند ، وأقطع من كان بالبروقان بقدر مسكنه ، ومن لم يكن له مسكن أقطعه مسكنًا ، وأراد أن يُنزلهم على الأحماس ، فقبل له :

(١) زيادة في الكامل .

(٢) في ك : الحميمى . والمثبت في الكامل والطبرى أيضا .

(٣) بروقان - بقاف ونون : قرية من نواحي بلخ (ياقوت) .

لأنهم يتعصبون ؛ فخلّى بينهم ، وتولّى بناء مدينة بلخ بزمك ، وهو أبو خالد بن برمك ، وبينها وبين البروقان فرسخان .
وحجّ بالناس في هذه السنة إبراهيم بن هشام .

سنة (١٠٨ هـ) ثمان ومائة :

في هذه السنة كان من خبير شيعة بنى العباس ما ذكره إن شاء الله تعالى .
وفيهما وقع الحريق بدابق ، فاحترق المرعى والدواب والرجال .
وفيهما خرج عباد الرعيني (١) باليمن مُحَكِّمًا فقتله أميرها يوسف بن عمرو (٢) ، وقتل أصحابه وكانوا ثلاثمائة .

وحجّ بالناس في هذه السنة إبراهيم بن هشام .
وفيهما مات محمد بن كعب القرظي ، وقيل سنة سبع عشرة .
وقيل : إنه ولد على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

سنة (١٠٩ هـ) تسع ومائة :

في هذه السنة عزل أسد بن عبد الله القسري عن خراسان ،
وسبب ذلك أنه ضرب نصر بن سيار ونفراً بالسياط ، منهم
عبد الرحمن بن نعيم وسورة بن الحرّ والبخترى بن أبي ذرهم ،
وعامر بن مالك الحماني ، وحلقهم وسيّروهم هو إلى أخيه ، وكتب إليه :
لأنهم أرادوا الوثوب بي .

فلما قدموا على خالد لأم أمدا وعنفه ، وقال : ألا بعث إلى
برؤسهم .

وخطب أسد يوما ، فقال : قبح الله هذه الوجوه وجوه

(٢) في الكامل : عمر

(١) الضبط في اللباب .

أهل الشقاق والنِّفاق والشُّغْب والفساد، اللهم فَرِّقْ بينى وبينهم ،
وأخرجنى إلى مهاجرى ووطئى .

فبلغ فعُله هشام بن عبد الملك ، فكتب إلى خالد : اعزِّل أخاك ،
فعزله ، فرجع إلى العراق فى رمضان من السنة ، واستخلف على
على خراسان الحَكَم بن عَوانة الكلابى ، فأقام الحَكَمُ صيفيته فلم
رغزُ ، ثم استعمل هشام أشرم بن عبد الله السامى على خراسان ،
وأمره أن يُكاتب خالدًا ، وكان أشرس فاضلا خيرا ، وكانوا يسمونه
الكامل لفضله .

فلما قدم خراسان فرِح الناس به ، واستقضى أبا المنازل الكندى ،
ثم عزله واستقضى محمد بن يزيد .

وحجَّ بالناس فى هذه السنة إبراهيم بن هشام ، فخطب الناس ،
فقال : سلُونى ، فإنكم لا تسألون أحداً أعلم منى ، فسأله رجلٌ من أهل
العراق عن الأضحية أواجبةٌ هى ؟ فما درى ما يقول : فنزل .

سنة (١١٠ هـ) عشرة ومائة :

فيها جمع خالد القسرى الصلاة والأحداث والشرط. والقضاء
بالبصرة لبِلال بن أبى بُردة : وعزل ثُمامة عن القضاء .

وحجَّ بالناس إبراهيم بن إسماعيل .

وفيها مات الفرزدق الشاعر ، وله إحدى وتسعون سنة .

ومات جرير بن الخطفى الشاعر .

سنة (١١١ هـ) إحدى عشرة ومائة :

في هذه السنة كان عَزَلُ أشرس عن خُرَّاسان واستعمال الجُنَيْدِ ابن عبد الرحمن ؛ وقد تقدم ذكر ذلك في الغزوات .
وفيها استعمل هشام الجراح بن عبد الله الحكمي على إرمينية ،
وعزل أخاه مسلمة كما تقدم .

وحج بالناس إبراهيم بن هشام المخزومي .

سنة (١١٢ هـ) ثنتي عشرة ومائة :

حج بالناس في هذه السنة إبراهيم بن هشام المخزومي . وقيل .

سليمان بن هشام بن عبد الملك . والله أعلم .

سنة (١١٣ هـ) ثلاث عشرة ومائة :

في هذه السنة قُتِلَ عَبْدُ الوَهَابِ ابن بُحْتِ (١) ، وكان قد غزا
ع البطال أرض الروم ، فانهزم الناس عن البطال ، فحمل
عبد الوهاب ، وهو يقول : ما رأيت فرماً أجبن منك ، وسفك
الله دمي إن لم أسفك دمك ، ثم ألقى بيضته عن رأسه ، وصاح :
أنا عبد الوهاب ! من الجنة تفرون !

ثم تقدم في نحو العدو ، فجاء برجل وهو يقول : واعطشهاه !
فقال : تقدم ، الرئي أمامك ، وخالط القوم فقتل وقيل فرسه .

وحج بالناس في هذه السنة سليمان بن هشام بن عبد الملك ،

وقيل إبراهيم بن هشام المخزومي ، والله أعلم .

سنة (١١٤ هـ) أربع عشرة ومائة :

في هذه السنة كانت ولاية مروان بن محمد بن مروان إرمينية

وأذربيجان ، وقد تقدم ذكر ذلك في الغزوات .

(١) بضم أوله وسكون الخاء المعجمة بعدها مثناة (القاموس) .

وفيهما عزل هشامُ إبراهيمَ بنَ هشامِ المخزومى عن المدينة ،
 واستعمل عليها خالدُ بنَ عبد الملك بن الحارث بن الحكم فى ربيع الأول ،
 فكانت إمرة إبراهيم على المدينة ثمانى سنين ، وعزله أيضا عن مكة
 والطائف ، واستعمل على ذلك محمد بن هشام المخزومى .

وحجَّ بالناس خالدُ بنُ عبد الملك بن الحارث وقيل : محمد
 ابن هشام .

وفيهما توفى محمد بن على بن الحسين الباقر . وقيل سنة خمس عشرة .

سنة (١١٥ هـ) خمس عشرة ومائة :

حجَّ بالناس فى هذه السنة محمد بن هشام المخزومى ، وكان
 الأمير بخراسان الجنيد . وقيل : بل كان قد مات ، واستخلف
 عمارة بن خريم المرى . [والله أعلم] (١) .

سنة (١١٦ هـ) ست عشرة ومائة :

فى هذه السنة عزل الجنيد عن خراسان .

وسببُ ذلك أنه تزوج الفاضلة بنت يزيد بن المهلب ، فغضب
 هشام ؛ واستعمل عاصم بن عبد الله بن يزيد الهلالى على خراسان ،
 وكان الجنيد قد سقى بطنه ، فقال هشام لعاصم : إن أدركته وبه
 رمق فأزقه نفسه .

فقدم عاصم وقد مات الجنيد ، واستخلف عمارة بن خريم
 وهو ابنُ عمه ، فعذبه عاصم ، وعذب عمال الجنيد لعداوة كانت
 بينه وبين الجنيد ...

ذكر خلع الحارث بن سريج^(١) بغراسان

وما كان من أمره

وفي هذه السنة خلع الحارث بن سريج وأقبل إلى الفارياب^(٢) فأرسل إليه عاصم رسلاً . منهم مقاتل بن حيان النبطي ، والخطاب ابن مخرز السلمي ، فقالا لمن معهما : لا نلقى الحارث إلا بأمان ، فأبى القومُ عليهما وأتوه ، فأخذهم الحارث وحبسهم ، ووكل بهم رجلاً فأوثقوه ، وخرجوا من السجن ، فركبوا وعادوا إلى عاصم ، فأمرهم فخطبوا ودموا الحارث ، وذكروا حُبثَ سيرته وغذره ، وكان الحارث قد لبس السواد ، ودعا إلى كتاب الله وسنة نبيه والبيعة للرضا ، فسار من الفارياب^(٢) ، وأتى بلخ ، وعليها^(٣) نصر بن سيار والتجيبى ، فلقياهُ في عشرة آلاف وهو في أربعة آلاف ، فقاتلها ، فانهزم أهل بلخ .

وتبعهم الحارث ، فدخل مدينة بلخ ، وخرج نصر بن سيار منها ، وأمر الحارث بالكف عنهم ، واستعمل عليها رجلاً من ولد عبد الله ابن خازم ، وسار إلى الجوزجان فغلب عليها وعلى الطالقان ومرؤ الروذ . قلما كان بالجوزجان استشار أصحابه في أى بلد يقصد . فقيل له : مرؤ بيضة خراسان وفرسانهم كثير ، ولو لم يلقوك إلا بعبيدهم لانتصفوا منك ، فأقم ، فإن أتوك فقاتلهم ، وإن أقاموا قطعت المادّة عنهم .

(١) في ك : شريج .

(٢) في د : الفاريات . والمثبت في الكامل ، والطبرى .

(٣) في الطبرى : وكان عليها التجيبى بن ضبيمة المرى ونصر بن سيار

قال: لا أرى ذلك؛ وسار إلى مرو، فأقبل إليها يُقالُ في ستين ألفاً، ومعه فرسان الأزدِ وتميم، منهم محمد بن المنثى، وحماد ابن عامر الجماني، وداود الأعسر، وبشر بن أنيف الرياحي، وعطاء الدبوسى.

ومن الدهاقين دِهَقَان الجوزجان، ودِهَقَان الفارياب^(١)، وملك الطالِقَان ودِهَقَان مَرَو الرُود في أشباههم، وخرج عاصمٌ في أهل مَرَو وغيرهم، فمسكر وقطع القناطر، وأقبل أصحابُ الحارث فأصلحوها، فمال محمد بن المنثى الفراهميدى الأزدى إلى عاصم في ألفين، فأتى الأزد: ومال حماد بن عامر الجماني إليه، فأتى بنى تميم، وأتى الحارث وعاصم فاقتتلوا قتالا شديداً، فانهزم أصحابُ الحارث، فغرق منهم بشرٌ كثير، في أنهار مرو وفي النهر الأعظم؛ ومضت الدهاقين إلى بلادهم، وغرق خازم^(٢) بن عبد الله بن خازم، وكان مع الحارث. وقُتِل أصحاب الحارث قَتلاً ذريعاً، وقطع الحارث وادى مرو، فضرب رواقاً عند منازل الدهاقين، وكف عنه عاصم^(٣)؛ واجتمع إلى الحارث زهاء ثلاثة آلاف، ثم كان من أمره ما ذكره إن شاء الله تعالى.

وفيهما عزل هشامٌ عبد الله بن الحبحاب عن ولاية مِصر، واستعمله على إفريقية.

وقيل: كان ذلك في سنة [١١٧هـ] سبع عشرة ومائة.

وحج بالناس في هذه السنة الوليد بن يزيد بن عبد الملك. والله أعلم.

(١) في د: القاريات، وهو تصحيف كما تقدم.

(٢) في الطبرى: وغرق خازم بن موسى بن عبد الله بن خازم.

(٣) في الطبرى: ولو ألع عليه لأهلكه.

سنة (١١٧ هـ) سبع عشرة ومائة :

ذكر عزل عاصم عن خراسان

وولاية أسد وخبر الحارث بن سُرَيْج

في هذه السنة عزل هشامُ بن عبد الملك عاصمَ بنَ عَبْدِ اللَّهِ عن خُرَاسان ، وَضَمَّهَا إلى خالد بن عبد الله القَسْرِي أمير العراقين ، فاستعمل عليها خالدُ أخاه أَسَدَ بن عبد الله .

وكان سبب ذلك أَنَّ عاصمًا كتب إلى هشام : أما بعد فإن الرائد لا يَكْذِبُ أَهْلَهُ ، وإن خُرَاسان لا تَصْلُحُ إِلَّا أَنْ تُضَمَّ إلى العراق (١) وتكون معونتها وموادها (٢) من قريب ، لتباعد أمير المؤمنين [عنها] (٣) وتباطيء غيائه [عنها] (٣) ، فضمَّ هشام خراسان إلى خالد بن عبد الله ، وكتب إليه : ابعتْ أخاك يُصْلِح ما أفسد ؛ فإن كانت رجوية كانت به . فسير خالد [إليها] (٤) أخاه أسدًا ، فلما بلغ عاصمُ إقبال أسد ، وأنه قد بعث على مقدمته محمد بن مالك الهمداني صالح الحارث ابن سُرَيْج ، وكتبًا بينهما كتابًا ، على أن ينزل الحارثُ أي كُور خُرَاسان شاء ، وأن يكتبها جميعا إلى هشام يسألانه كتاب الله وسنة نبيه ، فإن أبي اجتمعا عليه .

فختم على الكتاب بعض الرؤساء ، وأبي يحيى بن حُصَيْن بن المنذر أن يختم ، وقال : هذا خلْعٌ لأمير المؤمنين فانفسح ذلك .

(١) في الطبري : إلى صاحب المراف .

(٢) في د : فتكون موادها ومعونتها .

(٣) من الطبري .

(٤) ساقط في ك .

وكان عاصم بقرنة بأعلى مرو ، فاتاه الحارث بن سريح فالتقوا واقتتلوا قتالاً شديداً ، فانهزم الحارث ، وأسر جماعة من أصحابه ، منهم : عبد الله بن عمرو المازنى رأس أهل مرو الروذ ، فقتل عاصم الأسرى ، وعظم أهل الشام يحيى بن حُصَيْن لِمَا صَنَعَ فِي نَقْضِ الْكِتَابِ ، وكتبوا كتاباً بما كان وبهزيمة الحارث وبعثوه إلى أسد ، فلقية بالرئى وقيل بينهق (١) .

فكتب أسد إلى أخيه خالد ينتحل أنه هزم الحارث ، ويخبره بأمر يحيى ، فأجاز خالد يحيى بعشرة آلاف دينار ومائة حلة ، وحبس أسد عاصم وحاسبه وطلب منه مائة ألف درهم ، وقال : إنك لم تغز ، وأطلق عمال الجنيد ، وقدم أسد ولم يكن لعاصم إلا مرو ونيسابور ، والحارث بمرو الروذ ، وخالد بن عبيد الله الهجرى بآمل موافق للحارث ، فخاف أسد إن قصد الحارث بمرو الروذ أن يأتى الهجرى مرو من قبل آمل ، وإن قصد الهجرى قصد الحارث مرو من قبل مرو الروذ ، فأجمع رأيه على توجيه عبد الرحمن بن نعيم في أهل الكوفة والشام إلى الحارث بمرو الروذ ، وسار أسد بالناس إلى آمل ، فلقية خيل آمل ؛ عليهم زياد القرشى مولى حيان النبطى وغيره ، فهزموا حتى رجعوا إلى المدينة ، فحصرهم أسد ، ونصب عليهم المجانيق ؛ فطلبوا الأمان ، وطلبوا كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ، وألا يؤخذ أهل المدن بجنائيتهم ، فأجابهم أسد إلى ذلك ، واستعمل عليهم يحيى ابن نعيم بن هبيرة الشيبانى ؛ وسار يريد بلخ ، فأخبر أن أهلها قد

(١) بينق : ناحية كبيرة وكورة واسعة من نواحي نيسابور تشتمل على ثلاثمائة

وإحدى وعشرين قرية (ياقوت) .

بايعوا سليمان بن عبد الله بن خازم ، فسار حتى قدمها ، واتخذ سُنفا ،
وسار منها إلى ترمذ ، فوجد الحارث مُحاصراً لها ، وبها سِنان الأعرابي ،
فنزل أسد دُونَ النهر ، ولم يُطق العبور إليهم ، ولا أن يُمدَّهم ،
وخرج أهل ترمذ من المدينة ، وقاتلوا الحارث قتالاً شديداً ، فاستطرد
الحارثُ لهم ، وكان قد وضع كميناً ، فلما جاوزوه خرج عليهم ،
فانهزموا .

ثم ارتحل أسدٌ إلى بلخ ، ثم خرج أهلُ ترمذ إلى الحارث ، فهزموه .
ثم سار أسد إلى سمرقند في طريق زُم^(١) ، فلما قدم زُم بعث
إلى الهيثم الشيباني وهو في حصنٍ من حصونها - وهو ن أصحابِ
الحارث - فأمنه ، ووعدته المُواساةَ والكرامةَ والأمانَ لمن معه ، وأقسم
إنه إن ردَّ ذلك ورمى بسهمٍ ألا يؤمنه^(٢) أبداً ، وإنه إن جعل له
ألف ألف أمان لا يفي له .

فخرج إليه وسار معه إلى سمرقند ، ثم ارتفع إلى ورغسر^(٣)
- وماء سمرقند منها - فسكَّر^(٤) الوادي ، وصرفه عن سمرقند .
ثم رجع إلى بلخ ، فلما استقرَّ بها سرحَ جُدَيْعاً الكرماني
إلى القلعة التي فيها ثقلُ الحارث وأصحابه ، واسمها التبووشكان من

(١) زم - بضم أوله وتشديد الميم : قيل هي بئر لبني سعد بن مالك . وقيل :
ماء لبني عجل فيما بين أداني طريق الكوفة إلى مكة والبصرة (ياقوت) .
(٢) في ك : لا يأمنه .

(٣) في ك : وردغيس . والمثبت في الكامل والطبرى . وفي ياقوت : ورغسر -
بفتح أوله وثانيه وغين ساكنه وسين مهملة مفتوحة وراء : من - قري سمرقند .

(٤) في ك : سكن . وسكر النهر : سده .

طَخَارِسْتَانَ الْعَلِيَا وَفِيهَا بَنُو بَرَزَى (١) التَّغْلِبِيُّونَ أَصْحَارَ الْحَارِثِ ، فَحَصَرَهُمُ الْكَرْمَانِيُّ حَتَّى فَتَحَهَا ، وَذَلِكَ فِي سَنَةِ [١١١٨هـ] ثَمَانِ عَشْرَةَ ، فَقَتَلَ مَقَاتِلَتَهُمْ ، وَسَبَى عَائَةَ أَهْلِهَا مِنَ الْعَرَبِ وَالْمَوَالِي وَالذَّرَارِيِّ ، وَبَاعَهُمْ فِيمَنْ يَزِيدُ فِي سَوَاقِ بَلْخِ .

قَالَ : وَنَقَمَ عَلَى الْحَارِثِ أَرْبَعِمِائَةَ وَخَمْسُونَ رَجُلًا مِنْ أَصْحَابِهِ : وَكَانَ رَئِيسَهُمْ جَرِيرُ بْنُ مَيْمُونِ الْقَاضِي ، فَقَالَ لَهُمُ الْحَارِثُ : إِنْ كُنْتُمْ لَابِدًا مُفَارِقِي فَاظْلُبُوا الْأَمَانَ ، وَأَنَا شَاهِدٌ ، فَإِنَّهُمْ يَجِيبُونَكُمْ . وَإِنْ ارْتَحَلْتُمْ قَبْلَ ذَلِكَ لَمْ يَعْطُوا الْأَمَانَ . فَقَالُوا : ارْتَحِلْ أَنْتَ عِنَّا : وَخَلْنَا .

فَأَرْسَلُوا يَطْلُبُونَ الْأَمَانَ ، فَأَخْبَرَ أَسَدٌ أَنَّ الْقَوْمَ لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ وَلَا مَاءٌ ، فَسَرَّحَ إِلَيْهِمْ أَسَدٌ جُدِيْعًا الْكَرْمَانِيَّ وَسِتَّةَ آلَافٍ ، فَحَصَرَهُمْ فِي الْقَلْعَةِ وَقَدْ عَطَشَ أَهْلُهَا ، وَجَاعُوا ، فَسَأَلُوا أَنْ يَنْزِلُوا عَلَى الْحَكْمِ ، وَيَتْرَكَ لَهُمْ نِسَاءَهُمْ وَأَوْلَادَهُمْ ، فَأَجَابَهُمْ ، فَنَزَلُوا عَلَى حُكْمِ أَسَدٍ .

فَأَرْسَلَ أَسَدٌ إِلَى الْكَرْمَانِيِّ بِأَمْرِهِ أَنْ يُحْمَلَ إِلَيْهِ خَمْسُونَ رَجُلًا مِنْ وَجُوهِهِمْ ، فِيهِمُ الْمُهَاجِرُ بْنُ مَيْمُونٍ ، فَحْمِلُوا إِلَيْهِ فَقَتَلَهُمْ ، وَكَتَبَ إِلَى الْكَرْمَانِيِّ أَنْ يَجْعَلَ الَّذِينَ بَقُوا عِنْدَهُ أَثْلًا ، فَعَثَلَتْ يَقْتُلُهُمْ ، وَثَلْثَ يَقْطَعُ أَيْدِيَهُمْ وَأَرْجُلَهُمْ ، وَثَلْثَ يَقْطَعُ أَيْدِيَهُمْ . فَفَعَلَ ذَلِكَ بِهِمْ ، وَأَخْرَجَ أَثْقَالَهُمْ فَبَاعَهَا ، وَاتَّخَذَ أَسَدٌ مَدِينَةَ بَلْخِ دَارًا ، وَنَقَلَ إِلَيْهَا اللَّدَاوِينَ ، ثُمَّ غَزَا طَخَارِسْتَانَ .

وَحِجَّ بِالنَّاسِ فِي سَنَةِ [١١١٧هـ] سَبْعَ عَشْرَةَ وَمِائَةَ خَالِدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ .

(١) الضبط في الطبرى .

سنة (١١٨ هـ) ثمان عشرة ومائة :

في هذه السنة عزل هشام خالد بن عبد الملك بن الحارث بن الحكم عن المدينة ، واستعمل عليها خالد بن محمد بن هشام بن إسماعيل ؛ وحج بالناس محمد بن هشام بن إسماعيل . وكان أمير المدينة .

سنة (١١٩ هـ) تسع عشرة ومائة :

ذكر قتل المغيرة وبيان

في هذه السنة خرج المغيرة بن سعيد وبيّان في ستّة نفر ، وكانوا يسمون الوُصفاء ، وكان المغيرة ساحراً ، وكان يقول : لو أردتُ أن أحيي عاداً وثمود وقروناً بين ذلك كثيراً لفعلتُ . وبلغ خالد بن عبد الله القسري خروجهم بظهر الكوفة ، وهو يخطب ، فقال : أطعموني ماء ، فقال يحيى بن نوفل في ذلك من أبيات (١) :

وقلتَ لِمَا أَصَابَكَ أَطْعِمُونِي شَرَابًا ثُمَّ بُلْتَ عَلَى السَّرِيرِ
لِأَعْلَاجِ ثَمَانِيَةِ وَشَيْخِ كَبِيرِ السَّنِّ لَيْسَ بِلَذِي نَصِيرِ
فَأَرْسَلَ خَالِدٌ فَأَخَذَهُمْ وَأَمَرَ بِسَرِيرِهِ فَأَخْرَجَ إِلَى الْمَسْجِدِ الْجَامِعِ ،
وَأَحْرَقَهُمْ بِالْقَصَبِ وَالذَّمْطِ .

وكان مذهب المغيرة التمجيم ؛ يقول : إن ربّه على صورة رجل على رأسه تاج ، وإن أعضاءه على عدد حُرُوفِ الهجاء ؛ تعالى الله عن ذلك .

وكان يقول : إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَمَّا أَرَادَ أَنْ يَخْلُقَ الْخَلْقَ تَكَلَّمَ بِاسْمِهِ

(١) الشعر في الطبري : ٧ - ١٢٩ ، والكامل : ٤ - ٢٣٠

الأعظم ، فطار فوق على تاجه ، ثم كتب بإضبعه على كفه أعمال
عباده من المعاصى والطاعات ، فلما رأى المعاصى ارتفض عرقاً ، فاجتمع
من عرقه بحران : أحدهما ملح مظلم ، والآخر عذب نير ، ثم اطلع
في البحر فرأى ظله فذهب ليأخذه ، فطار فأذركه فقلع عيني ذلك
الظل ومحقه ، فخلق من عينيّه الشمس وشمسا أخرى . وخلق من
البحر الملح الكفار ، وخلق من البحر العذب المؤمنين .

وكان [لعنه الله ^(١)] يقول بالهية على وتكفير أبي بكر وعمر
وسائر الصحابة رضى الله عنهم إلا من ثبت مع على رضى الله عنه .

وكان يقول : إن الأنبياء لم يختلفوا فى شيء من الشرائع .

وكان يقول بتحریم ماء الفرات وكل نهر أو عين أو بئر وقعت
فيه نجاسة .

وكان يخرج إلى المقبرة فيتكلم فيرى أمثال الجراد على القبور .

وأما مذهب بيان فإنه كان يقول بالهية على رضى الله عنه ،
وإن الحسن والحسين إلهان ، ومحمد ابن الحنفية بعدد ، ثم بعد
ابنه أبو هاشم بن محمد بنوع من التناسخ .

وكان يقول : إن الله تعالى يفتنى جميعه إلا وجهه ، ويحتج بقوله
تعالى ^(٢) : ﴿ ويبقى وجه ربك ﴾ . تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً .

وادعى النبوة ، وزعم أنه المراد بقوله عز وجل : ﴿ هذا بيان للناس ﴾ ^(٣) .

(١) ليس فى د .

(٢) سورة الرحمن ، آية ٢٧

(٣) سورة آل عمران ، آية ١٣٨

ذكر خبر الخوارج في هذه السنة

وفي هذه السنة خرج بهلول بن بشر الملقب بكثارة ، وهو من الموصل من شيبان ، وكان سبب مخرجه أنه خرج يريد الحج ، فأمر غلامه أن يبتاع له خلاً بديزهم ، فاتاه بخمر فأمره (١) برده فلم يجبه صاحبه الخمر إلى ذلك ، فجاء بهلول إلى صاحب القرية وهي من السواد ، فكلمه ، فقال العامل : الخمر خير منك ومن قومك . فمضى إلى الحج وقد عزم على الخروج ، فلقي بمكة من كان على مثل رأيه ، فاتعدوا قرية من قرى الموصل ، فاجتمعوا بها - وهم أربعون رجلاً - وأمروا عليهم بهلول ، وكتبوا أمرهم ، وجعلوا لايمرون بعامل إلا أخبروه أنهم قدموا من عند هشام على بعض الأعمال (٢) ، وأخذوا دواب البريد .

فلما أتوا إلى القرية التي ابتاع الغلام منها الخمر قال بهلول : نبدأ بهذا العامل ، فقال أصحابه : نحن نريد قتل خالد ، وإن بدأنا بهذا شهر أمرنا ، وحذرنا خالد وغيره ، فنشدناك الله أن تقتل هذا فيفتل منا خالد الذي يهدم المساجد ، ويبني البيع والكنائس ، ويولى المجوس على المسلمين ، ويضحك أهل الذمة المسلمات ، لعلنا نقتله . قال : والله لا أدع ما يلزمني لما بعده ، وأرجو أن أقتل هذا وخالداً ، فاتاه فقتله .

فعلم الناس أنهم خوارج ، وهربوا ، وخرجت البرد إلى خالد فأعلموه بهم ، فخرج خالد من واسط ، فأتى الحيرة ، وبها جند قد قدموا

(١) في ك : فأمر .

(٢) ك : العمال .

من الشام مَدَدًا لِعَامِلِ الْهِنْدِ ، فَأَمَرَهُمْ خَالِدٌ بِقَتَالِهِمْ ، وَقَالَ : مَنْ قَتَلَ مِنْهُمْ رَجُلًا أُعْطِيَتْهُ عِطَابٌ مِثْلُ سَوْىِ مَا أَخَذَ فِي الشَّامِ ، وَأَعْفِيَتْهُ مِنَ الدَّخُولِ إِلَى الْهِنْدِ .

فَسَارَعُوا إِلَى ذَلِكَ ، فَتَوَجَّهَ مَقْدَمُهُمْ ، وَهُوَ مِنْ بَنِي الْقَيْنِ ، وَمَعَهُ سِمَانَةٌ مِنْهُمْ ، وَضَمَّ إِلَيْهِ خَالِدٌ مَائَتَيْنِ مِنَ الشَّرْطِ ، فَالْتَقَوْا عَلَى الْفُرَاتِ ؛ فَقَالَ الْقَيْنِيُّ لِمَنْ مَعَهُ مِنَ الشَّرْطِ : لَا تَكُونُوا سَعْنَا (١) لِيَكُونَ الظَّفَرُ لَهُ وَالْأَصْحَابُ .

وَخَرَجَ إِلَيْهِمْ بِهَلُولٍ ، فَحَمَلَ عَلَى الْقَيْنِيِّ فَطَعَنَهُ فَأَنْفَذَهُ ، وَانْهَزَمَ أَهْلُ الشَّامِ وَالشَّرْطُ ، وَتَبِعَهُمْ بِهَلُولٍ وَأَصْحَابُهُ يَقْتُلُونَهُمْ ، حَتَّى بَلَغُوا الْكُوفَةَ ، وَوَجَدَ بِهَلُولٍ مَعَ الْقَيْنِيِّ بَدْرَةً فَأَخَذَهَا .

وَكَانَ بِالْكُوفَةِ سِتَّةَ يَرُونَ رَأَى (٢) بِهَلُولٍ ، فَخَرَجُوا فَقَتَلُوا بِصَرِيْفَيْنِ (٣) ، فَخَرَجَ بِهَلُولٍ فَقَالَ : مَنْ قَتَلَ هَؤُلَاءِ ، حَتَّى أُعْطِيَهُ هَذِهِ الْبَدْرَةَ ؟ فَجَاءَ نَفْرًا فَقَالُوا : نَحْنُ قَتَلْنَاهُمْ ، وَهُمْ يَظُنُّونَهُ مِنْ عِنْدِ خَالِدٍ ، وَصَدَّقَهُمْ أَهْلُ الْقَرْيَةِ ، فَقَتَلَهُمْ ، وَتَرَكَ أَهْلَ الْقَرْيَةِ .

وَبَلَغَ خَالِدًا الْخَبِيرَ ، فَوَجَّهَ إِلَيْهِ قَائِدًا مِنْ شَيْبَانَ أَحَدِ بَنِي حَوْشِبِ ابْنِ يَزِيدِ بْنِ رُوَيْمٍ ، فَلَقِيَهُ فِيمَا بَيْنَ الْمَوْصِلِ وَالْكُوفَةِ ، فَانْهَزَمَ أَهْلُ الْكُوفَةِ ، فَأَتَوْا خَالِدًا ، وَارْتَحَلَ بِهَلُولٍ مِنْ يَوْمِهِ يُرِيدُ الْمَوْصِلَ ، فَكَتَبَ عَامِلُ الْمَوْصِلِ

(١) عبارة الطبرى أوضح ، وهى : فعبا القينى أصحابه وعزل الشرط ، فقال : لا تكونوا معنا ، وإنما يريد فى نفسه أن يخلو هو وأصحابه بالقوم ، فىكون الظفر لهم دون غيرهم لما وعدهم خالد .

(٢) فى د . برأى .

(٣) صريفون - بفتح أوله وكسر ثانيه وبعد الياء فاء مضمومة ثم واو ، وآخره : نون

فى مواد العراق (المراصد) .

إلى هشام يُخبرُهُ بهم ، ويسأله جُنْدًا ، فكتب إليه هشام : وجه إليهم
كثارة بن بشر .

فكتب إليه : إن الخارج هو كثارة .

ثم قال بُهلول لأصحابه : إنا والله ما نصنعُ بابنِ النصرانيةِ شيئًا -
يعنى خالدًا - فلم لا نطلبُ الرأسَ الذى سلطَ خالدًا .

فسار يريد هشاما بالشام ، فخاف عمالُ هشام من هشام إن ترَكوه
يجوزُ إلى بلادهم ، فسيرَّ خالدُ جُنْدًا من العراق ، وسيرَّ عاملُ الجزيرة
جُنْدًا من الجزيرة ، ووجهَ هشامُ جُنْدًا من الشام ، فاجتمعوا بدير
بين الجزيرة والموصل ، وأقبل بُهلول إليهم .

وقيل : التقوا بكحيل^(١) دون الموصل ، ونزل بُهلول على بابِ
الدير ، وهو فى سبعين ، فحمل عليهم فقتل منهم نَفْرًا مئة ، وقتلهم
عامَّةً نهاره ، وكانوا عشرين ألفًا ، فأكثرَ فيهم القتلُ والجراح .

ثم إن بُهلولًا وأصحابه عقرُوا دوابَّهم وترجلوا ، فقاتلوا قتالا
شديدًا ، فقتل كثير من أصحاب بُهلول وطعن فصرع ، فقال أصحابه :
ولَّ أمرنا ، فقال : إن هلكتُ فأمير المؤمنين دِعامَةَ الشيبانى ، فإن هلك
فعمرو اليشكرى ، ومات بُهلول من ليلته ، فلما أصبحوا هرب دِعامَةُ
وتركهم ، وخرج عمرو اليشكرى فلم يلبث أن قتل .

وخرج العنزى صاحب الأشهب^(٢) على خالد فى ستين فوجه
إليه خالد السَّمْط بن مُسلم البجلي فى أربعة آلاف ، فالتقوا بناحية

(١) كحيل : موضع بالجزيرة . قال السرخسى : الكحيل : مدينة عظيمة على دجلة
بين الزابين فوق تكريت من الجانب الغربى . والكحيل : فى بلاد هذيل (ياقوت) .

(٢) فى الطبرى : وهذا كان يعرف .

الْفَرَات ، فانهزم الخوارجُ ، فتلقَّاهم عبيدُ أهلِ الكوفة وسفلتْهم فرمَوْهم بالحجارةِ حتى قتلُوهم .

ثم خرج وزير السَّخْتِيَانِي على خالد بالحيرة في نَفَرٍ ، فجعل لا يمرُّ بقريَّةٍ إلا أحرَقها ، ولا يلقى أحداً إلا قتلَه ، وغلب على ما هنالك وعلى بيتِ المال ؛ فوجه إليه خالدُ جنُداً ، فقتلوا عامَّةَ أصحابه ، وأُخِذَ بالجراحِ وأُتِيَ به خالد ، فأقبل على خالد فوعظَه ، فأعجب خالدٌ ما سمِع منه ، فلم يقتله وحبسه عنده . وكان يُؤتَى به في الليل فيجاءه ، فسعى بخالد إلى هشام .

وقيل : أخذَ حرورياً قد قتلَ وحرَقَ وأباح الأموال فجعله سبيراً ، فغضب هشام ، وكتب إليه يأمرُه بقتلِه ، فأخر قتلَه ، فكتب إليه ثانياً يذمُه ويأمرُه بقتلِه وإحراقه ، فقتله وأحرقه ونفراً معه ، ولم يزل يتلو القرآنَ حتى مات وهو يقرأ^(١) : « قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ » .

وخرج الصُّحَارِيُّ بن^(٢) شبيب بن يزيد بناحية جَبَل^(٣) ، وكان قد أتى خالدًا يسأله^(٤) الفريضة ، فقال له : وما يصنعُ ابنُ شبيب بالفريضة ؟ فمضى وتديم خالد ، وخاف أن يفتق عليه فتقاً ، فطلبه فلم يرجع إليه ، وسار حتى أتى جَبَل ، وبها نفرٌ من بني تميم اللات ابن ثعلبة ، فأخبرهم خبره ، فقالوا : وما كنتَ ترجو من ابنِ النصرانية ؟ كنتَ أولى أن تسير إليه بالسيف فتضربه به . فقال : والله ما أردتُ

(١) سورة التوبة ، آية ٨١ . (٢) الضبط في د .

(٣) جبل - بفتح الجيم وتشديد الباء وضمها ولا م : بليدة بين النعمانية وواسط

في الجانب الشرقي (ياقوت) .

(٤) في ك : فسأله .

الفريضة ، وما أردتُ إلا التوصلُ إليه لئلا يُنكرني ، ثم أقتله بفلان -
يعني رجلا من الصُفريّة ، كان خالد قَتَلَهُ صَبْرًا .

ثم دعاهم إلى الخروج معه فتبعه منهم ثلاثون رجلاً ، فخرج بهم ،
فبلغ خبْرَهُ خالدًا ، فقال : قد كنتُ خِفْتُها منه ، ثم وجّه إليه جُنْدًا
فلقوه بناحية المَناذر ^(١) ، فقاتلهم قتالا شديداً ، فقتلوه وجميع
أصحابه .

وحجَّ بالناس في هذه السنة أبو شاكِرٍ مسلمة بن هشام .

سنة (١٢٠ هـ) عشرين ومائة :

في هذه السنة توفي أسد بن عبد الله القسري أمير خراسان في شهر
ربيع الأول بمدينة بلخ ، واستخلف جعفر بن حنظلة البهراني فعمل
أربعة أشهر ، ثم جاء عهد نضر بن سيار في شهر رجب من السنة .

ذكر عزل خالد بن عبد الله القسري

وولاية يوسف بن عمر الثقفي

وفي هذه السنة عزل هشام بن عبد الملك خالدًا عن جميع أعماله .
وقد اختُلف في سبب ذلك ، فقيل : إن أبا المنثي فروخ كان على ضياع
هشام بنهر الرمان ^(٢) بالعراق فثقل على خالد أمره ، فقال خالد
لحسن النبطي : اخرج إلى هشام وزد على فروخ . ففعل حسن
ذلك وتولّاها ، فصار حسن أثقل على خالد من فروخ ، فجعل يؤذيه ،
فيقول له حسن : لا تُفسدني ، وأنا صنيعتك ، فأبى إلا أذاه ، فلما قدم

(١) مناذر - بالفتح والذال معجمة مكسورة : وهما بلدتان بنواحي خوزستان :

مناذر الصغرى ، ومناذر الكبرى . (ياقوت) .

(٢) في الطبري : بموضع يقال له رستاق الرمان ، أو نهر الرمان .

عليه بثق البثوق على الضياع ، ثم خرج حسان إلى هشام ، فقال له :
 إِنَّ خالدا بثق البثوق على ضياعك ، فوجه هشام من ينظر إليها . وقال
 حسان^(١) لخدام من خدم هشام : إن تكلمت بكلمة أقولها لك حيث
 يسمع هشام فلك عندى ألف دينار . قال : فعجلها فأعطاه ، وقال له :
 تُبكي صبيا من صبيان هشام ، فإذا بكى فقل له : اسكت ، فكأنك
 ابن خالد الذى غلته عشرة آلاف^(٢) ألف .

ف فعل الخادم ، فسمعها هشام ، فسأل حسان^(١) عن غلته خالد
 فقال : ثلاثة عشر ألف ألف ، فوقرت في نفس هشام .

وقيل : بل كانت غلته عشرين ألف ألف ، وإنه حفر بالعراق
 الأنهار ، ومنها نهر^(٣) خالد وناجوى^(٤) وبارمانا ، والمبارك^(٥)
 والجامع ، وكورة سابور ، والصلح ، وكان كثيراً ما يقول : إني مظلوم
 مانحت قدمى شيء إلا وهولى - يعنى أن عمر جعل لبجيلة ربع [خمس]^(٦)
 السواد ، وأشار عليه العريان بن الهيثم وبلال بن أبى بريدة بعرض
 أملاكه على هشام ليأخذ منها ما أراد ، ويضمنان له الرضا ، فإنهما
 بلغهما تغير هشام عليه ، فلم يفعل ولم يجبهما إلى شيء .

وقيل لهشام : إن خالدا قال لولده : ما أنت بدون مسلمة بن هشام ،
 وقد كان يذكر هشاما ، فيقول : ابن الحمقاء .

(١) فى الكامل : حيان .

(٢) فى الطبرى والكامل : ثلاثة عشر ألف ألف .

(٣) نهر لآل خالد بن أسيد وآل أبى بكرة بالبصرة (فتوح البلدان) .

(٤) فى د : باجوى . والمثبت فى ك أيضاً .

(٥) المبارك : نهر حفره خالد بن عبد الله القسرى (فتوح البلدان) .

(٦) ايس فى الكامل .

وكان خالد يخطب فيقول : زعمتم أني أغلي أسعاركم فعلى من
يُغليها لعنة الله .

وكان هشام كتب إليه لا تبيعن من الغلات شيئاً حتى تُباع غلات
أمير المؤمنين .

وكان يقول لابنيه : كيف أنت إذا احتاج إليك ابن أمير المؤمنين ؟
فبلغ ذلك كله هشاماً ، فتنكر له ، وبلغه أنه يستقل ولاية العراق ،
فكتب إليه هشام : يا ابن أم خالد ، بلغني أنك تقول : ما ولاية
العراق لي بشرف . يا ابن اللخناء ، كيف لا تكون ولاية العراق
لك شرفاً ، وأنت من بجيلة القليلة الذليلة ! أما والله إنى لأظن أن
أول من يأتيك صغير^(٢) من قريش يشد يديك إلى عنقك .

ولم يزل يبلغه عنه ما يكره ، فعزم على عزله وكم ذلك ، وكتب
إلى يوسف بن عمر - وهوباليمن يأمره أن يقدم في ثلاثين من أصحابه
إلى العراق ، فقد ولأه ذلك .

فسار يوسف إلى الكوفة فعرس^(٣) قريباً منها ، وقد ختن طارق
خليفة خالد بالكوفة ولده ، فأهدى إليه ألف ووصيف ووصيفة سوى
الأموال والثياب ، فمر بيوسف بغض أهل العراق فسألوه ما أنتم ؟
وأين تريدون ؟ قالوا : بغض المواضع ؛ فأتوا طارقاً فأخبروه خبرهم ،
وأمره بقتلهم ، وقالوا : إنهم خوارج .

وسار يوسف إلى دور ثقيف . فقبل لهم : ما أنتم ؟ فكتنموا

(١) في الطبري : في ابن اللخناء .

(٢) في د : صقر : والمثبت في الطبري والكامل .

(٣) عرس : أقام .

حالهم . وأمر يوسف فجميع إليه من هناك من مُضر ، فلما اجتمعوا دخل المسجد مع الفجر ، وأمر المؤذن فأقام الصلاة . فصلّى ، وأرسل إلى خالد وطارق فأخذهما وإن القُدور لتغلي .

وقيل : لما أراد هشام أن يُوتى يوسف العراق كتم ذلك ، فقدم جُنْدَب مولى يوسف بكتاب يوسف إلى هشام ، فقرأه ثم قال لسالم مولى عَنبَسَة - وهو على الديوان : أجنه عن لسانك ، وأتني بالكتاب .

وكتب هشام بخطه كتابا صغيرا إلى يوسف يأمره بالمسير إلى العراق .

فكتب سالم الكتاب وأتاه^(١) به ، فجعل كتابه في وسطه وختمه ، ثم دعا رسولَ يوسف فأمر به فضرب ومزقت ثيابه ، ودفع إليه الكتاب ، فسار وارتاب بشير بن أبي ثَلَجَة^(٢) وكان خليفة سالم ، وقال : هذه حيلةٌ ، وقد ولي يوسف العراق . فكتب إلى عِياض - وهو نائب سالم بالعراق : إنَّ أهلك قد بعثوا إليك بالثوب اليابس : فإذا أتاك فآلبسْه ، واحمد الله تعالى . وأعلم ذلك طارقا . فأعلم عِياض طارقَ بنَ أبي زياد بالكتاب ، ثم ندم بشير على كتابه ، فكتب إلى عِياض : إنَّ أهلك قد بدا لهم في إمساك الثوب .

فاتى عِياض بالكتاب الثانى إلى طارق ، فقال طارق : الخبر فى الكتاب الأول ، ولكن بشيرا ندم وخاف أن يظهر الخبر .

وركب طارق من الكوفة إلى خالد وهو بواسط ، فرآه داود ،

(١) فى الكامل : وأتى به هشاما . (٢) فى الكامل : طلحة . والمثبت فى د ، ك .

وكان على حجابة خالد وديوانه ، فأعلم خالدًا فأذن له ، فلما رآه قال : ما أقدمك بغير إذن ؟ قال : أمرٌ كنتُ أخطأت فيه ، كنتُ قد كتبتُ إلى الأميرِ أعزِّيهِ بأخيه أسد ، وإنما كان يجب أن آتية ماشيًا ، فرق خالد ودمعت عيناه ، فقال : ارجع إلى عملك . فأخبره الخبر لما غاب داود^(١) ، قال : فما الرأي ؟ قال : تركبُ إلى أمير المؤمنين فتعتذرُ إليه مما بلغه عنك . قال : لا أفعلُ ذلك بغير إذن . قال : فترسلني إليه حتى آتيك بإذنيه . قال : ولا هذا . قال : فاضمن لأمير المؤمنين جَمْع ما انكسر في هذه السنين وآتيك بعهدِهِ . قال : وكم مبلغُهُ ؟ قال : مائة ألف ألف . قال : ومن أين أجدها ؟ والله ما أجِدُ عشرة آلاف ألف درهم . قال : أتحمّل أنا وفلان وفلان . قال : إني إذا للشم ، أن كنتُ أعطيتكم شيئًا وأعودُ فيه . قال طارق : إنما نَقِيك ونَقِي أنفسنا بأموالنا ، ونستأنف الدنيا وتَبَقَى النعمة عليك وعلينا خيرٌ من أن يجيء من يطلُبُنَا بالأموال . وهى عند أهل الكوفة فيتربصون فنقتل ويأكلون تلك الأموال . فآبى خالد ، فودَّعه طارق وبكى ، وقال : هذا آخرُ ما نلتقى في الدنيا ، ومضى إلى الكوفة ، وخرج خالد إلى الحَمَّة^(٢) ، وقدم رسول يوسف عليه اليمن ، فقال : أميرُ المؤمنين : ساخط عليك ، وقد ضربني ، ولم يكتب جواب كتابك ، وهذا كتاب سالم صاحب الديوان ، فقرأه ، فلما انتهى إلى آخره قرأ كتاب هشام بخطه بولاية العراق ، ويأمره أن يأخذ ابنَ النصرانية-

(١) في الطبرى : قال : أردت أن أذكر للأمير أمرًا أسره . قال : مادون داود

سر . قال : أمر من أمرى . فغضب داود وخرج . والمثبت في الكامل .

(٢) في بلاد العرب حمات كثيرة (باقوت) .

يعنى خالدا وعماله - فيعذبهم ، فأخذه ليلا ، وسار من يومه ، واستخلف على اليمن ابنه الصلت ، فقدم الكوفة فى جمادى الآخرة سنة [٥١٢٠هـ] عشرين ومائة ، فنزل النجف ، وأرسل مولاة كيسان ، وقال : انطلقى فأتى بطارق ، فإن قبل فأخذه على إكاف (١) ، وإن لم يقبل فأت به سحبا ، فأتى كيسان الحيرة فأخذ معه عبد المسيح سيد أهلها إلى طارق ، فقال له : إن يوسف قد قدم على العراق وهو يستدعيك . فقال له طارق : إن أراد الأمير المال أعطيته ما شاء .

وأقبلوا به إلى يوسف بالحيرة ، فضربه ضربا مبرحا يقال خمسمائة سوط . ودخل الكوفة ، وأرسل إلى خالد بالحنة . فأخذه وحبسه وصالحه عنه أبان بن الوليد على سبعة آلاف ألف ، فقيل ليوسف : لو لم تفعل لأخذت منه مائة ألف ألف ، فندم ، وقال : قد رهننت لسانى معه ، ولا أرجع .

وأخبر أصحاب خالد خالدا ، فقال : قد أخطأتم ولا آمن أن يأخذها ثم يعود . ارجعوا ، فرجعوا ، فأخبروه أن خالدا لم يرخص . فقال : قد رجعتهم ؟ قالوا : نعم . قال : والله لا أرضى بمثلها ولا مثليها ، فأخذ أكثر من ذلك .

وقيل : أخذ مائة ألف ألف ، وحبس خالد بن عبد الله بالحيرة ثمانية عشر شهرا مع أخيه إسماعيل وابنه يزيد بن خالد وابن أخيه المنذر بن أسد .

(١) إكاف الحمار - ككتاب وغراب ، ووكافه : برذعته (القاموس) .

وكتب يوسف إلى هشام يستأذنه في تعذيبه ، فأذن له مرة واحدة ، فعذبه ثم رده إلى حبسه .

وقيل : بل عذبه عذاباً كثيراً ، وأمر هشام بإطلاقه في شوال سنة [١٢١ هـ] إحدى وعشرين ومائة ، فأطلقه فأتى القرية التي بإزاء الرصافة ، فأقام بها إلى صفر سنة اثنتين وعشرين .
وخرج زيد بن علي بن الحسين [رضی الله عنهم] ^(١) على ما ذكره إن شاء الله .

فكتب يوسف إلى هشام : إن بني هاشم كانوا قد هلكوا جوعاً ، فكانت همة أحدهم قوت عياله ، فلما ولي خالد العراق أعظام الأموال ، فطمحت أنفسهم إلى الخلافة ، وما خرج زيد إلا عن رأي خالد .

فقال هشام : كذب يوسف ، وضرب رسوله ، وقال : لسنأنتهم خالداً في طاعة . وسمع خالد ، فسار حتى نزل دمشق ، ثم كان من أمره ومقتله ما ذكره إن شاء الله في سنة [١٢٦ هـ] ست وعشرين ومائة في أيام الوليد ، وكانت ولاية خالد العراق في شوال سنة [١٠٥ هـ] خمس ومائة ، وعزل في جمادى الآخرة سنة عشرين .

قال : ولما ولي يوسف العراق كان الإسلام ذليلاً والحكم إلى أهل الذمة ، فقال يحيى بن نوفل فيه ^(٢) :

أتانا وأهل الشرك أهل زكاتنا وحكامنا فيما نيسر ونجهر
فلما أتانا يوسف الخير أشرفت له الأرض حتى كل وادٍ منور
وحتى رأينا العدل في الناس ظاهراً وما كان من قبل العقيلي يظهر

وحجَّ بالناس في هذه السنة محمد بن هشام بن إسماعيل المخزومي .
وقيل : حج بهم مُسَلِّمان بن هشام بن عبد الملك ، وقيل : أخوه
يزيد بن هشام ، والله أعلم .

سنة (١٢١ هـ) إحدى وعشرين ومائة :

في هذه السنة كان ظهور زَيْد بن علي بن الحسين بن علي [رضى الله
عنهم ^(١)] على ما نذكر ذلك إن شاء الله في أخبار مَنْ نهض في طلبِ
الخلافة من آل أبي طالب ، فقتل دُونَهَا وهو في السَّفَر الثالث والعشرين
من كتابنا هذا .

وفيها فرغ الوليد بن بكير عامل الموصل من حفر النهرِ
الذى أدخله البلد ، وكان مبلغ النفقة عليه ثمانية آلاف ألف درهم ،
وجعل عليه ثمانين حجراً تطحن . ووقف هشام هذه الأرحاء على عملِ
النهر .

وحجَّ بالناس في هذه السنة محمد بن هشام بن إسماعيل المخزومي
سنة (١٢٢ هـ) اثنتين وعشرين ومائة :

في هذه السنة كان مقتل زَيْد بن علي [رضى الله عنه ^(١)] على
ما نذكره إن شاء الله تعالى .

ذكر قتل البطل

في هذه السنة قُتِلَ البَطَّال ، وهو أبو الحسين عبد الله الأنطاكي ،
في جماعة من المسلمين . وقيل : كان مقتله في سنة [١٢٣ هـ] ثلاث

(١) ساقط في د .

وعشرين ومائة ، وكان كثير الغزاة إلى الروم والإغارة على بلادهم ، وله عندهم ذِكْرٌ عظيم ، وله حكايات في غزواته يطول الشرح بسردها .
حكى أنه دخل بلاد الروم في بعض غاراته هو وأصحابه ، فدخل قرية لهم ليلا وامرأة تقول لصغير يبكي : تَسْكُتُ وَإِلَّا سَلَمْتِكَ للبطال ، ثم رفعته بيدها ، وقالت : يا بطالُ خُذْهُ ، فتناوله من يديها .
وقد وضع الناس له سيرة .

وحج بالناس محمد بن هشام المخزومي .

سنة (١٢٣ هـ) ثلاث وعشرين ومائة :

ذكر صلح نصر بن سيار مع الصغد

في هذه السنة صالح نصر بن سيار الصغد ، وكان خاقان لما قُتِل تفرقت التُّرك في غارةٍ بغضها على بعض ، فطمع أهل الصغد في الرجعة إليها ، وانحاز قومٌ منهم إلى الشاش ، فراسلهم نصر بن سيار ، ودعاهم إلى الرجوع إلى بلادهم ، وأعطاهم ما أرادوا ، فاشترطوا شروطا منها ألا يعاقب من كان مسلما وارتد عن الإسلام ، ولا يعدى عليهم في دين لأحد من الناس ، ولا يؤخذ أسرى المسلمين من أيديهم إلا بقضية قاض وشهادة عدول .

فغاب الناس ذلك على نصر ، فقال : لو عاينتم شؤكتم في المسلمين مثل ما عاينت ما أنكرتم ذلك .

وأرسل رسولا إلى هشام في ذلك ، فأجابه إليه .

وحج بالناس في هذه السنة يزيد بن هشام بن عبد الملك .

سنة (١٢٤ هـ) اربع وعشرين ومائة :

فى هذه السنة وما قبلها كان من خَبَرِ شَيْعَةِ بنى العباس ما نذكرُه
إن شاء الله فى أخبارهم .

وحجَّ بالناس فى هذه السنة محمد بن هشام بن إسماعيل .

سنة (١٢٥ هـ) خمس وعشرين ومائة :

ذكر وفاة هشام بن عبد الملك

ونبذة من أخباره

كانت وفاته بالرُّصافة لستُ خَلَوْنَ مِنْ شهر ربيع الآخر منها ،
وصلَّى عليه ابنُه مسلم وكان عُمرُه ستا وخمسين سنة . وقيل أقلَّ من
ذلك إلى اثنتين وخمسين . ومدَّةُ خلافتِه تسع عشرة سنة وسبعة أشهر
وأحد عشر يوما ، وكان أحول أبيض سمِينًا مُنْقَلِبَ العينين ربعة
يخضب بالسُّواد ، وكان حسنَ السياسة يَقْظًا يَبْأِشِرُ الأمور بنفسه ،
وكان له من الستور والكُسوة ما لم يكن لمن قبله .

وذكر صاحب العقد (١) : أنه لما حجَّ حُمِلت ثياب لباسه (٢)

على ستمائة جمل ، وكان جماعًا للأموال شديد البخل كأبيه .

قال عَقَّال بن شَبَّبة (٣) : دخلتُ على هشام وعليه قَبَاءُ أخضر ،

فجعلتُ أنظرُ إليه ، فقال : مالك ؟ فقلت : رأيتُ عليك قبل أنْ

تلى الخلافة قَبَاءَ مثل هذا . فتأمَلْتُهُ هل هو أم غيره ؟

فقال : هو والله هو . وأما ما ترون من جمع المال فهو لكم .

(١) صفحة ٤٤٦ جزء رابع . (٢) فى العقد : خرج فجدل ثياب طهره .

(٣) والطبرى . وفى ك : عفان بن شيبه . ونراه تحريفًا .

قيل : وكتب له بعضُ عماله : قد بعثتُ إلى أمير المؤمنين بسلة
دُرّاقين^(١) . فكتب إليه : قد وصل وأعجب أمير المؤمنين فزُدْ منه
واستوثق من الوعاء .

وكتب إليه عامل : قد بعثت بكَمّاءة. فأجابه : قد وصلت الكَمّاءة
وهي أربعون ، وقد تغيّر بعضها من حشوها ، فإذا بعثت شيئاً
فأجد الحشو في الظرف [التي جعلها فيه]^(٢) بالرمل حتى لا يضطرب
ولا يصيب بعضه بعضاً .

وقيل [له]^(٢) : أنتمُع في الخِلافة وأنتَ بِخَيْلِ جَبان ؟ قال :
ولم لا أطمعُ ، وأنا عفيفٌ حلِيمٌ ؟

قالوا : وخلف من العَيْن أربعةً وأربعين ألفَ دينار ، وما
لَا يُحصى من الورق .

ولما مات طلبوا له قُمْمًا من بعض الخزان يسخُنُ له الماء فيه ، فمنعه
عياض كاتب الوليد ، فاستعاروا له قُمْمًا من بعض الخزان يسخُنُ له
فيه .

وفي أيامه بنى سعيدُ أخوه قُبَّةَ بيت المقدس .

أولاده : كان له عشرة أولاد من الذكور والإناث ، منهم : معاوية ،
وسليمان .

نقش نخاتمه : الحكم للحكم الحكيم .

(١) الدراقن - وقد تشدد الراء : المشمش والخوخ (القاموس) .

(٢) من الطبرى .

كُتَّابه : سعيد بن الوليد ، والأبرش الكلبي ، ومحمد بن عبد الله
ابن حارثة .

قاضيته : محمد بن صفوان الجمحي .

حاجبه : غالب مولاة

الأمراء بمصر : محمد بن عبد الملك أخوه ، ثم استغفاه فولأها
[بعده أنس بن يوسف بن يحيى بن الحكم بن العاص ، ثم استغفى
فولأها] ^(١) حفص بن الوليد الحضرمي ، ثم صرفه وولأها عبد الملك
ابن رفاعه ، ثم مات فولأها أخاه الوليد بن رفاعه ، ثم مات فولأها
عبد الرحمن بن خالد التميمي ^(٢) ، ثم صرفه وولأها حنظلة بن صفوان ،
ثم سيره إلى إفريقية ، وولى حفصا .

وكان على قضائها من قبل هشام يحيى بن ميمون الحضرمي
إلى أن وليها الوليد بن رفاعه فصرفه ، وولأها أبا نضلة الخيار
ابن خالد ، ثم مات فولأ سعيد بن ربيعة الصديقي ، واستغفى ، فولأ
توبة بن يعين ^(٣) الحضرمي ، ثم مات فولأها جبر ^(٤) بن نعيم الحضرمي .

ذكر بيعة الوليد بن يزيد

هو أبو العباس الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان ، وأمّه
أمّ الحجاج بنت محمد بن يوسف [أخي الحجاج بن يوسف] ^(١)
الثقفى ، وهو الحادى عشر من ملوك بني أمية .

(١) ساقط في ك . (٢) في د : الفهمي .

(٣) في حسن المحاضرة (١-٢٩٧) : بن نمر .

(٤) في حسن المحاضرة : خير .

بويح له لست مضمين من شهر ربيع الآخر سنة [٥١٢٥هـ] خمس وعشرين ومائة .

قال : وكان يزيد قد جعل ولاية العهد لأخيه هشام من بعده ، ثم من بعده للوليد ، وكان عمر الوليد إحدى عشرة سنة ، ثم عاش يزيد حتى بلغ الوليد خمس عشرة سنة ، فكان [يزيد] ^(١) يقول :
الله بيني وبين من جعل هشاماً بيني وبينك ^(٢) .

فلما ولي هشام أكرم الوليد بن يزيد حتى ظهر من الوليد مجون واشتهر بشرب الشراب ، وكان يؤذبه عبد الصمد بن عبد الأعلى يحمله على ذلك ، واتخذ له ندماء ، فأراد هشام أن يقطعهم عنه ، فولاه الحج سنة [٥١١٦هـ] ست عشرة ومائة ، فحمل معه كلاباً في صناديق ، وعمل قبة على قدر الكعبة ليضعها على الكعبة ، وحمل معه الخمر ، وأراد أن ينصب القبة على الكعبة ويشرب فيها الخمر ، فخوفه أصحابه ، وقالوا : لانأمن الناس عليك وعلينا معك ، فلم يفعل . وظهر للناس منه تهاون بالدين واستخفاف ، فطمع هشام في البيعة لابنه مسلمة ^(٣) ، وخلع الوليد ، وأراد الوليد على ذلك فأبى ، فقال له : اجعله بعدك ، فأبى ؛ فتنكر له هشام ، وعمل سراً في البيعة لابن مسلمة ، فأجابه قوم ، فكان ممن أجابه خاله : محمد ، وإبراهيم ابنا هشام ابن إسماعيل ، وبنو القعقاع بن خليل العنسي وغيرهم من خاصته . وأفرط الوليد في الشراب ، وطلب اللذات ؛ فقال له هشام : يا وليد ،

(١) ساقط في ك .

(٢) في هامش ك : يعنى به الدعاء على أخيه مسلمة بن عبد الملك .

(٣) في ك : مسلم . والمثبت في الطبرى والكامل أيضاً .

والله ما أذرى أعلى الإسلام أنتَ أم لا ؟ ما تدع شيئاً من المنكر إلا أتيتَه غير متحاشٍ ؛ فكتب إليه الوليد (١) :

يأيُّها السائلُ عن ديننا نحن على دين أبي شاعر
نشرِبها صِرْفاً وممزوجةً بالسُّخْنِ أحياناً وبالفاتِرِ

فغضب هشامٌ على ابنه مسلمة ، وكان يُكنى أبا شاعر ، وقال له :
يُعيرُنى الوليد بك ، وأنا أرشحك للخلافة . فالزَّمه الأدب ، وأحضره
الجماعة ، وولاه الموسم سنة تسع عشرة ومائة ، فأظهر النُسك واللين ،
وقسم بمكة والمدينة أموالاً ، فقال مولى لأهل المدينة :

يأيُّها السائلُ عن ديننا نحن على دين أبي شاعرِ
الواهب الجُرد (٢) بأزسانِها ليس يزنيديقٍ ولا كافرِ

يُعرض بالوليد .

وكان هشام ينتقص الوليد ويغيبه ، فخرج الوليد ومعه
ناسٌ من خاصَّته ومواليه ، فنزل بالأزرق على ماء يقال له الأغدف ،
وخلف كاتبه عياض بن مسلم عند هشام ليُكاتِبَه بما عندهم .

وقطع هشام عن الوليد ما كان يجرى عليه ، وكاتبه فيه الوليدُ
فلم يُجِبْه إلى ردِّه ، وأمره بإخراج عبد الصمد من عنده ، فأخرجه
وسأله أن يأذن لابن سهيل في الخروج إليه ، فضرب هشام ابن سهيل
وسيره إليه ، وأخذ عياض بن مسلم كاتب الوليد فضربه وحبسه .
فقال الوليد : من يثقُ بالناس ، ومن يصنع المعروف ؟ هذا الأحوال

(١) والطبرى : ٧ - ٢١٠ ، والكامل : ٤ : ٢٥٧

(٢) في الأغاني (٧ - ٣) : الواهب البزل .

المشثوم أبى ، قدمه على أهل بيته فصيره وليّ عهده ، ثم يصنع [بى] (١)
ما ترون ، لا يعلمُ أنّ لى فى أحدٍ هوى إلا عبث به .

وكتب إلى هشام فى ذلك يُعاتبه ، ويسأله أن يردّ عليه كتابه . فلم
يرده ، فكتب إليه الوليد (٢) :

رَأَيْتَكَ تَبْنِي دَائِمًا (٣) فى قَطِيعَتِي ولو كُنْتَ ذَا حِزْمٍ (٤) لَهَدَمْتُ مَا تَبْنِي
تُشِيرُ عَلَى الْبَاقِينَ مَجْنَى ضَمِينَةٍ فَوَيْلٌ لَهُمْ إِنْ مَتَّ مِنْ شَرِّ مَا تَجْنِي
كَأَنِّي بِهِمُ وَاللَّيْتُ أَفْضَلُ قَوْلِهِمْ أَلَا لَيْتَنَا وَاللَّيْتُ إِذْ ذَاكَ لَا يُغْنِي
كَفَرْتُ يَدًا مِنْ مُنْعَمٍ لَوْ شَكَرْتَهَا جِزَاكَ بِهَا الرَّحْمَنُ ذُو الْفَضْلِ وَالْمَنِّ

قال ، ولم يزل الوليدُ مُقْبياً بتلك البرية حتى مات هشام ، فلما كان
صبيحة اليوم الذى جاءته فيه الخلافةُ قال لأبى الزبير المنذر بن أبى عمرو :
ما أتت على ليلة منذ عقلت عقلى أطول من هذه الليلة ، عرضت لى أمورٌ ،
وحدثت نفسى فيها بأمرٍ من أمرِ هذا الرجل - يعنى هشاماً - قد (٥) أوقع
بى ، فاركب بنا نتنفس ، فركبا فسارا ميّلين ، ووقف على كئيب ،
فنظر إلى رهج (٦) ، فقال : هؤلاء رُسل هشام ، نسأل الله من
خيرهم ؛ إذ بدا رجُلان على البريد : أحدهما مولى لأبى محمد السفينانى ،
فلما قربا نزلًا يعُدُّوان حتى دنوا منه ، فسلمّا عليه بالخلافة ،

(١) ساقط فى ك .

(٢) الشعر فى الطبرى : ٧ - ٢١٥ : والكامل : ٤ - ٢٥٧

(٣) فى الطبرى : جاهدا .

(٤) فى الطبرى : ذا إرب .

(٥) فى الطبرى : الذى قد أوقع بى .

(٦) الرهج - ويحرك : الغبار .

فوجم ، ثم قال : أمات هشام ؟ قالوا : نعم والكتاب معنا من سالم ابن عبد الرحمن صاحب ديوان الرسائل . فقرأه ؛ وسأل مولى أبى محمد السفينانى عن كاتبه عياض ، فقال (١) : لم يزل محبوبا حتى نزل بهشام الموت ، فأرسل إلى الخزان فقال : احتفظوا بما فى أيديكم ، فأفاق هشام فطلب شيئا فمنعوه ، فقال : إنا لله ، كنا خزاناً للوليد ، ومات من ساعته .

وخرج عياض من السجن ، ففتح أبواب الخزانين ، وأنزل هشاماً عن قُرْشِهِ وما وجدوا له قُمْقُمًا يسخنُ فيه الماء حتى استعاروه ، ولا وجدوا له كَفَنًا من الخزانين ، فكفنه غالب موله ، فقال الوليد (٢) :

هَلِكِ الْأَخْوَالُ الْمَشُورِ م فَقَدْ أَرْسَلَ الْمَطْرَ

وَمَلِكُنَا مِنْ بَعْدِ ذَا ك ، فَقَدْ أَوْرَقَ الشَّجَرِ

فَأَشْكُرُ اللَّهَ إِنَّهُ زَائِدٌ كُلُّ مَنْ شَكَرَ

وقيل : إنَّ هذا الشعر لغير الوليد .

قال : ولما سمع الوليد بموتِهِ كتب إلى العباس بن عبد الملك ابن مروان أن يأتى الرُّصافة فيُخصى ما فيها من أموال هشام وولده وعماله وحشمه إلا مسلمة بن هشام فإنه كان يكلم أباه فى الرقى بالوليد ، فقدم العباس الرُّصافة ففعل ذلك وكتب به إلى الوليد، فقال الوليد (٣) :

لَيْتَ هِشَامًا كَانَ حَيًّا يَرَى مِخْلَبَهُ الْأَوْفَرَ قَدْ أَنْرَعَا

(١) فى ك : قال . (٢) الشعر فى الكامل : ٤ - ٢٥٨ .

(٣) والطبرى : ٧ - ٢١٦ ، والكامل : ٤ - ٢٥٨ ، والأغانى : ٧ - ١٨ .

لَيْتَ (١) هِشَامًا عَاشَ حَتَّى يَرَى مِكْيَالَهَ الْأَوْفَرَ قَدْ طُبِعَا (٢)
 كَلْنَاهُ بِالصَّاعِ الَّذِي كَالَهُ (٣) وَمَا ظَلَمْنَاهُ بِهِ إِضْبَعَا (٤)
 وَمَا أَتَيْنَا ذَاكَ عَنْ بِدْعَةٍ أَحْلَاهُ الْفُرْقَانُ لِي أَجْمَعَا
 وَضَيَّقَ الْوَلِيدُ عَلَى أَهْلِ هِشَامٍ وَأَصْحَابِهِ ، وَاسْتَعْمَلَ الْعَمَالَ ،
 وَكَتَبَ إِلَى الْآفَاقِ بِأَخْذِ الْبَيْعَةِ ، فَجَاءَتْهُ بَيْعَتُهُمْ .

قال : ولما ولي الوليد أجرى على زمني أهل الشام وعميانهم وكساهم ،
 وأمر لكل إنسان منهم بخادم ، وأخرج ليعالات الناس الكسوة
 والطيب ، وزادهم ؛ وزاد الناس في العطاء عشرات ؛ ثم زاد أهل
 الشام بعد العشرات عشرة عشرة ، وزاد الوفود ، ولم يقل في شيء
 يسأله : لا .

وفي هذه السنة ، عقد الوليد البيعة لابنيه : الحكم ، وعثمان من بعده ،
 وكتب بذلك إلى الأمصار ، وجعل الحكم مقديما والآخر من بعده .

وفيها استعمل الوليد خالد بن يوسف بن محمد بن يوسف
 الثقفي على المدينة ومكة والطائف ، ودفع إليه محمداً وإبراهيم ابني هشام
 ابن إسماعيل المخزومي موثقين في عباةتين ؛ فقدم بهما المدينة في شعبان ،
 فأقامهما للناس ، ثم حَمِلَا إلى الشام ، فأحضرا عند الوليد ، فأمر ،
 بجلدهما ، فقال محمد : نسألك القرابة . قال : وأي قرابة بيننا !

(١) قبل هذا البيت في الطبري : ويروي ، فكأن هذا البيت رواية أخرى للبيت السابق .

(٢) في ك ، د : ضيعا . وطبع الإناء تطيبعا : ملأه (اللسان) .

(٣) في الأغاني : كلنا له الصاغ التي كالمها .

(٤) في الأغاني : أصوعا .

قال : فقد نهى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أن يُضْرَبَ بسوطٍ إلا في حد . قال : ففى حدٍّ أضربك وقود ، أنت أول من فعل بالعرجى وهو ابنُ عمى ؛ وابن أمير المؤمنين عثمان - وكان محمد قد أخذه وقيده وأقامه للناس وجلده ، وسجنه إلى أن مات بعد تسع سنين لهجاء العرجى^(١) إياه ، ثم أمر به الوليد فجُلد هو وأخوه إبراهيم ثم أوثقهما ، وبعث بهما إلى يوسف بن عمر ، وهو على العراق فعذب بهما حتى ماتا . وفيها عزل الوليد سعد بن إبراهيم عن قضاء المدينة ، وولّى القضاء يحيى بن سعيد الأنصارى .

وفيها خرجت الرومُ إلى زبطرة^(٢) وهو حصنٌ قديمٌ كان افتتحه حبيب بن مسلمة الفيهرى ، فأخربه الروم الآن فبنى بناءً غير محكم ، فعاد الروم وأخربوه أيام مروان بن محمد ثم بناه الرشيد وشحنه بالرجال .

فلما كانت خلافةُ المأمون طرّقه الروم فشعثوه ، فأمر المأمون بمرمته وتحصينه ، ثم قصده الروم بعد ذلك أيام المعتصم .

وفيها أغزى الوليد أخاه الغمّ بن يزيد ، وأمر على جيش البحر الأسود بن بلال المحاربى ، وسيره إلى قبرس ليخير أهلها بين المسير إلى الشام أو إلى الروم ، فاختارت طائفة جوار المسلمين ، فسيرهم إلى الشام ، واختار آخرون الروم فسيرهم إليهم .

(١) هو عبد الله بن عمر ، شاعر غزل ، كان مشغوقاً باللهو والصيد ، صحب مسلمة بن عبد الملك فى وقائمه بأرض الروم .

(٢) مدينة بين ملطية وسميساط والحديث فى ظرف بلاد الروم (ياقوت) .

وحجَّ بالناس في هذه السنة يوسف بن محمد بن يوسف. وغزاً
النعمان بن يزيد بن عبد الملك الصائفة .
سنة (١٢٦ هـ) ست وعشرين ومائة :

ذكر مقتل خالد بن عبد الله القسري

وشيء من أخباره

قد ذكرنا من أخباره في سنة [١٢٠هـ] عشرين ومائة ما تقدم ،
وذكرنا أنه لما أفرج عنه سار من الحيرة إلى دمشق .

قال : ولما قدمها كان العاملُ عليها يومئذ كلثوم بن عياض القشيري ،
وكان يُبغضُ خالدًا ، واتفق أنه ظهر في دُور [دمشق (١)] حريق
في كل ليلة ، يُلقبه (٢) رجلٌ من أهل العراق يُقال له : أبو العمرس (٣)
فإذا وقع الحريق يسرقون .

وكان أولاد خالد وإخوته بالساحل لحدث كان من الروم ، فكتب
كلثوم إلى هشام : إن موالى خالد يريدون الوثوب على بيت المال ،
ولهم يحرقون البلد كل ليلة .

فكتب هشام إليه يأمره بحبس آل خالد : الصغير منهم والكبير
ومواليهم ، فأنفذ من أحضر أولاده وإخوته من الساحل في الجوامع (٤) ،
ومعهم مواليهم ، وحبس بنات خالد والنساء والصبيان ، ثم ظهر
على أبي العمرس (٣) ومن كان معه .

(١) من الكامل .

(٢) في الكامل : يفعله رجل .

(٣) في الكامل : ابن العمرس . والمثبت في الطبرى أيضاً .

(٤) الجوامع : الأغلال ، مفردة : جامعة .

فكتب الوليدُ بن عبد الرحمن عاملُ الخراج إلى هشام بأخذِ
أبي العمرس وأصحابه بأسمائهم وقبائلهم ، ولم يذكر فيهم أحداً من
موالى خالد .

فكتب هشام إلى كلثوم يسبه ويأمره بإطلاق آل خالد ، فأطلقهم
وترك الموالى رجاء أن يشفع فيهم خالد إذا قدم من الصائفة .

ثم قدم خالد فنزل منزله بدمشق ، وجاءه الناس للسلام عليه ،
فقال : خَرَجْتُ مُغَازِيَا سَمِيْعَا مَطِيْعَا ، فخلفت في عقبي ، وأخذتُ
حُرْمِي وَأَهْلَ بَيْتِي فَحَبَسُوا مَعَ أَهْلِ الْجَرَائِمِ كَمَا يُفْعَلُ بِالْمُشْرِكِينَ ،
فما منع عصابةً منكم أن تقول : علام حُجِسَ حَرَمُ هَذَا السَّامِعِ الْمَطِيْعِ ؟
أخِفْتُمْ أَنْ تُقْتَلُوا جَمِيعًا ؟ أَخَافَكُمُ اللَّهُ .

ثم قال : مَالِي وَلِهَشَامٍ لِيَكْفُنَّ عَنِّي أَوْ لِأَدْعُونَ إِلَى عِرَاقِي الْهَوَى :
شامى الدار ، حجازى الأصل - يعنى محمد بن على بن عبد الله بن عباس .
ولقد أدنتُ لكم أن تُبلِّغُوا هِشَامًا .

فلما بلغه قال : قد خَرَفَ أَبُو الْهَيْثَمِ ، واستمرَّ خالدُ مدةَ أيامٍ
وهو بدمشق ويوسف بن عمر يطلبُ ابنه يزيدَ بنَ خالد ، فلم يظفر
به ، وبذل فيه لهشام خمسين ألف ألف .

فلما هلك هشام وقام الوليدُ بعده كتب إلى خالد : ما حال الخمسين
ألف ألف التى تعلم ؟ واستقدمه ، فقدم عليه حتى وقف بباب سُرادقِ
الوليد ، فأرسل إليه الوليدُ يقول : أين ابنتك يزيد ؟ فقال : كان
[قد] ^(١) هرب من هشام ، وكنا نراه عند أمير المؤمنين ، فلما لم نره

(١) ليس فى ك .

ظنناه ببلاد قومه من الشَّراة . فرجع الرسولُ ، فقال : لا ، ولكنك خلَّفْتَه طلباً للفتنة . فقال : قد علم أميرُ المؤمنين أنَّا أهل بيت طاعة . فرجع الرسولُ فقال : يقول أميرُ المؤمنين : لتأتينَّ به أو لأزْهقَنَّ نَفْسَكَ . فرفع خالدُ صوته ، وقال : قل له : هذا والله أردتُ ، لو كان تحت قدمي ما رفَعْتُها عنه .

فأمر الوليد بضربِه فضرب ، فلم يتكلم ، فحبسه حتى قدم يوسف ابن عمرٍ من العراق بالأموال ، فاشتراه من الوليد بخمسين ألف ألف ، فأرسل إليه الوليدُ : إنَّ يوسف قد اشتراك بخمسين ألف ألف ، فإن كنتَ تضمُّنها وإلَّا دَعَمْتُكَ إليه .

فقال خالد : ما عهدتُ العربُ تُباع ، والله لو سألتني أن أضْمَنَ عودًا ما ضمَّنتُه ، فدفعه إلى يوسف ، فنزع ثيابه ، وحمله على بعيرٍ بغير وطاء ، وعذِّبه عذاباً شديداً ، وهو لا يكلمه كلمةً واحدة ، ثم حمله إلى الكوفة فعذِّبه ، ووضع المَضْرَسَةَ على صدره فقتله ، ودفنه من الليل [بالحيرة^(١)] في العباءة التي كان فيها ، وذلك في المحرم سنة [٥١٢٦] ست وعشرين ومائة .

وقيل : بل أمر يوسف فوُضِعَ على رجليه عود ، وقام عليه الرجالُ حتى تكسَّرت قدماه ، وما تكلمم ولا عبس ، ثم على ساقيه وفخذيته . ثم على صدره حتى مات .

وكانت أم خالد نصرانيةً روميةً امتلَبها أبوه ، فأولدها خالدًا

(١) ساقط من ك .

وأَسَدًا ، ولم تُسَلِّم ، وَبَنَى لَهَا خَالِدٌ بَيْعَةَ فَذَمَهُ النَّاسُ عَلَى ذَلِكَ ، فَقَالَ
الْفَرَزْدَقُ (١) :

أَلَا قَطَعَ الرَّحْمَنُ ظَهْرَ مَطِيَّةٍ أَتَتْنَا تَهَادَى مِنْ دِمَشْقَ بَخَالِدٍ
فَكَيْفَ يَوْمُ النَّاسِ مِنْ كَانَتْ أُمُّهُ تَدِينُ بِأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِوَاحِدٍ
بَنَى بَيْعَةً فِيهَا النَّصَارَى لِأُمِّهِ وَيَهْدِمُ مِنْ كُفْرٍ مَنَارَ الْمَسَاجِدِ
وَكَانَ خَالِدٌ قَدْ أَمَرَ بِهِدْمَ مَنَارِ الْمَسَاجِدِ ؛ لِأَنَّهُ بَلَغَهُ أَنَّ شَاعِرًا قَالَ (١) :

لَيْتَنِي فِي الْمُؤَدِّينَ حَيَاتِي إِيَّاهُمْ يُبْصِرُونَ مِنْ فِي السُّطُوحِ
وَيُشِيرُونَ أَوْ تُشِيرُ إِلَيْهِمْ بِالْهَوَى كُلُّ ذَاتٍ دَلٌّ مَلِيحٌ
فَلَمَّا بَلَغَ خَالِدًا هَذَا الشُّعْرَ أَمَرَ بِهِدْمِهَا .

وَلَمَّا بَلَغَهُ أَنَّ النَّاسَ يَذْمُونَهُ لِبِنَائِهِ الْبَيْعَةَ لِأُمِّهِ قَامَ يَعْتَذِرُ إِلَيْهِمْ ،
فَقَالَ : لَعَنَ اللَّهُ دِينَهُمْ إِنْ كَانَ شَرًّا مِنْ دِينِكُمْ .

وَحُكِيَ عَنْهُ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ : إِنْ خَلِيفَةَ الرَّجُلِ فِي أَهْلِهِ أَفْضَلُ مِنْ
رَسُولِهِ إِلَيْهِمْ - يَعْنِي أَنَّ هِشَامًا أَفْضَلُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ ، نَبْرًا إِلَى اللَّهِ مِنْ ذَلِكَ .

وَكَانَ خَالِدٌ يَصِلُ الْهَاشِمِيِّينَ فِي أَيَّامِ إِمَارَتِهِ ، وَيُبْرِهُمُ ، إِلَّا أَنَّهُ
كَانَ يَبَالِغُ فِي سَبِّ عَلَى رَضَى اللَّهِ عَنْهُ ، وَيَلْعَنُهُ ، فَقِيلَ : إِنَّهُ
كَانَ يَفْعَلُ ذَلِكَ نَفْيًا لِلتَّهْمَةِ ، وَتَقَرُّبًا إِلَى بَنِي أُمِيَّةٍ ، فَآتَاهُ مَرَّةً مُحَمَّدُ
ابْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ عُمَانَ بْنِ عَفَّانَ يَسْتَسِيحُّهُ (٢) ، فَلَمْ يَرِ مِنْهُ

(١) وَالْكَامِلُ : ٤ - ٢٦٣

(٢) فِي د : يَسْتَمْنَحُهُ .

ما يُجِب ، فقال : **أَمَّا الصَّلَاةُ** فللها شمييين ، وليس لنا منه إلا أن يلعن ^(١) عليًا ، فبلغ خالدًا كلامه ، فقال : **إِنْ أَحَبَّ نَدْنَا** عثمان بشيء ؛ [يريد بشيء ^(٢)] من اللعن أو السب ، والله تعالى أعلم .

ذكر مقتل الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان

وشيء من أخباره

كان مقتله يوم الخميس الثامن والعشرين من جمادى الآخرة سنة [١٢٦هـ] ست وعشرين ومائة .

وكان سبب ذلك ما قدمناه من اشتهاه باللّهو واللعب والخلاعة ، فلما ولي الخلافة مازاد لإلتماذيًا وإصرارًا ، واشتهر بمُنَادِمَةِ القِيَانِ وشُرْبِ النبيذ ، فنقل ذلك على رعيته وجنديه ، وكرهوه ؛ فكان من أعظم ما جنى على نفسه إفسادُ بني عمّيه : هشام ، والوليد ؛ فإنه أخذ سليمان بن هشام فضربه مائة سوط ، وحلق رأسه ولحيته وغرّبه إلى عمّان من أرض الشام ، فحبسه بها ، فلم يزل محبوبًا حتى قُتل الوليد .

وأخذَ جاريةً كانت لآلِ الوليد ، فكلّمه عثمانُ بن الوليد في ردّها ، فقال : لا أردّها . فقال : **إِذَنْ** تكثر الصّواهلُ حولَ عسكريك ، وحبس الأقسام يزيد بن هشام ، وفرّق بين روح بن الوليد وبين امرأته ، وحبس عدّةً من ولد الوليد ، فرماه بنوها شم وبنو الوليد بالكفر وغشيان أمهات أولادِ أبيه ، وقالوا : قد اتخذتُ مائة جامعَةٍ لبني أمية ، وكان أشدّ الناس عليه يزيدُ بن الوليد ، وكان الناس إلى قوله أميل ؛ لأنه كان يُظهِرُ النُّسكُ ويتواضع .

(٢) ساقط في ك .

(١) في ك : تلعن . وفي د : أنه يلعن .

وكان سعيد بن بيهس بن صُهيب قد ناه عن البيعة لابنائه الحكم
وعثمان لصغرهما ، فحبسه حتى مات ، وفعل بخالد القسرى ما ذكرناه
ففسدت عليه اليمانية وقُضاعة ، وهم أكثر جنود الشام ؛ وكان حُرَيْث
وشَيْب بن أبى مالك الغَسَّانِي ، ومنصور بن جُمهور الكَلْبِي ؛ وابن عمه جِبال
ابن عمرو ، ويعقوب بن عبد الرحمن ، وحُميد بن نَصْر اللّخْمِي ، والأصْبغ
ابن دُوالة والطَّفَيْل (١) بن حارثة ، والسرى بن زياد ، أتوا خالد بن
ابن عبد الله القسرى ، فدعوه إلى أمرهم ، فلم يُجِبْهُمْ ، وأراد الوليدُ
الحجَّ ، فخاف خالد أن يقتلوه ، فنهاه عن الحج ، فقال : ولم ؟
فلم يخبره ، فحبسه ، وطالبه بأموال العراقِ ثم سلّمه إلى يوسف
ابن عمر كما تقدم ، فقال بعضُ أهل اليمن شِعْرًا على لسان الوليد
يحرّضُ عليه اليمانية .

وقيل : بل قاله الوليد يوبخ اليمن على ترك نصر خالد (٢) :

ألم تهتج فتذكر (٣) الوصالاً وجبالاً كان مُتصِلاً فزالاً
بلى فالدمع (٤) منك إلى انسجام كماء المزن ينسجل انسجالاً
فدغ عنك ادكارك آل سُعدى فنحن الأكثرون حصى (٥) ومالاً
ونحن المالكون الناس قسراً نسومهم المذلة والنكالا

(١) فى الطبرى : وطفيل .

(٢) الشعر فى الطبرى : ٧ - ٢٣٤ ، وفى الكامل : ٤ - ٢٦٤

(٣) فى الطبرى : فتذكر .

(٤) فى ك : ما الدمع . وفى الطبرى : فالدمع منك له سجام .

(٥) حاشية : قوله : حصى : يريد المناقب ، لأن العرب كانت تجتمع فى
نوادبها ، فتعد مفاخرها . ومناقبها ، فكلمها ذكر الرجل منقبة طرح حصاة ، فمن كان
كان أكثر حصى علم أنه أكثر مناقب . وفى معنى ذلك يقول الشاعر :
ولست بالأكثر منهم حصى وإنما العزة للكائر (هامش د .)

وطِئْنَا الْأَشْعَرِيَّ (١) بَعَزُ قَيْسٍ
 وَهَذَا خَالِدٌ فِينَا أَسِيرًا (٢)
 عَظِيمُهُمْ وَسَيِّدُهُمْ قَدِيمًا
 فَلَوْ كَانَتْ قِبَائِلَ ذَاتَ عِزٍّ
 وَلَا تَرَكَوهُ مَسْلُوبًا أَسِيرًا
 وَكِنْدَةً وَالسُّكُونُ فَمَا اسْتَقَامُوا
 بِهَا سُمْنًا (٤) الْبَرِيَّةَ كُلَّ خَسْفٍ
 وَلَكِنَّ الْوَقَائِعَ ضَعُضَعَتْهُمْ
 فَمَا زَالُوا لَنَا أَبَدًا عِيْدًا
 فَأَصْبَحَتْ الْغَدَاةُ عَلَيَّ تَاجٌ
 فَيَالِكَ وَطَاءَةٌ لَنْ تُسْتَقْفَا
 أَلَا مَنَعُوهُ إِنْ كَانُوا رِجَالًا
 جَعَلْنَا الْمُخْزِيَاتِ لَهُ ظِلَالًا
 لِمَا ذَهَبَتْ صِنَائِعُهُ فَزَلَالًا
 يُعَالِجُ (٣) مِنْ سَلَا سِلْنَا الثَّقَالَا
 وَلَا بَرِحَتْ خِيُولُهُمُ الرَّحَالَا
 وَهَدَمْنَا السَّهُولَةَ وَالْجِبَالَا
 وَجَدْتَهُمْ (٥) وَرَدَّتْهُمْ شِلَالَا
 نَسَوْمُهُمُ الْمَدَلَّةَ وَالسَّفَالَا
 لِمَلِكِ النَّاسِ لَا يَبْغِي (٦) انْتِقَالَا

فَعَظَمَ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ ، وَسَعَوْا فِي قَتْلِهِ ، وَازْدَادُوا حَنَقًا ، وَقَالَ حَمْزَةُ
 ابْنِ بَيْضِ (٧) فِي الْوَلِيدِ :

وَصَلَّتْ سَمَاءُ الضَّرِّ بِالضَّرِّ بَعْدَمَا
 زَعَمَتْ سَمَاءُ الذَّلِّ (٨) عَنَا سَتَقْلَعُ
 فَلَيْتَ هَشَامًا كَانَ حَيًّا يَسُوسُنَا
 وَكُنَّا كَمَا كُنَّا نَرْجِي وَنَطْمَعُ

(١) فِي الطَّبْرِيِّ : الْأَشْعَرِيْنَ . وَانْتَبَت فِي الْكَامِلِ أَيْضًا .

(٢) فِي الْكَامِلِ : أَسِيرٌ .

(٣) فِي الطَّبْرِيِّ : يَسَامِرُ . وَانْتَبَت فِي الْكَامِلِ أَيْضًا .

(٤) فِي د : سَمَتْ .

(٥) فِي ك : وَأَجَدْتَهُمْ . وَفِي الْكَامِلِ : وَجَدْتَهُمْ .

(٦) فِي الْكَامِلِ وَالطَّبْرِيِّ : مَا يَبْغِي .

(٧) فِي تَاجِ الْعُرُوسِ : هُوَ بِكَسْرِ الْبَاءِ لِأَخِيْرٍ . قَالَ ابْنُ بَرِيٍّ . وَضَبَطَهُ الْخَافِظُ

بِالْفَتْحِ . وَالشَّعْرُ فِي الطَّبْرِيِّ : ٧ - ٢٣٦ . وَالْكَامِلُ : ٤ - ٢٦٥ .

(٨) فِي الطَّبْرِيِّ ، وَالْكَامِلِ : سَمَاءُ الضَّرِّ .

وقال أيضًا^(١) :

يا وليد الخنا^(٢) تركت الطريقا واضحا وارتكبت فجأ عميقا
وتماديت واعتديت وأسرفت وأغويت وانبعثت فسوقا
أبدا هات ثم هات وهاتى ثم هاتى حتى تخر صعيقا
أنت سكران لا تفيق فماتر تق فتقا إلا فتقت^(٣) فتوقا

فأنت اليمانية يزيد بن الوليد بن عبد الملك فأرادوه على البيعة ،
فاستشار عمر بن زيد الحكيمى ، فقال له : لا يبايعك الناس على هذا ،
وشاور أخاك العباس ؛ فإن بايعك لم يخالفك أحد ، وإن أبى كان
الناس له أطوع ؛ فإن أبيت إلا المضى على رأيك فأظهر أن أخاك
العباس قد بايعك .

وكان الشام وبيثما فخرجوا إلى البوادي ، وكان العباس بالقسطل^(٤)
ويزيد بالبادية أيضا ، فأتى يزيد العباس فاستشاره فنهاه عن ذلك ،
فرجع وباع الناس سرا ، وبث دعاته ، فدعوا الناس ، ثم عاود أخاه
العباس أيضا فاستشاره ودعاه إلى نفسه ، فزبره^(٥) ، وقال : إن
عدت لمثل هذا لأشدنك وثاقا ، ولأحملنك إلى أمير المؤمنين .

فخرج من عنده ، فقال العباس : إننى لأظنه أشأم مولود فى بنى
مروان .

(١) الشعر فى الكامل : ٤ - ٢٦٥

(٢) فى ك : الحيا .

(٣) فى الكامل : وقد فتقت .

(٤) القسطل بالفتح ثم السكون وطاه مهملة مفتوحة ولام : موضع بين
حمص ودمشق (باقوت) .

(٥) زبره : نهره ونهاه (القاموس) .

وبلغ الخبر مروان بن محمد بإرمينية . فكتب إلى سعيد بن عبد الملك بن مروان يأمره أن ينهى الناس ويكفهم ويحذرهم الفتنه ويخوفهم خروج الأمر عنهم . فأعظم سعيد ذلك ، وبعث الكتاب إلى العباس بن الوليد ، فاستدعى العباس يزيد وتهدده ؛ فكتبه يزيد أمره فصدقه ، وقال العباس لأخيه بشر بن الوليد : إني أظن الله قد أذن في هلاككم يا بني أمية ، ثم تمثل (١) :

إني أعيذكم بالله من فتنٍ مثل الجبال تسامى ثم تندفع
 إن البرية قد ملئت سياستكم فاستمسكوا بعمود الدين وارْتَدِعُوا
 لا تلجمن ذناب الناس أنفسكم إن الذناب إذا ما ألحمت رتعوا (٢)
 لا تبقرن بأيديكم بطونكمو فشم لا حسرة تغني ولا جزع

قال : فلما اجتمع ليزيد أمره وهو بالبادية أقبل إلى دمشق ، وكان بينه وبينها أربع ليال ، وجاء متنكراً في سبعة نفر على حميم ، فنزلوا بجروود - وهي على مرحلة من دمشق ، ثم سار فدخل دمشق ليلاً ، وقد بايع له أكثر أهلها سراً ، وبايع أهل المزة (٣) ؛ وكان على دمشق عبد الملك بن محمد بن الحجاج ، فخرج منها للوباء ، فنزل قطناً (٤) ، واستخلف على دمشق ابنه ، وعلى شرطته أبو العاج كثير بن عبد الله السلمى ؛ فأجمع يزيد على الظهور ، فقبل للعامل : إن يزيد (٥) خارج فلم يصدق ، وراسل يزيد أصحابه بعد المغرب

(١) الشعر في الطبرى : ٧ - ٢٣٩ ، والكمال : ٤ - ٢٦٦

(٢) ألحمت التوم : أطعمتهم اللحم .

(٣) المزة - بالكسر ثم التشديد : قرية كبيرة غناء في وسط بساتين دمشق (ياقوت).

(٤) قطان : من قرى دمشق (ياقوت) . (٥) في ك : يزيدا - تحريف .

ليلة الجمعة ، فكمنوا عند باب الفرايس حتى أذنّ بالعشاء ؛ فدخلوا المسجد فصلّوا ، وللمسجد حرس قد وكلوا بإخراج الناس منه بالليل ، فلما صلّى الناس أخرجهم الحرس وتباطأ أصحاب يزيد حتى لم يبقَ في المسجد غيرهم ، فأخذوا الحرس ، ومضى يزيد ابن عنبسة إلى يزيد بن الوليد ، فأعلمه ، وأخذ بيده ، فقال : قُمْ يا أمير المؤمنين ، وأبشِرْ بنصر الله وعونه . فقام ، وأقبل في اثني عشر رجلا .

فلما كان عند سوق الحُمُر لقوا أربعين رجلاً من أصحابهم ، ولقيهم زهاء مائتي رجل ، فمضوا إلى المسجد فدخلوه وأتوا باب المقصورة فضربوه ، وقالوا : رُسل الوليد ؛ ففتح لهم الباب خادمٌ فدخلوا فأخذوا أبا العاج وهو سكران ، وأخذوا خزان بيت المال ، وأرسل إلى كل من كان يخبئه فأخذ وقبض محمد (١) بن عبيدة وهو على بعلبك ، وأرسل إلى محمد بن عبد الملك بن الحجاج فأخذه ، وكان بالمسجد سلاحٌ كثير ، فأخذه .

فلما أصبحوا جاء أهلُ العِزّة وتبايع الناس ، وجاءت السكائكُ ، وأقبل أهلُ دارياً ويعقوب بن عمير بن هانيء العبسي (٢) .

وأقبل عيسى بن شبيب الثغلي وأهل دومة وحرستا ، وأقبل

(١) في الطبرى : وأرسل يزيد من ليلته إلى محمد بن عبيدة مولى سعيد بن العاص : وهو على بعلبك فأخذه .

(٢) في ك : العبسي . وفي الكامل : يعقوب بن محمد ... والمثبت في الطبرى

حميد بن حبيب النخعي^(١) في أهل دبر مُرَّان^(٢) والأرزة وسطرا^(٣)
وأقبل أهل جَرَش^(٤) وأهل الحديثة^(٥) ودَيْرَزَكِي^(٦) .

وأقبل رَيْحِي بن هاشم^(٧) الحارثي في الجماعة من بني عُذرة
وسلامان ، وأقبلت جُهينة وَمَنْ والاهم .

ثم وجه يزيد بن الوليد عبد الرحمن بن مُصَاد في مائتي
فارس ليأخذوا عبد الملك بن محمد بن الحجاج بن يوسف من
قصره ، فأخذه بأمان ، وأصاب عبد الرحمن خُرَجِين في كل واحد
منهما ثلاثون ألف دينار ، ف قيل له : خُذْ أَحَدَ هَذَيْنِ الْخُرَجِينِ ،
فقال : لا تتحدث العربُ عنى أَوَّلُ منْ خان في هذا الأمر .

ثم جهز يزيد جيشا عليهم عبد العزيز بن الحجاج بن عبد الملك ،
وسيرهم إلى الوليد . وكان يزيدُ لما ظهر بدمشق سار موئى للوليد
إليه ، وأعلمه الخبر وهو بالأغدف من عمان ، فضربه الوليد
وحبسه ، وسير أباه محمد عبد الله بن يزيد بن معاوية إلى دمشق ،
فسار بعض الطريق ، وأقام فأرسل إليه يزيدُ بن الوليد
عبد الرحمن بن مُصَاد ، فبايع يزيد .

(١) في الكامل : النخعي .

(٢) في ك : مروان - تحريف .

(٣) سطرا : من قرى دمشق (ياقوت) .

(٤) جرش : شرقي جبل السواد من أرض البلقاء (ياقوت) .

(٥) الحديثة : من قرى غوطة دمشق .

(٦) دبر زكي - بفتح أوله وتشديد الكاف - مقصور : هو دبر بالرها بلزاة

تل . وقال الخالدي : هو بارقة قريب من الفرات (ياقوت) .

(٧) في ك : هشام . والمثبت في الطبري والكامل أيضاً .

ولما أتى الخبرُ الوليد قال له يزيد بن خالد بن يزيد بن معاوية :
سِرْ حتى تنزلَ حِمَص ، فإنها حصينة ، ووجه الخيولَ إلى يزيد
فيقتل أو يؤسر .

فقال عبد الله بن عَبَسَةَ بن سعيد بن العاص : ما ينبغي
للخليفة أن يدع عسكره ونساءه قَبْلَ أن يقاتل ، والله (١) يؤيد
أمير المؤمنين بنصره (٢) .

فأخذ يَقُول ابن عبسة ، وسار حتى أتى البخرَاء (٣) - قَصْر
النعمان بن بشير ، وسار معه من ولد الضحاك بن قيس أربعون
رجلا ، فقالوا له : ليس لنا سلاح ، فلو أمرتَ لنا بسلاح ! فلم
يُعْطهم شيئا ، ونازله عبد العزيز .

وكتب العباس بن الوليد بن عبد الملك إلى الوليد : إني آتيتك .
فأخرج الوليدُ سريرا وجلس عليه ينتظر العباس ، فقاتلها
عبدُ العزيز ، ومعه منصور بن جُمهور ، فبعث إليهم عبد العزيز
زيد بن حُصَيْن الكَلْبِي ، يدعُوهم إلى كتابِ الله ومُسنَدِ نبيه ، فقتله
أصحابُ الوليد واقتتلوا قتالا شديدا .

وكان الوليدُ قد أخرج لواءَ مروان بن الحكم الذى كان قد
عقده بالجابية .

وبلغ عبد العزيز مسيرُ العباسِ إلى الوليد ، فأرسل منصور بن

(١) في ك : فالله . (٢) في د : وينصره .

(٣) في ك : الفجر . والتبث في الكامل ، والطبرى .

جُمهور إلى طريقه ، فأخذه قَهراً ، وأتى به عبد العزيز ، فقال له :
 بايع لأخيك يزيد ، فبايع ، ووقف ونصبوا رايةً ، فقالوا : هذه رايةُ
 العباس [قد بايع لأمير المؤمنين يزيد ، فقال العباس] (١) :

إن الله أخذنا من خدع الشيطان ، هلك والله بنومروان .

فتفرق الناس عن الوليد ، وأتوا العباس وعبد العزيز ، وأرسل
 الوليد إلى عبد العزيز يبذل له خمسين ألف دينار وولاية حمص
 ما بقي ، ويؤمنه من كل حدث ، على أن ينصرف عن قتاله ، فأبى
 ولم يُجبه ، فظاهر الوليد من درعين ، وأتوه بفرسيه (٢) : السندی ،
 والزائد (٣) ، فقاتلهم قتالاً شديداً ، فناداهم رجلٌ : اقتلوا عدوَّ
 الله قتلَةَ قوم لوط . ارجموه بالحجارة ، فلما سمع ذلك دخل القصر
 وأغلق عليه الباب ، وقال (٤) :

دُعوا لي سُلَيْمِي (٥) والطلاء وقَيْنَةَ وكأَسَا ، آلا حَسْبِي بِذَلِكَ مالا
 إذا ما صفا عَيْشِي (٦) برمَلَةَ عالج وعانقت سلمي لا أريدُ بداآ
 خذوا مُلككم لا ثبَّت اللهُ مُلككم ثباتنا يساوي (٧) ما حبيبت عِقْلا
 واخلوا عِنائي قبل عَيْرٍ (٨) وما جرى ولا تحسدوني أن أموت هُزْلا

(١) ليس فيك .

(٢) فيك : بفرسه .

(٣) فيك : والراية . والمثبت في الطبرى أيضاً .

(٤) الشرقي العقد الفريد : ٤-٤٦٠ ، والأغان : ٧-٢٧٩ ، والكامل : ٤-٢٦٧ .

(٥) في الكامل : سلمي . وفي العقد الفريد : مع طلاء... وكان . والطلاء : الخمر .

(٦) في الأغاني : عيش .

(٧) فيك : لا يساوي

(٨) فيك ، د : غير . والمثبت في الأغاني والكامل أيضا .

قال : وأحاط. عبدُ العزيز بالقَصْرِ ، فدنا الوليدُ من الباب ، فقال : أما فيكم رجلٌ شريفٌ له حسبٌ وحياءٌ أكلمهُ ! قال يزيد ابن عنبسة السكسكى : كَلَّمَنِي . قال : يا أبا السكاسك ، ألم أزدُ في أعطياتكم ! ألم أرفع المونَ عنكم ! ألم أعطِ فقراءكم ؛ ألم أخدمَ زَمَنًاكم ؟ فقال : إنا ما ننتقم عليك في أنفسنا ، وإنما ننتقم عليك فيما حرمَ اللهُ ، وشرب الخمر ، ونكاح أمهات أولادِ أبيك ، واستخفافك بأمرِ الله .

قال : حسبك يا أبا السكاسك ، فلعمري لقد أكثرتَ ، وإن فيما أحلَّ اللهُ سعةً عما ذكرت .

ورجع وجلس ، وأخذ مُصحفاً ، ونشره يقرأ فيه ، وقال : يومَ كيومِ عثمان . فصعدوا على الحائط . وكان أول من علاه يزيد ابن عنبسة ، فنزل إليه ، وأخذ بيده ، وهو يُريد أن يحبسَه ، ويؤامر فيه ، فنزل من الحائط . عشرة ؛ فيهم : منصور بن جمهور ، وعبد السلام اللخمي ، فضربه عندُ السلام على رأسه ؛ وضربه السريّ ^(١) بن زياد بن أبي كبشة على وجهه ، واحتزوا رأسه ، وبعثوا به إلى يزيد ، فأتاه الرأس وهو يتغدى ، فسجد وأمر بِنَصْبِ الرأس . فقال له يزيد بن قروة مولى بنى مُرة : إنما تنصب رؤوس الخوارج ؛ وهذا رأس ابن عمك وخليفة ، ولا آمن إن نصبته أن ترقَّ له قلوبُ الناس ، ويغضب له أهل بيته .

فلم يسمع منه ، ونصبه على رُمح ، وطاف به دِمَشق ؛ ثم أمر به أن يُدْفَع إلى أخيه سليمان بن يزيد ، فلما نظر إليه سليمان قال :

(١) في الكامل : السدي . والمثبت في الطبري أيضاً .

بُعْدًا لَهُ ! أَشْهَدُ أَنَّهُ كَانَ شَرُوبًا لِلخمر ماجِنًا فاسقًا ، ولقد أرادني على نَفْسِي الفاسق - وكان سليمان مِمَّنْ سعى في أمره .

وحكى يزيد بن عنبسة ليزيد بن الوليد أن الوليد قال في آخر كلامه : والله لا يرتق فتقكم ، ولا يلم شعثكم ، ولا تجتمع كلمتكم .

وكانت مدة خلافة الوليد سنة وشهرين واثنين وعشرين يوما . وكان عمره اثنتين وأربعين سنة . وقيل : قتل وهو ابن ثمان وثلاثين سنة .

وقيل : إحدى وأربعين .

وقيل : ست وأربعين سنة . والله أعلم .

وكان الوليد من فتيان بني أمية وظرفائهم وشجعانهم ، وأجوادهم ، جيد الشعر ، له أشعار حسنة في الغزل والعتاب ووصف الخمر وغير ذلك ، إلا أنه كان كثير الانهماك في اللهو والشرب وسماع الغناء .

ومن كلامه : المحبة للغناء تزيد الشهوة ، وتهديم المروءة ، وتنوب عن الخمر ، وتفعل ما يفعل السكر ، فإن كنتم لابد فاعلين فجنبوه النساء ، فإن الغناء رقية الزنى ، وإنى لأقول ذلك على أنه أحب إلي من كل لذة ، وأشهى إلى نفسي من الماء إلى ذى الغلّة ، ولكن الحق أحق أن يتبع .

وما اشتهر عنه أنه استفتح المصحف الكريم ، فخرج له قوله

تعالى (١) : «وَأَسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ . فَأَلْقَاهُ وَنَصَبَهُ
غَرَضًا ، ورماه بالسهم ، وقال (٢) :

تَهْدُدُنِي بِجَبَّارٍ غَنِيدٍ فَهَأَنَّا ذَاكَ جَبَّارٍ عَنِيدٍ
إِذَا مَا جِئْتُ رَبِّكَ يَوْمَ حَشْرِ فَقُلْ يَا رَبِّ مَزْقَى الْوَلِيدِ

فلم يلبث بعد ذلك إلا يسيرا حتى قُتِل . هذا هو المشهور عنه .

وروى أبو الفرج الأصفهاني بسنده إلى العلاء البندار ، قال :
كان الوليد زنديقا ، وكان رجُلٌ من كلب من أهل الشام يقول
مقالة الشنوية ، فدخلتُ على الوليد يوما وذلك الكلبى عنده ، وإذا
بينهما سقَط . قد رفع رأسه عنه ، وإذا ما يبندو لي منه حرير أخضر ؛
فقال : اذُنْ يا علاء ، فدَنَوْتُ ، فرفع الحريرة فإذا في السقَط .
صورة إنسان ، وإذا الزئبق والنوشادر (٣) قد جُعلا في جفنيه .
فجفنه يَطْرِفُ كأنه يتحركُ ، فقال : يا علاء ، هذا ماني ، لم يبعث
الله نبيا قبله ، ولا يبعثُ نبيا بعده ؛ فقلت : يا أمير المؤمنين ،
اتق الله ولا يغرنك هذا الذي ترى من دينك . فقال الكلبى :
يا أمير المؤمنين ، قد قلت لك : إن العلاء لا يحتملُ هذا الحديث .
قال العلاء : ومكثتُ (٤) أياما ، ثم جلست مع الوليد على بناء كان

(١) سورة إبراهيم ، آية ١٥

(٢) الشمر في الكامل : ٤ - ٢٦٩

(٣) في د : النوشادر .

(٤) في ك : ومكث .

[قد^(١)] بناه في عسكره يُشرفُ منه والكلبيُّ عنده إذ نزل من عنده ، وقد كان الوليد حمله على برذون هملاج^(٢) أشقر من أفخر ما سُخِّر ، فخرج على برذونه ، فمضى في الصحراء حتى غاب عن العسكر ، فما شعر إلا وأعراب قد جاءوا به يحملونه منفسحة عنقه ، وبرذونه يُقاد ، حتى أسلموه .

فبلغني ذلك ، فخرجتُ حتى أتيتُ أولئك الأعراب ، وكانت لهم أبياتٌ بالقربِ من أرض البحر لا حجر فيها ولا مدر ، فقلت لهم : كيف كانت قصة هذا الرجل ؟ فقالوا : أقبل علينا على برذون ، فوالله لكانه دُمنٌ يسيل على صفاة من فراهيته ، فعجبنا لذلك إذ انقضَّ رجلٌ من السماء عليه ثيابٌ بيض ، فأخذ بضبعيه ، فاحتمله ، ثم نكسه : وضرب برأسه الأرض ، فذقَّ عنقه ، ثم غاب عن عيوننا فاحتملناه فحجنا به .

وقد نزه قوم الوليد عما قيل : وأنكروه ونفوه عنه ، وقالوا : إنه اختلق عليه وألصق به ، وليس بصحيح .

حكى عن شبيب بن شيبه أنه قال : كُنَّا جُلُوسًا عند المهدي ، فذكروا الوليد ، فقال المهدي : كان زنديقا ، فقام ابن علاثة الفقيه ، فقال : يا أمير المؤمنين ؛ إنَّ الله عزَّ وجلَّ أعدلُ من أن يُؤلَّى خلافة النبوة وأمر الأمة زنديقا ، لقد أخبرني من كان يشهده في ملاعبه وشربه عنه بمروعة في طهارته وصلاته ؛ فكان إذا حضرت الصلاة

(١) ليس في د.

(٢) اهلجة: حسن سير الدابة في سرعة (اللسان) .

يَطْرَحُ الثِّيَابَ الَّتِي عَلَيْهِ الْمَطْيِبَةُ الْمَصْبِغَةُ ، ثُمَّ يَتَوَضَّأُ فَيُحْسِنُ
الْوَضُوءَ ، وَيُؤْتِي ثِيَابَ نِظَافٍ بَيْضٍ فَيَلْبَسُهَا ، وَيَصَلِّي فِيهَا ، فَإِذَا
فَرَّغَ عَادَ إِلَى تِلْكَ الثِّيَابِ فَلْيَبْسُهَا ، وَاسْتَغْلِ بِشُرْبِيهِ وَلَهْوِهِ ، فَهَذَا
فِعَالٌ مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ !

فَقَالَ الْمَهْدِيُّ : بَارَكَ اللَّهُ عَلَيْكَ يَا بَنَى عُلَاةَ .

وَلِلْوَلِيدِ كَلَامٌ حَسَنٌ ، فَمَنْ أَحْسَنَ كَلَامَهُ مَا قَالَهُ
لِهَشَامِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ لَمَّا مَاتَ مَسْلَمَةَ بْنَ عَبْدِ الْمَلِكِ وَقَعَدَ هَشَامٌ
لِلْعَزَاءِ ، فَاتَاهُ الْوَلِيدُ وَهُوَ نَشْوَانٌ يَجْرُ مُطْرَفٌ خَزَّ عَلَيْهِ ، فَوَقَفَ عَلَى
هَشَامٍ فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنْ عَقَبِي مِنْ بَقِي لُحُوقٍ مِنْ مَضَى ،
وَقَدْ أَقْفَرُ بَعْدَ مَسْلَمَةَ الصَّيْدُ لِمَنْ رَمَى ، وَاخْتَلَّ الشَّغْرُ فَهَوَى ، وَعَلَى
أَثَرٍ مِنْ سَلَفٍ يَمْضَى مِنْ خَلْفٍ ، فَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى .

فَأَعْرَضَ هَشَامٌ وَلَمْ يُجِرْ جَوَابًا ، وَسَكَتَ الْقَوْمُ فَلَمْ يَنْطِقُوا .
وَالْوَلِيدُ أَوَّلُ خَلِيفَةِ عَدِّ الشُّعْرِ وَأَجَازِعِنْ كُلِّ بَيْتِ أَلْفِ دَرَاهِمٍ ،
فَإِنْ يَزِيدُ بْنُ ضَبَّةٍ مَوْلَى ثَقِيفٍ مَدَحَهُ وَهَنَّاهُ (١) بِالْخِلَافَةِ فَأَمَرَ
أَنْ تُعَدَّ الْأَبْيَاتُ وَيُعْطَى لِكُلِّ بَيْتِ أَلْفِ دَرَاهِمٍ ؛ فَعُدَّتْ فَكَانَتْ خَمْسِينَ
بَيْتًا فَأَعْطَى خَمْسِينَ أَلْفَ دَرَاهِمٍ .

قَالَ : وَدُفِنَ الْوَلِيدُ بِيَابَابِ الْفَرَايِيسِ بِدِمَشْقَ . وَقِيلَ : إِنَّهُ قُتِلَ
بِأَرْضِ حِمْنَصَ .

وَحَكَى الدُّوَلَابِيُّ أَنَّ رَأْسَ الْوَلِيدِ نُصِبَ فِي مَسْجِدِ دِمَشْقَ وَلَمْ يَزَلْ

(١) فِي د : وَهَشَامَ :

أثرٌ دمه على الجدار إلى أن قدم المأمون دمشق في سنة [٥٢١٥]
خمس عشرة ومائتين ، فأمر بحكّه .

وكان الوليد أبيض ربعة قد وخطه الشيبُ .

وكان نقشُ خاتمه : يا وليدُ ، احذر الموتَ .

وكان له من الأولاد الذكور والإناث ثلاثة عشر .

كاتبه : العباس بن مسلم .

قاضيه : محمد بن صفوان الجمحي .

حاجبه : قطرى مولاة .

الأمير بمصر : حفص بن الوليد الحضرمي ، ثم صرفه عن الخراج .

قاضيها : حسين بن نعيم [والله أعلم^(١)] .

ذكر بيعة يزيد بن الوليد الناقص

هو أبو خالد يزيد بن الوليد^(٢) بن عبد الملك بن مروان ؛
ولقب بالناقص ؛ لأنه نقص الزيادات التي كان الوليد زاداها
في أعطيات الناس ، وهي عشرة عشرة ، وردَّ العطاء إلى أيام هشام .
وقيل : أول من لقبه بهذا اللقب مروان بن محمد .

وأم يزيد شاه آفرید^(٣) بنت فيروز بن يزدجر بن شهريار .

بُويع له لليلتين بقيتاً من جمادى الآخرة سنة [١٢٦ هـ]

ست وعشرين ومائة .

(١) ليس في د .

(٢) في ك : يزيد بن الوليد بن يزيد بن عبد الملك .

(٣) في العقد الفريد : وأمه ابنة يزدجرد بن كسرى . وفي الطبری : وأمه

شاه آفرید بنت فيروز بن يزدجر بن شهريار بن كسرى . وفي مروج الذهب :

أمة سارية بنت فيروز . وفي ك : شاه فهند . ونراه تحريفاً .

قال : ولما قُتِلَ الوليدُ خطبَ يزيدُ الناسَ فذَمَّ الوليدَ ، وذكر
 لإحاده ، وأنه قتلَه لِفِعْلِهِ الخبيث ، وقال : أيها الناس ، إنَّ لكم
 علىَّ أَلَّا أَصْعَ حجراً على حجر ، ولا لِبِنَّةٍ على لبنة ، ولا أَكْرُو^(١)
 نَهراً ، ولا أَكْتِيزَ مالاً ، ولا أعطيه زوجةً وولداً ، ولا أنقلُ مالا من
 بلدٍ حتى أسدُ ثغره وخصاصةً أهله بما يُغنيهم ، فما فضلُ نقلته
 إلى البلد الذي يليه ، ولا أجمرُكم في ثغوركم فأفتنكم . ولا أغلنُ
 بابي دونكم ، ولا أحملُ على أهل جزيتكم ، ولكم أعطياتكم كل
 سنةٍ وأرزاقكم في كل شهر ، حتى يكون أقصاكم كآدناكم ؛ فإن
 وقَّيت بما قُلْتِ فعليكم السمع والطاعة وحسن المؤازرة ، وإن لم
 أوف^(٢) فلکم أن تخلعوني ، إلَّا أن أتوب ، وإن علمتُم أحداً ممن
 يُعرفُ بالصلاح يعطيكم مثلَ ما أعطيتكم وأردتُم أن تبايعوه فأنا
 أولُ من يبايعه .

أيها الناس ، إنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق . [والله
 الموفقُ عنهُ وكرمه^(٣)] .

ذكر اضطراب امر بني أمية

وفي سنة ست وعشرين ومائة في أيام يزيد هذا اضطرب أمرُ
 بني أمية ، وهاجت الفتنة ، فكان من ذلك وثوبُ سليمان بن هشام
 ابن عبد الملك بعمان ، وكان الوليدُ قد حبسه بها ، فلما قتل خرج

(١) في ك: أكرى. وفي الكامل: .: أكرى . وفي القاموس : كرا الأرض
 يكرؤها : حفرها . والبُرطواها بالشجر .

(٢) في الكامل : أف . (٣) ليس في د .

من الحبس ، وأخذ ما كان بها من الأموال ، وأقبل إلى دمشق ،
وجعل يلعن الوليد ويعيبه بالكفر .

ومن ذلك خلاف أهل حمص وفلسطين :

ذكر خلاف أهل حمص

قال : ولما قُتِلَ الوليدُ أَعْلَقَ أَهْلُ حِمصِ أبوابها ، وأقاموا النوائح
والبواكي عليه . وقيل لهم : إِنَّ العباس بن الوليد بن عبد الملك
أَعَانَ عبد العزيز على قَتْلِهِ ، فهدموا داره ، وانتهبوها ، وسلبوا
حريمه ، وطلبوه ؛ فسار إلى أخيه يزيد ، وكاتب أهل حِمص
الأجناد ، ودعَّوهم إلى الطَّلَبِ بدمِ الوليد ، فأجابوهم واتفقوا على
أَلَّا يُطِيعوا يزيد ، وأمروا عليهم معاويةَ بن يزيد بن حُصَيْن بن
نمير ، ووافقهم مروان بن عبد الله بن عبد الملك على ذلك ، فراسلهم
يزيد ، فأخرجوا رُسُلَهُ ، فسير إليهم أخاه مسرورا في جمع
كثير ، فنزلوا حَوَارِينَ^(١) ، ثم قدم على يزيد سليمان بن هشام ،
فردَّ عليه ما كان الوليدُ أَخَذَهُ من أموالهم ، وسيره إلى أخيه مسرور ،
وأمرهم بالسَّمْعِ والطاعة له ؛ وكان أهلُ حمص يُريدونَ السير إلى
دمشق ، فقال لهم مروان بن عبد الله : أرى أن تسيروا إلى هذا
الجيش فتقاتلوهم ، فَإِنَّ ظَفِرْتُمْ بِهِم كان ما بعدهم أهون عليكم ،
ولستُ أرى المسير إلى دمشق وترك هؤلاء خلفكم .

فقال السَّمْطُ بن ابيت : إنما يريد خلافتكم ، وهو مائل^(٢)

(١) حوارين - بالضم وتشديد الواو ، ويختلف في الراء ، فمنهم من يفتحها
ومنهم من يكسرها ، وياء ساكنة ونون : وهى من قرى حلب (ياقوت) .

(٢) فى ك : ناقل .

ليزید ، فقتلوه وقتلوا ابنه ، وولّوا عليهم أبا محمد السفينانى ،
وتركوا عسكر سليمان ذات اليسار ، وساروا إلى دمشق ، فخرج
سليمان مُجِدًّا فى طلبهم ، فلحقهم بالسليمانية - مزرعة كانت لسليمان
ابن عبد الملك خَلْفَ عَذْرَاء (١) .

وأرسل يزيدُ عبدَ العزيز بن الحجاج فى ثلاثة آلاف إلى ثنية
العُقَاب ، وأرسل هشام بن مُصاد فى ألف وخمسمائة إلى عقبية
السلامية . وأمرهم أن يمدَّ بعضهم بعضا ، ولحقهم سليمان
على تَعَبٍ مقاتلتهم (٢) ، فانهزمت ميمنتُه وميسرته ، وثبت هو
فى القلب ، ثم حمل أصحابُه على أهلِ حِمص حتى ردوهم إلى موضعهم ،
وحمل بعضهم على بعضٍ مرارًا .

فبينما هم كذلك إذ أقبل عبد العزيز من ثنية العقاب ، فحمل
على أهل حِمص حتى دخل عسكرهم ، وقتل فيه من عرض له ،
فانهزموا ونادوا : يا يزيد بن خالد بن عبد الله القسرى ! الله الله
فى قومك ! فكف الناس ، وأخذ أبو محمد السفينانى أسيرا ،
وزيد بن خالد بن معاوية ، فأتى بهما سليمان فسيّرهما إلى يزيد
فحبسهما .

واجتمع أمرُ أهلِ دمشق ليزيد ، وبإيعه أهل حِمص ، فأعطاهم
العطاء ، وأجاز الأشراف ، واستعمل عليهم يزيد بن الوليد
ابن معاوية بن يزيد بن الحُصين .

(١) عذراء - بالفتح ثم السكون والمد: قرية بغوطة دمشق (المراصد) . وفى الطبرى

خلف عذراء من دمشق على أربعة عشر ميلا .

(٢) فى الكامل : فاقتلوا قتالا شديداً .

ذكر خلاف أهل فلسطين

وفي هذه السنة وثب أهل فلسطين على عاملهم سعيد بن عبد الملك فطرذوه ، وكان الوليد قد استعمله عليهم ، فأحضروا يزيد بن سليمان بن عبد الملك فجعلوه عليهم ، فدعا الناس إلى قتال يزيد ، فأجابوه إلى ذلك ؛ وبلغ أهل الأردن أمر أهل فلسطين ، فولوا عليهم محمد بن عبد الملك ، واجتمعوا^(١) معهم على قتال يزيد ابن الوليد ، فبعث يزيد إليهم سليمان بن هشام بن عبد الملك في أهل دمشق وأهل حمص الذين كانوا مع السفينائي ، وعدتهم أربعة آلاف وثيئف ، فبايع الناس ليزيد ، واستعمل ضبغان^(٢) بن روح على فلسطين وإبراهيم بن الوليد بن عبد الملك على الأردن .

ذكر عزل يوسف بن عمر عن العراق

وما كان من أمره ، واستعمال منصور بن جُمهور

وفي هذه السنة عزل يزيد بن الوليد يوسف بن عمر عن العراق ، واستعمل منصور بن جُمهور ، وقال له لَمَّا ولَّاه العراق : اتق الله واعلم أني إنما قتلْتُ الوليد لفسقِهِ ، ولما أظهر من الجور ، فلا تترك مثله ما قتلناه عليه . فسار حتى إذا بلغ عين^(٣) التمر كتب إلى من بالحيرة من قواد أهل الشام يُخبرهم بقتل الوليد وتأميره على العراق ويأمرهم بأخذ يوسف وعماله ، وبعث بالكتب

(١) في ك : واجمعوا . والمثبت في الكامل أيضاً .

(٢) في ك ، د : صنغان . والمثبت في الطبري أيضاً .

(٣) عين التمر : بلدة في طرف بادية الشام (المرصد) .

كلها إلى سليمان بن سليم بن كيسان ليُفرقها على القواد، فحبس
الكتّيب؛ وحمل كتابه فأقرأه يوسف بن عمر، فتحير في أمره؛
وقال: ما الرأي يا سليمان؟ قال: ليس لك إمام تُقاتل معه؛
ولا يقاتل أهل الشام معك، ولا آمن عليك منصوراً. وما الرأي
إلا أن تلحق بشامك.

قال: فكيف الحيلة؟ قال: تُظهرُ الطاعة ليزيد وتذعُوه
في خُطبتك؛ فإذا قُرب منصور تستخفي عندي وتدعه والعمل.

ثم مضى سليمان إلى عمرو بن محمد بن سعيد بن العاص؛
فأخبره بالأمر، وسأله أن يؤوى^(١) يوسف بن عمر عنده. ففعل؛
فانتقل يوسف إليه، فلم^(٢) ير رجلٌ كان مثل عتوه خاف مثل خوفه.
وقدم منصور الكوفة فحضرهم وذم الوليد ويوسف، وقامت
الخطباء فذموهما معه، فأتى عمرو بن محمد إلى يوسف، فأخبره؛
فجعل لا يذكر له رجلاً ممن ذكره بسوء إلا قال: لله على أن أضربه
كذا وكذا سوطاً؛ فجعل عمرو يتعجب من طمعه في الولاية.
وهدده الناس.

وسار يوسف من الكوفة سراً إلى الشام، فنزل البلقاء^(٣).
فلما بلغ خبره يزيد بن الوليد وجه إليه خمسين فارساً، فعرض
رجلٌ من بني نغير ليوسف، وقال: يابن عمر، أنت والله مقتول،
فأطعني وامتنع.

(١) في الكامل: يوارى. والمثبت في الطبرى أيضاً.

(٢) في الطبرى: قال عمرو: فلم أر رجلاً مثل عتوه رعب رعبه...

(٣) البلقاء: أرض بالشام (البكرى).

قال : لا ، فدعني أقتلك^(١) أذا ولا تقتلك هذه اليمانية فتغيظنا بقتلك .

قال : مالي فيما عرضتَ خيار ، فطلبه المسيرون إليه ، فلم يروه ، فتهددوا ابناً له ، فقال لهم : انطلق إلى مزرعة له ، فساروا في طلبه ، فلما أحس بهم هرب وترك نعليه ، ففتشوا عليه فوجدوه بين نسوة قد ألقين عليه قطيفة خز وجلسن على حواشيها حاسرات ، فجرؤوا برجله ، وأخذوه ، وأقبلوا به إلى يزيد ، فوثب عليه بغض الحرس ، فأخذ بلحيته وندف بعضها ، وكان من أعظم الناس لحية ، وأصغرهم قامة .

فلما أدخل على يزيد قبض على لحية نفسه ، وهي إلى سُرته ، وجعل يقول : يا أمير المؤمنين ؛ نتفت والله لِحيتي ، حتى لم يبقَ فيها شعرة ؛ فأمر به فحبس في الخضراء فأتاه إنسان فقال له : أما تخافُ أن يطلع عليك بعض من وترتَ فيُلقي عليك حجراً فيقتلك؟

قال (١) : ما فطنتُ لهذا ، فأرسل إلى يزيد يطلب منه أن يحول إلى حبس (٢) غير الخضراء ، وإن كان أضيق منه ، فعجبوا من حُمقهِ ، فنقله وحبسه مع ابني الوليد ، فبقى في الحبس ولاية يزيد وشهرين وعشرة أيام من ولاية إبراهيم .

فلما قرب مروان من دمشق ولى يزيد بن خالد [القسرى] (٣)

(١) في د : فقال .

(٢) في الطبرى : مجلس .

(٣) ليس في د .

مولى لأبيه يقال له أبو الأسد^(١) قَتَلَهُمْ^(٢) ، فقتل الحكم وعثمان
ويوسف على ما نذكر ذلك إن شاء الله تعالى .

وكان يوسفُ بنُ عمرٍ يُحَمِّقُ ، وفيه أشياء متباينة متناقضة ،
كان طويل الصلاة ، مُلَازِمًا للمسجد ، ضابطًا لحشمه وأهله عن الناس ،
لِينُ الكلام ، متواضعًا ، حسنَ الملكة كثير التضرُّع والدعاء ، فكان
يصلُّ الصُّبح ، ولا يكلم أحدًا حتى يصلِّ الضُّحى ، وهو فيما بين ذلك
يقرأ القرآن ويتضرُّع ، وكان بصيرًا بالشعر والأدب ، وكان شديد
العقوبة ، مُسْرِفًا في ضَرْبِ الأَبْشارِ ، وكان يأخذ الثوب الجيد فيُعْمِرُ
ظفره عليه فإن تعلَّقَ به طاقه ضرب صاحبه ، وربما قطع يده .

حكى أنه أتى يوما بثوبٍ فقال لكتابه : ما تقولُ في هذا الثوب ؟
قال : كان ينبغي أن تكونَ بيوته أصغر مما هي . فقال للحائك :
صدق يابنُ اللخناء . فقال الحائك : نحن أعلم بهذا . فقال لكتابه :
صدق يابنُ اللخناء . فقال الكاتب : هذا يعملُ في السنة ثوبًا أو ثوبين
وأنا يمرُّ على يدي في السنة مائة ثوبٍ مثل هذا . فقال للحائك : صدق
يابنُ اللخناء ، فلم يزل يكذبُ هذا مرةً ، وهذا مرةً حتى عدَّ أبيات
الثوب ، فوجدها تنقص بيتًا من أحدِ جانبي الثوب ، فضرب الحائكُ
مائة سوط .

وقيل : إنه أراد السفر فدعا جواريه ، فقال لإحداهنَّ : تخرُجين
معى ؟ قالت : نعم . قال : يا خبيثة . كلُّ هذا من حبِّ النكاح ،

(١) في ك : يقال له الأسد . والمثبت في الطبرى : والكامل .

(٢) في الكامل (٤-٢٧٢) : فلما قرب مروان من دمشق ولّى قتلهم يزيد بن خالد

القسرى مولى لأبيه خالد ، يقال له أبو الأسد . وهي أوضح .

ياخادم ، اضرب رأسها . وقال لأخرى : ما تقولين ؟ فقالت : أقيم على ولدي . فقال : ياخبیثة ، كل هذا زهادة في ، اضرب رأسها . وقال لثالثة : ما تقولين ؟ قالت : لا أدرى ما أقول ، إن قلت ما قالت إحداهما لم آمن عقوبتك . فقال : ياالخناء وتناقضين وتحتججين ، اضرب رأسها .

وكان قصيراً ، فكان يحضر الثوب الطويل ليفصله ليلبسه ، فإن قال له الخياط : إنه يفضل منه ضرب رأسه ، وإن قال : لا يكفي إلا بعد التصرف في التفصيل سره ذلك ، فكانوا يفصلون له ويأخذون ما بقي . وكان له في ذلك أشياء كثيرة .

فلنرجع إلى أخبار منصور بن جمهور .

قال : وكان دخول منصور الكوفة لأيام خلّت من شهر رجب سنة [٥١٢٦هـ] ست وعشرين [ومائة^(١)] ، فأخذ بيوت الأموال ، وأخرج العطاء والأرزاق ، وأطلق من كان في السجون من العمال وأهل الخراج ، وبایع ليزيد بالعراق ، وأقام بقية رجب وشعبان ورمضان ، وانصرف لأيام بقين منه .

وامتنع نصر بن سيار بخراسان من تسليم عمله لعامل منصور ، فإن يزيد كان قد ضم خراسان لمنصور مع العراق .

ذكر عزل منصور بن جمهور عن العراق

وولاية عبد الله بن عمر بن عبد العزيز

وفي هذه السنة عزل يزيد بن الوليد منصور بن جمهور عن العراق ،

(١) زيادة مما بين السطور في د .

واستعمل عبد الله بن عمر بن عبد العزيز : وقال له : سير إلى العراق ، فإن أهلَه يميلون إلى أبيك . وخاف ألا يسلم إليه المنصورُ العمل ، فانقاد له أهلُ الشام ، وسلم إليه منصورُ الولاية ، وانصرف إلى الشام ، ففرقَ عبدُ الله العمال ، وأعطى الناس أرزاقهم وأعطياتهم ، فنازعه قوادُ أهلِ الشام ، وقالوا : تقسيم على هؤلاء فيمننا ، وهم عدونا ! فقال لأهلِ العراق : إني أريدُ أن أردُّ عليكم فينكم ، وعلمتُ أنكم أحقُّ به ، فنازعتني هؤلاء .

فاجتمع أهلُ الكوفة بالجبانة ، فأرسل إليهم أهلُ الشام يعتذرون ، وثار غوغاءُ الناس في الفريقين ، فأصيب منهم رهطٌ لم يُعرفوا ، واستعمل عبدُ الله بن عمر على شرطته عمر بن الغضبان ابن القبيعري ، وعلى خراج السواد والمحاسبات أيضا .

ذكر الاختلاف بين أهل خراسان

وفي سنة [٥١٢٦هـ] ست وعشرين ومائة وقع الاختلافُ بخراسان بين النزارية واليمانية ، وأظهر الكرماني الخلاف لنصر بن سيار . وكان سبب ذلك أن نصرًا رأى الفتنة قد ثارت ، فرفع حاصِلَ بيت المال ، وأعطى الناس بعضَ أعطياتهم ورقًا وذهبًا ، من أوان^(١) . كان اتخذها للوليد بن يزيد ، فطلب الناس منه العطاء ، وهو يخطبُ ، فقال نصر : إياي والمعصية ، عليكم بالطاعة والجماعة . فوثب أهلُ السوقِ إلى أسواقهم ، فغضب نصر ، وقال : مالكم عندي عطاء^(٢) .

(١) في الطبرى والكامل : من الآنية التي كان ...

(٢) في الطبرى : عطاء بعد يومكم هذا .

ثم قال : كَأَنِّي بِكُمْ وَقَدْ نَبَعٌ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ شَرٌّ لَا يُطَاقُ ، وَكَأَنِّي بِكُمْ مُطَرَّحِينَ فِي الْأَسْوَاقِ كَالْجُزْرِ الْمَنْحُورَةِ ، لِأَنَّهُ لَمْ تَطُلْ وَلَايَةُ رَجُلٍ إِلَّا مَلُّوهُا ، وَأَنْتُمْ يَا أَهْلَ خُرَاسَانَ مُسَلِّحَةٌ فِي نَحْوِ الْعَدُوِّ ، فَيَايَاكُمْ أَنْ يَخْتَلِفَ فِيكُمْ سَيْفَانٌ ؛ إِنَّكُمْ تَرِيشُونَ أَمْرًا وَتَرِيدُونَ ^(١) بِهِ الْفِتْنَةَ ، وَلَا أَتَقَى اللَّهَ عَلَيْكُمْ ، لَقَدْ نَشَرْتُمْكُمْ وَطَوَيْتُمْكُمْ ، فَمَا عِنْدِي مِنْكُمْ عَشْرَةٌ . فَاتَّقُوا اللَّهَ ، فَوَاللَّهِ لَئِنِ اخْتَلَفَ فِيكُمْ سَيْفَانٌ لِيَتَمَنَّيَنَّ أَحَدُكُمْ أَنَّهُ يَنْخَلَعُ مِنْ مَالِهِ وَوَلَدِهِ . يَا أَهْلَ خُرَاسَانَ ، إِنَّكُمْ قَدْ غَمَطْتُمُ الْجَمَاعَةَ ، وَرَكَنْتُمْ إِلَى الْفِرْقَةِ .

ثم تمثل بقول النابغة ^(٢) :

فِي أَنْ يَغْلِبَ شَقَاؤُكُمْ عَلَيَّكُمْ فَيَأْتِي فِي صَلَاحِكُمْو سَعِيَّتْ
وَقَدِمَ عَلَى نَصْرِ عَهْدِهِ ^(٣) عَلَى خُرَاسَانَ مِنْ قِبَلِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ
ابْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ ؛ فَقَالَ الْكِرْمَانِيُّ لِأَصْحَابِهِ : النَّاسُ فِي فِتْنَةٍ فَانظُرُوا
لِأُمُورِكُمْ رَجُلًا .

وَالْكِرْمَانِيُّ اسْمُهُ جُدَيْعُ بْنُ عَلِيِّ الْأَرْدَزِيِّ ، وَإِنَّمَا سُمِّيَ الْكِرْمَانِيُّ لِأَنَّهُ
وُلِدَ بِكِرْمَانَ ، فَقَالُوا لَهُ : أَنْتَ لَنَا . وَقَالَتِ الْمُضَرِّيَّةُ لِنَصْرِ : إِنْ
الْكِرْمَانِيُّ يُفْسِدُ عَلَيْكَ الْأُمُورَ ، فَأَرْسِلْ إِلَيْهِ فَاقْتُلْهُ أَوْ أَحْبِسْهُ .
قَالَ : لَا ، وَلَكِنْ لِي أَوْلَادٌ ذَكَوْرٌ وَإِنَاثٌ ، فَأَزْوَجُ بَنِيٍّ مِنْ بَنَاتِهِ ،
وَبَنَاتِيٍّ مِنْ بَنِيهِ .

قَالُوا : لَا . قَالَ : فَأَبْعَثْ إِلَيْهِ بِمِائَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ ، وَهُوَ بِخَيْلٍ ،

(١) فِي الطَّبْرِيِّ : تَرِيدُونَ .

(٢) فِي دِيوَانِهِ : ٢٢

(٣) كَ : عَهْدٌ .

فلا يُعْطَى أصحابه شيئاً منها ، فيتفرقون عنه . قالوا : لا ، هذه قوة له ، ولم يزلوا به حتى قالوا له : إنَّ الكَرْمَانِي لو لم يقْدِر على السلطنة والملك إلا بالنصرانية واليهودية لتنصر وتهود .

وكان نصرٌ والكِرْمَانِي متصافيين ، وكان الكَرْمَانِي قد أحسنَ إلى نصرٍ في ولاية أسد [بن عبد الله ^(١)] القَسْمَرِي . فلما ولي نصرٌ عزل الكَرْمَانِي عن الرياسة وولأها غيره ، فتباعد ما بينهما ، فلما أكثرُوا على نصرٍ في أمره عزم على حبسه ، فأرسل صاحب حرسه ليأتيه [به ^(٢)] ، فأرادت الأزدُ أن تُخلّصه من يده ، فمنعهم من ذلك ، وسار مع صاحب الحرس وهو يضحك :

فلما دخل على نصرٍ قال له : يا كَرْمَانِي ، ألم يأتني كتابُ يوسف ابن عُمر بقتلك فراجعت ^(٣) وقلتُ : شيخُ خراسان وفارِسها ، فحققتُ دمك ؟ قال : بلى . قال : ألم أغرم عنك ما كان ليزمك من الغُرم ، وقسمته في أعطيات الناس ؟ قال : بلى . قال : ألم أرؤس ابنك علياً على كُرهِه من قومك ؟ قال : بلى . قال : فبدلتُ ذلك إجماعاً على الفتنَةِ .

قال الكَرْمَانِي : لم يقل الأميرُ شيئاً إلا وقد كان أكثر منه ، وأنا لئدلك شاكر ، وقد كان منى أيام أسد ما قد علمت ، ولستُ أحيبُ الفتنَةَ .

(١) من الكامل .

(٢) ليس في ك .

(٣) في د : فراجعت .

قال سلم^(١) بن أخوز : اضرب عُنُقَهُ أَيُّهَا الأمير ، وأشار
 غَيْرُهُ بذلك ، فقال المقدم وقد امة ابنا عبد الرحمن بن نعيم العامري^(٢) :
 لَجَلَسَاءُ فرعون خَيْرٌ منكم ؛ إذ قالوا^(٣) : «أَرْجِهْ وَأَخَاهُ» والله لا يقتل الكرمانى
 بقولكم ، فأمر نصر بحبسسه فى القهنْدَز^(٤) . فحبس وذلك لثلاث بقين من
 شهر رمضان ، فتكلمت الأزْد فقال نصر : إني حلفت أن أحبسسه ، ولا يناله
 منى سوءة ، فإن خشيت عليه فاختراروا رجلا يكون معه ، فاختراروا يزيد
 النحوى ، فكان معه ؛ فجاء رجل من أهل نسف ، فقال لآل الكرمانى :
 مات جعلون لى إن أخرجته ؟ قالوا : كل ما سألت ، فأتى مجرى الماء فى القهنْدَز
 فوسعه ، وقال لولد الكرمانى : اكتبوا لأبيكم^(٥) يستعد الليلة للخروج .
 فكتبوا إليه ، وأدخلوا الكتاب فى الطعام ، فتعشى الكرمانى ، ويزيد
 النحوى ، وحُصين بن حكيم ؛ وخرجا من عنده .

ودخل الكرمانى السرب ، فانطوت على بطنه حية فلم تضره ؛
 وخرج من السرب ، وركب فرسه البشير ، والقيد فى رجليه ،
 فأتوا به عبد الملك بن حرمة فأطلق عنه القييد .

وقيل : إن الذى خلص الكرمانى مولى له رأى خرقة فوسعه وأخرجه

(١) فى ك : مسلم . وفى د : سالم . والمثبت فى الطبرى ، والمشبه .

(٢) فى الطبرى : الغامدى . والمثبت فى الكامل أيضاً .

(٣) سورة الأعراف ، آية ١١١

(٤) فى ياقوت : القهنْدَز - بفتح أوله وثانيه وسكون النون وفتح الدال

وزاى : فى الأصل اسم الحصن أو القلعة فى وسط المدينة ، وأكثر الرواة يسمونه

قهنْدَز - بضم القاف والدال ، وهو تعريب كهنْدَر - ومعناه القلعة الحصينة .

(٥) فى د : إلى أبيكم .

منه ، فلم يُصلِّ الصُّبْحُ حتى اجتمع معه زهاء ألف ، ولم يرتفع النهار حتى بلغوا ثلاثة آلاف .

وكانت الأزد قد بايعوا عبد الملك بن حرملَةَ . فلما خرج الكَرَماني قدمه عبد الملك .

قال : ولما خرج الكَرَماني عسكر نَصْرُ بباب مَرُو الرُّوذ ، وخطب الناس ، فنال مِنَ الكَرَماني ، ثم ذكر الأزد ، فقال : إِنْ يَسْتَوْسِقُوا (١) فهم أَذَلُّ قَوْمٍ ، وَإِنْ يَأْبُوا فهم كما قال الأخطل (٢) :

ضفادِع في ظَلَماء لَيْلٍ تجاوبستُ فدلَّ عليها صوتُها حَيْثَ البحر ثم ندم على ما قرط منه ، فقال : اذكروا الله ؛ فإنه خَيْرٌ لاشْرَ فيه .

واجتمع إلى نَصْرٍ بشرٌ كثير ، فسفر الناس بينه وبين الكَرَماني ، وسألوا نَصْرًا أَنْ يَوْمَنَهُ ، ولا يحبسَه ؛ وجاء الكَرَماني ، فوضع يدهُ في يدِ نَصْرٍ ، فأمره بلزوم بيتهِ ، ثم بلغ الكَرَماني عن نَصْرٍ شيء ، فخرج إلى قريةٍ له ، وخرج نَصْرٌ فعسكر بباب مَرُو ، فكلَّمو فيه ، فأمنه .

فلما عُزل ابن جُنْهُور عن العراق ووُئِيَ عبدُ الله بن عمر في سؤال من السنة خطب نَصْرٍ ، وذكره ، وقال : قد علمتُ أنه لم يكن مِنْ عُمال العراق ، وقد عزله الله ؛ واستعمل الطَّيِّب ابنَ الطَّيِّب .

فغضب الكَرَماني لابن جُنْهُور ، وعاد في جمعٍ (٣) الرجال واتخاذ السلاح ؛ فكان يحضر الجمعة في ألف وخمسمائة فيصلي خارج

(١) في د : يستوتقوا .

(٢) البيت في الطبري ، والتكامل •

(٣) في ك : جميع .

المقصورة ، ثم يدخل فيسلم على نضر ، ولا يجلس ، ثم ترك إتيان نضر وأظهر الخِلاف ، فأرسل إليه مع سلم (١) بن أحوز ، يقول : إني والله ما أردتُ بحبسك سوءاً ، ولكن خفتُ فساد أمر الناس فأتيتي . فقال : لولا أنك في منزلي لقتلتك ، ارجع إلى ابنِ الأقطع ، فأبلغه ما شئت من خيرٍ أو شر .

فرجع إلى نضر فأخبره ، فلم يزل يُرسلُ إليه مرةً بعد أخرى ، فكان آخر ما قال له الكرمانى : إني لا آمنُ أن يحملك قوم على (٢) غير ما تريد ، فتركب منا مالا بقیةً بعده ، فإن شئت خرجتُ عنك لا من هيبةٍ لك ، ولكن أكرهُ سفكَ الدماء ، فتهدياً للخروج إلى جرجان ، ثم كان من أمرِ الكرمانى ما نذكره إن شاء الله تعالى .

ذكر الحرب بين أهل اليمامة وعاملهم

قال : لما قُتل الوليد بن يزيد كان على اليمامة على بن المهاجر ، استعمله عليها يوسف بن عمر ، فقال له المهير بن سلمى بن هلال أحدُ بنى الدول بن حنيفة : اترك لنا بلادنا ، فأبى ، فجمع له المهير ، وسار إليه ، وهو بقصره في قاع (٣) هجر ، فالتقوا بالقاع ، فانهزم على حتى دخل قصره ، ثم هرب إلى المدينة ، وقتل المهير ناساً من أصحابه ، وتأمّر المهير على اليمامة ، ثم إنه مات ، واستخلف على اليمامة عبدُ الله بن النعمان أحدُ بنى قيس بن ثعلبة بن الدول ، فاستعمل

(١) في ك : مسلم . وفي الكامل : سالم . وقد سبق .

(٢) في ك : إلى .

(٣) في د : بقاع .

عبد الله بن النعمان المندلث^(١) بن إدريس الحنفى على الفلج -
وهى قرية من قرى بنى عامر بن صعصعة ، فجمع له بنو كعب
ابن ربيعة بن عامر ومعهم بنو عقيل ، فاتوا^(٢) الفلج ،
فلقبهم المندلث ، وقاتلهم ، فقتل المندلث وأكثر أصحابه ، ولم يقتل
من بنى عامر كثير ، وقتل يومئذ يزيد ابن الطثيرة^(٣) وهى أمه ،
تنسب إلى طثر بن عنز^(٤) بن وائل ، وهو يزيد بن المنتشر^(٥) .

فلما بلغ عبد الله بن النعمان قتل المندلث جمع ألفاً من حنيفة
وغيرها ، وغزا الفلج .

فلما تصاف الناس انهزم أبو لطيفة بن مسلم العقيلي ، وطارق
ابن عبد الله القشيري ، والجعونيان^(٦) ، وتجلت بنو جعدة البراذع ،
وولوا ، فقتل أكثرهم ، وقطعت يد زياد بن حيان الجعدى ؛ ثم
قتل^(٧) .

ثم إن بنى عقيل وقشيرا وجعدة وغيرا تجمعوا وعليهم أبو سهلة
النميري ، فقتلوا من لقوا من بنى حنيفة بمعدن الصحراء ، وسبوا
نساءهم ، وكفت بنو نمير عن النساء .

(١) هذا فى ك : د .

(٢) فى د : وأتوا .
(٣) الطثيرة - بالتحريك : أم يزيد بن الطثيرة الشاعر القشيري . وفى الشعر
والشعراء (١ - ٣٩٢) : هو يزيد بن الطثيرة - بسكون التاء ، وهى من طثر
ابن عتر بن وائل .

(٤) فى ك : بن عمير . والصواب فى د ، والشعر والشعراء .

(٥) وهذا يوم الفلج الأول (الكامل : ٤ - ٢٧٣) .

(٦) الضبط فى د .

(٧) وهذا يوم الفلج الثانى (الكامل : ٤ - ٢٧٣) .

ثم إنَّ عمر بن الوازع الحنفى لَمَّا رأى ما فعل عبْدُ الله بن النعمان قال : لَمَسْتُ بدون عبْد الله وغيره ممن يغير ، وهذه فِتْرَةٌ يُؤْمَن فيها عقوبة السلطان ، فجمع خَيْلَه وبِئْهَا فَأَغَارَتْ وَأَغَارَ فَمَلَأَ يَدَهُ مِنَ الْغَنَائِمِ ، وَأَقْبَلَ بِمَنْ مَعَهُ حَتَّى أَتَى النَّشَاشَ ^(١) ، وَأَقْبَلَتْ بَنُو عَامِرٍ ، وَقَدْ حَشَدَتْ ، فَلَمْ يَشْعُرْ عُمَرُ بِنِ الْوَازِعِ إِلَّا بِرُغَاءِ الْإِبِلِ ، فَجَمَعَ النِّسَاءَ فِي فُسْطَاطٍ ، وَجَعَلَ عَلَيْهِنَّ حِرْسًا ، وَلَقِيَ الْقَوْمَ فَقَاتَلَهُمْ ، فَانْهَزَمَ هُوَ وَمَنْ مَعَهُ ، وَهَرَبَ ابْنُ الْوَازِعِ ، فَلَحِقَ بِالْيَمَامَةِ ، وَكَفَّتْ قَيْسُ يَوْمَ النَّشَاشِ عَنِ السَّلْبِ ، فَجَاءَتْ عُكْلٌ فَسَلَبَتْهُمْ ^(٢) .

وجمع عبِيد الله بن مسلم الحنفى جمعًا ، وأغار على ماء لُقْشِيرٍ يقال له حَلْبَانٌ ^(٣) ، وأغار على عُكْلٍ فَقَتَلَ مِنْهُمْ عَشْرِينَ رجلاً . ثم قدم المثنى بن يزيد بن عمر بن هُبَيْرَةَ الْفَزَارِيَّ وَالْيَأَى عَلَى الْيَمَامَةِ مِنْ قَبْلِ أَبِيهِ يَزِيدَ بْنِ عُمَرَ حِينَ وَلى الْعِرَاقَ لِمَرْوَانَ بْنِ مُحَمَّدٍ ، فَوَرَدَهَا وَهُمْ سَلَمٌ .

وسكنت البلاد ؛ ولم يزل عبِيد الله بن مسلم الحنفى مستخفياً حتى قدم السرى بن عبْد الله الهاشمى واليًّا على اليمامة لبني العباس ، فدلَّ عليه فقتله .

وفى هذه السنة أمر يزيد بن الوليد بالبيعة [بولاية^(٤)] العهد لأخيه إبراهيم ، ومن بعده لعبد العزيز بن الحجاج بن عبد الملك بن مروان .

(١) النشاش - ككتان : واد لبني نعيم كانت به وقعة بين بني عامر وأهل اليمامة

(القاموس) . وفى د : النشاش .

(٢) وهو يوم النشاش (الكامل : ٤ - ٢٧٤) ..

(٤) ليس فى ك .

(٣) الضبط فى ياقوت .

وفيهما خالف مروان بن محمد يزيد بن الوليد وأظهر الخِلاف ،
وتجهز للمسير إلى الشام ، وعرض جُند الجزيرة في نَيْفٍ وعشرين
ألفًا ، فكتبه يزيدُ لِيُبايع له ويؤليه ما كان عبد الملك وليّ أباه محمدا
من الجزيرة وإرمينية والموصل وأذربيجان ، فبايع له مروان ، وأعطاه
يزيد ولاية ما شرطه (١) له .

ذكر وفاة يزيد بن الوليد بن عبد الملك

كانت وفاته بدمشق لعشر بقين من ذى الحجة سنة [٥١٢٦هـ]
ستّ وعشرين ومائة ؛ فكانت مدة ولايته خمسة أشهر واثنين (٢)
وعشرين يوما ، وقيل ستة أشهر وليتين ، وقيل ستة أشهر ؛ وكان
عمره ستا وأربعين سنة .

واختلف فيه إلى ثلاثين سنة .

وكان أسمر نحيف البدن ، رُبّع القامة ، خفيف العارضين ،
فصيحا شديد العُجب .

وقيل في صفته : أسمر طويل صغير الرأس جميلا .

وكان نقش خاتمه : يا يزيد ، قم بالحق . وقيل : كان نقش خاتمه :
العظمةُ لله .

وكان آخر ما تكلم به : واحسرتاه ! واأسفاه ! وكان له عقب كثير .
كاتبه : ثابت بن سليمان .

قاضييه : عثمان بن عمر بن موسى بن معمر التميمي .

(١) في د : ما شرط له :

(٢) في الكامل : واثنى عشر يوما .

حاجبه : قطريّ مولاة . وقيل سلام .
الأمير بمصر : حفص بن الوليد ، ولم يزل عليها إلى أن ولي مروان
فاستغفى .

قاضيها : حسين بن نعيم .
وزيد أول من خرج بالسلاح يوم العيد ، خرج بين صفتين
عليهم السلاح . وقيل : إنه كان قَدْرِيًّا . والله أعلم .

ذكر بيعة ابراهيم بن الوليد

هو أبو إسحاق إبراهيم بن الوليد بن عبد الملك بن مروان وأمه
أم^(١) ولد اسمها نعمة ، وقيل خشف ، وهو الثالث عشر من ملوك
بنى أمية ، قام بالأمر بعد وفاة أخيه يزيد في ذى الحجة سنة [١٢٦ هـ]
ست وعشرين ومائة ، وكان يسلم عليه تارة بالخلافة ، وتارة
بالإمارة ، وتارة لا يسلم عليه بواحدة منهما ؛ فمكث أربعة أشهر ،
وقيل سبعين يوما ، ثم سار إليه مروان بن محمد ، فخلعه على
ما نذكر ذلك إن شاء الله ، ثم لم يزل حياً حتى أصيب في سنة
[١٣٢ هـ] اثنتين وثلاثين ومائة .

تتمة حوادث سنة (١٢٦ هـ) ست وعشرين ومائة :

فيها عزّل يزيد بن الوليد يوسف بن محمد بن يوسف عن
المدينة ، واستعمل عبد العزيز بن عمرو بن عثمان ، فقدمها في ذى القعدة
من السنة .

وحجّ بالناس عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز ، وقيل عمر
ابن عبد الله بن عبد الملك .

(١) في العقد الفريد : وأمه بربرية .

(١٢٧ هـ) سبع وعشرين ومائة :

ذكر مسير مروان بن محمد الى الشام

وخلع إبراهيم بن الوليد

في هذه السنة سار مروان بن محمد بن مروان إلى الشام لمحاربة إبراهيم بن الوليد ، فانتهى إلى قنسرين ، وبها بشر^(١) ومسرور ، ابننا الوليد [أرسلهما^(٢)] أخوه إبراهيم ، فتصافوا ، ودعاهم مروان إلى بيعته فمال إليه يزيد بن عمر بن هبيرة في القيسية ، وأسلموا بشراً وأخاه مسروراً ، فحبسهما مروان ، وسار معه أهل قنسرين إلى حنص ، وكان أهل حنص قد امتنعوا من بيعة إبراهيم وعبد العزيز ، فوجه إليهم إبراهيم عبد العزيز في جند أهل دمشق ، فحاصروهم في مدينتهم ، وأسرع مروان السير ، فلما دنا من حنص رحل عبد العزيز عنها ، وخرج أهلها إلى مروان فبايعوه ، وساروا معه ، ووجه إبراهيم الجنود من دمشق مع سليمان بن هشام في مائة وعشرين ألفاً ومروان في ثمانين ألفاً ، فدعاهم مروان إلى الكف عن قتاله وإطلاق الحكم وعثمان ابني الوليد من السجن ، وضمن لهم أنه لا يطلب أحداً من قتل الوليد ، فلم يجيبوه وجدوا في قتاله فاقتتلوا^(٣) ما بين ارتفاع النهار إلى العصر ، وكثر القتل بينهم ، وكان مروان ذا رأي ومكيدة ، فأرسل ثلاثة آلاف فارس ، وأمرهم أن يأتوا عسكر سليمان من خلفه ، ففعلوا ذلك ، فلم يشعر سليمان إلا والقتل في أصحابه من ورائهم ،

(١) في ك : بشر .

(٢) في د : واقتلوا .

(٣) من العقد الفريد : ٤ - ٤٤٦

فانهزموا ، ووضع أهل حِصص السلاح فيهم لحنقهم عليهم ، فقتلوا منهم سبعة عشر ألفا ، وقيل ثمانية عشر ألفا ، وكفَّ أهل الجزيرة وقنسرين عن قتالهم ، وأتوا مروان من أسراهم بمثل القتلى ، فأخذ مروان عليهم البيعة لولدى الوليد ، وخطب عنهم ، وهرب يزيد ابن عبد الله بن خالد القسري فيمن هرب إلى دمشق ، فاجتمعوا مع إبراهيم وعبد العزيز ، واتفقوا على قتل الحكم وعثمان ولدى الوليد ، فقتلوا ، وقتل معهما يوسف بن عمر ، وأرادوا قتل محمد السفيناني ، فدخل بيتا من بيوت السجن وأغلقه ، فلم يقدرُوا على فتحه : [وأرادوا^(١)] إحراقه ، فقيل لهم : قد دخلت خيل مروان المدينة ، فهربوا ، وهرب إبراهيم ، واختفى ، وانتهب سليمان بن هشام ما في بيت المال ، فقسمه في أصحابه ، وخرج من المدينة ، وعاش إلى سنة [١٣٢ هـ] اثنتين وثلاثين ومائة ، ثم قتله ابن عوف يوم الزاب .

وقيل : إنه غرق في ذلك اليوم .

وقيل : قتله مروان بن محمد وصلبه . وكان إبراهيم عاجزا

ضعيف الرأى ، وكان خفيف العارضين له ضفيرتان .

وكان نقش خاتمه : توكلت على الحي القيوم .

كاتبه : بكير بن السراج اللخمي .

قاضيه : عثمان بن عمر التميمي .

حاجبه : قطري مولى الوليد ، ثم وردان مولاة . [والله أعلم^(٢)] .

(١) ساقط في ك

(٢) ليس في د .

ذكر بيعة مروان بن محمد

هو أبو عبد الله مروان بن محمد بن الحكم بن أبي العاص، وأمه لُبابة جارية إبراهيم بن الأَشتر، وكانت كُرْدِيَّة ، أخذها محمد من عسكر إبراهيم ، فولدت له مروان وعبد العزيز ، ولقب بالجعدى لأن خاله الجعد بن درهم ، فنُسب إليه . ولقب أيضا حمار الجزيرة .

بُوع له في صفر في سنة [١٢٧ هـ] سبع وعشرين ومائة ، وكان سبب بيعته أنه لما دخل دمشق وهرب إبراهيم بن الوليد وسليمان بن هشام ثار من بدمشق من موالى الوليد بن يزيد بن عبد الملك إلى دار عبد العزيز بن الحجاج بن عبد الملك ، فقتلوه ونَبَشُوا قَبْرَ يزيد بن الوليد ، وأخرجوه فصلبوه على باب الجابية ، وأتى مروان بالغلَّامين ، الحكم وعثمان مقتولين ، وبيوسف بن عمر ، فدَفَنَهُمْ ، وأتى بأبي محمد السفيناني في قيوده ، فسلم على مروان بالخلافة ، ومروان يومئذ يسلم عليه بالإمرة ، فقال له مروان : مه . فقال : إنهما جعلها لك بعدهما ، وأنشد شعراً قاله الحكم في السجن ، وكانا قد بلغنا ووُلِد لأحدهما ، وهو الحكم ، فقال (١) :

ألا من مُبْلِغُ مروان عني وعمى الغمر (٢) طال به (٣) حنيننا

(١) الشعر في الطبرى : ٧ - ٣١١ . والكامل : ٤ - ٢٨٣

(٢) الغمر : الذى ذكر : هو عمه الغمر بن يزيد بن عبد الملك بن مروان

أخو الوليد بن يزيد (هامش د) .

(٣) فى الطبرى : طال بهذا حنيننا .

بَأْتِي قَدْ ظَلِمْتُ وَصَارَ قَوْمِي عَلَى قَتْلِ الْوَلِيدِ مُشَايِعِينَ (١)
 أَيَذْهَبُ كُلُّهُمْ (٢) بِيَدِي وَمَالِي فَلَإِ غَنًّا أَصَبْتُ وَلَا سَمِينًا
 وَمَرْوَانَ بَارِضِ بْنِ نِزَارٍ كَلَيْتِ الْغَابِ مُفْتَرِشِ عَرِينَا (٣)
 أَتَنَكُّتُ بِنَعْتِي مِنْ أَجْلِ أُمِّي فَقَدْ بَايَعْتُمُو قَبْلِي هَجِينَا
 فَإِنَّ أَهْلَكَ أَنَا وَوَلِيُّ عَهْدِي فَمَرْوَانَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ
 ثُمَّ قَالَ : ابْسُطْ يَدَكَ أَبَايَعُكَ ، وَسَمِعَهُ مِنْ مَعَ مَرْوَانَ (٤) .

وكان أول من بايعه معاوية بن يزيد بن حصين بن نيمور مؤسس أهل حِمْص ، والناس بعد . فلما استقر له الأمر رجع إلى منزله بحرّان ، وطلب منه الأمان لإبراهيم (٥) بن الوليد وسليمان بن هشام فأمّنهما فقدموا عليه ، وبايعاه .

وفي هذه السنة ظهر عبدُ الله بن معاوية بن عهد الله بن جعفر بن أبي طالب بالكوفة ودعا إلى نفسه ؛ وكان من أمره ما نذكره إن شاء الله في أخبارهم .

ذكر رجوع الحارث بن سريج

وفي هذه السنة كان رجوعُ الحارثِ بن سريج إلى مرو ؛ وكان قدومه في جمادى الآخرة سنة [١٢٧ هـ] سبع وعشرين ومائة ، وكان ببلاد التُّرك ، وكان مقامه عندهم اثنتي عشرة سنة ،

(١) في الطبري : متابعتنا . (٢) في الطبري : كلهم .

(٣) في الطبري والكمال : مفترس عرينا .

(٤) في الطبري . وسمعه من مع مروان من أهل الشام؛ فكان أول من نهض

معاوية بن يزيد ...

(٥) في الطبري : طلب الأمان منه إبراهيم بن الوليد .

وقد قدمنا من أخباره طرفاً .

وكان سبب عودِه أن الفِتْنَةَ لما وقعت بخراسان بين نصر بن سيار والكرمانى فى سنة [١٢٦هـ] ست وعشرين فى خلافة يزيد ابن الوليد كما ذكرنا - خاف نصرُ قدوم الحارث عليه فى أصحابه ، فأرسل مقاتل بن حيان النبطى وغيره ليردوه من بلاد الترك ، وسار خالد بن زياد البدى الترمذى وخالد بن عمرو مولى بنى عامر إلى يزيد ، فأخذوا للحارث منه أماناً فأمنه ، وأمر نصر بن سيار أن يُردَّ عليه ما أخذ له ، وأمر عبد الله بن عمر بن عبد العزيز بذلك ، فلما قدم تلقاه الناس بكشمينهن (١) ، ولقيه نصرٌ وأنزله ، وأجرى عليه كل يوم خمسين درهما ، فكان يقتصرُ على لَوْن واحد ، وأطلق نصر أهله وأولاده ، وعرض عليه نصر أن يوليه ويُعطيه مائة ألف دينار ، فلم يقبل .

وأرسل إلى نصر : إني لستُ من الدنيا واللذاتِ فى شيء ، إنما أسألُ كتاب الله والعملَ بالسنة واستعمالَ أهل الخير ، فإن فعلتُ ساعدتُك على عدوك .

وأرسل الحارثُ إلى الكرمانى إذا أعطاني نصرُ العملَ بالكتاب وما سألتُه عضدته وقُمتُ بأمرِ الله ، وإن لم يفعل أعنتُك إن ضمنتُ لى القيام بالعدل والسنة .

ودعا [بنى (٢)] تميم إلى نفسه ، فأجابه منهم ومن غيرهم

(١) بالضم ثم السكون وفتح الميم وياء ساكنة ، وهاء مفتوحة ونون : قرية كانت عظيمة من قرى مرو على طرف البرية (باقوت) . وفى الطبرى : بكشمان والمثبت فى الكامل أيضاً .

(٢) من الكامل ، والطبرى .

جمعٌ كثير ، واجتمع إليه ثلاثة آلاف ، وقال لنصر : إنما خرجتُ من هذه البلدة منذ ثلاث عشرة سنة إنكاراً للجور وأنت تُريدني عليه .

ذكر انتقاض أهل حمص

وفي هذه السنة انتقض أهل حمص بعد عود مروان إلى حران بثلاثة أشهر ، وكان الذي دعاهم إلى ذلك ثابت بن نعيم ، وراسل أهل حمص من بينهم من كلب ، فاتاهم الأصبغ بن ذؤالة الكلبي وأولاده ، ومعاوية السكسكي ، وكان فارس أهل الشام وغيرهما في نحو ألف من فرسانهم ، فدخلوا حمص ليلة الفطر ، فجد مروان في السير إليهم ومعه إبراهيم [بن الوليد] ^(١) المخلوي ، وسليمان ابن هشام ، فبلغها بعد الفطر بيومين ، وقد سد أهلها أبوابها ، فأخذق بالمدينة ووقف بإزاء باب من أبوابها ، فنادى مناديه : ما دعاكم إلى النكث ؟ قالوا : إننا على طاعتك لم ننكث . قال : فافتحوا . ففتحوا الباب ، فدخله عمرو بن الوضاح في الوضاحية في نحو ثلاثة آلاف ، فقاتلهم من بالبلد فكسرتهم خيل مروان ، فخرج من بها من باب تدمر ، فقاتلهم من عليه من أصحاب مروان فقتل عامة من خرج منه ، وأفلت الأصبغ وابنه ، وقتل مروان جماعة من أشرافهم ، وصلب خمسمائة من القتلى حول المدينة ، وهدم من سورها نحو غلوة . وقيل : كان ذلك سنة [٥١٢٨هـ] ثمان وعشرين ومائة . [والله أعلم ^(٢)]

(١) من الطبرى .

(٢) ساقط في د .

ذكر خلاف اهل الغوطة

وفى هذه السنة خالف أهل الغوطة وولّوا عليهم يزيد بن خالد القسرى وحصرُوا دِمَشْقَ وأميرها زامل بن عمرو ، فوجه إليهم مروان من جَمَصْ أبا الورد بن الكوثر بن زُفَر بن الحارث ، وعمرو بن الوضاح فى عشرة آلاف ، فلما دنوا من المدينة حملوا عليهم ، وخرج عليهم من بالمدينة ؛ فانهزموا ، واستباح أصحاب مروان عسكرهم ، وأحرقوا المِزَّة (١) وقرى من قرى اليمانية ، وأخذ يزيد بن خالد قتل ، وبعث زامل برأسه إلى مروان بجِصص .

ذكر خلاف اهل فلسطين

وفىها خرج ثابت بن نعيم بعد هؤلاء فى أهل فلسطين ، وأتى طبرية فحاصرها ، وعليها الوليد بن معاوية بن مروان بن الحكم ، فقاتله أهلها أياما ، فكتب مروان بن محمد إلى أبي الورد يأمره بالمسير إليهم ، فسار فلما قُرب منهم خرج أهل طبرية على ثابت فهزموه واستباحوا عسكره ، فانصرف إلى فلسطين مُنهزما ، فتبعه (٢) أبو الورد والتقوا واقتتلوا ، فانهزم ثانية وتفرق عنه أصحابه وأسر (٣) ثلاثة من أولاده . وبعث بهم إلى مروان ، وتغيّب ثابت وولده رفاعة .

(١) المزة - بالكسر ثم التشديد: قرية كبيرة غناء فى وسط بساتين دمشق (ياقوت).

(٢) فى د : وتبعه .

(٣) فى ك : فأسر .

واستعمل مروان على فلسطين الرماحس بن عبد العزيز^(١) الكنانى ، فظفر بثابت ، فبعثه إلى مروان مؤثماً بعد شهرين ، فأمر به وبأولاده الثلاثة ، فقُطعتْ أيديهم وأرجلهم ، وحُمِلوا إلى دمشق ، فألقوا على باب المسجد ثم صُلبوا على أبواب دمشق ؛ واستقام أمرُ الشام لمروان إلا تَدُمُرُ ؛ فسار مروان إليها ، فنزل القَسْطَل^(٢) ، وبعث إليهم فأجابوه إلى الطاعة فبايعهم ؛ وهدم سور البلد .

وفيهما بايع مروان لابنيه عُبيد الله وعبد الله وزَوْجَهُما ابنتى هشام ابن عبد الملك ، وجمع لذلك بنى أمية .

وسار مروان إلى الرصافة ، وندب يزيد بن عمر بن هُبيرة إلى العراق لقتال الضحاك الخارجى ، وأمر أهل الشام باللحاق به .

ولما سار مروان استأذنه سليمان بن هشام ليُقيمَ أياماً ليقوى من معه وتستريح دوابهم ، فأذن له .

وتقدّم مروان إلى قرقيسياء^(٣) وبها ابنُ هبيرة ليُقدّمه إلى الضحاك ، فرجع عشرة آلاف ممن كان مروان أخذ من أهل الشام لقتال الضحاك ، فأقاموا بالرصافة ، ودعوا سليمان إلى خلع مروان فأجابهم .

(١) هذا فى ك، والكامل، والطبرى ، وفى القاموس : وناج العروس : الرماحس ابن عبد العزيز .

(٢) القسطل - بالفتح ثم السكون وطاء مهملة مفتوحة ولام : موضع بين حمص ودمشق ، وموضع قرب البلقاء من أرض دمشق فى طريق المدينة (ياقوت) .

(٣) قرقيسياء - بالفتح ، والسكون ، وقاف أخرى ، وياء ساكنة وسين مكسورة ، وياء أخرى وألف ممدودة . ويقال بياء واحدة : بلد على نهر الخابور قرب رحبة مالك بن طوق ، وعندها مصب الخابور فى الفرات (ياقوت) .

ذكر خلع سليمان بن هشام بن عبد الملك

مرّوان بن محمد

وفى هذه السنة خَلَعَ سليمان بن هشام مرّوان ، وذلك أنه لما استأذنه فى المقام بعده ، وأقام ، وقدم عليه الجنودُ الذين ذكرناهم حسّنوا له خَلَعَ مروان وقالوا : أنتَ أَرْضَى عند الناس ، وأوْلى من مرّوان بالخلافة ؛ فأجابهم إلى ذلك ، وسار بإخوته ومواليه ، فعسكر بقنسرين ، وأتاه أهلُ الشام من كلِّ مكان .

وبلغ الخبرُ مرّوان ، فرجع إليه من قرقيسياء ، وكتب إلى ابنِ هبيرة يأمره بالمقام ؛ وكان أولادُ هشام وجماعةٌ من موالى سليمان بحضن الكامل ، فمرّ عليهم مرّوان فتحصّصوا منه ، فأرسل إليهم يحذّرهم أن يتعرّضوا لأحدٍ ممن يتبعه من جنده ، فإن تعرّضوا لأحدٍ فلا أمانَ لهم ، فأرسلوا إليه إنهم يكفون عنهم .

ومضى مرّوانُ فجمعوا يُغيرون على من يتبعه ، فاشتدَّ غيظُه عليهم . قال : واجتمع إلى سليمان نحوُ من سبعين ألفا من أهل الشام والدكوانية وغيرهم ، وعسكر بقرية خساف ^(١) من أرض قنسرين . وأتاه مرّوان والتقوا ؛ واشتدَّ القتالُ بينهم ، فانهزم سليمان ومن معه ؛ واتبعهم مرّوان ، فاستباح عسكره ، وأمر مرّوان بقتل من يؤتى به من الأسرى إلا عبداً مملوكا ، فأحصى من قتلهم يومئذ [ما^(٢)] نيف

(١) خساف - بضم أوله وتخفيف ثانيه وآخره فاء : مفازة بين الحجاز والشام . قال ياقوت : والصواب أنها برية بين بالس وحلب ، وكان بها قرى وأثر عمارة . وفى الطبرى : وعسكر فى قرية لبني زفر يقال لها خساف من قنسرين من أرضها .

(٢) من الكامل .

على ثلاثين ألف قتيل . وقتل إبراهيم بن سليمان أكبر ولده ، وخالد ابن هشام المخزومي خال هشام بن عبد الملك ، وادعى كثير من الجند الأسرى أنهم عبيد ؛ فكف عن قتلهم ، وأمر ببيعهم فيمن يزيد .
ومضى سليمان إلى حِمْص ، وانضم إليه من أقلت ممن كان معه ، فعسكر بها ، وبني ما كان مروان هدمه من سورها ؛ وسار مروان إلى حِمْص الكامل ، فحصر من فيه ، وأنزلهم على حُكْمِهِ ، فمَثَل بهم ، وأخذهم أهل الرقة فداووا جراحاتهم ، فهلك بعضهم وكانت عدتهم نحو ثلاثمائة (١) .

ثم سار إلى سليمان ، فقال بعضهم لبعض : حتى متى ننهزم من مروان ، فتبايع تسعمائة من فرسانهم على الموت ، وساروا بأجمعهم مجتمعين على أن يببئوه إن أصابوا منه غرة ، وبلغه خبرهم فتحرز منهم ، فلم يملكهم أن يببئوه ، وزحف على احتراز وتعبئة ، فكمنوا في زيتون في طريقه ، فخرجوا عليه وهو يسير على تعبئته ، فوضعوا السلاح فيمن معه ، فنادى مروان خيولَه ، فرجعت إليه ، فقاتلوا من لدن ارتفاع النهار إلى بعد العصر ، فانهزم أصحاب سليمان وقتل منهم نحو ستة آلاف .

فلما بلغ سليمان هزمتهم خلف أخاه سعيداً بحمص ، ومضى هو إلى تدمر ، فأقام بها ، ونزل مروان على حِمْص ، فحاصر أهلها عشرة أشهر ، ونصب عليهم نيفاً وثمانين منجنيقاً يرمي بها الليل والنهار ، وهم يخرجون إليه في كل يوم فيقاتلون .

(١) في الكامل : سبعمائة . والمثبت في الطبري أيضاً .

فلما تتابع عليهم البلاء طلبوا الأمان على أن يُمكنوه من سعيد
ابن هشام وابنيه : عثمان ومروان ، ومن رجلٍ كان يسمى السكسكى ،
كان يُغير على عسكره ، ومن رجلٍ حبشى كان يشتم مروان ، فأجابهم
إلى ذلك ، واستوثق من سعيد وابنيه ، وقتل السكسكى ، وسلم
الحبشى إلى بنى سليم ، لأنه كان يخصهم بالسب ، فقطعوا ذكره
وأنفقه ومثلوا به .

ولما فرغ مروان من حمص سار نحو الضحاك الخارجى .
وقيل : إن سليمان لما انهزم بخساف أقبل هاربا حتى التحق بعبد الله
ابن عمر بن عبد العزيز بالعراق ، فخرج معه [إلى ^(١) الضحاك ،
فقال بعض شعرائهم ^(٢) :
ألم تر أن الله أظهر دينه وصلّت ^(٣) قريش خلف بكر بن وائل

ذكر خروج الضحاك محكما

وما كان من أمره إلى أن قُتل

وفى سنة [١٢٧هـ] سبع وعشرين ومائة خرج الضحاك بن قيس
الشييبانى مُحكما ودخل الكوفة .

وكان سبب ذلك أن الوليد لما قُتل خرج بالجزيرة حرورى يقال
له سعيد بن بهدل الشييبانى فى مائتين من أهل الجزيرة ، فاغتم سعيد
قتل الوليد واشتغال مروان بالشام فخرج بأرض كَفَر توثا ^(٤) ،

(١) ليس فى ك . وفى الكامل : إلى الضحاك وبابه .

(٢) البيت فى الطبرى : ٧ - ٣٢٧ . والكامل : ٤ - ٢٨٨ .

(٣) فى الطبرى : فصلت .

(٤) بضم التاء المثناة من فوقها وسكون الواو ، وئاء مثلاة : قرية كبيرة من

أعمال الجزيرة . . وكفر توثا : من قرى فلسطين (ياقوت) .

وخرج بسطام البيهسي ، وهو مخالف لرأيه في مثل عدتهم من ربيعة ، فسار كل واحد منهما إلى صاحبه .

فلما تقاربا أرسل سعيد أحد قواده في مائة وخمسين ، فقتلوا بسطاما ومن معه إلا أربعة عشر رجلا . ثم مضى سعيد نحو العراق فمات في الطريق ، واستخلف الضحاک بن قيس . فأتى أرض الموصل ثم شهزور ، فاجتمعت عليه الصفرية حتى صار في أربعة آلاف ، وهلك يزيد بن الوليد وعامله على العراق عبد الله بن عمر بن عبد العزيز ومروان بالجزيرة . فكتب مروان إلى النضر بن سعيد الحرشي^(١) - وهو أحد قواد ابن عمر بولاية العراق - فلم يسلم ابن عمر إليه العمل ، فشخص النضر إلى الكوفة و [بقى]^(٢) عبد الله بالحيرة ، وتحاربا أربعة أشهر .

فلما سمع الضحاک باختلافهم أقبل نحوهم . وقصد العراق سنة [٥١٢٧هـ] سبع وعشرين ، فأرسل ابن عمر إلى النضر في الاجتماع عليه ، فتعاقدا واجتمعا بالكوفة ؛ وكان كل منهما يصل بأصحابه .

وأقبل الضحاک فنزل بالنخيلة^(٣) في شهر رجب سنة [٥١٢٧هـ] سبع وعشرين ومائة ، والتقوا ، واقتتلوا قتالاً شديداً ، فكشفوا ابن عمر ، وقتلوا أخاه عاصمًا وجعفر بن العباس الكندي ، ودخل ابن عمر خندقه ، وبقي الخوارج عليهم إلى الليل ثم انصرفوا ؛ وذلك

(١) فك : الجرسى . والمثبت في د ، والكامل . والطبرى .

(٢) من الكامل .

(٣) تصغير نخلة : موضع قرب الكوفة .

فى يوم الخميس ثم اقتتلوا يوم الجمعة ، فانهزم أصحابُ ابنِ عمر .
فلما كان يوم السبت تسلُّوا^(١) إلى واسط ، فلحق بها وجوهُ
الناس ، فرحل عند ذلك ابنُ عمر إليها ، فلم يأمنه عُبيدُ الله بن العباس
الكندى على نفسه ، فسار مع الضحاك وبإيعاهُ .

ولما نزل ابنُ عمر إلى واسط نزل بدارِ الحجَّاج بن يوسف ،
وعادت الحربُ بينه وبين النَّضْر إلى ما كانت عليه ، وسار الضحاكُ
من الكوفةِ إلى واسط ، ونزل باب المضار ، فترك ابنُ عمر والنَّضْرُ
الحربَ بينهما ، واتَّفَقَا على قتال الضحاك ، فلم يزلوا على ذلك
شعبان ورمضان وشوال ، والقتالُ بينهم متواصلٌ . ثم صالحه
عبدُ الله بنُ عمر بن عبد العزيز وسليمان بن هشام ، وبإيعاهُ ، ودفعاهُ
إلى مروان .

قال : وكاتب أهلُ الموصل الضحاك في القدومِ ليمكَّنوه من البلد ،
فسار إلى الموصل ففتح أهلها له أبوابها ، فدخلها ، واستولى عليها
وعلى كورها ، وذلك فى سنة [٥١٢٨] ثمان وعشرين ، فبلغ مروان
خبره وهو يُحاصر حصص ، فكتب إلى ابنه عبدِ الله - وهو خليفته
بالجزيرة - أن يسير إلى نصيبين ، ويمنع الضحاك من تَوَسُّطِ
الجزيرة ؛ فسار إليها فى سبعةِ آلاف أو ثمانيةِ آلاف ، وسار إليه
الضحاك ، فحصر عبدُ الله بن مروان بنصيبين ، وكان مع الضحاك
ما يزيد على مائة ألف .

ثم سار مروان إليه ، والتقوا بنواحي كَفَرَتْ توتنا من أعمال

(١) فى الكامل : تسلل أصحابه .

ماردين ، فقاتله يومه **أجمع** ، فقتل الضحاك ولم يعلم به مروان ولا أصحابه ؛ ثم بلغ مروان قتله ، فاستخرجه من بين القتلى وفي وجهه ورأسه أكثر من عشرين ضربة .

وبعث مروان رأسه إلى مدائن الجزيرة .

وقيل : إن قتله كان في سنة [٥١٢٩هـ] تسع وعشرين ومائة [والله أعلم ^(١)] .

وحيث ذكرنا أخبار الضحاك فلنذكر أخبار من خرج بعده في أيام مروان :

ذكر خبر الخيبري (الغارجي) ^(١)

وقتله وقيام شيبان

قال : ولما قتل الضحاك أصبح أهل عسكره فبايعوا الخيبري ؛ وكان سليمان بن هشام معه ، وأصبحوا واقتتلوا ؛ فحمل الخيبري على مروان في نحو أربعمائة فارس من [أهل ^(١)] الشراة ، فهزم مروان وهو في القلب ، وخرج من العسكر منهزماً ، ودخل الخيبري ومن معه عسكر مروان ينادون بشعارهم ويقتلون من أدركوه ، حتى انتهوا إلى خيم مروان ، فدخلها الخيبري وجلس على فرش مروان ، هذا وميمنة مروان ثابتة ، وعليها ابنه عبد الله ؛ وميسرته [ثابتة ^(٢)] وعليها إسحاق بن مسلم العقيلي .

فلما رأى أهل العسكر قلة من مع الخيبري ثار إليه ^(٣) عبيدهم بعمد الخيم ، فقتلوا الخيبري وأصحابه جميعاً في خيم مروان

(٢) من الكامل .

(١) ساقط من ك .

(٣) في ك : لا يهم .

وحوّلها ، وبلغ مروان الخَبْرُ ، وقد صار بينه وبين العسكر خَمْسَةَ
أميال أو ستة منهزما ، فانصرف إلى عسكره ، وبات ليلته تلك ،
وانصرف الخوارج فولّوا عليهم شيبان .

ذكر أخبار شيبان الحروري

وما كان من أمره إلى أن قُتل

هو شيبان بن عبد العزيز أبو الدلفاء (١) اليشمكري .

قال : ولما بايعوه بعد قتل الخيبري أقام يُقاتِلُ مروان ، وتفرّق
عنه كثير من أصحابه ، فبقى في نحو أربعين ألفا ، فأشار عليهم
سليمان بن هشام أن ينصرفوا إلى الموصل فيجعلوها ظهرهم .

فارتحلوا وتبعهم مروان حتى انتهوا إلى الموصل فعسكروا شرق
دجلة ، وعقدوا عليها جسراً ، وخذق مروان بإزائهم ، وأهل الموصل
يقاتلون مع الخوارج ، فأقام مروان ستة أشهر يقاتلهم ، وقيل
تسعة أشهر .

وكتب مروان إلى يزيد بن عمر بن هبيرة يأمره بالمسير من
قرقيسيا ، بجميع من معه إلى العراق وعلى الكوفة المُشَنِّي
ابن عمران العائذي ، وهو خليفة الخوارج بالعراق ، فلقى ابن
هبيرة بعين التمر ، فاقتتلوا قتالا شديدا ، فانهزمت الخوارج ،
ثم تجمعوا بالكوفة بالنخيلة فهزمهم ابن هبيرة ، ثم اجتمعوا
بالصّراة ، فأرسل إليهم شيبان عبّيد بن سوارف خيل عظيمه ،
فالتقوا بالصّراة (٢) ، فانهزمت الخوارج ، وقُتل عبّيدة ، ولم يبق لهم

(١) في الكامل : أبو الدلف . والمثبت في الطبري أيضاً .

(٢) في الكامل : بالصّراة . والمثبت في الطبري أيضاً .

بقيةً بالعراق ، واستولى ابنُ هُبَيْرَةَ على العراق ، وسار إلى واسط .
 وأخذ عبدُ الله بنُ عمر بن عبد العزيز وحبسهُ ، ووجهَ نُبَاتَةَ بن
 حنظلة إلى سليمان بن حبيب وهو على كُور الأهواز ، فأرسل سليمان
 إلى نُبَاتَةَ داود بن حاتم ، فالتقوا على شاطيء دُجَيْل ؛ فانهمز الناس ،
 وقُتِل داودُ بن حاتم .

وكتب مروان إلى ابنِ هُبَيْرَةَ لما استولى على العراق يأمُرهُ بإرسالِ
 عامر بن ضُبارة المُرِّي إليه ، فسيرهُ في سبعة آلاف أو ثمانية .
 فبلغ شَيْبَانَ خَبْرَهُ ، فأرسل الجونَ بن كِلَاب الخارجي في جمع ،
 فالتقوا فهزمَ عامِرٌ ؛ فأمدَّهُ مروان بالجنود ، فقاتل الخوارجَ فهزمهم ؛
 وقتل الجونَ ، وسار إلى الموصل ، فلما بلغ [شَيْبَانَ قَتْلُ] (١) الجونِ
 ومسيرُ عامر نحوه كره أن يُقيم بين العسكرين . فارتحل بمن
 معه ، وقدم عامر على مروان بالموصل فسيرهُ في جمعٍ كثير في أثر
 شَيْبَانَ ، وأمره ألاَّ يبدأه بقتالٍ ، فإن قاتله شَيْبَانُ قاتله ، وإن
 أمسكَ عنه أمسك . فكان كذلك ؛ حتى مرَّ على الجبل .
 وخرج على بيضاء فارس (٢) . وبها عبدُ الله بن معاوية بن جعفر .
 وسار إلى نَحْوِ كَرْمَانَ ، فأدركه عامِرٌ ، فالتقوا واقتتلوا ، وانهمز
 شَيْبَانَ إلى سجستان فهلك بها ، وذلك في سنة [١٣٠ هـ] ثلاثين
 ومائة .

وقيل : بل كان قتال شَيْبَانَ ومروان على الموصل نحو شهر .
 ثم انهمز شَيْبَانَ حتى لحق بفارس ، وعامرٌ يتبعه ، وسار إلى جزيرةٍ

(١) من د .

(٢) في الطبري : بيضاء اصطخر . والمثبت في الكامل أيضا .

ابن كاوآن ، ثم إلى عمان فقتله جُلندى بن مسعود بن جَيْفَرُ
ابن جُلندى^(١) الأزدى سنة [١٣٤هـ] أربع وثلاثين ومائة ، وسنذكره
إن شاء الله في أخبار الدولة العباسية .

فلنرجع إلى تنمة حوادث سنة [١٢٧ هـ] سبع وعشرين مائة
وما بعدها .

فيها كان من أخبار الأندلس وشيعة بنى العباس ما نذكره
إن شاء الله في مواضعه .

وحجّ بالناس عبد العزيز بن عُمر بن عبد العزيز وهو عاملُ
مرّوان على مكة والمدينة والطائف ، وكان العايلُ على العراق النَّصْرُ
ابن سعيد الحرّشى ، وكان من أمره وأمر ابن عمر والضحاك ما قدّمنا
ذكره . وكان بخراسان نصّر بن سيّار [و] ^(٢) الكرماني ، والحرّاث
ابن سُريج يُنازعانه .

وفيهما مات سُويد بن غفلة . وقيل سنة إحدى وثلاثين .
وقيل سنة اثنتين وثلاثين ، وعُمره مائة وعشرون سنة . والله تعالى أعلم .

(١) الضبط في القاموس . وفى ك . جمفر - تحريف .

(٢) ليس فى ك .

سنة (١٢٨ هـ) ثمان وعشرين ومائة :

ذكر مقتل الحارث بن سريج

وغلبة الكرماني على مرو

وفي هذه السنة كان مقتل الحارث بن سريج وغلبة الكرماني على مرو .

وكان سبب ذلك أن ابن هُبَيْرَةَ لما ولي العراق كتب إلى نَصْرٍ ابن سيار بعهد خراسان ، فبايع لمروان بن محمد ، فقال الحارث : إنما أمّنتي يزيد ولم يؤمّني مروان ، ولا يُجيز مروان أمان يزيد ، فلا آمنه . فخالف نصرًا فأرسل إليه [نصر^(١)] يدعوه إلى الجماعة وينهاه عن الفرقة ، فلم يُجبهُ إلى ذلك ، وخرج فعسكِرَ وأرسل إلى نَصْرٍ : أن اجعل الأمر سُورِي ، فأبى نصر ، وأمر الحارث جهّم ابن صفوان رأس الجهميّة ، وهو مولى راسب ، أن يقرأ سيرته وما يدعُو إليه على الناس ، [ف فعل^(٢)] ، فلما سمعوا ذلك [كثروا^(١)] كثيرًا جمعه .

وكان الحارث يُظهِرُ أنه صاحبُ الرايات السود ، فأرسل إليه نَصْرٍ إن كنت كما تزعم وإنكم تهدمون سُورَ دمشق ، وتزيلون ملك بني أمية فخذ مني خمسمائة رأس^(٣) ومائتي بَعِير ، واحتجّل من الأموال ما شئت وآلة الحرب ، وسِر ، فلعمري إن كنتَ

(١) من الكامل .

(٢) ليس في ك .

(٣) في د : فرس . والمثبت في الكامل أيضاً .

صاحب ما ذكرت إني لفي يدك ، وإن كنت لستَ ذلك فقد أهلكك
عشيرتك ؛ ثم عرض عليه نصر أن يوليه ما وراء النهر ويعطيه
ثلاثمائة ألف ، فلم يقبل . فقال له نصر : فابدأ بالكرماني فإن
قتلته فأنا في طاعتك ، فلم يقبل .

وأمر الحارث أن تُقرأ سيرته في الأسواق والمسجد وعلى باب
نصر ، فقرئت ، فأتاه خلق كثير ، وقرأها رجل على باب نصر .
فضربه غلمان نصر ، فنبذهم الحارث وتجهز للحرب ، ودله
رجلٌ من أهل مرو على نقب في سورها ، فمضى إليه الحارث فنقبه .
ودخل المدينة من ناحية باب بالين . فقاتله جهنم بن مسعود الناجي .
فقتل جهنم ، وانتهبوا منزل سلم بن أخوز ، وقتل من كان بحرس
باب بالين وذلك لليلتين بقيتا من جمادى الآخرة يوم الاثنين .
وركب الحارث في سكة السغد^(١) ، فرأى أعين مولى حيّان
فقاتله ، فقتل أعين ، وركب سلم حين أصبح ، وأمر مناديا فنادى :
من جاء برأس فله ثلاثمائة . فلم تطلع الشمس حتى انهزم الحارث
بعد أن قاتلهم الليل كله .

وأتى سلم عسكر الحارث فقتل كاتبه يزيد بن داود ، وقتل
الرجل الذي دل الحارث على النقب ، وأرسل نصر إلى الكرماني فأتاه
على عهد ، وعنده جماعة . فوقع بين سلم بن أخوز والمقدام بن نعيم
كلام ، فأغلظ كل واحد منهما لصاحبه ، وأعان كل واحد منهما نفراً
من الحاضرين ؛ فخاف الكرماني أن يكون مكرًا من نصر ، فقه

(١) في الطبرى : الصغد .

وتعلّقوا به ، فلم يجلس ، وركب فرسه ، ورجع ، وقال : أراد نصرُ الغدري .

وأسر يومئذ جهنم بن صفوان وكان مع الكرّماني فقتل ، وأرسل الحارثُ ابنه خاتما إلى الكرّماني ، فقال له محمد بن المنى : هما عدواك ، دعهما يضطربان .

فلما كان الغد ركب الكرّماني فقاتل أصحاب نصرٍ : ووجه أصحابه يوم الأربعاء إلى نصر ، فتراموا ثم تحاجزوا ولم يكن بينهم يوم الخميس قتالٌ . والتّقوا يوم الجمعة فانهزمت الأزد حتى وصلوا إلى الكرّماني ، فأخذ اللواء بيده ، فقاتل به فانهزم أصحاب نصر ، وأخذوا لهم ثمانين فرسا ، وصُرع تميم بن نصر ، وسقط سلم ابن أحوز فحُبل إلى عسكر نصر .

فلما كان الليل خرج نصرٌ من مرو ، وقتل عظمة بن عبد الله الأسدي ، وكان يحمي أصحاب نصر ، واقتتلوا ثلاثة أيام ، فانهزم أصحاب الكرّماني في آخر يوم ، وهم الأزد وربيعة ، فنادى الخليل بن غزوان : يا معشر ربيعة واليمن ! فدخل الحارث السوق ففتت في أعضاد المضريّة ، وهم أصحاب نصر ، فانهزموا وترجّل تميم بن نصر فقاتل . فلما هزمت البانية مُصر أرسل الحارث إلى نصر : إن البانية يُعيرُوني بانهماكم . وأنا كافٌ . فاجعل حماة أصحابك بإزاء الكرّماني . فأخذ عليه نصرُ العهود بذلك ، وقدم على نصر عبد الحكم (١)

(١) في الكامل : عبد الملك بن سعيد . وفي الطبري : عبد الحكيم بن سعيد .

ابن سعيد العوذى (١) وأبو جعفر عيسى بن جرز من مكة : والعوذ (١) :
 بطن من الأزدي ، فقال أبو جعفر لنصر : أيها الأمير ، حسبك
 من الولاية وهذه الأمور (٢) ، فقد أظلك أمر عظيم ، سيقوم رجل مجهول
 النسب يظهر السمود ، ويدعو إلى دولة تكون فيغلب (٣) على الأمر ،
 وأنتم تنظرون .

فقال نصر : ما أشبه أن يكون كما تقول لقلدة الوفاء وسوء ذات
 البين (٤) .

فقال : إن الحارث مقتول مصلوب ، وما الكرمانى من ذلك
 بعيد .

قال : ولما خرج نصر من مرز وغلب عليها الكرمانى خطب الناس
 فأمّتهم ثم هدم الدور ونهب الأموال ، فأنكر الحارث عليه ذلك .
 فهم الكرمانى به ، ثم تركه ، واعتزل بشر بن جرموز الضبى في
 خمسة آلاف ، وقال الحارث : إنما قاتلت معك طلباً للعدل .
 فأما إذ تتبع (٥) الكرمانى فما تقايل إلا ليُقَالَ غلب الحارث .
 وهؤلاء يقاتلون عصبية ؛ فليست مقاتلا معك ، فنحن الفئدة العادلة .
 لا نقاتل إلا من قاتلنا ، وأتى الحارث مسجد عيباض ، وأرسل إلى

(١) في د : العوذى - بضم العين . والمثبت في المشتبه .

(٢) في الطبرى : حسبك من هذه الأمور والولاية ، فإنه قد أظلم أمر عظيم .

(٣) في ك : ويغلب .

(٤) في الطبرى : وسوء ذات البين ، وجهت إلى الحارث وه بأرض الترك

فعرضت عليه الولاية والأموال ، فأبى وظاهر على . فقال أبو جعفر عيسى :

إن الحارث ...

(٥) في الكامل : إذا أنت مع الكرمانى .

الكرماني يدعوه إلى أن يكون الأمر شورى ، فأبى الكرماني : فانتقل الحارث عنه ، وأقاموا أياما .

ثم إن الحارث أتى السور فثلم فيه ثلثة ، ودخل البلد ، وأبى الكرماني ، فاقتتلوا ، فانهزم أصحاب الحارث وقتلوا ما بين الثلثة وعسكرهم ، والحارث على بغل ، فنزل عنه وركب فرسا ، وبقي في مائة ، فقتل عند شجرة زيتون أو غبيراء (١) ، وقتل أخوه سواده وغيرهما .

وقيل : كان سبب قتله أن الكرماني خرج إلى بشر بن جرموز عند اعتزاله ، ومعه الحارث ، فأقام أياما بينه وبين عسكر بشر فرسخان ، ثم قرب منه ليقتله ، فندم الحارث على اتباع الكرماني وقال : لا تعجل إلى قتالهم فانا أردهم عليك .

فخرج في عشرة فوارس فأبى عسكر بشر ، فأقام معهم . وخرج المضريّة أصحاب الحارث إليه ، فلم يبق مع الكرماني مضري غير سلمة بن أبي عبد الله ، فإنه قال : لم أر الحارث إلا غادرا ، و [غير] (٢) المهلب بن إياس ، فقاتلهم الكرماني مرارا يقتتلون ثم يرجعون إلى خنادقهم مرة لهؤلاء ومرة لهؤلاء .

ثم ارتحل الحارث بعد أيام ، فنقب سور مرو ودخلها ، وتبعه الكرماني ، فدخلها أيضا ، فقالت المضريّة للحارث : قد قررت غير مرة ، فترجل ، فقال : أنا لكم فارسا خيرا مني لكم راجلا . فقالوا :

(١) الغبيراء : نبات كالغبراء . أو الغبراء ثمرته . والغبيراء شجرته . أو بالعكس

(القاموس) .

(٢) من الكامل .

لا نَرَضَى إِلَّا أَنْ تَتَرَجَّلَ ، فترجَّل ، فاقتتلوا هم والكِرْمَانِي ، فقتل الحارث وأخواه وبِشْر بن جُرْمُوز ، وَعِدَّةٌ من فُرْسَانِ تَمِيم ، وانهزم الباقون ، وصفت مرؤ للكرمانى واليمن ، فهدموا دُورَ المِضْرِيَّة ، فقال نصر ابن سيار للحارث حين قُتِلَ (١) :

يا مُدْخِلُ الدُّلِّ عَلَى قَوْمِهِ بَعْدًا وَسُخْقًا لَكَ مِنْ هَالِكِ
شُؤْمِكَ أَرْدَى مُضْرًا كُلَّهَا وَعَضَّ (٢) مِنْ قَوْمِكَ بِالْحَارِكِ
ما كانت الأَرْدُ وأشْياعُهَا تَطْمَعُ فِي عَمْرٍو ولا مالِكَ (٣)
ولا بِنِي سَعْدٍ إِذَا أَلْجَمُوا كُلَّ طَيْرٍ لَوْ نُهَ حَالِكِ

وفى هذه السنة كان اجتماع أبي حمزة الخارجى وعبد الله بن يحيى المعروف بطالب الحق ، واتفقا على الخروج على ما نذكره إن شاء الله تعالى .

وحجَّ بالناس عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز وهو عامل مكة والمدينة ، وكان بالعراق عمال الضحاك الخارجى وعبد الله بن عمر ابن عبد العزيز ، وبخراسان نصر بن سيار والفتنة قائمة .

(١) الشعر فى الطبرى : ٧ - ٣٤٢ : والكامل : ٤ - ٢٩٤

(٢) فى الكامل : وحز . والمثبت فى الطبرى أيضاً .

(٣) عمرو ومالك وسعد : من تميم (هامش د) .

سنة (١٢٩ هـ) تسع وعشرين ومائة :

ذكر مقتل الكرمانى

وهو جديع بن على الأزدي

قال : ولما خلصت مرو للكرمانى وتنحى نصر عنها أرسل نصر أصحابه لقتاله مراراً ، كل ذلك والظفر لأصحاب الكرماني ، ثم خرجوا جميعاً واقتتلوا قتالاً شديداً ، وذلك بعد ظهور أمر أبي مسلم الخراساني ودعوته لبني العباس ، فكتب أبو مسلم إلى نصر والكرمانى : إن الإمام أوصاني بكما . ثم أقبل بمن معه حتى نزل خندقيهما ، فهابه الفريقان . وبعث إلى الكرماني : إني معك . فقيل ذلك ، وانضم أبو مسلم إليه ، فاشتد ذلك على نصر ، وأرسل إلى الكرماني يخوفه من أبي مسلم ، ويقول له : ادخل إلى مرو ، واكتب بيننا كتاباً بالصلح ، وهو يريد أن يفرق بينهما ، فدخل الكرماني منزله ، وأقام أبو مسلم في العسكر ، وخرج الكرماني حتى وقف في الرخبة في مائة فارس ، وأرسل إلى نصر أن اخرج لنكتب الكتاب .

فلما نظر نصر إلى غيرة الكرماني أرسل إليه ثلاثمائة فارس ، فاقتتلوا قتالاً شديداً فطعن الكرماني في خاصرته ، فخر عن دابته ، وحماه أصحابه حتى جامعهم مالاً قيل لهم به . فقتل نصر الكرماني وصلبه ، وصلب معه سمكة .

فأقبل ابنه على وقد جمع جمعاً كثيراً ، وانضم إلى أبي مسلم ، وقاتلوا نصر بن سيار حتى أخرجوه من دار الإمارة . ودخل أبو مسلم مرو على ما نذكر ذلك إن شاء الله في أخبار الدولة العباسية .

قال : ولما رأى نصر قوة أبي مسلم كتب إلى مروان بن محمد

يُطْلِمُهُ حَالِ أَبِي مُسْلِمٍ وَخُرُوجِهِ وَكَثْرَةَ مَنْ مَعَهُ ، وَأَنَّهُ يَدْعُو إِلَى إِبْرَاهِيمِ
 ابْنِ مُحَمَّدٍ ، وَكُتِبَ إِلَيْهِ بِأَبْيَاتِ شِعْرِ ، وَهِيَ (١) :

أَرَى بَيْنَ الرَّمَادِ وَمِيضِ نَارِ (٢) فَأَوْشَكَ أَنْ يَكُونَ لَهُ (٣) ضِرَامٌ
 فَإِنَّ النَّارَ بِالْعُودَيْنِ تَذَكَّرَى وَإِنَّ الْحَرْبَ مَبْدُوهَا كَلَامٌ (٤)
 فَقَلَّتْ مِنَ التَّعَجُّبِ لَيْتَ شِعْرِى أَبْقَاظُ أُمِيَّةٌ أَمْ نِيْسَامٌ
 فَكُتِبَ إِلَيْهِ مَرْوَانَ : إِنْ الشَّاهِدَ يَرَى مَا لَا يَرَى الْغَائِبَ ، فَاحْسَمِ
 التَّوَلُّولَ (٥) قَبْلَكَ .

فقال نصر : أَمَا صَاحِبِيكُمْ فَقَدْ أَغْلَمَكُمُ أَنَّهُ لَانْصُرَ عِنْدَهُ .
 وَكُتِبَ نَصْرَ إِلَى يَزِيدَ بْنِ هُبَيْرَةَ بِالْعِرَاقِ بِسَمْتَهُ . فَلَمَّا قَرَأَ كِتَابَهُ
 قَالَ : لَا تَكْثُرْ ، فَلَيْسَ لَهُ عِنْدِي رَجُلٌ . ثُمَّ قَبِضَ مَرْوَانَ عَلَى إِبْرَاهِيمِ
 الْإِمَامِ وَجَبَسَهُ ، وَكَانَ مِنْ أَمْرِهِ مَا نَذَكَرَهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ فِي أَخْبَارِهِمْ .

ذِكْرُ خَيْرِ أَبِي حَمْزَةَ الْمُخْتَارِ

ابن عوف الأزدي البصرى مع طالب الحق عبد الله بن محمد
 ابن يحيى الحضرمى

كان المختار من الخوارج الأباضية ، وكان يوافى مكة في كل
 سنة يدعُو الناس إلى خلافِ مَرْوَانَ بْنِ مُحَمَّدٍ ، فلم يزل كذلك حتى
 وافى عبد الله بن محمد بن يحيى الحضرمى المعروف بطالب الحق
 في آخر سنة [٥١٢٨هـ] ثمان وعشرين ومائة ، فقال له : يا رجل ،

(١) الشعر في الطبرى : ٧ - ٣٦٩ ، والكامل : ٤ - ٣٠٣

(٢) في الطبرى : وميض جمر .

(٣) في ك : لما . وفي الطبرى : فأحج أن يكون وفي الكامل :

وأخشى أن يكون

(٤) في الطبرى : الكلام .

(٥) أصل التؤلؤل : البئر الصغير (القاموس) .

أَسْمَعُ كَلَامًا حَسَنًا، وَأَرَاكَ تَدْعُو إِلَىٰ حَقٍّ، فَانْطَلِقْ مَعِيَ، فَإِنِّي رَجُلٌ مُطَاعٌ فِي قَوْمِي، فَخَرَجَ حَتَّىٰ وَرَدَ حَضْرَمَوْتَ، فَبَايَعَهُ أَبُو حَمْزَةَ عَلَى الْخِلَافَةِ، وَدَعَا إِلَىٰ خِلَافِ^(١) مَرْوَانَ، وَقَدْ كَانَ أَبُو حَمْزَةَ اجْتِازَ مَرَّةً بِمَنْعَدِينَ بَنِي سُلَيْمٍ^(٢)، وَالْعَامِلُ عَلَيْهِ كَثِيرٌ بِنِ عَبْدِ اللَّهِ، فَسَمِعَ كَلَامَ أَبِي حَمْزَةَ فَجَلَدَهُ أَرْبَعِينَ سَوْطًا، فَلَمَّا مَلَكَ أَبُو حَمْزَةَ الْمَدِينَةَ عَلَىٰ مَا نَذَرَهُ تَغَيَّبَ كَثِيرًا.

وفى هذه السنة قدم أبو حمزة إلى الحج من قبل عبد الله بن محمد طالب الحق، فبينما الناس بعرفة ما شعروا إلا وقد طلعت عليه أعلام وعمائم سود على رعوس الرماح، وهم سبعمائة، ففزع الناس، وسألوهم عن حالهم، فأخبروهم بخلافهم مروان وآله، فراسلهم عبد الواحد بن سليمان بن عبد الملك، وهو يومئذ على مكة والمدينة، وطلب منهم الهدنة أيام الحج، فقالوا: نحن بحجنا أضن عليه أشح، فصالحهم على أنهم جميعاً آمنون بعضهم من بعض حتى تنفر الناس النفر الأخير، فوقفوا بعرفة على حدة، ودفع [بالناس] ^(٣) عبد الواحد، ونزل بمنزل السلطان يمني، ونزل أبو حمزة بقريين الشعالب. فلما كان النفر الأول نفر عبد الواحد وأخلى مكة فدخلها أبو حمزة بغير قتال، فقال بعضهم في عبد الواحد^(٤):

(١) ك: خلافة.

(٢) في ك: معدن ابن سليم. والصواب في ياقوت، قال: معدن بنى سليم من أهال المدينة على طريق نجد.

(٣) من الطبرى.

(٤) الشعر في الطبرى: ٧ - ٣٧٦، والكامل: ٤ - ٣٠٨، قال الطبرى:

وهي لبعض الشعراء لم أحفظ اسمه.

زار الحجيج عصابةً قد خالفوا دينَ الإله ففرَّ عبدُ الواحد

تركَ الحلائلَ والإمارةَ هارباً ومضى يُخَبِّطُ كالبعيرِ الشاردِ

ومضى عبدُ الواحدِ حتى دخلَ المدينةَ ، وزادَ أهلُها في العطاءِ عشرةَ

عشرةَ ، واستعملَ عبدُ العزيزِ بنَ عبدِ اللهِ بنَ عمروِ بنَ عثمانَ ، فخرجوا

حتى وصلوا العقيقَ ، وأتتهم رسلُ أبي حمزة يقولون : إننا واللهِ

مالنا بقتالِكُم من حاجةٍ ، دعونا نمضي إلى عدونا .

فأتى أهلُ المدينةِ وساروا حتى نزلوا قديداً^(١) ، وكانوا مُترفينَ^(٢)

ليسوا بأصحابِ حربٍ ، فلم يشعروا إلا وقد خرج عليهم أصحاب

أبي حمزة من الفياض فقتلواهم . وكانت المقتلةُ في قريشٍ ، فأصيب

منهم عددٌ كثيرٌ ، وقدم المنهزمون^(٣) المدينةَ ، فكانت المرأةُ تُقيمُ النوائح

على حبيمها ، ومعها النساءُ فتأتينهم الأخبارُ عن رجالهم ، فيخرجن

امرأةً امرأةً كلُّ واحدةٍ تذهب لقتل^(٤) رجلِها فلا يبقى عندها امرأةٌ ،

[وذلك]^(٥) لكثرةٍ من قتل .

قيل : كان عددُ القتلى سبعمائةً ، وكانت هذه الواقعة لسبع

مضين من صفر سنة ثلاثين ومائة . [والله أعلم]^(٦) .

(١) قديد : موضع قرب مكة (ياقوت) .

(٢) في الطبري : مغترين . والمثبت في الكامل أيضاً .

(٣) في ك : المنهزمون من المدينة .

(٤) في الطبري : كل امرأة تذهب لحبيمها حتى ما تبقى عنها امرأة .

(٥) ساقط من ك .

(٦) ساقط من د .

ذكر دخول أبي حمزة المدينة

على ساكنها أفضل الصلاة والسلام

قال : ودخل أبو حمزة المدينة في ثالث [عشر] (١) صفر ،
ومضى عبد الواحد إلى الشام .

ولما دخل أبو حمزة رقى المنبر فخطب ، وقال : يا أهل المدينة ،
مررت زمانَ الأحول - يعنى هشام بن عبد الملك - وقد أصاب ثماركم
عاهةً ، فكتبتم إليه تسألونه أن يضع عنكم خرضكم (٢) . ففعل
فزاد الغنى غنى والفقير فقراً ، فقلتم له : جزاك الله خيراً ، فلا جزاكم
الله خيراً ، ولا جزاه . واعلموا يا أهل المدينة أننا نخرج من ديارنا
أشراً ولا بطراً ، ولا عبثاً ولا لدولة [ملك] (٣) نريد أن نخوض فيه (٤)
وللشار قديم نيل منا ، ولكننا لما رأينا مصابيح الحق قد عطلت ،
وعُنف القائل بالحق ، وقُتِل القائم بالقسط - ضاقت علينا الأرض
بما رحبت ، وسمعتنا داعياً يدعونا إلى طاعة الرحمن وحكم القرآن ،
فأجبنا داعي الله ، ومن لا يجب داعي الله فليس بمعجز في الأرض ؛
فأقبلنا من قبائل شتى ، ونحن قليلون مستضعفون في الأرض .
فآوانا وأيدنا بنصره ، فأصبحنا بنعمته إخوانا .

ثم لقينا رجالكم فدعوناهم إلى طاعة الرحمن ، وحكم القرآن ،
فدعونا إلى طاعة الشيطان وحكم بنى مروان ، فشتان لعمر الله - ما بين
الغنى والرشد . ثم أقبلوا يهرعون قد ضرب الشيطان فيهم بجرانه ،

(١) من الكامل .

(٢) في الكامل : خراجكم . وفي الطبري : أخراصكم . والحرص : الخزر
والتقدير .

(٣) من الكامل .

(٤) الأولى أن يقول : فيها لإبتاويل الأمر (من ذيل ك) . وفي د : فيها .

وغلَّتْ بِدِمَائِهِمْ مَرَاجِلُهُ ، وَصَدَقَ عَلَيْهِمْ ظَنُّهُ ، وَأَقْبَلَ أَنْصَارَ اللَّهِ تَعَالَى
[كِتَاب] (١) بِكُلِّ مُهَنْدٍ ذِي رَوْثٍ ، فَدَارَتْ رِحَانًا ، وَاسْتَدَارَتْ
رِحَاهُمْ بِضَرْبِ يَرْتَابٍ مِنْهُ الْمُبْطِلُونَ .

وَأَنْتُمْ يَا أَهْلَ الْمَدِينَةِ إِنْ تَنْصُرُوا مَرْوَانَ وَآلَ مَرْوَانَ يُسْحِكَنَّكُمْ اللَّهُ
بِعَذَابٍ مِنْ عِنْدِهِ أَوْ بِأَيْدِينَا ، وَيَشْفِي صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ .

يَا أَهْلَ الْمَدِينَةِ ؛ أَوْلَكُمْ خَيْرٌ أَوْلٍ ، وَآخِرُكُمْ شَرٌّ آخِرٍ ، يَا أَهْلَ الْمَدِينَةِ ،
أَخْبَرُونِي عَنْ ثَمَانِيَةِ أَسْهُمٍ قَرَضَهَا اللَّهُ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ عَلَى الْقَوِيِّ وَالضَّعِيفِ ،
فَجَاءَتْ سَاعٌ لَيْسَ لَهَا فِيهَا سَهْمٌ ، فَأَخَذَهَا لِنَفْسِهِ مُكَابِرًا مُحَارِبًا رَبَّهُ .

يَا أَهْلَ الْمَدِينَةِ ، بَلِّغْنِي أَنْكُمْ تَنْتَقِصُونَ أَصْحَابِي ، قَلِمَ : شِبَابٌ أَحْدَاثٌ ،
وَأَعْرَابٌ جُفَاءٌ ، وَيُنْحَكُمُ وَهَلْ كَانَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ إِلا شِبَابًا أَحْدَاثًا ، شِبَابٌ وَاللَّهُ (٢) لَأَنَّهُمْ مُكْتَهِلُونَ فِي شِبَابِهِمْ ،
غَضَّةٌ عَنِ الشَّرِّ أَعْيُنُهُمْ ، ثَقِيلَةٌ عَنِ الْحَقِّ أَقْدَامُهُمْ .

قال : وَأَحْسَنَ السِّيَرَةَ مَعَ أَهْلِ الْمَدِينَةِ ، وَاسْتَمَالَ النَّاسَ حَتَّى سَمِعُوهُ
يَقُولُ : مَنْ زَنَى فَهُوَ كَافِرٌ ، مَنْ سَرَقَ فَهُوَ كَافِرٌ ، وَمَنْ شَكَّ فِي كُفْرِيهِمَا
فَهُوَ كَافِرٌ .

وَأَقَامَ أَبُو حَمْزَةَ بِالْمَدِينَةِ ثَلَاثَةَ أَشْهُرٍ ، ثُمَّ وَدَّعَهُمْ ، وَقَالَ : يَا أَهْلَ
الْمَدِينَةِ ؛ إِنَّا خَارِجُونَ إِلَى مَرْوَانَ ، فَإِنْ نَظَفَرْنَا نَعْدِلُ فِي أَحْكَامِكُمْ وَنَحْمَلُكُمْ
عَلَى سُنَّةِ نَبِيِّكُمْ ، وَإِنْ يَكُنْ مَا تَتَمَنَّوْنَ فَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَىُّ مُنْقَلَبٍ
يَنْقَلِبُونَ .

(١) مِنْ د .

(٢) فِي الْكَامِلِ : هُمْ وَاللَّهُ مُكْتَهِلُونَ .

ذكر مقتل أبي حمزة

قال : ثم سار أبو حمزة نحو الشام ، وكان مروان قد انتخب من عسكره أربعة آلاف فارس ، واستعمل عليهم عبد الملك بن محمد ابن عطية السعدي - سعد هوازن - وأمره أن يجد السير ويُقاتل الخوارج ، فإن ظفر فيسير حتى يبلغ اليمن ويقاتل عبد الله بن يحيى طالب الحق ، فسار ابن عطية ، فلقى أبا حمزة بوادي القرى ، فقال أبو حمزة لأصحابه : لا تقاتلوهم حتى تختبروهم . فصاحوا بهم : ما تقولون في القرآن والعمل به ؟ فقال ابن عطية : نضعه في جوف الجواتي . قال : فما تقولون في مال اليتيم ؟ قال ابن عطية : نأكل ماله ونفجر بأمه - في أشياء سألوه عنها .

فلما سمعوا كلامه قاتلوه حتى أمسوا فصاحوا : ونحك يابن عطية ! إن الله قد جعل الليل سكنا ، فاسكن . فآبى وقاتلهم ، فانهزم الخوارج ، وأتوا المدينة فقتلهم أهلها ، وسار ابن عطية إلى المدينة ، فأقام بها شهرا وسار إلى اليمن ، واستخلف على المدينة الوليد بن عروة بن محمد بن عطية ، وعلى مكة رجل من أهل الشام .

ذكر مقتل عبد الله بن يحيى

المنعوت بطالب الحق وقتل ابن عطية

قال : وأقبل ابن عطية إلى اليمن ، فبلغ عبد الله خبره وهو بصنعاء ، فأقبل إليه بمن معه ، والتقوا واقتتلوا ، فقتل طالب الحق ، وحمل (١) في ك : عبد الله بن محمد يحيى . والمثبت في الطبري ، والكامل . وقد تقدم ، وسيأتي كذلك في الصفحة التالية .

رأسه إلى مروان بالشام ، ومضى ابنُ عطية إلى صنعاء . فدخلها وأقام بها ، فكتب إليه مروانُ يأمرُه أن يُشرع السيرَ ليحجَّ بالناس ؛ فسار في اثني عشر رجلا ومعه أربعون ألف دينار ، وخلف عسكره وخيله بصنعاء ؛ فبينما هو يسير أتاه ابنا جُماعة^(١) المراديان في جمع كثير ، فقالوا له ولأصحابه : أنتم لصوص ، فأخرج ابنُ عطية عهدَه على الحج ، وقال : هذا عهدُ أمير المؤمنين ، وأنا ابنُ عطية . فقالوا : هذا باطل ، وأنتم لصوص ، فقاتلهم ابنُ عطية حتى قُتل في سنة [١٣٠هـ] ثلاثين ومائة .

نعود الى تمة حوادث سنة (١٢٩ هـ) تسع وعشرين ومائة :

في هذه السنة كان ظهورُ الدولة العباسية بخراسان على ما تذكره في أخبار الدولة العباسية .

وفيهما غلب عبد الله بن معاوية على فارس على ما نذكر ذلك في أخبار آل أبي طالب .

وحجَّ بالناس في هذه السنة عبد الواحد ، وكان هو العامل على مكة والمدينة والطائف وعلى العراق ابن هُبيرة ، وعلى خراسان نصر بن سيار ، والفتنة قاعة .

سنة (١٣٠ هـ) ثلاثين ومائة :

في هذه السنة دخل أبو مسلم الخراساني مرو ، وبإيع الناس لبني العباس على ما نذكر ذلك إن شاء الله تعالى .

وفيهما هرب نصر بن سيار عن خراسان .

(١) في الكامل : ابنا جهانة . والمثبت في الطبري أيضاً .

وفيهما كان من أخبار الدولة العباسية ما ذكره إن شاء الله تعالى .
وفيهما غزاً الوليد بن هشام الصائفة ، فنزل العمق (١) وبني
حصن مرعش .

وحج بالناس في هذه السنة محمد بن عبد الملك بن مروان ، وهو
أمير مكة والمدينة والطائف .

سنة (١٣١ هـ) احدى وثلاثين ومائة :

في هذه السنة مات نصر بن سيار ، ودخل قحطبة الرمي من قبل
أبي مسلم الخراساني ، ثم دخل أصفهان ، وفتحت شهرزور لبني العباس ،
وسار قحطبة إلى العراق لقتال ابن هبيرة .

وحج بالناس في هذه السنة الوليد بن عروة بن محمد بن عطية
السعدي ، وهو ابن أخي عبد الملك بن محمد ، وكان على الحجاز ؛
ولما بلغه قتل عمه عبد الملك توجه إلى الذين قتلوه ، فقتل منهم
مقتلة عظيمة ؛ وبقر بطون نسايم ، وقتل الصبيان ، وحرق بالنار
من قدر عليه منهم ؛ وكان على العراق يزيد بن هبيرة .

سنة (١٣٢ هـ) اثنتين وثلاثين ومائة :

في هذه السنة كانت هزيمة يزيد بن هبيرة عامل العراق .
وفيهما خرج محمد بن خالد بن عبد الله القسري مسوداً بالكوفة ،
وأخرج عامل ابن هبيرة منها على ما ذكر ذلك [إن شاء الله تعالى] (٢) .

(١) العمق : بفتح أوله وسكون ثانيه وآخره قاف : واد من أودية الطائف .
والعمق أيضاً : موضع قرب المدينة . وواد بسيل في وادي الفرع لقوم من ولد الحسين
(ياقوت) .

(٢) من د .

وفيهما كان انقضاء الدولة الأموية ، وابتداء الدولة العباسية ، وبيعةُ
أبى العباس السفاح بالخلافة .

وسار عبدُ الله بن على بن عبد الله بن عباس إلى مروان بن محمد
بأمر السفاح ، فلقبه بزأبِ الوصيل ، واقتتلوا ، فانهزم مروانُ إلى
مضر ، فلحقه صالحُ بن على أخو عبد الله ببُوصير^(١) ، فقتله ليلةَ
الأحد لثلاث بقين من ذى الحجة على ما نذكر ذلك إن شاء الله
مبينًا في أخبار الدولة العباسية : جريًا في ذلك على القاعدة التي قدمناها .
ولما قُتل مروانُ بن محمد كان له من العمر تسعٌ وخمسون سنة .
وقيل : أقلّ من ذلك .

وكانت ولايته إلى أن بُويع للسفاح خمس سنين وشهرًا ، وإلى أن
قُتل خمس سنين وعشرة أشهر .

وكان نقش خاتمه : اذكر الموت يا غافلُ .

وكان له من الأولاد : عبدُ الله ، وعبيد الله ، هربا بعد قُتله .
فأما عبدُ الله فقتله الحبشةُ ، وعبيد الله أعقب .

وقيل : إنه أخذ وحُبس إلى أيام الرشيد ، فمات ببغداد ،
بعد أن أضر .

كاتبه : عبد الحميد بن يحيى مؤلفُ بنى عامر .

قاضيهِ : عثمان التيمي .

حاجبه : مقلار^(٢) مولاه .

(١) بوصير: قرية بمصر من كورة الأشمونين قتل بها مروان بن محمد
(ياقوت) .

(٢) هذا بالأصول .

الأمرء بمصر : منهم حسن بن عتاهية ، أقام ستة عشر يوماً ثم وليها حفص بن الوليد ، ثم عزله مروان وولى جوهر^(١) بن سهل العجلاني ، ثم بعثه مدداً إلى ابن هُبيرة ، وولأها المغيرة بن عبيد الله ، ثم توفي فولأها عبداً الملك بن مروان ابن موسى بن نصير .
القاضي بها : عبداً الرحمن بن سالم بعد أن صرف حسين بن نعيم ، ولم يزل بها قاضياً إلى إمارة عبد الملك بن يزيد .

جامع أخبار بني أمية

كانت مدة ولايتهم منذ خلع الأمر لمعاوية بن أبي سفيان وإلى أن قُتل مروان بن محمد إحدى وتسعين سنة وتسعة أشهر وخمسة أيام ، منها مدة عبداً الله بن الزبير تسع سنين واثنان وعشرون يوماً .
وعدة من ولى منهم أربعة عشر رجلاً ، وهم : معاوية بن أبي سفيان ، يزيد بن معاوية ، الوليد بن يزيد بن عبد الملك . معاوية ابن يزيد بن معاوية . مروان بن الحكم . عبد الملك بن مروان . هشام ابن عبد الملك . سليمان بن عبد الملك . عمر بن عبد العزيز . رحمه الله تعالى .
يزيد بن عبد الملك . مروان بن محمد بن مروان . الوليد بن يزيد . يزيد ابن الوليد بن عبد الملك . إبراهيم بن الوليد بن عبد الملك . يزيد ابن^(٢) معاوية بن عبد الملك ، هذا وعليه انقضت دولتهم بالمشرق ،

(١) في د : جوهرة .

(٢) فوقها في د : مقدم . وهو زائد عن العدد . وفي د اختلاف في ترتيب هؤلاء إذ عددهم : معاوية بن أبي سفيان . يزيد بن معاوية . معاوية بن يزيد بن معاوية . مروان بن الحكم . عبد الملك بن مروان . الوليد بن عبد الملك . سليمان بن عبد الملك . عمر بن عبد العزيز . يزيد بن عبد الملك . هشام بن عبد الملك . الوليد بن يزيد ابن عبد الملك . يزيد بن الوليد بن عبد الملك . إبراهيم بن الوليد بن عبد الملك : مروان بن محمد بن مروان بن الحكم

ثم قامت لهم دولة بالأندلس ، سنذكرها إن شاء الله تعالى بعد ذكرنا الدولة العباسية ، وإنما فصلنا ما بين دولتهم بالشرق ودولتهم بالمغرب وجعلنا للدولة العباسية بينهما لتكون أخبار الدولتين سياقة ، ولأن بعض أخبار الدولة العباسية متعلق بأخبار الدولة الأموية ، فإذا ذكرناها بعد لا يتقطع سياق الأخبار ، لأن دولتهم بالأندلس لم تكن تلو دولتهم هذه ، بل كانت بعد سنين من قيام الدولة العباسية . فصاروا إذا كالخوارج عليهم ، والله تعالى الموفق للصواب والهادى له بمنه وكرمه . يتلوه إن شاء الله بعد فى أول الجزء الموقى عشرين من الكتاب : الباب الرابع من القسم الخامس من الفن الخامس فى أخبار الدولة العباسية وغيرها .

وكتبه الحقيقير محمد ابن أبى النصر المنوفى الحنفى غفر الله له آمين . (١)
والله تعالى الموفق للصواب والهادى له

(١) هذا ما جاء فى آخر نسخة ك . وفى آخر نسخة (د) ما يأتى :
كامل الجزء التاسع عشر من كتاب نهاية الأرب فى فنون الأدب ، وهو الجزء التاسع من التاريخ على يد كاتبه وجامعه فقير رحمة ربه أحمد بن عبد الوهاب ابن محمد بن عبد الدايم البكرى التيجى ، عرف بالنويرى ، عفا الله عنه وسامحه . ووافق الفراغ من تأليفه وكتابته فى يوم الاثنين المبارك لتسع خلون من جمادى الآخرة عام (٧١٨ هـ) ثمان عشرة وسبعمائة أحسن الله تعالى تفضيها .

ويتلوه إن شاء الله تعالى فى أول الجزء الموقى عشرين من الكتاب :
الباب الرابع من القسم الخامس من الفن الخامس فى أخبار الدولة العباسية ، بالعراق ، وما معه ، والديار المصرية وابتداء أمر الشيعة .
والحمد لله وحده وصلواته على سيدنا محمد نبيه وآله وصحبه ، وسلم تسليما كثيرا ، وحبينا الله ونعم الوكيل .

تم الجزء الحادى والعشرون
ويليه الجزء الثانى والعشرون
وأوله : أخبار الدولة العباسية

فهرس

الجزء الحادى والعشرين
من كتاب نهاية الأرب فى فنون الأدب للنويرى

أرلا - الموضوعات

- مقابلة ٥
أخبار المختار بن أبى عبيد بن مسعود الثقفى ٧
وثوب المختار بالكوفة ١٢
عمال المختار بن أبى عبيد ٢٢
قتل المختار قتلة الحسين ٢٣
بيعة المنفى العبدى للمختار بالبصرة ٣٤
مخادعة المختار ومكره بعبد الله بن الزبير وظهور ذلك له ٣٥
امتناع محمد ابن الحنفية من مبايعة عبد الله بن الزبير وما كان من أمره
وإرسال المختار الجيش إلى مكة وخبر ابن الحنفية ٣٨
مسير إبراهيم بن الأشتر لحرب عبيد الله بن زياد وقتل ابن زياد ... ٤١
ولاية مصعب بن الزبير بالبصرة ومسيره إلى الكوفة وقتاله المختار
وقتل المختار بن أبى عبيد ٤٤
خبر كرمى المختار الذى كان يستنصر به ، ويزعم أنه فى كتاب
بنى إسرائيل ٥٢
أخبار نجلة بن عامر الحنفى حين وثب باليمامة وما كان من أمره ... ٥٤

- الخلاف على نجدة وقله وتولية أبي فديك ٥٨ ...
 الحوادث التي وقعت في أيام عبد الله بن الزبير خلاف ما ذكر في الأعمال
 الداخلة في ولايته على حكم السنين ٥٩ ...
 ستة أربع وستين ٥٩ ...
 ستة خمس وستين ٥٩ ...
 بناء ابن الزبير الكعبة ٦٠ ...
 ذكر الحرب بين عبد الله بن خازم وبين بني تميم بخراسان ٦١ ...
 ستة ست وستين ٦٤ ...
 ذكر الفتنة بخراسان ٦٤ ...
 ستة سبع وستين ٦٧ ...
 ستة ثمان وستين ٦٨ ...
 ذكر حصار الري وفتحها ٦٨ ...
 أنجار عبيد الله بن الحر ومقتله ٦٨ ...
 ستة تسع وستين ٧٧ ...
 ستة سبعين ٧٧ ...
 يوم الخفرة ٧٧ ...
 ستة إحدى وسبعين ٨٠ ...
 ستة اثنتين وسبعين ٨٠ ...
 ستة ثلاث وسبعين ٨٠ ...
 بيعة مروان بن الحكم ٨١ ...
 السبب في بيعة مروان ٨٣ ...
 موقعة مرج راهط ٨٨ ...
 سير مروان إلى مصر واستيلائه عليها ٩٤ ...
 ذكر البيعة لعبد الملك وعبد العزيز ابني مروان بن الحكم بولاية المهدي ٩٤

- ٩٦ وفاة مروان بن الحكم
- ٩٨ بيعة عبد الملك بن مروان
- ١٠٠ مقتل عمرو بن سعيد الأشدق ، وشيء من أخباره ونسبه
- ١٠٦ نبذة من أخبار عمرو بن سعيد الأشدق في الإسلام والجاهلية
- ١٠٨ عصيان الجراحمة بالشام وما كان من أمرهم
- خبر عمير بن الحباب بن جمعة السلمى وما كان بين قيس وتغلب
من الحروب
- ١١٠ يوم ماكسين
- ١١١ يوم الثرثار الأول
- ١١٢ يوم الثرثار الثانى
- ١١٢ يوم القديين
- ١١٣ يوم السكير
- ١١٣ يوم المعارك
- ١١٣ يوم الشرعية
- ١١٤ يوم البليخ
- ١١٤ يوم الحشاك ومقتل عمير بن الحباب السلمى وابن هوير التغلبى
- ١١٦ الحرب بعد مقتل عمير بن الحباب السلمى
- ١١٧ خبر يوم البشر
- مسير عبد الملك بن مروان إلى العراق وقتل مصعب بن الزبير واستيلاء
عبد الملك على العراق
- ١٢٠ خبر عبد الملك بن مروان وزفر بن الحارث وما كان بينهما من القتال
وانتظام الصلح بينهما
- ١٢٨ مقتل عبد الله بن خازم واستيلاء عبد الملك على خراسان
- ١٣٢ مقتل عبد الله بن الزبير وشيء من أخباره
- ١٣٣ نبذة من سيرته وأخباره
- ١٤٣

- مبايعة أهل مكة عبد الملك بن مروان وما فعله الحجاج من هدم
الكعبة وبنائها ومسيره إلى المدينة وما فعله فيها بالصحابة رضى
الله عنهم ١٤٥
- أخبار الخوارج في أيام عبد الملك بن مروان منذ استقل بالأمر ... ١٤٧
- مقتل أبي فديك الخارجي ... ١٥٠
- ولاية المهلب بن أبي صفرة حرب الأزارقة ... ١٥١
- إجلاء الخوارج عن راهرز وقتل عبد الرحمن بن مخنف ... ١٥٢
- الاختلاف بين الأزارقة ومفارقة قطرى بن الفجاءة إياهم ومبايعتهم عبد
رب الكبير والحرب بينه وبين المهلب ومقتله ... ١٥٥
- مقتل قطرى بن الفجاءة وعبيدة بن هلال ومن معهما من الأزارقة ١٥٩
- خروج صالح بن مسرح التميمي وشيب بن يزيد بن نعيم الشيباني ... ١٦١
- بيعة شيب بن يزيد الشيباني ومحاربه الحارث بن عميرة وهزيمة الحارث ١٦٤
- الحروب بين أصحاب شيب وعزة ... ١٦٥
- مسيرة شيب إلى بنى شيبان وإيقاعه بهم ودخولهم معه ... ١٦٦
- الوقعة بين شيب وسفيان الخثعمي ... ١٦٧
- الوقعة بين شيب وسورة ... ١٦٨
- الحرب بين شيب والحزول بن سعيد وقتل سعيد بن مجالد ... ١٦٩
- مسير شيب إلى الكوفة ... ١٧٢
- محاربة شيب أهل البادية ... ١٧٣
- دخول شيب الكوفة ... ١٧٤
- محاربة شيب زحر بن قيس وهزيمة جيش زحر ... ١٧٥
- محاربة الأمراء الذين ندبهم الحجاج لقتاله وقتال محمد بن موسى بن طامحة
وزائدة بن قدامة ... ١٧٦
- محاربه عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث وعثمان بن قطن وقتل
ابن قطن ... ١٧٩

- ١٨٣ محاربة عتاب بن ورقاء وزهرة بن حوية وقتلهما
- ١٨٨ قدريم شبيب الكوفة وانتهزاه عنها
- ١٩٠ مهلك شبيب
- ١٩٣ خروج مطرف بن المغيرة ومقتله
- ١٩٦ الغزوات والفتوحات في أيام عبد الملك بن مروان على حكم السنين
- ١٩٧ غزو عبيد الله بن أبي بكر رتييل
- ١٩٩ مسير عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث إلى رتييل ومملكته من بلاده
- ٢٠١ غزو المهلب بن أبي صفرة ما وراء النهر
- ٢٠٢ دخول الديلم قزوين وقتلهم
- ٢٠٣ فتح قلعة نيزك ببادغيس
- ٢٠٤ فتح المصيصة
- ٢٠٤ الحوادث الكاثنة في أيام عبد الملك بن مروان
- ٢٠٥ ولاية محمد بن مروان الجزيرة وأرمينية
- ٢٠٧ ولاية الحجاج بن يوسف العراق ، وما فعله عند مقدمه
- ٢١٤ وثوب أهل البصرة بالحجاج
- ٢١٩ ما كالم به الحجاج أنس بن مالك وشكواه إياه
- ٢٢٢ ولاية سعيد بن أسلم السند وقتله
- ٢٢٢ ولاية مجاعة بن سهر التميمي على السند ووفاته
- ٢٢٢ خبر الزنج بالبصرة
- ٢٢٣ ضرب الدنانير والدراهم الإسلامية
- ٢٢٤ مقتل بكير بن وساج
- ٢٢٧ حوادث سنة ٧٨ هـ
- ٢٢٨ حوادث سنة ٧٩ هـ
- ٢٢٨ حوادث سنة ٨٠ هـ
- ٢٢٩ حوادث سنة ٨١ هـ

- ٢٢٩ مقتل بختيار بن ورقاء
 خلاف عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث على الحجاج ، وما كان بينهما
- ٢٣٣ من الحروب
- ٢٣٧ الحرب بين الحجاج وابن الأشعث وانهازم ابن الأشعث
- ٢٣٩ وقعة دير الجماجم
- ٢٤٧ الوقعة بمسكن
 مسير عبد الرحمن بن الأشعث إلى رتبيل ، وما كان من أمره وأمر
- ٢٤٩ أصحابه
- ٢٥٩ بقية حوادث سنة ٨١ هـ
- ٢٥٩ حوادث سنة ٨٢ هـ
- ٢٥٩ وفاة المهلب بن أبي صفرة ووصيته لابنيه وولاية ابنه يزيد خراسان ...
- ٢٦١ خبر عمر بن أبي الصلت وخلعه الحجاج بالرى وما كان من أمره
- ٢٦٢ بناء واسط
- ٢٦٣ حوادث سنة ٨٤ هـ
- ٢٦٣ حوادث سنة ٨٥ هـ
- ٢٦٣ عزل يزيد بن المهلب عن خراسان وولاية أخيه المفضل
- ٢٦٥ أخبار موسى بن عبد الله بن خازم واستيلائه على ترمذ
- ٢٦٥ وفاة عبد العزيز بن مروان ، وولاية عبد الملك بن عبد الله مصر
- ٢٧٥ والبيعة ناوليد وسليمان ابني عبد الملك بولاية العهد ...
- ٢٧٧ وفاة عبد الملك بن مروان
- ٢٧٨ وصيته بنيه عند موته
- ٢٧٨ أولاده وأزواجه
- ٢٧٩ شيء من أخباره وعماله
- ٢٨٠ الأمراء بمصر وقضائهم
- ٢٨١ بيعة الوليد بن عبد الملك
- ٢٨٢ الغزوات والفتوح التي اتفقت في خلافة الوليد بن عبد الملك

- ولاية قتيبة بن مسلم خراسان ، وغزواته وفتوحه ... ٢٨٢
- قتيبة ونيزك ... ٢٨٤
- غزوة بيكند وفتحها... ٢٨٤
- غزو نومشكت ، وراميشنة ، وصلاح أهلها ، وقتال الترك والصغد
وأهل فرغانة ... ٢٨٥
- غزو بخارى وفتحها ... ٢٨٦
- خدر نيزك وفتح الطالقان وما كان من خير نيزك إلى أن قتل ... ٢٨٩
- غزوة شومان وكش ونسف وفتح ذلك ... ٢٩٤
- ذكر صلاح خوارزم شاه وفتح خام جرد... ٢٩٥
- فتح سمرقند ... ٢٩٦
- غزو الشاش وفرغانة... ٢٩٩
- فتح مدينة كاشغر ... ٣٠١
- غزوات قتيبة وفتوحاته ... ٣٠٣
- فتح السند وقتل ملكها ، وما يتصل بذلك من أخبار العمال عليها ... ٣٠٤
- ذكر الغزوات إلى بلاد الروم وما فتح منها . وغزوات الصوائف على
حكم السنين ... ٣١١
- فتح طوانة وغيرها من بلاد الروم ... ٣١١
- الحوادث الكائنة في أيام الوليد بن عبد الملك خلاف ما تقدم ... ٣١٣
- في سنة ٨٦ هـ ... ٣١٣
- في سنة ٨٧ هـ ... ٣١٤
- في سنة ٨٨ هـ ... ٣١٤
- عمارة مسجد النبي والزيادة فيه... ٣١٤
- في سنة ٨٩ هـ ... ٣١٦
- ولاية خالد بن عبد الله القسري مكة ، وما خطب الناس به وقاله ... ٣١٦
- في سنة ٩٠ هـ ... ٣١٦
- هرب يزيد بن المهلب وإخوته من سجن الحجاج ... ٣١٦
- في سنة ٩١ هـ ... ٣١٩

٣٢٠	في سنة ٩٢ هـ
٣٢١	في سنة ٩٣ هـ
٣٢١	عزل عمر بن عبدالعزيز عن الحجاز
٣٢٢	في سنة ٩٤ هـ
٣٢٢	مقتل سعيد بن جبير
٣٢٤	وفاة زين العابدين علي بن الحسين
٣٢٤	شيء من سيرته
٣٣١	في سنة ٩٥ هـ :
٣٣١	وفاة الحجاج بن يوسف الثقفي و شيء من أخباره
٣٣٥	في سنة ٩٦ هـ :
٣٣٥	وفاة الوليد بن عبد الملك و شيء من أخباره
٣٣٨	بيعة سليمان بن عبد الملك
٣٣٨	قتل قتيبة بن مسلم
٣٤٤	في سنة ٩٧ هـ
٣٤٤	ولاية يزيد بن المهلب خراسان
٣٤٧	في سنة ٩٨ هـ
٣٤٧	محاصرة القسطنطينية
٣٤٩	فتح قهستان و جرجان و طبرستان
٣٥١	فتح جرجان الفتح الثاني وإنشاء مدينتها
٣٥٣	في سنة ٩٩ هـ
٣٥٣	وفاة سليمان بن عبد الملك و شيء من أخباره
٣٥٥	بيعة عمر بن عبد العزيز
٣٥٩	في سنة مائة للهجرة
٣٥٩	خروج شوذب الخارجي
٣٦٤	حوادث سنة ١٠١ هـ
٣٦٥	وفاة عمر بن عبد العزيز

- نبذة من سيرته ... ٣٦٦
- بيعة يزيد بن عبد الملك ... ٣٧٢
- مقتل شوذب الخارجي وهزيمته بجيوش يزيد قبل ذلك ... ٣٧٤
- الغزوات والفتوح في خلافة يزيد بن عبد الملك : ... ٣٧٥
- غزوة الترك ... ٣٧٥
- غزوة الصغد ... ٣٧٧
- الوقعة بين سعيد الحرشي أمير خراسان وبين الصغد ... ٣٧٨
- ظفر الخزر بالمسلمين ... ٣٨١
- فتح بلنجر وغيرها ... ٣٨٢
- استيلاء يزيد بن المهلب على البصرة وخلعه يزيد بن عبد الملك ... ٣٨٤
- بقية أخبار سنة (١٠١ هـ) إحدى ومائة ... ٣٩١
- حوادث سنة اثنتين ومائة (١٠٢ هـ) ... ٣٩٢
- ولاية مسلمة بن عبد الملك العراق وخراسان وعزله ، وولاية
عمر بن هبيرة ... ٣٩٢
- البيعة لهشام بن عبد الملك ، والوليد بن يزيد ، بولاية العهد ... ٣٩٢
- مقتل يزيد بن أبي مسلم ... ٣٩٢
- حوادث سنة ثلاث ومائة (١٠٣ هـ) ... ٣٩٤
- ذكر استعمال سعيد الحرشي على خراسان ، وعزل سعيد خديبة عنها ... ٣٩٤
- حوادث سنة أربع ومائة (١٠٤ هـ) : ... ٣٩٥
- عزل عبد الرحمن بن الضحاك عن مكة والمدينة وولاية عبد الواحد ... ٣٩٥
- حوادث سنة خمس ومائة (١٠٥ هـ) ٣٩٧
- ذكر أخبار الخوارج في أيام يزيد بن عبد الملك ... ٣٩٧
- وفاة يزيد بن عبد الملك وشيء من أخباره ... ٣٩٩
- بيعة هشام بن عبد الملك ... ٤٠٢

- ٤٠٣ الغزوات والفتوح في أيام هشام بن عبد الملك على حكم السنين
- ٤٠٤ غزوة مسلم الترك
- ٤٠٥ غزاة عنبسة الفرنج بالأندلس
- ٤٠٧ خبر أشرس بن عبد الله السلمي أمير خراسان
- ٤١٠ ذكر وقعة كمرجة
- عزل أشرس عن خراسان ، واستعمال الجنييد بن هبذ الرحمن وقتاله
- ٤١٢ الترك
- ٤١٤ مقتل الجراح بن عبد الله الحكمي وولاية سعيد الحرشي
- ٤١٧ وقعة الجنييد بالشعب
- ٤٢١ غزو مسلمة وعوده
- غزو مروان بن محمد بلاد الترك ، ودخوله إلى بلاد ملك السريبر
- ٤٢١ وغيرهما
- ٤٢٥ ظفر المسلمين بالترك وقتل خاقان ملك الترك
- ٤٢٧ غزوات نصر بن سيار ما وراء النهر
- ٤٣١ غزو مروان بن محمد بن مروان
- ٤٣٢ حوادث سنة ست ومائة (١٠٦ هـ) :
- ٤٣٢ ذكر ولاية أسد خراسان
- ٤٣٤ حوادث سنة سبع ومائة (١٠٧ هـ) :
- ٤٣٥ « سنة ثمان ومائة (١٠٨ هـ) :
- ٤٣٥ « سنة تسع ومائة (١٠٩ هـ) :
- ٤٣٦ « سنة عشرة ومائة (١١٠ هـ) :
- ٤٣٧ « سنة إحدى عشرة ومائة (١١١ هـ) :
- ٤٣٧ « سنة اثني عشرة ومائة (١١٢ هـ) :
- ٤٣٧ « سنة ثلاث عشرة ومائة (١١٣ هـ) :

- ٤٣٧ حوادث سنة أربع عشرة ومائة (١١٤ هـ)
- ٤٣٨ « سنة خمس عشرة ومائة (١١٥ هـ)
- ٤٣٨ « سنة ست عشرة ومائة (١١٦ هـ)
- ٤٣٩ خلع الحارث بن سريج بخراسان ، وما كان من أمره
- ٤٤١ سنة سبع عشرة ومائة (١١٧ هـ)
- ٤٤١ عزل عاصم عن خراسان ، وولاية أسد وخبر الحارث بن سريج
- ٤٤٥ سنة تسع عشرة ومائة (١١٩ هـ) :
- ٤٤٥ قتل المغيرة وبيان
- ٤٤٧ خبر الخوارج في هذه السنة
- ٤٥١ سنة عشرين ومائة :
- ٤٥١ عزل خالد بن عبد الله القسري ، وولاية يوسف بن عمر الثقفي
- ٤٥٨ حوادث سنة إحدى وعشرين ومائة (١٢١ هـ) :
- ٤٥٨ حوادث سنة اثنتين وعشرين ومائة (١٢٢ هـ) :
- ٤٥٨ ذكر مقتل البطال
- ٤٥٩ حوادث سنة ثلاث وعشرين ومائة
- ٤٥٩ صلح نصر بن سيار مع الصفد
- ٤٦٠ حوادث سنة خمس وعشرين ومائة (١٢٥ هـ) :
- ٤٦٠ ذكر وفاة هشام بن عبد الملك ، ونبذة من أخباره
- ٤٦٢ ذكر بيعة الوليد بن يزيد
- ٤٦٩ حوادث سنة ست وعشرين ومائة :
- ٤٦٩ مقتل خالد بن عبد الله القسري ، وشيء من أخباره
- ٤٧٣ ذكر مقتل الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان ، وشيء من أخباره
- ٤٨٧ ذكر بيعة يزيد بن الوليد الناقص
- ٤٨٨ ذكر اضطراب أمر بني أمية

- ٤٨٩ : خلاف أهل حمص وفلسطين
- ٤٨٩ خلاف أهل حمص
- ٤٩١ خلاف أهل فلسطين
- ٤٩١ عزل يوسف بن عمر عن العراق ، واستعمال منصور بن جمهور
- ٤٩١ عزل منصور بن جمهور عن العراق ، وولاية عبد الله بن عمر
- ٤٩٥ ابن عبد العزيز
- ٤٩٦ ذكر الاختلاف بين أهل خراسان
- ٥٠١ ذكر الحرب بين اليمامة وعاملهم
- ٥٠٤ وفاة يزيد بن الوليد بن عبد الملك
- ٥٠٥بيعة إبراهيم بن الوليد
- ٥٠٥ تمة حوادث سنة ست وعشرين ومائة (١٢٦ هـ)
- ٥٠٦ سنة سبع وعشرين ومائة (١٢٧ هـ)
- ٥٠٦ ذكر مسيرة مروان بن محمد إلى الشام ، وخلع إبراهيم بن الوليد
- ٥٠٨ ذكربيعة مروان بن محمد
- ٥٠٩ رجوع الحارث بن سريج
- ٥١١ انتقاض أهل حمص
- ٥١٢ ذكر خلاف أهل القوطة
- ٥١٢ خلاف أهل فلسطين
- ٥١٤ خلع سليمان بن هشام بن عبد الملك مروان بن محمد
- ٥١٦ ذكر خروج الضحاك محكما ، وما كان من أمره إلى أن قتل
- ٥١٩ ذكر خبير الخبيري الخارجي وقتله وقيام شيبان
- ٥٢٠ أخبار شبيب الحروري وما كان من أمره إلى أن قتل
- ٥٢٣ سنة ثمان وعشرين ومائة (١٢٨ هـ)
- ٥٢٣ مقتل الحارث بن سريج وعتبة الكرمانى على مرو
- ٥٢٩ سنة تسع وعشرين ومائة (١٢٩ هـ)
- ٥٢٩ مقتل الكرمانى

- خبر أبي حمزة المختار بن عوف الأزدي البصري مع طالب
- الحق عبد الله بن محمد بن يحيى الحضرمي ٥٣٠
- دخول أبي حمزة المدينة ٥٣٣
- مقتل أبي حمزة ٥٣٥
- مقتل عبد الله بن يحيى المنعوت بصاحب الحق ، وقتل ابن عطية ... ٥٣٥
- تنمة حوادث سنة (١٢٩ هـ) ٥٣٦
- حوادث سنة ثلاثين ومائة (١٣٠ هـ) ٥٣٦
- و سنة إحدى وثلاثين ومائة (١٣١ هـ) ٥٣٧
- حوادث سنة اثنين وثلاثين ومائة (١٣٢ هـ) : ٥٣٧
- جامع أخبار بني أمية ٥٣٩

ثانياً - مراجع التحقيق

- | | |
|------------------------------|---------------------------------------|
| مطبوعة نهضة مصر | الاستيعاب لابن عبد البر |
| مطبوعة السنة المحمدية | الاشتقاق لابن دريد |
| طبعة دار المعارف | الأصمعيات |
| دار الكتب | الأغانى لأبي الفرج الأصبهاني |
| نسخة المخطوطة المحققة | الإكمال لابن ماكولا |
| دار ليبيا للنشر والتوزيع | تاج الأروس للزبيدي |
| طبعة دار المعارف | تاريخ الطبري |
| المكتبة الأهلية | ديوان الفرزدق |
| دار الفكر | ديوان النابغة الذبياني |
| طبعة التجارية | شرح ديوان الحماسة لتبريزي |
| لجنة التأليف | شرح ديوان الحماسة للمرزوقي |
| طبعة عيسى الحلبي | الشعر والشعراء لابن قتيبة |
| لجنة التأليف | العقد الفريد لابن عبد ربه |
| شركة طبع الكتب العربية ١٩٠١م | فتوح البلدان للبلاذري |
| المطبعة المصرية | القاموس المحيط |
| طبعة عيسى الحلبي | قصص العرب |
| إدارة المطبعة المنيرية | الكامل لابن الأثير |
| مكتبة القدس | نب اللباب لابن الأثير |
| الطبعة الأميرية | لسان العرب لابن منظور |
| طبعة نهضة مصر | مختارات ابن الشجري |
| مكتبة عيسى الحلبي | مرصد الاطلاع في أسماء الأمكنة والبقاع |

طبعة التجارية	مروج الذهب للمسعودي
طبعة مكتبة عيسى الحلبي	المشبه للذهبي
مطبعة السعادة	معجم البلدان لياقوت
طبعة مكتبة عيسى الحلبي	معجم الشعراء للمرزباني
مطبعة التأليف	معجم ما استعجم لابكري
طبعة دار الكتب	النجوم الزاهرة

مطابع الهيئة العامة للكتاب

رقم الايداع بدار الكتب ١٩٧٧/١٨١١
ISBN ٩٧٧ ٢٠١ ٢٣١ ٦